



أصول العقيدة الإسلامية وأركانها من خلال النتاج الفكري للشيخ السَّعدي

رباب نجيب أمين سلطان المسني

دكتوراه في العقيدة
كلية العلوم الإسلامية

1438 هـ / 2017 م

أصول العقيدة الإسلامية وأركانها
من خلال النتاج الفكري للشيخ السَّعدي

رباب نجيب أمين سلطان زيد المسني

PAQ151BK223

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة
كلية العلوم الإسلامية

المشرف:

الأستاذ المساعد الدكتور / عصام علي فوده

رمضان 1438 هـ / يونيو 2017 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

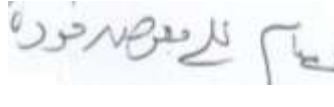
الاعتماد

تم اعتماد بحث الطالب: رباب نجيب أمين سلطان زيد المسني
من الآتية أسماؤهم:

The thesis of **RABAB NAJIB AMEEN SULTAN AL-MASNI** has been approved
By the following:

المشرف

الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور/ عصام علي معوض فودة

التوقيع: 

المشرف على التعديلات

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد أحمد عبدالمطلب عزب

التوقيع: 

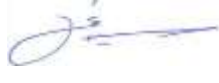
رئيس القسم

الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي

التوقيع: 

عميد الكلية

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم

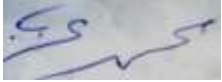
التوقيع: 

عمادة الدراسات العليا

الاسم : الأستاذ المشارك الدكتور/ أحمد علي عبدالعاطي

التوقيع: 

التحكيم

عضو لجنة المناقشة	الاسم	التوقيع
رئيس الجلسة	الأستاذ المشارك الدكتور محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب	
المناقش الخارجي الأول	الأستاذ الدكتور مصطفى مراد صبحي	
المناقش الخارجي الثاني	الأستاذ الدكتور مرسى شعبان علي السويدي	
المناقش الداخلي الأول	الأستاذ المشارك الدكتور محمد أحمد عبدالمطلب عزب	
المناقش الداخلي الثاني		
ممثل الكلية	الأستاذ المشارك الدكتور وليد علي الطنطاوي	

إقرار

أقر بأن هذا البحث من عملي وجهدي إلا ما كان من المراجع التي أشرت إليها، وأقر بأن هذا البحث بكامله ما قدم من قبل، ولم يقدم للحصول على أي درجة علمية أي جامعة، أو مؤسسة تربوية أو تعليمية أخرى.

اسم الباحث: رباب نجيب أمين سلطان زيد المسني

التوقيع :

التاريخ :

DECLARATION

I acknowledge that this research is my own work except the resources mentioned in the references and I acknowledge that this research was not presented as a whole before to obtain any degree from any university, educational or other institutions

Name of student: **RABAB NAJIB AMEEN SULTAN AL-MASNI**

Signature: -----

Date: -----

حقوق الطبع

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع 2017 © محفوظة

رباب نجيب أمين سلطان زيد المسني

أصول العقيدة الإسلامية وأركانها من خلال النتاج الفكري للشيخ السَّعدي

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
- ٢- يحق لجامعة المدينة العالمية مالياً الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليمية، لا لأغراض تجارية أو تسويقية.
- ٣- يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بمالياً استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور؛ إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أؤكد هذا الإقرار :

الاسم : رباب نجيب أمين سلطان زيد المسني

التوقيع:.....

التاريخ:.....

الشكر والتقدير

أحمد الله عز وجل و أشكره على نعمه التي لا تحصى ، وعلى هدايته وتوفيقه لي في كتابة هذا البحث ، وإتمامه ، فله الحمد ، و إليه يعود الفضل والخير وبعد:-

فاعترافاً بالفضل لأهله وعملاً بالأدب الإسلامي الرفيع بشكر أهل الفضل والإحسان على إحسانهم ، أتقدم بخالص شكري وعظيم امتناني لكل من كان له دور وفعل في نجاح هذا البحث، وأخص بالشكر جامعتي المباركة/ جامعة المدينة العالمية، الذي فتحت لي باب القبول والتسجيل ، وسهلت لي طريق طلب العلم النافع، فأسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك بها ، والعاملين فيها، وكذلك أخص بالشكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ عصام علي معوض فودة ، الذي أشرف على رسالتي ، و لم يدخر جهداً في إبداء توجيهاته القيمة وملاحظاته السديدة، فأسأل الله تعالى أن ينفع بعلمه الإسلام والمسلمين، و أن يجعل علمه إمامه إلى الفردوس، آمين.

وكذلك أخص بالذكر فضيلة الدكتور/ إبراهيم بيومي، الذي كان له يدٌ بانية في رحلة بحثي، فجزاه الله خير الجزاء، ونفعنا بعلمه والمسلمين، آمين.

كما أتقدم بعظيم الامتنان للدكاترة المناقشين لرسالتي، فجزاهم الله عنا كل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم الدين. آمين.

الإهداء

إلى الذين كانوا سبب وجودنا بعد الله ﷻ، وبوابة أمل نحو المستقبل وما زالوا مصدر الحنان .
والدين العزيزين .

إلى أولئك الذين رسموا لنا الدرب فكانوا قناديل ضياء في آفاق العلم .
الدكاترة الأجلاء .

إلى من كلله الله ﷻ بالهيبة والوقار ، إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله ﷻ .
زوجي الغالي .

إلى قرة عيني خديجة ، وأحمد أعزهم الله ﷻ بالإسلام ، ورفعهم بالعلم والحكمة والتقوى .
ابني الحبيين .

الملخص

إن المتأمل في سيرة النبي ﷺ -يجد أن الآيات التي أنزلت عليه في بداية الدعوة كانت تركز على العقيدة ، وتدعو إلى توحيد الله تعالى ، والتبرؤ مما سواه، من هذا المنطلق جاءت هذه الرسالة لتسلط الضوء على مسائل العقيدة من كتاب التفسير للشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- وقد سمّيته (الأصول العقدية الإيمانية في ضوء النتاج الفكري للشيخ السعدي)، وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب ، وكل باب قسمته إلى عدة فصول ، وكل فصل إلى عدة مباحث ، وإن اضطر الأمر أقسم المباحث إلى مطالب، أما المقدمة فتناولت فيها أهمية الموضوع ، ومنهج الدراسة وعملي فيه، والدراسات السابقة للموضوع، فبالنسبة لأهمية البحث وسبب اختياره هو الرغبة في إبراز الأصول العقدية التي تناولها الشيخ السعدي -رحمة الله عليه- في تفسيره، مع رغبة الباحثة في جمع الأصول العقدية الإيمانية من كتبه وجعلها في كتاب واحد، وتتجلى مشكلة البحث برغبتي في الحصول على الإجابة على التساؤل التالي وهو: ما الأصول العقدية التي تطرق إليها الشيخ السعدي -رحمة الله عليه- في تفسيره؟ وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج (الوصفي التحليلي) حيث أنه أنسب مناهج البحث العلمي لمثل هذه الموضوعات فقد جمعتُ المسائل المتعلقة بالعقيدة في هذا التفسير، ومن كتب الشيخ السعدي الأخرى، ومن ثم قمتُ بدراستها دراسة تحليلية، ثم ختمت الرسالة بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال الدراسة فكانت أهم نتيجة فيها الحرص الشديد للشيخ العلامة السعدي -رحمه الله تعالى وجهوده المكثفة بالعناية بكتاب الله عز وجل، واهتمامه فيه ببيان أمور العقيدة وتبصير المسلمين بها، وللشيخ السعدي كثير من المؤلفات العلمية القيمة النافعة ما يربو على أربعين مؤلفاً، ثم شرعت بذكر التوصيات، ثم الفهارس العامة للبحث. والله ولي التوفيق.

"ABSTRACT"

Detectives in the interpretation of Streptococcus Saadi Student / Rabab Najib Amin Sultan preparation. The supervision of Prof. Dr. / Essam Ali Mouawad Fuda. Watching the biography of the Prophet peace be upon him- find that the verses that landed him in the beginning of the call was focused on faith, and calls for the unification of God, and repudiating what else, from this point of this letter came to shed light on matters of faith from the book interpretation of Sheikh Saadi God's mercy Almighty has detoxified (detective Streptococcus in the interpretation of Saadi), has included research on the introduction and pave the door and every door divided into several chapters, each separated into several sections, and that had to be sworn detectives to the demands, but offered grabbed the importance of the topic and the methodology of the study and my work in it, and previous studies of the subject, the ratio of the importance of research and the reason for his choice is the desire to highlight the contractual aspects addressed by Sheikh Saadi-God rest his soul-in his interpretation, with the desire of the researcher in the collection of faith issues and make them into one book, and reflected a problem Find my desire in Get the answer to the following question: to what Streptococcus detective touched upon Sheikh Saadi-God's mercy Alih- in his interpretation? has been followed in this study approach (analytical descriptive), where it is the most suitable scientific research to such topics curriculum matters concerning faith they have gathered in this interpretation, and the other books of Sheikh al-Saadi, and then you studied analytical study, then concluded the letter by mentioning the most important findings by the study was the most important result of the great care of Sheikh Saadi-mark Almighty God's mercy and his intensive care book of God Almighty, and his interest in it a statement on matters of religion and enlighten the Muslims, and Sheikh Saadi, a lot of scientific literature useful value of more than forty books, then proceeded to mention the recommendations, then the general indexes for Bges.oallah Crown success.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	العنوان.....
ب	البسمة.....
ج	الاعتماد.....
د	التحكيم.....
هـ	الإقرار.....
	Declaration
ز	حقوق الطبع.....
ح	الشكر والتقدير.....
ط	الإهداء.....
ي	ملخص البحث.....
ك	ABSTRACT
ل-ذ	فهرس المحتويات.....
٢	المقدمة.....
٤	أهمية البحث.....
٤	أسباب اختيار البحث.....
٤	مشكلة البحث.....
٤	أهداف البحث.....
٥	الدراسات السابقة.....
٥	منهجية البحث.....
٧	التمهيد.....
٨	أولاً: أهمية دراسة العقيدة الإسلامية.....

الصفحة	الموضوع
١٥	ثانياً: تعريف بالشيخ السعدي.....
٢٥	ثالثاً: التعريف بتفسير الشيخ السعدي وميزاته.....
٢٧	الباب الأول: المباحث العقدية المتعلقة بالإلهيات.....
٢٨	الفصل الأول: المباحث العقدية في توحيد الربوبية.....
٢٩	المبحث الأول: حقيقة توحيد الربوبية.....
٢٩	المطلب الأول: مدلول كلمة (الرَّبُّ) لغةً.....
٣٠	المطلب الثاني: معنى (الرَّبُّ) في حق الله تعالى.....
٣٢	المطلب الثالث: تعريف توحيد الربوبية اصطلاحاً.....
٣٤	المطلب الرابع: نوعي ربوبية الله لعباده.....
٣٧	المبحث الثاني: دلائل توحيد الربوبية.....
٣٧	المطلب الأول: دلالة الشرع.....
٣٨	المطلب الثاني: دلالة الفطرة.....
٤٠	المطلب الثالث: دلالة العقل.....
٤٤	المبحث الثالث: خصائص توحيد الربوبية وآثاره.....
٤٤	المطلب الأول: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية.....
٤٦	المطلب الثاني: آثار الإيمان بتوحيد الربوبية.....
٤٨	الفصل الثاني: المباحث العقدية في توحيد الألوهية (العبادة).....
٤٩	المبحث الأول: حقيقة توحيد الألوهية.....
٤٩	المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية.....
٥٢	المطلب الثاني: أهمية توحيد الألوهية.....
٥٥	المبحث الثاني: أدلة إثبات توحيد الألوهية.....
٥٥	المطلب الأول: الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية.....

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: الاستدلال بقصص الأنبياء على توحيد الألوهية	٥٧
المبحث الثالث: فوائد توحيد الألوهية	٥٩
المبحث الرابع: حقيقة كلمة التوحيد	٦١
المبحث الخامس: معنى العبادة وأركانها وأصولها وأنواعها	٦٥
المطلب الأول: معنى العبادة	٦٥
المطلب الثاني: أركان العبادة	٦٦
المطلب الثالث: أصول العبادة	٦٩
المطلب الرابع: أقسام العبودية	٧٠
المطلب الخامس: أنواع العبادة وأمثلتها	٧٢
أولاً: عبادة الإخلاص	٧٣
ثانياً: عبادة الصبر	٨٠
الفصل الثالث: المباحث العقديّة في توحيد الأسماء والصفات	٩٠
المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات	٩١
المبحث الثاني: معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات	٩٢
المطلب الأول: معتقد أهل السنة في باب الأسماء الحسنی	٩٢
المطلب الثاني: معتقد أهل السنة في باب الصفات	٩٨
المبحث الثالث: أصول الإيمان بأسماء الله وصفاته	١٠٣
المطلب الأول: أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته	١٠٣
المطلب الثاني: أقسام الصفات	١٠٤
المبحث الرابع: تفسير أسماء الله الحسنی	١٠٩
المطلب الأول: منهج شرح أسماء الله الحسنی	١٠٩
المطلب الثاني: أمثلة لأسماء الله الحسنی وكلام السعدي عنها	١١٠
أولاً: اسم الجلالة ﴿الله﴾ تبارك وتعالى	١١٠

الصفحة	الموضوع
١١٣	ثانياً: الله ﴿الحَيُّ - القيوم﴾ ﷻ
١١٦	ثالثاً: الله ﴿العليم﴾ ﷻ
١١٨	المطلب الثالث: مسألة اسم الله الأعظم.
١٢١	المبحث الخامس: ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته.
١٢٥	الفصل الرابع: المباحث العقدية المتعلقة بنواقض التوحيد.
١٢٦	المبحث الأول: الشرك.
١٢٦	المطلب الأول: تعريف الشرك وأقسامه.
١٢٩	المطلب الثاني: مسائل في باب الشرك.
١٢٩	المسألة الأولى: لبس الحلقة والخيط ونحوها لرفع البلاء أو دفعه.
١٣١	المسألة الثانية: ما جاء في الرقى والتمائم.
١٣٢	المسألة الثالثة: من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.
١٣٣	المسألة الرابعة: ما جاء في الذبح لغير الله تعالى.
١٣٤	المسألة الخامسة: الاستعاذة و الاستغاثة بغير الله تعالى.
١٣٦	المطلب الثالث: الحذر من الشرك وبطلانه.
١٣٦	أولاً: الحذر من الشرك.
١٤١	ثانياً: بطلان الشرك بالدليل العقلي والنقلي.
١٤٣	المطلب الرابع: تلازم الشرك والتعطيل.
١٤٤	المبحث الثاني: النفاق.
١٤٤	المطلب الأول: تعريف النفاق وأقسامه.
١٤٤	أولاً: النفاق لغةً.
١٤٤	ثانياً: تعريف النفاق شرعاً وأقسامه.
١٤٦	المطلب الثاني: أوصاف المنافقين وجزاؤهم.
١٤٨	المبحث الثالث: البدعة.

الصفحة	الموضوع
١٤٨	المطلب الأول: تعريف البدعة وأنواعها.....
١٤٨	أولاً: البدعة لغة.....
١٤٨	ثانياً: تعريف البدعة شرعاً وأنواعها.....
١٥٣	المطلب الثاني: مسائل في باب البدعة.....
١٥٩	الباب الثاني: المباحث العقدية المتعلقة بالنبوات والسمعيات.....
١٥٩	الفصل الأول: المباحث العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان.....
١٦٠	المبحث الأول: تعريف الإيمان وأدلته.....
١٦٠	المطلب الأول: تعريف الإيمان لغة.....
١٦٢	المطلب الثاني: تعريف الإيمان اصطلاحاً.....
١٦٥	المطلب الثالث: تفصيل تعريف الإيمان الاصطلاحي.....
١٦٩	المبحث الثاني: وجوده وأدلة زيادة الإيمان ونقصانه.....
١٦٩	المطلب الأول: وجوده زيادة الإيمان ونقصانه.....
١٧٠	المطلب الثاني: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه.....
١٧٠	أولاً: أدلة الكتاب.....
١٧١	ثانياً: أدلة السنة.....
١٧٣	المبحث الثالث: الاستثناء في الإيمان.....
١٧٥	المبحث الرابع: الإيمان الكامل والناقص.....
١٧٥	المطلب الأول: تعريف (الإيمان المطلق) (مطلق الإيمان).....
١٧٧	المطلب الثاني: حكم مرتكب الكبائر وأمثلتها.....
١٧٧	أولاً: الكبائر لغة.....
١٧٨	ثانياً: تعريف الكبائر شرعاً.....
١٧٨	ثالثاً: ذكر مجموعة من الكبائر وكلام الشيخ السعدي عنها.....
١٨٢	المبحث الخامس: فوائد الإيمان وثمراته.....

الصفحة	الموضوع
١٨٤	المبحث السادس: مسائل في باب الإيمان.....
١٨٤	المطلب الأول: أسباب نور الإيمان وقوته.....
١٨٤	المطلب الثاني: أوصاف المؤمنون أهل السعادة.....
١٨٦	المطلب الثالث: موانع الإيمان.....
١٨٦	أولاً: الحسد والبغي.....
١٨٦	ثانياً: الكبر.....
١٨٦	ثالثاً: الإعراض عن الأدلة السمعية والأدلة العقلية الصحيحة.....
١٨٧	رابعاً: الفسق.....
١٨٧	خامساً: الانغماس في الترف والإسراف في النعيم.....
١٨٩	الفصل الثاني: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة.....
١٩٠	المبحث الأول: منزلة الإيمان بالملائكة وكيفية.....
١٩٠	المطلب الأول: منزلة الإيمان بالملائكة.....
١٩٢	المطلب الثاني: كيفية الإيمان بالملائكة.....
١٩٥	المبحث الثاني: صفات الملائكة وخصائصهم.....
١٩٥	المطلب الأول: صفات الملائكة.....
١٩٨	المطلب الثاني: خصائص الملائكة.....
٢٠١	المبحث الثالث: وظائف الملائكة في العالم العلوي والسفلي.....
٢٠١	المطلب الأول: أعمال الملائكة إجمالاً.....
٢٠٣	المطلب الثاني: أعمال الملائكة بالتفصيل وكلام الشيخ السعدي عنها.....
٢١٠	المبحث الرابع: الملائكة والكفار والملاحدة.....
٢١٠	المطلب الأول: الملائكة والكفار.....
٢١٢	المطلب الثاني: الملائكة والملاحدة.....
٢١٦	الفصل الثالث: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب.....

الصفحة	الموضوع
٢١٧	المبحث الأول: الإيمان بالكتب السماوية المنزلة.....
٢١٧	المطلب الأول: حكم الإيمان بالكتب وأدلتها.....
٢١٧	أولاً: حكم الإيمان بالكتب.....
٢١٨	ثانياً: أدلة الإيمان بالكتب وحديث السعدي عن حكمها.....
٢٢١	المطلب الثاني: كيفية الإيمان بالكتب السماوية.....
٢٢٧	المطلب الثالث: الكتب السماوية السابقة.....
٢٢٧	أولاً: التوراة.....
٢٢٩	ثانياً: الإنجيل.....
٢٣٠	ثالثاً: الزبور.....
٢٣١	رابعاً: صحف إبراهيم وموسى.....
٢٣٢	المبحث الثاني: تحريف بعض الكتب السماوية.....
٢٣٢	المطلب الأول: تحريف أهل الكتاب لكلام الله.....
٢٣٥	المطلب الثاني: سلامة القرآن من التحريف وحفظه.....
٢٣٧	المبحث الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم وخصائصه.....
٢٣٧	المطلب الأول: الإيمان بالقرآن الكريم.....
٢٣٨	المطلب الثاني: خصائص الإيمان بالقرآن الكريم.....
٢٤٥	المبحث الرابع: الكتب السماوية والملاحدة.....
٢٤٨	الفصل الرابع: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسول.....
٢٤٩	المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسول.....
٢٤٩	المطلب الأول: حكم الإيمان بالرسول إجمالاً.....
٢٥١	المطلب الثاني: حكم الإيمان بالرسول تفصيلاً.....
٢٥٣	المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفارق بينهما.....
٢٥٣	المطلب الأول: تعريف النبي والرسول.....

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: الفرق بين الرسول والنبي.....	٢٥٤
المطلب الثالث: فوائد بعثة مُحَمَّد ﷺ بشرع جديد.....	٢٥٥
المبحث الثالث: دلائل النبوة.....	٢٥٨
المطلب الأول: المقصود من الدلائل.....	٢٥٨
المطلب الثاني: تنوع دلائل نبوة مُحَمَّد ﷺ.....	٢٦٠
المبحث الرابع: عصمة الأنبياء.....	٢٦٤
المطلب الأول: عصمة الأنبياء في التبليغ.....	٢٦٤
المطلب الثاني: العصمة من الصغائر.....	٢٦٦
المطلب الثالث: العصمة من الكبائر.....	٢٦٧
المبحث الخامس: الإيمان بنبوة مُحَمَّد ﷺ.....	٢٧٠
المطلب الأول: فضل نبينا مُحَمَّد ﷺ.....	٢٧٠
المطلب الثاني: نبوة مُحَمَّد ﷺ والملاحدة.....	٢٧١
المبحث السادس: ثمرات الإيمان بالرسول.....	٢٧٤
الفصل الخامس: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر.....	٢٧٦
المبحث الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر وثمراته.....	٢٧٨
المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر.....	٢٧٨
المطلب الثاني: ثمرات الإيمان باليوم الآخر.....	٢٧٨
المبحث الثاني: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بأشراط الساعة.....	٢٨٠
المطلب الأول: الساعة قريبة.....	٢٨٠
المطلب الثاني: حكمة إخفاء وقت الساعة.....	٢٨١
المطلب الثالث: تعريف أشراط الساعة.....	٢٨٢
المطلب الرابع: العلامات الكبرى للساعة.....	٢٨٣
العلامة الأولى: فتنة الدجال.....	٢٨٣

الصفحة	الموضوع
٢٨٦	العلامة الثانية: نزول عيسى عليه السلام
٢٨٧	العلامة الثالثة: خروج يأجوج ومأجوج
٢٨٩	العلامة الرابعة: طلوع الشمس من مغربها
٢٩١	العلامة الخامسة: خروج الدابة
٢٩٢	المبحث الثالث: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه
٢٩٢	المطلب الأول: الإيمان بحياة البرزخ
٢٩٣	المطلب الثاني: الأدلة على نعيم القبر وعذابه وكلام السعدي عنها
٢٩٥	المطلب الثالث: موعظة الشيخ السعدي عن حياة البرزخ
٢٩٦	المبحث الرابع: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالنفخ بالصور
٢٩٦	المطلب الأول: المراد بالصور
٢٩٧	المطلب الثاني: التعريف بالنفخات الثلاث
٣٠٠	المبحث الخامس: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالبعث
٣٠٠	المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته وتقريره
٣٠٠	أولاً: البعث لغةً
٣٠٠	ثانياً: البعث شرعاً
٣٠١	ثالثاً: حقيقة البعث
٣٠١	رابعاً: تقرير البعث والنشور
٣٠٣	المطلب الثاني: المكذبون بالبعث والأدلة على إنه كائن
٣٠٣	أولاً: المكذبون بالبعث
٣٠٤	ثانياً: أدلة البعث والنشور
٣٠٩	ثالثاً: أبلغ وأجمع دليل على البعث
٣١٢	المطلب الثالث: الحشر
٣١٢	أولاً: الحشر عام لجميع الخلائق

الصفحة	الموضوع
٣١٣	ثانياً: الحشر إلى دار القرار إما إلى الجنة أو النار.....
٣١٥	المطلب الرابع: الحوض، صفته، وأدلته
٣١٦	المطلب الخامس: الميزان، صفته، وأدلته
٣١٧	ما يوزن في الميزان ثلاثة؟
٣١٨	المطلب السادس: الصراط، صفته، وأدلته.
٣٢٠	المطلب السابع: الجنة والنار، صفتيهما وكيفية الإيمان بهما مع الأدلة.
٣٢٠	أولاً: الجنة.....
٣٢٢	ثانياً: النار
٣٢٣	ثالثاً: الأمور التي يتحقق بها الإيمان بالجنة والنار.....
٣٢٧	الفصل السادس: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالقضاء والقدر.
٣٢٨	المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما.....
٣٢٨	المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر في اللغة.....
٣٢٨	أولاً: تعريف القضاء لغةً
٣٢٩	ثانياً: تعريف القدر لغة
٣٢٩	المطلب الثاني: تعريف القضاء والقدر شرعاً.....
٣٣٠	المطلب الثالث: الفرق بين القضاء والقدر
٣٣٣	المبحث الثاني: حكم الإيمان بالقضاء والقدر وأدلته.....
٣٣٣	المطلب الأول: حكم الإيمان بالقضاء والقدر.
٣٣٤	المطلب الثاني: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر.
٣٣٧	المبحث الثالث: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.
٣٤١	المبحث الرابع: عقيدة أهل السنة بالقضاء والقدر.
٣٤١	المطلب الأول: وسطية منهج أهل السنة في باب القدر.
٣٤٣	المطلب الثاني: الرد على الطائفتين: الجبرية والقدرية.....

الصفحة	الموضوع
٣٤٥	المبحث الخامس: حكم الرضى بقضاء الله وقدره.....
٣٤٧	المبحث السادس: مسائل القدر.....
٣٤٧	المطلب الأول: مسائل القدر مستمدة من أسماء الله وصفاته.....
٣٤٧	المطلب الثاني: أمثلة لمسائل القدر.....
٣٤٧	المسألة الأولى: الاستطاعة والتكليف بما لا يطاق.....
٣٥٠	المسألة الثانية: الختم والطبع والهدى والضلال.....
٣٥٤	مراتب الهدى والضلال عند أهل السنة أربع.....
٣٥٧	المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.....
٣٥٩	الفصل السابع: المباحث العقدية المتعلقة بمسائل الإمامة.....
٣٦٠	المبحث الأول: تعريف الإمامة.....
٣٦٠	المطلب الأول: تعريف الإمامة لغةً واصطلاحاً.....
٣٦٠	أولاً: الإمامة لغةً.....
٣٦١	ثانياً: تعريف الإمامة اصطلاحاً.....
٣٦٢	ثالثاً: تفسير الشيخ السعدي للفظ (الإمام) في القرآن.....
٣٦٤	المبحث الثاني: أدلة وجوب الإمامة.....
٣٦٧	المبحث الثالث: شروط الإمام.....
٣٧٣	المبحث الرابع: حكم الخروج على الإمام.....
٣٧٣	المطلب الأول: الإمام العادل المقسط.....
٣٧٣	المطلب الثاني: الخروج على الحاكم الكافر المرتد.....
٣٧٤	المطلب الثالث: الخروج على الحاكم الفاسق.....
٣٨٠	المبحث الخامس: الخلفاء الراشدون.....
٣٨٠	المطلب الأول: التعريف بالخلفاء الراشدين ومكانتهم.....
٣٨٠	أولاً: الخلفاء الراشدون هم.....

الصفحة	الموضوع
٣٨٠	ثانياً: مكانة الخلفاء الراشدين.....
٣٨١	المطلب الثاني: فضيلة الخلفاء الراشدين وواجبنا نحوهم.....
٣٨٤	منظومة في العقيدة والأخلاق.....
٣٨٧	الخاتمة.....
٣٩٦	التوصيات.....
٣٩٧	الفهارس.....
٣٩٨	فهرس الآيات القرآنية.....
٤٢٢	فهرس الأحاديث النبوية.....
٤٢٦	فهرس المصادر والمراجع.....

المقدمة

وفيها الآتي:

- أهمية البحث
- مشكلة البحث
- أهداف البحث
- الدراسات السابقة
- منهجية البحث

المقدمة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وبعد:

فإن أحق ما يشتغل به الباحثون، وأفضل ما يتسابق فيه المتسابقون، وأجل ما يتنافس فيه المتنافسون هو دراسة كتاب الله تعالى، ومواصلة البحث فيه، والتعمق في الكشف عن علومه وحقائقه، وإظهار إعجازه، وتجليه محاسنه والدفاع عنه بنفي الشكوك، والريب فيه. فالقرآن الكريم بحر لا يدرك غوره، ولا تنفذ درره و لا تنقضي عجائبه فما أحق الأعمار أن تفتى فيه، والأزمان أن تنشغل به، وكل ساعة يقضيها الباحث في النظر في كتاب الله تعالى، والتأمل فيه، أو في البحث فيما يتصل به فهو في سبيل الله ونصرة لدينه.

وهذا الكتاب العزيز اشتمل على بيان العقيدة الصحيحة وتجليها، والناظر فيه يجد أن معانيه دائرة على التوحيد وبراهينه، ووحدانية الخالق، وتفرد صفات الكمال والجلال، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل الكرام، وحث الناس على الإيمان بالبعث والمعاد.

من أجل ذلك فإني أحببت أن أقدم شيئاً لديني وعقيدتي، فاخترت هذا البحث القيم الذي هو بعنوان (الأصول العقدية الإيمانية في ضوء النتاج الفكري لشيخ السَّعدي) فدراستي تناولت أشرف كتاب على الإطلاق، وتبحث في أفضل علم من علوم الدين وهو العقيدة في ضوء ما كتبه علم من أعلام أهل السنة والجماعة البارزين في القرن الرابع عشر المنصرم وهو الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - الذي كان له بالغ عناية بالعقيدة الإسلامية في سائر مؤلفاته، ولا سيما في كتابه التفسير المسمى "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" الذي يعد مرجعاً هاماً في بيان العقيدة وتوضيحها والرد على من خالفها، وقد كان - رحمه الله تعالى - مع اهتمامه بأمور العقيدة يرى أنها من أعظم المسائل وأكبرها وأهمها وأجدرها بالتوضيح والبيان . وإني لأسأل المولى أن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

أهمية البحث وسبب اختياره:

تبرز أهمية الموضوع في النقاط التالية:

أولاً: إن البحث يتناول أشرف الكتب وهو كتاب الله تعالى.

ثانياً: إن البحث يتناول أهم علوم الدين وهو علم العقيدة.

ثالثاً: إن البحث يتناول علم من أعلام السنة والجماعة وهو: الشيخ السَّعدي-رحمه الله تعالى-.

رابعاً: الرغبة في إبراز الجوانب العقيدية التي تناولها الشيخ السَّعدي-رحمة الله عليه- كالإيمان بالغيبيات وتوحيد الله تعالى، وذكر الأمور المتعلقة بالنبوات واليوم الآخر وغيرها من جوانب العقيدة.

خامساً: رغبة الباحثة في جمع مسائل العقيدة من كتب الشيخ السَّعدي-رحمه الله تعالى- وجعلها في كتاب واحد.

مشكلة البحث:

تجلى مشكلة البحث في رغبتني في الحصول على الإجابة على التساؤلات التالية:

السؤال الأول: ما المباحث العقيدية التي تطرق إليها الشيخ السَّعدي-رحمة الله عليه- في تفسيره؟

السؤال الثاني: ما مدى العلاقة بين تفسير كتاب الله تعالى وغرس العقيدة الإسلامية في المسلم وآثارها التربوية في حياته؟

السؤال الثالث: كيف يقوي المسلم علاقته بربه وبعقيدته الإسلامية من خلال كتابه العزيز؟

أهداف البحث:

الهدف الأول: معرفة المباحث العقيدية التي تطرق إليها الشيخ السَّعدي-رحمة الله عليه- في تفسيره.

الهدف الثاني: إدراك العلاقة بين تفسير كتاب الله تعالى وغرس العقيدة الإسلامية في المسلم وآثارها التربوية في حياته.

الهدف الثالث: الوصول إلى وسائل يقوي بها المسلم علاقته بربه وبعقيدته الإسلامية من خلال كتابه العزيز.

الهدف الرابع: رغبة الباحثة في انتشار الرسالة كما انتشر تفسير الشيخ السَّعدي-رحمة الله تعالى-.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتقليب في جوانب الموضوع فقد عثرت على عدد من الدراسات القريبة من مجال البحث الذي أدرسه، وإن اختلفت عنه في كثير من النواحي إلا أنها تتوازي مع هذه الدراسة ومن تلك الدراسات:

الدراسة الأولى: اسم البحث أو الكتاب (المباحث العقديّة في سورة الزخرف)، مؤلفه: (فادي محمد توفيق القيشاوي)، وقد اتفق هذا البحث مع بحثي في: بعض المسائل العقدية في ضوء التفسير، واختلف عنه في: دراسة الباحثة للقرآن الكريم بشكل عام، بينما الباحث كانت دراسته بشكل خاص في سورة واحدة وهي: سورة الزخرف، وأهم ما يميز هذه الدراسة دراسة تفسير سور القرآن كاملة، من الناحية العقدية في ضوء النتاج الفكري للشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-

الدراسة الثانية: اسم البحث أو الكتاب (مباحث العقيدة في سورة الزمر)، مؤلفه (ناصر بن علي عايض حسن الشيخ) وقد اتفق هذا البحث مع بحثي في: بعض المسائل العقدية في ضوء التفسير، واختلف عنه في: دراسة الباحثة للقرآن الكريم بشكل عام، بينما الباحث كانت دراسته بشكل خاص في سورة واحدة وهي: سورة الزمر، وأهم ما يميز هذه الدراسة دراسة تفسير سور القرآن كاملة، من الناحية العقدية في ضوء النتاج الفكري للشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-.

الدراسة الثالثة: اسم البحث أو الكتاب (المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسول). تأليف: أحمد بن محمد بن الصادق النجار، وقد اتفق هذا البحث مع بحثي في مسألة عقدية معينة، وهي: المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسول، ولكن هذه الدراسة شاملة لجميع المسائل العقدية المتعلقة بأركان الإيمان الستة، وأهم ما يميز هذه الدراسة دراسة هذه الأركان من الناحية العقدية في ضوء النتاج الفكري للشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-.

منهجية البحث:

اتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج (الوصفي التحليلي) الذي يُعرّف بأنه: طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى نتائج علمية مبتكرة، اعتماداً على جمع الحقائق

والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلًا كافيًا ودقيقًا؛ لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث.

واستخدمت الباحثة هذا المنهج؛ حيث أنه أنسب مناهج البحث العلمي لمثل هذه الموضوعات فقد جمعت المسائل المتعلقة بالعقيدة من هذا التفسير، ومن كتب الشيخ السعدي الأخرى، ومن ثم قمتُ بدراستها دراسة تحليلية مع بيان الدليل السمعي، والدليل العقلي.

أما عمل الباحثة في البحث فكان يقوم على التالي:

أولاً: قراءة التفسير واستخراج المباحث العقدية منه مع بيان الدليل السمعي والدليل العقلي إن وجد.
ثانياً: الرجوع إلى كتب الشيخ السعدي الأخرى لتأصيل مسائل العقيدة، بالإضافة إلى كتب غيره من العلماء في بعض الأحيان.

ثالثاً: بيان أهم مصطلحات البحث بذكر معانيها اللغوية اعتماداً على أشهر معاجم اللغة.

رابعاً: غزو الآيات القرآنية أو أجزاءها الواردة في البحث إلى سورها، مع ذكر رقم الآية في السورة .
خامساً: تخرج الأحاديث من مصادرها الأصيلة، وإذا وجد الحديث عند البخاري ومسلم أو أحدهما فإنني أكتفي به، أما إن كان في غيرهما فإنني أتبعه في أكثر من مصدر، وأذكر حكم العلماء عليه ، وأذكر في كل الأحوال اسم الكتاب والباب مع رقم الجزء والصفحة .

سادساً: الترجمة لبعض الأعلام الذين وردت أسماءهم في البحث بما يسهم في معرفة أهم سمات شخصياتهم وما اشتهروا به، ولم أترجم للمشاهير كالصحابة، والأئمة الأربعة طلباً للاختصار.

سابعاً: عند التوثيق في الهوامش دونت المعلومات الأساسية للمرجع فيما يتصل باسم المؤلف، وعنوان الكتاب ورقم الجزء والصفحة.

ثامناً: إثبات جميع المصادر والمراجع مع بيانات النشر الكاملة في قائمة المصادر المراجع في آخر البحث بعد ترتيبها على حروف المعجم بحسب اسم الشهرة للمؤلف، وبحسب ما سيرت عليه من توثيق في حواشي البحث.

تاسعاً: مراعاة ترتيب حروف المعجم في تنظيم الفهارس العامة ماعدا فهرس الآيات القرآنية الذي رايعت فيه ترتيب المصحف حسب السور القرآنية.

وختاماً: أسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وفي السر والعلن، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا إتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: أهمية دراسة العقيدة الإسلامية.

المحور الثاني: تعريف بالشيخ السعدي.

المحور الثالث: التعريف بتفسير الشيخ السعدي ومزاياه.

المحور الأول: أهمية دراسة العقيدة الإسلامية.

ويحتوي على ست مسائل وهي:

المسألة الأولى: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً:

تترد كلمة العقيدة على ألسنة الناس، وفي محاوراتهم، ومحادثاتهم كثيراً، فنراهم يقولون: أنا أعتقد كذا، و فلان عقيدته حسنة، والعقيدة الإسلامية السبب الأقوى الذي أدّى إلى الانتصارات الإسلامية العظيمة في كل زمان ومكان، والحرب بيننا وبين اليهود حرب عقائدية في حقيقتها، فما معنى العقيدة في اللغة و الشرع؟

أولاً: العقيدة لغةً:

- (عقد) العين والقاف والdal أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، ومن ذلك عَقْد البناء، والجمع: أعقاد وعُقود، وعَقَدتَ الحبلَ أعقده عَقْداً، وقد انعقد، وتلك هي العُقْدة^(١).

والعقد نقيض الحل^(٢)، وهو الضمان والعهد^(٣)، وعُقْدة النكاح وكلّ شيء: وجوبه وإبرامه^(٤)، وعقد فلان اليمين، إذا وكدها^(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾^(٦).

و العقد: هو الجمع بين أطراف الشيء ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع والعهد وغيرها فيقال عاقدته وعقدته وتعاقدا وعقدت يمينه^(٧).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د. ط، مادة: "عقد"، (٤ / ٨٦).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "عقد"، (٣ / ٢٩٦).

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "عقد"، (١ / ٣٨٣).

(٤) ابن فارس، مرجع سابق، (٤ / ٨٦).

(٥) الأزهري، تهذيب اللغة، د. ط، (١ / ٥٠).

(٦) سورة المائدة: جزء من آية ٨٩.

(٧) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د. ط، (١ / ٣٤١).

ومن هنا جاء تعريف (العقيدة) و (الاعتقاد) بأنه: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، و العقيدة في الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله تعالى وبعث الرسل ، والجمع: عقائد^(١).

ثانياً: تعريف العقيدة اصطلاحاً:

ومن هذا المعنى اللغوي أخذ عدة تعريفات للعقيدة في الاصطلاح الشرعي نذكر أهمّها:

* **العقيدة:** هي الإيمان^(٢) الذي لا يحتمل النقيض^{(٣)(٤)}.

* **العقائد:** هي الأمور التي تصدق بها النفوس، وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك^(٥).

أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة^(٦).

(١) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مجّد النجار، المعجم الوسيط، د.ط، (٢ / ٦١٤).

(٢) هو التصديق.

(٣) أي لا يوجد في القلب سواه، وهو بذلك يخرج كل فرض قدر له النقيض كالشك والظن والوهم والجهل.

(٤) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، د.ط، ص ٤٣٣، البريكاني، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل أهل السنة والجماعة، ط ١، ص ١٣.

(٥) حسن البناء، رسالة العقائد، ط ١، ص ٤٢٣، ص ٣٧٩، عمر الأشقر، العقيدة في الله، د.ط، ص ١١، وأيضاً: عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط ٤، ص ١٢١، وأيضاً: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ط ١، ص ١٤.

(٦) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مرجع سابق، ص ٣٠.

***العقيدة:** هي "العلم" ^(١) بالأحكام ^(٢) العقدية المكتسبة من الأدلة ^(٣) اليقينية ورد الشبهات ^(٤) ، و قوادح ^(٥) الأدلة الخلافية" ^(٦).

***العقيدة:** هي المسائل العلمية في الإسلام التي صح بها الخبر عن الله ورسوله ﷺ ، والتي يجب أن ينعقد عليها قلب المسلم تصديقاً لله ورسوله ﷺ ^(٧).

* **العقيدة:** هي عقد الوفاء بحق الله تعالى في مقابل النجاة من عذابه يوم القيامة. ^(٨)

وأصول العقائد التي أمرنا الله باعتقادها هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ ۖ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ﴿١٨٥﴾﴾ ^(٩) ، وحددها الرسول ﷺ في حديث جبريل المشهور بقوله: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله) ^(١٠).

مما تقدم تبين أن تعريف العقيدة الإسلامية يتضمن أربعة أمور: -

أولاً: الإيمان الجازم بالله ﷻ ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر و الشرع ، و لرسوله - ﷺ - بالطاعة والتحكيم و الإلتباع. ^(١١)

(١) هو إدراك الشيء على ما هو عليه.

(٢) هي ما تدل عليه النصوص من قواعد عقدية ومبادئ كلية يقينية .

(٣) جمع دليل وهو المرشد للطريق.

(٤) جمع شبهة مشتقة من الشبه.

(٥) جمع قادح وهو المفسد للدليل سواء كان عقلياً أو نقلياً أو دلالاته على المطلوب.

(٦) البريكان، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، ط ١، ص ١٣. "بتصرف".

(٧) عمر الأشقر، مرجع سابق، ص ١٢.

(٨) الرضواني، سهل في التوحيد والعقيدة، ط ١، ص ١١.

(٩) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإسلام ما هو وبيان خصاله، (٣٠/١)، رقم الحديث: ١٠٨. عن أبي

هريرة - رحمه الله - .

(١١) ناصر العقل بن عبد الكريم، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ط ١، ص ٦.

ثانياً: العقيدة الإسلامية : كل خبر جاء عن الله أو رسوله يتضمن خبراً غيبياً لا يتعلق به حكم شرعي عملي ، كالحديث عن الملائكة ، والآخرة ، والجنة ، والنار .
ثالثاً: العقيدة الإسلامية عند إطلاقها هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين^(١).
رابعاً: العقيدة الإسلامية: هي المسائل العقدية الإيمانية التي ينعقد عليها قلب المسلم دون شك أو تردد.

المسألة الثانية: التعريف بأهل السنة والجماعة.

أولاً: تعريف السنة لغة واصطلاحاً:

*السنة لغة: الطريقة والسيرة^(٢).

*السنة اصطلاحاً^(٣): الهدي الذي كان عليه الرسول - ﷺ - وأصحابه ، علماً واعتقاداً وقولاً وعملاً ، وهي السنة التي يجب اتباعها ، ويحمد أهلها ، ويؤذى من خالفها ٤ ، وتُطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات ، كما تُطلق على ما يُقابل البدعة^(٥) .

ثانياً: تعريف الجماعة لغة واصطلاحاً:

*الجماعة لغة: من الاجتماع، وهو ضد التفرق، والجماعة هم القوم الذين اجتمعوا على أمر ما^(٦).

(١) عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، الوجيز في عقيدة السلف الصالح ، ط ١ ، ص ١٥ .

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١ ، مادة: "سنن"، (١٣ / ٢٢٠ - ٢٢٨)، الزاوي، مختار الصحاح، ط ١ ، مادة: "سنن"، ص ٣١٧ .

(٣) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص ٣٣٢، انظر: هراس، شرح العقيدة الواسطية، ط ١ ، (١٦) .

٤ انظر : الوصية الكبرى في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص ٢٣ .

(٥) انظر: ابن تيمية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ط ١ ، ص ٧٧ .

*الجماعة في الاصطلاح:

هم سلف الأمة، من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة وعلى أئمتهم، والذين ساروا على ما سار عليه النبي ﷺ، وأصحابه والتابعون لهم بإحسان^(٢).

ثالثاً: أهل السنة والجماعة هم:

المستمسكون بسنة رسول الله - ﷺ - الذين اجتمعوا على ذلك ، وهم الصحابة والتابعون ، وأئمة الهدى المتبعون لهم ، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين^(٣)، الذين استقاموا على الاتباع ، وجانبوا الابتداع في أي مكان وزمان ، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة . فأهل السنة والجماعة هم المتصفون باتباع السنة ومجانبة محدثات الأمور والبدع في الدين^(٤).

المسألة الثالثة: بيان منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال على العقيدة الإسلامية^(٥)

إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ أَكْمَلَ لَهَا دِينَهَا، وَأَتَمَّ عَلَيْهَا نِعْمَتَهُ، وَرَضِيَ لَهَا الْإِسْلَامَ دِينًا، وَمَا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَّا وَقَدْ تَرَكَهَا عَلَى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، وَمَا تَرَكَ خَيْرًا يَقْرِبُهَا إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُهَا عَنِ النَّارِ، إِلَّا وَدَّهَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا وَحَدَّرَهَا مِنْهُ؛ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "جمع"، (٨ / ٥٣ - ٦٠).

(٢) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص ٣٣٠، انظر: هراس، شرح العقيدة الواسطية، ط ١، (١٦، ١٧). انظر: الشاطبي، الاعتصام، د. ط، (١ / ٢٨).

(٣) انظر: ابن أبي العز الحنفي، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

(٤) ناصر العقل بن عبد الكريم، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ط ١، (١ / ٨، ٩).

(٥) البريكان، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، ط ١، (٢٣ - ٣٦)، عمر الأشقر، العقيدة في الله، د. ط، (٥٧ - ٧٥).

فسار سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين، ومن سلك نهجهم، وخطا خطاهم، على نهج نبيهم - ﷺ - وقد أمرنا الله - عز وجل - أن نتبع سبيل المؤمنين، وحذر من اتباع السُّبُل التي تَفَرَّق بأصحابها عن الصراط المستقيم؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) ﴿١﴾، ويقول - سبحانه - : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِيَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥) ﴿٢﴾، ولما أظلمت السُّبُل، وكثرت الفتن، وظهرت الفِرَق، وأُخذت الأدلة مركبًا للأهواء والبدع، كانت راية أهل السنة والجماعة خفاقةً، يتناولها قرن بعد قرن، ينقون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

يتميزون عن غيرهم بمنهج في التلقي والاستدلال له قواعده المحكمة، فكانت كالسراج لمن جاء بعدهم، واهتدى بهديهم، وسلك سبيلهم، وقد ذكرها كثير من أهل العلم بين مُطِيل ومختصر، ومجمل ومفصل، وقد أردتُ جمعها بعبارة وجيزة توفي بالمقصود، من غير إخلال ولا إملا، في ثماني قواعد، لمن أراد التبيان، وهي:

• القاعدة الأولى: اقتصارهم في مصدر التلقي على الوحي قرآنًا وسنةً:

فأهل السنة يؤمنون بجميع نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، فالْحُجَّةُ في كلام الله - تعالى - في إثبات ما أثبتته الله، ونفي ما نفاه، وفيما صح من سنة النبي - ﷺ - وهما يكفيان لجميع متطلبات الحياة في جميع شؤونها وجوانبها إلى قيام الساعة.

وقد تمثلت هذه القاعدة في عدة ركائز:

أولاً: أن هذا الدين كاملٌ، لا يحتاج معه إلى غيره من مناهج البشر؛ يقول الله - تبارك وتعالى - : ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) ، يقول الإمام ابن تيمية - رحمه

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٣

(٢) سورة النساء: آية ١١٥

(٣) سورة المائدة: آية ٣

الله تعالى - : "ومثل هذا في القرآن كثير، مما يبين الله فيه أن كتابه مبينٌ للدِّين كله، موضحٌ لسبيل الهدى، كافٍ لمن اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره، يجب اتِّباعه دون اتباع غيره من السُّبل" (١).

ثانياً: الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقَّق رضا الله، والفوزُ بجنَّته، والنجاةُ من عذابه، إلا بالإيمان بنصوص الكتاب الحكيم والسنة النبوية، والعمل بما جاء به، وما يترتَّب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها - اعتقاداً، وعملاً، وسلوكاً - مستمسكاً ومعتصماً بهما، لا يزيع عنهما، ولا يتعدَّى حدودهما، ومن مستلزمات هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف، فنصوصُ الكتاب الحكيم والسنة النبوية، هي الأصل والميزان والحكم عند النزاع، وبما تُوزَن الأقوال والآراء؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ (٢)، يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : "فدينُ المسلمين مبنيٌّ على اتِّباع كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وما اتَّفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة" (٣).

ثالثاً: وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهُم التعارض، وإلا ففي الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقلُ الصحيح مع العقل الصريح. يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : "إن الأدلة العقلية الصريحة تُوافق ما جاءت به الرسل، وإن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه" (٤).

(١) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، د. ط، (١٠ / ٣٠٤).

(٢) سورة النساء: آية ٥٩

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٦٤ / ٢٠).

(٤) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، د. ط، (١ / ٢٣١ - ٢٣٢).

رابعاً: الأدب مع نصوص الكتاب الحكيم والسنة النبوية ، وذلك بأن تُراعى ألفاظها عند بيان العقيدة، وألاً تستخدم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية. يقول الإمام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-: "إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث، فيما يثبتونه وينفونه في الله وصفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول"^(١).

ويقول -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "ومما ينبغي أن يُعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث، إذا عُرف تفسيرها، وما أُريد بها من جهة النبي -ﷺ- لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة، ولا غيرهم"^(٢).

القاعدة الثانية: الاختصار في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب الحكيم والسنة النبوية: وقد تجلّى هذا في منهج السلف من خلال عدة أمور:

أولاً: حرص السلف على العلم النافع مع العمل الصالح؛ فالعلم علماً: علم نافع، يؤلّد عملاً، وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وعلمٌ غير نافع، لا ينفع صاحبه في الدنيا ولا في الآخرة. يقول الإمام ابن رجب-رحمه الله تعالى-: "فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب الحكيم والسنة النبوية، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد والرقائق والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع غني واشتغل"^(٣).

ثانياً: نهي السلف عن سائر البدع، ومن ذلك الخوض في علم الكلام:

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٤٣٢/٥).

(٢) انظر: ابن تيمية، كتاب الإيمان الكبير، ضمن [مجموع الفتاوى]، ط ٣، (٢٧١، ٢٧٢).

(٣) انظر: ابن رجب، فضل علم السلف على علم الخلف، ط ١، ص ١٥٠.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - : "حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ: أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيَقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ"^(١).

ثالثاً: الرد على المنحرفين وأصحاب الأهواء بمنهج متميز، فالسلف - رحمهم الله - لما حذروا من المنطق ومن علم الكلام، لم يكتفوا بهذا؛ بل ردُّوا على أصحاب البدع بالأدلة النقلية والعقلية المبنية على الكتاب والسنة، فالسلف لم ينهوا عن جنس النظر والاستدلال؛ ولكن معارضتهم لها تركزت على الأساليب الكلامية المبنية على غير الكتاب والسنة.

• القاعدة الثالثة: حجية السنة في خبر الآحاد في باب العقائد، ومن ذلك:

وهذه من القواعد الكبرى في منهج السلف - رحمهم الله - تميَّزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع. يقول ابن تيمية: "أهل الحق والسنة لا يكون متبوعُهم إلا رسول الله - ﷺ - فهو الذي يجب تصديقُه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة"^(٢).. وقد بدا موقف السلف الصالح من السنة، وتعظيمهم لها، وذلك بكونها وحياً من الله - تعالى - وبكونه - ﷺ - لا ينطق عن الهوى، وبدا هذا واضحاً من خلال النقاط التالية:

أولاً: الخضوع لحديث الرسول - ﷺ - إذا صحَّ، وتعظيمه، وعدم الاعتراض عليه بأي نوع من أنواع الاعتراض، فلا تحلُّ معارضته بذوق، أو وجدٍ، أو رأي، أو قياس، ونحوه.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - : "لم أسمع أحداً نسبته للناس - أو نسب نفسه - إلى علمٍ يخالف في أن فرض الله - عز وجل - اتِّباع أمر رسول الله - ﷺ - والتسليم لحكمه، بأن الله - عز وجل - لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول بكل حال، إلا بكتاب الله، أو سنة رسوله - ﷺ -

(١) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، د. ط، (٧/ ١٤٧).

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٣/ ٣٤٦).

وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله - تعالى - علينا، وعلى من بعدنا وقبلنا، في قبول الخبر عن رسول الله - ﷺ - واحد" (١)

ثانياً: اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة، ونبذ الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فأوجبوا التحقق من الأحاديث قبل الاحتجاج بها؛ حتى لا يُنسب إلى دين الله ما ليس منه.

ثالثاً: حجية خبر الآحاد في العقيدة، إذا صحَّ وتلقَّته الأمة بالقبول، وهذا من المعالم الرئيسة لمنهج السلف - رضوان الله عليهم - والقول بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم، ومن ثم فلا يُحتجُّ بها في العقيدة، بدعة أحدثتها المعتزلة، وتلقَّفها بعض العلماء من المنتسبين إلى السنة - دون بحث أو تمحيص لمآلات هذه المقالة - وخاصة في كتبهم في أصول الفقه في مباحث أدلة الأحكام، بينما لو تتبعنا نصوص السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، لوجدنا شبه إجماع منهم على عدم التفريق في أخبار الآحاد بين الأحكام والعقائد.

يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: "فالخبر الذي تلقَّاه الأئمة بالقبول، تصديقاً له، أو عملاً بموجبه، يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف، وهذا في معنى المتواتر" (٢)، "وخبر الواحد إذا تلقَّته الأمة بالقبول، عملاً به، وتصديقاً له، يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع" (٣).

فلم يكن السلف الصالح يفرِّقون بين خبرٍ عن رسول الله - ﷺ - وآخر، بدعوى أنه آحادي، أو متكاثر الورد، تفریقاً يؤثِّر في العمل والعلم والاعتقاد، واستمرَّ هذا في أهل السنة والجماعة، أهل الحديث والأثر، إلى يومنا هذا، وإلى أن يشاء الله تعالى.

• القاعدة الرابعة: الاعتماد على فهم الصحابة والتابعين للعقيدة:

(١) انظر: الشافعي، الأم، (٢٧٣/٧)، إيقاظ المهمل، ص ١٠٤.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٤٨/١٨).

(٣) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص (٣٣٩، ٣٤٠).

فالصحابة أعلم الناس بعد الرسول - ﷺ - بالعقيدة؛ لذلك فأقوالهم وتفسيرهم للنصوص حجة؛ لأنهم قد اكتمل فيهم الفهم والمعرفة لأصول الدين التي دل عليها كتاب الله المنزل، وسنة رسوله - ﷺ - المطهرة.

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -: "أصول السنة عندنا: التمسك بما عليه أصحاب رسول الله - ﷺ - والافتدائ بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة" (١).

ويقول الإمام ابن رجب - رحمه الله تعالى -: "فمن عرّف قدر السلف، عرف أن سكوتهم عمّا سكتوا عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدل والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة، لم يكن عيًّا، ولا جهلاً، ولا قصوراً؛ وإنما كان ورعاً، وخشية لله، واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع" (٢)، ولقد تميّز الصحابة في العقيدة وفهمها بعدة مميزات، أهمها:

أولاً: أنهم شاهدوا التنزيل، وعاشوا مع النبي - ﷺ - وهو يتلقّى هذا الوحي من ربه، الذي ينزل عليه مفرّقاً حسب الوقائع والأحداث.

ثانياً: أنهم أكثر الناس فهماً لرسالته - ﷺ - وما يتعلّق بها من أحكام، سواء في العقيدة أو الشريعة، فهم العارفون بدقائقها، المدركون لحقائقها، وهم أكمل الناس علماً وعملاً.

ثالثاً: لم يكن بينهم خلاف في أصول الاعتقاد التي تلقّوها عن النبي - ﷺ - وأما الأمور اليسيرة التي اختلفوا فيها في هذا الباب، فهي من سنن الاعتقاد؛ كرؤية النبي - ﷺ - ربه ليلة الإسراء والمعراج، هل كانت بقلبه أو بعينه؟ وهي لا تؤثر في هذه القاعدة العامة؛ لأن الخلاف فيها لا يعود على أصل بالإبطال، وكان لها أسباب، منها أن يكون لبعض الصحابة من العلم ما ليس عند الآخر؛ لكنهم - ﷺ - إذا جاءهم الدليل، خضعوا له بلا تردد.

(١) انظر: اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ط ٤، (١/١٥٦).

(٢) انظر: ابن رجب، فضل علم السلف على علم الخلف، ط ١، ص ٥٨.

رابعاً: كان الصحابة يسألون عما يُشكّل عليهم، وهذا مشهور عنهم - ﷺ - فأُمّ المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - روي عنها أنها "كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه، إلا راجعت فيه؛ حتى تعرفه" (١).

• القاعدة الخامسة: التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي:

وذلك بعدم الخوض في الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل في معرفتها، فنحن لا ننكر دور العقل؛ فهو مناط التكليف، ولكن نضعه من المكانة حيث وضعه الشرع.

فهو - كما قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - عنه - : "شرط في معرفة العلوم، وكمال صلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل؛ لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتّصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتّصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه، لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عُزل بالكلية، كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق، كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسول جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يُعلم بالعقل امتناعه" (٢).

• القاعدة السادسة: عدم تقديم مقالات مبتدعة، ومقدمات عقلية، وجعلها حاکمة على النص:

لم يكن السلف يتلقون النصوص ومعهم مقدمات عقلية يحاكمون النصوص إليها، كما فعلت المعتزلة وغيرهم، الذين وضعوا مقالات مبتدعة، ووصفوها بأنها أصول عقلية، ثم جاؤوا إلى القرآن والسنة وما فيهما من دلالات في الاعتقاد، فما وجدوه مخالفاً لشيء من مقالاتهم، أولوه أو أنكروا الاحتجاج به، وقدّموا عليه مقالاتهم وأقوال أئمتهم، وجعلوا كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وراءهم ظهرياً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من سمع شيئاً فلم يفهمه، رقم الحديث: ١٠٣.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٣/٣٣٨، ٣٣٩).

يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- واصفاً أهل السنة والجماعة: "ولا ينصرون مقالةً ويجعلونها من أصول دينهم، وجعل كلامهم، إن لم تكن ثابتةً فيما جاء به الرسول -ﷺ- بل يجعلون ما بُعث به الرسول -ﷺ- من الكتاب والحكمة، هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه"^(١).

ويقول -رحمه الله تعالى- في موضعٍ آخر: "هم أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد -ﷺ- على هدي كلِّ أحدٍ، ويتبعون آثاره -ﷺ- باطنًا وظاهرًا"^(٢).

• القاعدة السابعة: الجمع بين أطراف الأدلة:

فلا بد من الرجوع إلى النصوص الواردة في مسألة معيّنة وجمعها، وعدم الاختصار على بعضها، فجمعُ النصوص: يفصلُ المحمّل، ويبينُ المبهّم، ويرفع التشابه، ويحكم النص، ويفسر النص على مراد الله ومراد رسوله -ﷺ- لا على أهواء البشر وآرائهم.

قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-: "الحديث إذا لم تجمع طرقه، لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا"^(٣).

• القاعدة الثامنة: ردُّ المتشابه للمحكم وليس العكس كما هو عادة أهل البدع:

وهي: طريقة الصحابة والتابعين، أنهم يردون المتشابه إلى المحكم، يأخذون من المحكم ما يفسر لهم المتشابه ويبينه، فتتفق دلالاته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضاً، ويصدق بعضها بعضاً، فإنها كلها من عند الله جلّ جلاله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض في غيره، ولهذا الأصل أمثلة كثيرة أصولية وفروعية^(٤).

(١) انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (٣/٣٤٧).

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٥٧/٣).

(٣) انظر: الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، د. ط، (٢/٢١٢).

(٤) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٢٠٧.

وقد اتَّفَق أهل السنة والجماعة على: "موافقة طريقة السلف من الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث والفقه، ...، في ردِّ المتشابه إلى المحكم، وأنهم يأخذون من المحكم ما يفسِّر لهم المتشابه ويبينُّه لهم، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضاً، ويصدِّق بعضها بعضاً؛ فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله، فلا اختلاف فيه ولا تناقض؛ وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره" (١).

فالمعيار لمن أراد صحة الانتساب لمنهج أهل السنة والجماعة، والسير على دربهم، والاقتداء بهديهم: أن يتبع منهجهم، سواء في أصول الاعتقاد، أو أصول الاستدلال، ولا يخرج عن نهجهم بأصول في الاعتقاد مبتدعة، أو أصول في الاستدلال منحرفة.

المسألة الرابعة: أهمية العقيدة الإسلامية وحاجة الإنسانية إليها.

لا بد لكل بناءٍ مادياً كان أو معنوياً من أساس يقوم عليه، والدين الإسلامي بناء متكامل يشمل جميع حياة المسلم منذ ولادته وحتى مماته، ثم ما يصير إليه بعد موته، وهذا البناء الضخم يقوم على أساس متين هو العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الخالق منطلقاً لها كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١١٣) ﴿فَالْإِسْلَامُ يَعْنِي بالعقيدة ويوليها أكبر عناية سواء من حيث ثبوتها بالنصوص ووضوحها أو من حيث ترتيب آثارها في نفوس معتقديها، ولذا كان لهذه العقيدة أهمية كبيرة في حياة الفرد المسلم للنقاط التالية:

أولاً: مفتاح معرفة الخالق ﷻ:

إن إخلاص الدين لله تعالى لا يبلغ كماله إلا بإخلاص المحبة لله المعبود، والمحبة لا تكتمل إلا بتمام المعرفة، كما قال ﷺ: (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى) (٣).

ثانياً: أساس التوحيد:

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين ، د. ط، (٢/٢٩٤).

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٣، ١٦٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، (٣/١٣٨)، رقم الحديث :

٢٦٤٩. عن عائشة ؓ - .

أن العقيدة أصل الدين، وأساس دعوة المرسلين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١)، وهذا الاتجاه المتحد له أهمية قصوى في فهم الدين الإسلامي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (٢).

ثالثاً: ضرورة للإنسان:

إنَّ العقيدة الصحيحة ضرورة للإنسان ضرورة الماء والهواء، بل أشدُّ من ذلك وبدونها يصبح الإنسان ميتاً، وإن كان يتحرَّك بين ظهراي الناس.

رابعاً: بها العصمة للمسلم:

فالعقيدة الصحيحة فيها العصمة لفكر الإنسان، ولدমে وماله، وفسادها يوجب إهدارهما، قال ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله) (٣).

خامساً: أنها سبب السعادة في الدارين:

أن العقيدة الصحيحة سبب لسعادة الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) كما أن الإعراض عنها سبب للشقاء في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (٥).

سادساً: بها تحرر العقل من الشبهات الفاسدة:

أن العقيدة الصحيحة تحرر العقل من الشبهات الفاسدة، والخرافات السخيفة، وتحرير الفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلل القلب من هذه العقيدة؛ لأن من خلا قلبه منها؛ فهو إما فارغ

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٥.

(٢) سورة النساء: جزء من آية ١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة، (١٧/١)، رقم الحديث: ٢٥، عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، (٣٩/١)، رقم الحديث: ١٣٨. عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-.

(٤) سورة النحل: آية ٩٧.

(٥) سورة طه: آية ١٢٤.

القلب من كل عقيدة، وعابد للمادة الحسبيّة فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد، والخرافات، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (١)، وتمنحه القناعة التامة، والاطراد العقلي، السالم من التناقض والخلل، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَفَرَأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِن عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٢).

سابعاً: أمّا أصل الأعمال القلبية والجوارح.

فالعقيدة الإسلامية أصل في الأعمال القلبية و الجوارح، وصلاحها يورث صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة، والعكس بالعكس، فهي شرط لصحة الأعمال وقبولها، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣)، وفسادها سبب لرد الأعمال في الدنيا، وإحباطها في الآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٤).

ثامناً: بها تحقق الحرية الحقيقية:

إن أفراد الله تعالى بالتوجه إليه في جميع الأمور يحقق للإنسان الحرية الحقيقية التي يسعى إليها فلا يكون إلا عبداً لله تعالى وحده لا شريك له، فتصغر بذلك في عينه جميع المعبودات من دون الله، وتصغر العبودية للمادة والانقياد للشهوات، فإن العقيدة ما إن تتمكن من قلب المسلم حتى تطرد منه الخوف إلا من الله تعالى، والذل إلا لله عَزَّ وَجَلَّ.

تاسعاً: بها سر النصر والتمكين للأمة:

أن العقيدة الصحيحة شرط لحصول النصر والتمكين للأمة، وتحقيق الأمن الاجتماعي، و تكوين أمة قوية تبذل كل غالٍ ورخيص في تثبيت دينها، وتوطيد دعائمه، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

(١) سورة النساء: آية ١٧٤.

(٢) سورة النساء: آية ٨٢.

(٣) سورة البقرة: آية ١١٢.

(٤) سورة التوبة: جزء من آية ٥٤.

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا
وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ (١).

مما تقدم تبين أهمية غراس العقيدة الإسلامية في نفوس أصحابها فيما تثمره من ثمرات طيبة
يانعة، فغرسها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها في كل حياتهم وسلوكهم وأخلاقهم ومعاملاتهم،
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

المسألة الخامسة: بيان مصادر العقيدة الإسلامية

العقيدة لها مصدران أساسيان، هما:

المصدر الأول: القرآن الكريم.

المصدر الثاني: ما صح من سنة رسول الله ﷺ، فالرسول - ﷺ - لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا
وحي يوحى .

* وإجماع السلف الصالح: مصدرٌ مبناه على القرآن الكريم والسنة النبوية^(٢).

أما الفطرة والعقل السليم فهما مؤيدان يوافقان القرآن الكريم والسنة النبوية، ويدركان أصول الاعتقاد
على الإجمال لا على التفصيل، فالعقل والفطرة يدركان وجود الله وعظمته، وضرورة طاعته وعبادته،
واتصافه بصفات العظمة والجلال على وجه العموم^(٣)، كما أن العقل لا يدرك مثلاً؛ العلم بأسمائه
الحسنى وصفاته ﷻ على سبيل التفصيل ؛لأنه فرعٌ من العلم بالذات، والعقل لا يدرك الذات(٤)، فلا

(١) سورة النور: آية ٥٥.

(٢) انظر: الشاطبي، الاعتصام، د.ط ، (٢ / ٢٥٢) .

(٣) ناصر العقل بن عبد الكريم، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ط ١، (١ / ٢٢).

(٤) انظر: البريكان، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، ط ١، ص ١٤٦.

يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء تفصيلاً، فوجب الوقوف في ذلك على النصوص (١)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) ﴿٢﴾.

وتعارض النص الصريح من القرآن الكريم والسنة النبوية مع العقل الصحيح (السليم) غير متصور أصلاً، بل هو مستحيل، فإذا جاء ما يوهم ذلك فإن الوحي مقدّم ومحكم (٣). لأنه صادر عن المعصوم - ﷺ - والعقل لا عصمة له، بل هو نظر البشر الناقص (٤)، وهو معرض للوهم والخطأ والنسيان والهوى والجهل والعجز، فهو قطعاً ناقص.

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عن ذلك: "والقرآن والحديث مملوء من تبين الحقائق بالمقاييس العقلية، والأمثال المضروبة، ويبين طرق التسوية بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين، وينكر على من يخرج على ذلك" (٥).

المسألة السادسة: بيان خصائص العقيدة الإسلامية وأتباعها

إن لعقيدة أهل السنة والجماعة - خصائص وسمات تميزها وأهلها بوضوح عن المعتقدات الأخرى (٦)، ومن هذه الخصائص والسمات:

أولاً: المرجعية إلى القرآن الكريم والسنة النبوية:

(١) انظر: ابن القيم، شرح أسماء الله الحسنى، ط ١، ص ٦٦. وانظر: ابن عثيمين، القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنى، د. ط، ص (١٣).

(٢) سورة الإسراء: آية ٣٦.

(٣) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص ١٤٠، ١٤١. انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، د. ط، (١ / ٨٨ - ٢٨٠). يراجع الكتاب كله مفيد جداً بهذا الصدد.

(٤) انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (١ / ٨٨ - ٢٨٠).

(٥) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٢٠.

(٦) ناصر العقل بن عبد الكريم، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ط ١، ص (٢٣-٢٩) "بتصرف واختصار".

وذلك أن عقيدة أهل السنة والجماعة يقوم اعتمادها على القرآن الكريم والسنة النبوية، وإجماع السلف، وأقوالهم فحسب، وهذه الخاصة لا توجد في مذاهب أهل الكلام والمبتدعة والصوفية، الذين يعتمدون على العقل والنظر، أو على الكشف والحدس والإلهام والوجد، وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة التي يُحكمونها أو يعتمدونها في أمور الغيب، (والعقيدة كلها غيب).

وهذه الميزة والخصيصة، وهي الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية، ومنهج السلف الصالح، سمة من سمات أهل السنة، لا تكاد تتخلف في كل مكان وزمان والحمد لله.

ثانياً: موافقتها للفطرة القويمة والعقل السليم:

لأن عقيدة أهل السنة والجماعة تقوم على الاتباع والاعتداء والاهتداء بهدى الله - تعالى - وهدي رسوله - ﷺ - وما عليه سلف الأمة ، فهي تستقي من مشرب الفطرة والعقل السليم ^(١)، والهدي القويم، وما أعذبه من مشرب ،أما المعتقدات الأخرى فماهي إلا أوهام و تحرّصات تعمي الفطرة، وتخيّر العقول.

ثالثاً: اتصال سندها بالرسول - ﷺ - والصحابة والتابعين وأئمة الهدى قولاً وعملاً وعلماً واعتقاداً :

فلا يوجد أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ليس له أصل وسند وقدوة من الصحابة والتابعين، وأئمة الدين إلى اليوم، بخلاف عقائد المبتدعة التي خالفوا فيها السلف، فهي محدثة، ولا سند لها من كتاب أو سنة، أو عن الصحابة والتابعين، وما لم يكن كذلك فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة ^(٢).

(١) ينبغي أن لا يُفهم من هذا أن الإسلام يحجر على العقل ويعطل وظيفته ويلغي موهبة التفكير لدى الإنسان، بالعكس فالإسلام أتاح للعقل من مجالات العلم والنظر والتفكير والإبداع ما هو كفيل بإشباع هذه النزعة في خلق الله وشؤون الحياة وآفاق الكون الواسعة وعجائب النفس الكثيرة، إنما - كما قلت - قد أراح الله الناس من التفكير فيما لا سبيل له من أمور الغيب . وذلك إشفاقاً على العقل وحماية له من التيه والضياع في متاهات لا يدرك غورها ، والله أعلم .

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٩/١).

رابعاً: الوضوح والبيان:

تتماز عقيدة أهل السنة والجماعة بالوضوح والبيان، وخلوها من التعارض والتناقض والغموض، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها، لأنها مستمدة من كلام الله المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسول الله - ﷺ - الذي لا ينطق عن الهوى، بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم، وشتان بين المشربين، لا سيما وأن العقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم.

خامساً: سلامتها من الاضطراب والتناقض واللبس:

فإن العقيدة الإسلامية الصافية لا اضطراب فيها ولا التباس، وذلك لاعتمادها على الوحي، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده، والتوكل عليه وحده، وقوة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدين، ومن القلق والشك والشبهات، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلل.

سادساً: أنها سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين:

من أبرز خصائص عقيدة أهل السنة: أنها من أسباب النجاح والنصر والتمكن لمن قام بها ودعا إليها بصدق وعزم وصبر. فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة. كما أخبرنا بذلك الرسول - ﷺ - بقوله: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) ^(١)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ سورة النحل: آية، ٤٠، (٦ /

٢٧١٤)، رقم الحديث: ٧٠٢١. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قَوْلِهِ - ﷺ -، «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، (٦ / ٥٣)، ٥٠٦٠.

سابعاً: هي عقيدة الجماعة والاجتماع:

ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم ودينهم، لأنها تردهم إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وسبيل المؤمنين، وهذه الخاصية لا يمكن أن تتحقق على يد فرقة أو دعوة أو أنظمة لا تقوم على هذه العقيدة أبداً.

ثامناً: البقاء والثبات والاستقرار:

من أهم خصائص عقيدة أهل السنة: البقاء والثبات والاستقرار والاتفاق:

فعقيدتهم في أصول الدين ثابتة طيلة هذه القرون، وإلى أن تقوم الساعة، بمعنى أنها متفقة ومستقرة ومحفوظة، رواية ودراية، في ألفاظها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف، ولا التلفيق ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص، والسبب في ذلك: أنها مستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله - ﷺ - الذي لا ينطق عن الهوى ، وقد تلقاها الصحابة ثم التابعون ، وتابعوهم ، وأئمة الهدى المستمسكون بهديه - ﷺ - إلى اليوم ، رواية ودراية ، تلقيناً وكتابة .

المحور الثاني: تعريف بالشيخ السعدي.

*اسمه ونسبه :

هو العلامة الورع الزاهد، الفقيه الأصولي، المحقق المدقق، الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، وترجع أسرة آل سعدي إلى بني عمرو أحد البطون الكبيرة من قبيلة تميم، ونزح جدهم إلى قفار^(١)، وسكن عنيزة حوالي عام ١١٢٠هـ، وقيل من بلدة المستجدة^(٢).^(٣)

(١) إحدى القرى المجاورة لمدينة حائل، وتبعد عنها (١٠) كيلو متر جنوباً، وما زالت تسمى بهذا الاسم، انظر: عبدالله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط ٢، (٢١٨/٣).

(٢) قرية تقع جنوب مدينة حائل، وتبعد عنها بحوالي (١٢٠) كيلو متر، وتتميز بكثرة النخيل، وما زالت تسمى بهذا الاسم، انظر: عبدالله بن عبد الرحمن البسام، مرجع سابق، (٢١٨/٣).

(٣) انظر: عبدالله بن عبد الرحمن البسام، المرجع السابق، (٢١٨/٣). وانظر أيضاً: محمد القاضي بن عثمان، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ط ٢، (٢١٩/١). وله ترجمة لأحد تلاميذ الشيخ طبعه في مقدمة كتاب السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٥/١)، وله أيضاً ترجمة لأحد تلاميذته طبعه في مقدمة كتاب (الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة) لنفس المؤلف، ط ١، ص (٤)، وكتاب: عبد الله بن محمد الطيار، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، فقه الشيخ ابن سعدي، ط ١،

*مولده :

ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ الثاني عشر، من شهر محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية، وتوفيت أمه سنة ١٣١٠هـ، وله أربع سنوات، وتوفي والده وله سبع سنين، فتربى يتيماً^(١).

وهكذا أراد الله تعالى شاءت أن ينشأ يتيم الأبوين، ومن تكون هذه حاله كثيراً ما يُكتب له التفوق والنبوغ إذا وجد العناية والمتابعة، وقد تيسر ذلك للمترجم له، فحاز الكثير من الفضائل والعلوم، ونفع الله به منذ حداثة سنه.

*نشأته:

لما توفي والد الشيخ، عطف عليه زوجة والده، وكفلته، وأحبته أكثر من حبها لأولادها وصار عندها موضع العناية والرعاية، فلما شب صار في بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر، فنشأ نشأة صالحة كريمة. وكان والده قد أوصى به إلى ابنه الأكبر حمد، فقام برعايته وتربيته خير قيام، وكان حمد رجلاً صالحاً، ومن حملة القرآن، ومن المعمرين.

وكان الشيخ -رحمه الله تعالى- منذ نشأته صالحاً، مثاراً للإعجاب، محافظاً على الصلوات الخمس مع الجماعة، وقد اشتهر منذ حداثة، بفطنته وذكائه ورغبته الشديدة في طلب العلم^(٢).

*زوجته و أبنائه:

تزوج الشيخ من الوالدة «حصّة العبد العزيز السعدي» في حدود عام ١٣٣٠هـ، وتوفيت -رحمها الله تعالى- في مدينة الخبر ٢٥ / شوال / عام ١٣٩١هـ.

(١٧/١)، وكتاب: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط٢، ص (١٧)، وكتاب: الزركلي، الأعلام، ط١٥، (٣/٣٤٠).

(١) ترجمة لأحد تلاميذ الشيخ طبعه في مقدمة كتاب السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط١، (٥/١).

(٢) عبدالله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط٢، (٤٣٣/٢)، وانظر: مُجدد القاضي بن عثمان، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ط٢، (٣١٩/١). ترجمة لأحد تلاميذ الشيخ طبعه في مقدمة كتاب السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط١، (٥/١)، انظر: عبد الله بن مُجدد الطيار، سليمان بن عبد الله أبا الخليل، فقه الشيخ ابن سعدي، ط١، (١٩/١). "باختصار".

وله من الأبناء ثلاثة: هم عبد الله وهو أكبرهم سناً، و به كان يُكنى، وله يد في طلب العلم، توفي عام ١٤٠٥هـ، وأحمد توفي عام ١٤٢٢هـ، ومُجد كاتِب هذه الأسطر، ومن البنات الأخت لولوة توفيت في صفر عام ١٤٢٠هـ، والأخت نورة، وكان الشيخ -رحمه الله تعالى- يسميها في ذلك الوقت لصغر سنّها بالنيرة (العملة الذهبية)، وعُرِفَتْ بهذا الاسم بين أهل عُنيزة وطلبة الشيخ، ولقد أدب الشيخ أولاده وأحسن تربيتهم، نسأل الله لنا ولهم وإخواننا المسلمين التوفيق. ^(١)

***مكانته العلمية:**

كان الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد استرعى أنظار الناس، منذ حادثة سنة بذكائه القوي، ورغبته الشديدة في طلب العلم وتحصيله، فأوقف لذلك حياته فكان لا يشغله عنه شاغل ولا يصرفه عنه صارف، فكان همه في حياته الاستفادة العلمية وحفظ الأوقات في ذلك ^(٢). وأول ما قام به قرأ القرآن بعد وفاة والده ثم حفظه عن ظهر قلب، وأتقنه وعمره أحد عشر سنة، ثم اشتغل في التعلم على علماء بلده من العلماء، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم ^(٣).

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ^(٤) -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ)، وتلميذه الإمام ابن القيم ^(١) -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ)، وحصل له خير كثير بسببهما في علم

(١) مُجد بن عبد الرحمن السعدي، مواقف اجتماعية من حياة السعدي، ط ٢، ص ١١، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، مرجع سابق، (٢٥١/٣).

(٢) ترجمة لأحد تلاميذ الشيخ طبعه في مقدمة كتاب السعدي، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، ط ١، ص (٤).

(٣) ترجمة لأحد تلاميذ الشيخ طبعه في مقدمة كتاب السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٥/١).

(٤) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية، شيخ الإسلام، آية في التفسير والأصول والفقه، محدث زاهد، أتقن العربية أصولاً وفروعاً ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، أفق ودرس وهو دون العشرين، له تصانيف كثيرة، ولد سنة ٦٦١هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ.

*انظر في ترجمته ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ط ١، (٢ / ٣٨٧). وابن حجر العسقلاني، ذيل الدرر الكامنة، د. ط، (١ / ١٥٤)، وابن العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ٧، (٨ / ١٤٤)، والزركلي، الأعلام، ط ١٥، (١ / ١٤٤).

الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين - رحمهما الله تعالى - صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي^(٢)، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي^(٣). وكان يُكثر في كتبه من الحث عليهما والترغيب في إكثار المطالعة فيهما، ويؤكد ذلك في دروسه مع طلابه ليتزودوا منها.

* شيوخه:

لقد تلقى الشيخ أنواع العلوم على كثير من العلماء، وذكر جميعهم يصعب، ولكن فيما يلي أذكر جملة منهم، مع إعطاء نبذة بسيطة عنهم، وعن أنواع استفادته من كل واحد منهم:

الشيخ الأول: الشيخ إبراهيم بن حمد بن محمد بن جاسر: ولد في بريدة سنة ١٢٤١هـ، وتوفي في الكويت سنة ١٣٤٢هـ، وهو أول من قرأ عليه الشيخ، وأخذ عنه التفسير، والحديث، وأصولهما. وكان الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - يصف شيخه بحفظ الحديث، والورع، والزهد، ومحبة الفقراء، ومواساتهم. وكثيراً ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فيخلع أحد قوبيه ويلبسه ذلك الفقير، مع حاجته إليه وقلة ذات يده - رحمه الله تعالى -.

الشيخ الثاني: الشيخ محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن صالح الشبل: ولد في عنيزة سنة ١٢٧٥هـ، وتوفي سنة ١٣٤٣هـ، وأخذ عنه الفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية.

الشيخ الثالث: الشيخ عبد الله بن عائض العويضي الحربي: ولد في عنيزة سنة ١٢٤٩هـ، وتوفي سنة ١٣٧٥هـ، وأخذ عنه الفقه وأصوله وعلوم اللغة.

(١) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، شمس الإسلام ابن قيم الجوزية، من أركان الإصلاح في عصره، وأحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، واسع العلم في فنون متعددة فقد كان عارفاً بالتفسير وأصول الدين والحديث والفقه وأصوله والعربية وله اليد الطولى في ذلك، عالماً بمصطلحات علم الكلام وإشارات علم السلوك والتصوف، له تصانيف كثيرة جداً، ولد سنة ٦٩١هـ، وتوفي سنة ٧٥١هـ.

* انظر في ترجمته: ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (٤/٢١)، وابن العماد العكري، مرجع سابق، (٨/٢٨٧)، والزركلي، مرجع سابق، (٦/٥٦).

(٢) كان الشيخ - رحمه الله تعالى - في أول أمره متمسكاً بالمذهب الحنبلي تبعاً لمشائخه.

(٣) ترجمة لأحد تلاميذ الشيخ طبعه في مقدمة كتاب السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٥).

الشيخ الرابع: الشيخ صالح بن عثمان بن حمد بن إبراهيم القاضي: ولد في عنيزة سنة ١٢٨٢هـ، وتوفي سنة ١٣٥١هـ، أخذ عنه التوحيد، والتفسير، والفقه وأصوله وفروعه، وعلوم العربية، وهو أكثر من قرأ عليه الشيخ ولازمه ملازمة تامة حتى توفاه الله.

وكان هو الذي يقرأ على الشيخ في الدرس، والشيخ يقرر على قراءته. ولقد بدأ القراءة على الشيخ بعد وفاة عبد العزيز الغرير، الذي كان يقرأ على الشيخ، وكان الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- له صوت حسن رخيم لا يمله سامعه.

الشيخ الخامس: الشيخ محمد بن عبد الله بن حمد بن محمد بن سليم: ولد في بريدة، سنة ١٢٤٠هـ، وتوفي فيها سنة ١٣٢٣هـ، رحل له الشيخ في بريدة وأخذ عنه التوحيد وغيره.

الشيخ السادس: الشيخ علي بن ناصر بن محمد أبو وادي: ولد في عنيزة سنة ١٢٧٣هـ، وتوفي سنة ١٣٦١هـ، وأخذ عنه الحديث، في الأمهات الست وغيرها، وأجازه في ذلك. وأخذ عنه التفسير وأصوله، وأصول الحديث.

الشيخ السابع: الشيخ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن محمد بن عيسى القحطاني: ولد في عنيزة سنة ١٢٧٠هـ، وتوفي بالرياض سنة ١٣٤٣هـ، وأخذ عنه أصول الدين.

الشيخ الثامن: الشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن مانع: ولد في عنيزة سنة ١٣٠٠هـ، وتوفي في بيروت سنة ١٣٨٥هـ، ونقل جثمانه إلى قطر، وصلي عليه فيها ودفن بها، وأخذ عنه علوم اللغة العربية.

الشيخ التاسع: الشيخ صعب بن عبد الله بن صعب التويجري: ولد في بريدة ١٢٥٣هـ، وتوفي سنة ١٣٣٩هـ، وقد درس علي يده الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- الفقه وأصوله واستفاد منه كثيراً، وكان الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- يثني على شيخه ويقول: إنه من أفضل أهل زمانه، وحسبك شهادة من أمثال الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- لهذا العالم الجليل.

الشيخ العاشر: الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد السناني: ولد في عنيزة سنة ١٢٦٦هـ، وتوفي فيها سنة ١٣٣٩هـ، وأخذ عنه أصول الدين.

الشيخ الحادي عشر: الشيخ محمد الأمين محمود الشنقيطي: ولد في مدينة شنقيط في موريتانيا سنة ١٢٨٩هـ، وتوفي في الزبير، في صباح الجمعة ١٤ جمادي الثانية، سنة ١٣٥١هـ، قرأ عليه الشيخ لما

قدم إلى عنيزة وجلس فيها للتدريس سنة ١٣٣٠هـ، وأخذ عنه التفسير، والحديث، ومصطلح الحديث، وعلوم العربية كالنحو والصرف وغيرهما، وأخذ عنه إجازة بالرواية^(١).

فهؤلاء هم أبرز مشايخ الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-، وبهذا نعرف مكانته العلمية ووزارة تحصيله للعلوم، حيث تعلّم على يد هؤلاء الأعلام-رحمهم الله تعالى- وغيرهم ممن تخصصوا في شتى العلوم والفنون، وهذا ما أهله ليكون علماً من أعلام السنة .

*تلاميذه:

لقد تتلمذ على يدي الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-العديد من العلماء وطلبة العلم، لوزارة علمه وحسن تعليمه، ومنهم: -

الأول: الشيخ محمد بن صالح العثيمين: أحد أبرز تلاميذ الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- خلف شيخه في إمامة الجامع بعنيزة، وفي التدريس والوعظ والخطابة، وله قدم راسخة في العلم، طبع له ما يزيد على عشرين ما بين كتاب ورسالة.

الثاني: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام: عضو هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.

الثالث: الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل: عضو الهيئة القضائية العليا في وزارة العدل.

الرابع: الشيخ عبد الله بن محمد المطرودي.

الخامس: الشيخ عبد العزيز بن محمد السلطان: درس في معهد الإمام الدعوة بالرياض، وسلك طريقة شيخه في التأليف.

السادس: الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع: تولى القضاء في الجمعة وفي عنيزة وتوفي في ١٨/٣/١٣٨٧هـ.

السابع: الشيخ محمد بن منصور الزامل: درس بمعهد عنيزة العلمي.

الثامن: الشيخ عبد الله بن محمد الزامل: درس في معهد عنيزة العلمي، وهو من أبرز علماء النحو.

التاسع: الشيخ عبد الله بن حسن آل بريكان: درس في معهد عنيزة العلمي.

العاشر: الشيخ عبد الله بن محمد العوهلي: درس بمعهد مكة العلمي.

(١) انظر: عبد الله بن محمد الطيار ، سليمان بن عبد الله أبا الخيل ، فقه الشيخ ابن سعدي، ط١، (١/٤٣-٤٧) ، " باختصار".

الحادي عشر: الشيخ مُحمَّد بن صالح الخزيم: عين قاضيا في الرس ثم في المذنب، ثم في عنيزة.

الثاني عشر: الشيخ عبد الرحمن بن مُحمَّد المقوشي: عين قاضيا بالرياض في بالقويعية ثم أحيل إلى التقاعد لرغبته.

الثالث عشر: الشيخ حمد بن مُحمَّد البسام: درس بالمعهد العلمي بعنيزة ثم درس في جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود فرع القصيم، وكان هو القارئ على الشيخ في الدرس.

الرابع عشر: الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز: إمام مسجد الجديدة بعنيزة.

الخامس عشر: الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الخضري: عين قاضيا بعفيف ثم صار مدرسا بمعهد المدينة المنورة العلمي.

السادس عشر: الشيخ حمد بن إبراهيم القاضي: صار مدير إحدى المدارس بعنيزة.

السابع عشر: الشيخ عبد الله بن مُحمَّد الفهيد: إمام مسجد القاع في عنيزة.

الثامن عشر: الشيخ سليمان بن صالح البسام: من أعيان عنيزة.

التاسع عشر: الشيخ عبد الله بن مُحمَّد الصيخان: كان قوي الحفظ، كفيفا، وتوفي شابا.

العشرون: الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الزامل: كان له عناية بالتاريخ والأنساب.

الحادي والعشرون: الشيخ عبد العزيز بن مُحمَّد البسام: كان ينوب عن الشيخ في إمامة الجامع، وفي الخطابة إذا سافر.

الثاني والعشرون: الشيخ عبد العزيز بن علي المساعد: إمام مسجد الصويطي بعنيزة.

الثالث والعشرون: الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الدامغ: إمام مسجد الجزيرة بعنيزة.

الرابع والعشرون: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعدي: ابن الشيخ وكان ذا عناية بطبع مؤلفات والده.^(١)

هؤلاء هم الثمار الطيبة من شجرة العلم اليانعة ثابتة في الأرض وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط٢، (٣/٢٣٦-٢٤٤)، وانظر: مُحمَّد القاضي بن عثمان، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ط٢، (١/٢٢١)، انظر: عبد الله بن مُحمَّد الطيار، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، فقه الشيخ ابن سعدي، ط١، (١/٥١-٦٨).

* عقيدته:

لقد نصح الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في العقيدة منهج السلف الصالح، واقتفى آثارهم، وترسم خطاهم، وذلك بتلقي العقيدة وأخذها من منبعها الأصيل، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهم السلف الصالح، لا بالأهواء والتشهي، والبدع والظنون الفاسدة.

ومن تأمل كتبه وسبرها عرف شدة عنايته بهذه العقيدة، وحرصه على نشرها وتصديده لمخالفيها، وقد ذكر - رحمه الله تعالى - في أول كتابه (القول السديد في مقاصد التوحيد) مقدمة تشتمل على صفوة من عقيدة أهل السنة، وخلاصتها المستمدة من الكتاب والسنة^(١).

وهذا ما سنعرفه أيضاً من خلال ابحارنا معه في فصول هذه الرسالة؛ حيث تبين منهجه على عقيدة السلف الصالح.

* أخلاقه:

كان الشيخ على قدر عظيم من كرم الأخلاق، وحسن السجايا، يتودد للقريب والبعيد، يحب الخير للناس، كما يحبه لنفسه لين الجانب يتحدث مع الصغير والكبير كل حسب عقله وإدراكه يقول عنه تلميذه الشيخ عبد الله البسام - حفظه الله تعالى - : "له أخلاق أرق من النسيم، وأعذب من السلسيل، لا يعاتب على الهفوة، ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودد ويتحجب إلى البعيد والقريب، يقبل بالبشاشة، ويُحَيِّي بالطلاقة، ويعاشر بالحسنى، ويجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف الحديث أحاديث الأنس والود، ويعطف على الفقير والصغير، ويبذل طاقته ووسعه، ويساعد بماله وجاهه وعلمه ورأيه ومشورته ونصحه بلسان صادق، وقلب خالص، وسر مكتوم، ومهما أردت أن أعدد فضائله و محاسنه في مجال الأخلاق الكريمة، والشيم الحميدة التي يتحلى بها، فإني مقصر وقلمي عاجز، ولا يدرك هذا إلا من عاشه وجالسه، لذا فإن الله سبحانه أعطاه محبة في القلوب، وثقة في النفوس، أجمعت البلاد على وده، واتفقت على تقديمه، فصار له زعامة شعبية، فإشارته نافذة، وكلمته مسموعة، وأمره مطاع"^(٢).

(١) انظر: عبد الرزاق العبداء، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص (٤٣).

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، مرجع سابق، (٢٤٥/٣).

وكذلك يوصفه تلميذه القاضي-رحمه الله تعالى-:"وكان - رحمه الله - ذا دعابة، يتحجب إلى الخلق بحسن خلقه، مرحاً للجليس لا يرى الغضب في وجهه، طلق الوجه، كريم الحيا، وكان يكثر الحج، ويصوم البيض وغيرها، ويتكلم مع كل فرد بما يناسب حاله، ويعاشر الخلق معاشرة تامة، كل بحسب حاله، من يعرف ومن لا يعرف، الصغير والكبير والخاص والعام، والرجال والنساء، محبا للخير مقدما عليه"^(١).

وذلك خلق العلماء الأعلام الذين رزقهم الله التواضع فرفعهم الله في أعين الناس كباراً.

*أعماله^(٢):

كان الشيخ-رحمه الله تعالى- محبا للخير، ساعياً فيه، ولذا كانت له مشاريع إيجابية في إقامة المشاريع الخيرية التي يعود نفعها على المجتمع عامة، ومن مشاركته و أنشطته التي قام بها:

العمل الأول: كان مرجع بلاده وعمدتهم في جميع أحوالهم الشرعية، فهو مدرس الطلاب، وواعظ العامة، وإمام الجامع وخطيبه، ومفتي البلاد، وكاتب الوثائق، ومحرر الأوقاف والوصايا، وعاهد الأنكحة، ومستشارهم في كل شؤونهم.

العمل الثاني: في عام ١٣٦٠هـ رشح لقضاء عنيزة، فامتنع عنه تورعا، ولم يدخل في أي وظيفة لا قضاء ولا غيره، وعرض عليه القضاء أكثر من مرة ولكن سهل الله له الفكاك منه.

العمل الثالث: عينه القاضي عبد الرحمن بن عودان إماماً وخطيباً للجامع الكبير بعنيزة، في رمضان عام ١٣٦١هـ، واستمر فيه حتى توفي.

العمل الرابع: قام في عام ١٣٦٣هـ بجمع التبرعات من المحسنين كل على قدر استطاعته لبناء مقدم الجامع الكبير.

العمل الخامس: قام في عام ١٣٧٣هـ بجمع التبرعات مرة ثانية لعمارة مؤخر الجامع الكبير.

العمل السادس: قام بالإشراف على المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٣هـ.

(١) انظر: مُجَدِّ القاضي بن عثمان، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ط ٢، (١/٢٤٤)، انظر: عبد الله بن

مُجَدِّ الطيار، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، فقه الشيخ ابن سعدي، ط ١، (١/٢٩-٣٠).

(٢) المراد بأعماله هنا، ما قام به الشيخ من مشاريع خيرية، أو ما تولاه من أعمال دينية.

العمل السابع: وله أعمال خيرية كثيرة أخرى خفيت على الناس في حياته ،و عرفت بعد وفاته، فقد كان يعين الفقراء ويسدد عن المدينين مما يقع في يديه من الأموال ، وكان موفقاً في حل المشاكل العائلية والمعاملات المالية التي يترتب عليها منازعات ومخاصمات ، وكان ينهيها قبل وصولها إلي المحكمة^(١).

ولعمر الحق أن هذا هو العالم الرباني الذي ينفع أينما حل وارتحل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

*آثاره العلمية:

كان الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذا عناية بالغة بالتأليف، فله مؤلفات كثيرة في أنواع العلوم الشرعية، فقد ألف في التوحيد، والفقه، والحديث، والتفسير، والأصول، ومحاسن الدين وغيرها، نذكر بعضاً منها:

الأول: الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين. (طبع).

الثاني: الإرشاد في معرفة الأحكام (طبع).

الثالث: انتصار الحق. (طبع).

الرابع: بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. (طبع).

الخامس: التعليق وكشف النقاب على نظم الإعراب. (لم يطبع).

السادس: توضيح الكافية الشافية. (طبع).

السابع: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان. (طبع).

الثامن: التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة (٣). (طبع).

التاسع: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. (طبع).

العاشر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. (طبع).

الحادي عشر: الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية. (طبع).

(١) انظر: عبد الله بن عبد الرحمن البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط ٢، (٢٢٢/٣)، وانظر: مُجَدِّدُ الْقَاضِي بن عثمان، مرجع سابق، (٢٢٣/١)، و انظر: عبد الله بن مُجَدِّدِ الطَّيَّار ، سليمان بن عبد الله أبا الخيل ،فقه الشيخ ابن سعدي، ط ١، (٢٣/١-٢٧)، "باختصار".

- الثاني عشر: الخطب المنبرية على المناسبات. (طبع).
- الثالث عشر: الدرة المختصرة في محاسن دين الإسلام. (طبع).
- الرابع عشر: الدلائل القرآنية في أن العلوم النافعة العصرية داخلية في الدين الإسلامي. (طبع).
- الخامس عشر: الدين الصحيح يحل جميع المشاكل. (طبع).
- السادس عشر: رسالة في القواعد الفقهية. (طبع).
- السابع عشر: رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة. (طبع).
- الثامن عشر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة. (طبع).
- التاسع عشر: طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول. (طبع).
- العشرون: الفتاوى السعدية. (طبع).
- الحادي والعشرون: فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد. (لم يطبع).
- الثاني والعشرون: فوائد مستنبطة من قصة يوسف. (طبع).
- الثالث والعشرون: الفواكه الشهية في الخطب المنبرية. (طبع).
- الرابع والعشرون: القواعد الحسان في تفسير القرآن. (طبع).
- الخامس والعشرون: القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقسيم البديهة النافعة. (طبع).
- السادس والعشرون: القول السديد في مقاصد التوحيد. (طبع).
- السابع والعشرون: مجموعة الخطب في المواضع النافعة. (طبع).
- الثامن والعشرون: مجموع الفوائد واقتناص الأوابد. (مخطوط).
- التاسع والعشرون: المختارات الجليلة من المسائل الفقهية. (طبع).
- الثلاثون: المواهب الربانية من الآيات القرآنية. (طبع).
- الحادي والثلاثون: منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين. (طبع).
- الثاني والثلاثون: المناظرات الفقهية. (طبع).
- الثالث والثلاثون: منظومة في أحكام الفقه. (طبع).
- الرابع والثلاثون: منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة. (طبع).

الخامس والثلاثون: الوسائل المفيد للحياة السعيدة. (طبع).^(١)

إلى غير ذلك من آثاره العلمية، التي عاجلت الكثير من قضايا العقدية والدعوية، والقضايا المعاصرة لبناء الفرد المسلم والمجتمع الإسلامي؛ بناءً علمياً ووعياً وإدراكاً ودربة وتشاوراً على المنهج الرباني المستقيم.

*وفاته:

وبعد عمر طويل دام قرابة ٦٩ عاماً في خدمة العلم انتقل إلى جوار ربه في عام ١٣٧٦ هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم رحمه الله تعالى رحمة واسعة^(٢).
وقد تركت وفاته فراغاً كبيراً، حيث كان المعلم والمرشد والمفتي والموجه، والناصح والمشير، أفاد بعلمه الصغير والكبير والرجال والنساء، وذكره على الألسن ومحبه في القلوب وأحاديثه وإرشاداته وفتاويه هي حديث المجالس وأنيس المحافل.

المسألة الثالثة: التعريف بتفسير الشيخ السعدي ومزاياه.

إن الله بحكمته ورحمته أنزل كتابه تبياناً لكل شيء، وجعله هدى وبرهاناً لهذه الأمة، ويسره للذكر والتلاوة والهداية بجميع أنواعها، أنزله بلسان عربي مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقبض له من العلماء من يفسرونه، ويبلغونه للناس ألفاظه ومعانيه، لتتم بذلك الهداية وتقوم به الحجة.

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٧/١)، انظر: عبد الله بن محمد الطيار، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، فقه الشيخ ابن سعدي، ط ١، (١١٣/١-١٤٣)، "باختصار".

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، (٨/١).

ومن هؤلاء العلماء المفسرين العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى- فقد كان له حظ وافر من العلم، ولذلك ألف تفسيره المسمى: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) حيث يعتبر من التفاسير المشتهرة المتداولة لما له من ميزات كثيرة، منها:

أولاً: سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه.

ثانياً: تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبليل فكره.

ثالثاً: تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قويا تدعو الحاجة إلى ذكره وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

رابعاً: اهتم بترسيخ العقيدة السلفية، والتوجه إلى الله تعالى، فقد سار على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

خامساً: دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد الفقهية، والأحكام الشرعية، والحكم الربانية، والقواعد الأصولية، وغير ذلك.

سادساً: أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة، وإصلاح النفوس، كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١١٩) (١).

لذا ينبغي على كل مريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم (٢).

وقد أبان الشيخ السعدي منهجه في التفسير فقال: "وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية،

(١) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

(٢) باختصار وتصرف مما كتبه بعض العلماء الأجلاء عنه من كلمات تتضمن التعريف بالتفسير وهما: الشيخ العلامة الفقيه: عبد الله بن عبد العزيز بن عجيل، والشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين.

وكان الذي ينبغي في ذلك، أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه^(١)، وقد فرغ - رحمه الله تعالى - من تأليفه في ٧ شعبان ١٣٥٤هـ^(٢).

وأسأل الله تعالى أن ينفع به مؤلفه وقارئه والباحث فيه، والأمة الإسلامية، إنه كريم جواد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

الباب الأول: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان.

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٩-١٠). "باختصار".

(٢) انظر: عبد الله بن محمد الطيار، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، فقه الشيخ ابن سعدي، ط ١، (١/١١٥).

الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة في توحيد الربوبية.

الفصل الثالث: الأصول العقدية المتعلقة في توحيد الألوهية.

الفصل الرابع: الأصول العقدية المتعلقة في توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الخامس: الأصول العقدية المتعلقة بنواقض التوحيد.

الباب الأول: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى.

الفصل الأول: الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان.

لا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب،

وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول. قَالَ تَعَالَى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) . وقال عز شانه: ﴿وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ (١٩) .

وقد أبرز لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-هذا المعتقد الجليل، وأبانه في معظم كتبه؛ بل لقد أفرد له كتاب خاص وهو "التوضيح والبيان لشجرة الإيمان"، وقد أشار فيه إلى تعريف الإيمان، ومراتب المؤمنين، وأوصافهم، وشعب الإيمان، وفوائده وكان معتقده في ذلك كله على مذهب أهل السنة والجماعة وهذا ما سنلاحظه مع المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الإيمان وأدلته.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: الاستثناء في الإيمان.

المبحث الرابع: الإيمان الكامل والناقص.

المبحث الخامس: مسائل في باب الإيمان.

المبحث السادس: وسائل إيمانية لسعادة في الدنيا والآخرة.

المبحث السابع: ثمار إيمانية من شجرة الإيمان.

المبحث الأول: تعريف الإيمان وأدلته.

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغةً:

الإيمان لغة له معنيان:

(١) سورة النحل: آية ٩٧.

(٢) سورة الإسراء: آية ١٩.

أولاً - (الأمن): أي: إعطاء الأمن والأمان والطمأنينة؛ الذي هو ضد الخوف. وآمنته ضد أخفته. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾^(١). فآمن، أي: أصبح داخلاً في الأمن. واستأمن إليه، أي: دخل في أمانه. والأمنة والأمانة: نقيض الخيانة. ومنه اسم الله - تبارك وتعالى - (المؤمن)؛ لأنه - سبحانه - آمن عباده أن يظلمهم.

ثانياً - (التصديق): أي الذي يصدق قوله بالعمل. والتصديق: ضد التكذيب. وإذا قال العبد: آمنت بالله تعالى رباً؛ أي: صدقت به. والمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر. قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾^(٢). والتصديق يتضمن الأمن والأمان. ولهذا قال إخوة يوسف - عليه السلام - لأبيهم: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(٣). أي: لا تقرر بخبرنا، ولا تثق به، ولا تطمئن إليه، ولو كنا صادقين.

إذن الإيمان لغة: له معنيان حسب الاستعمال؛ الأمن والتصديق، والمعنيان متداخلان^(٤). هذا، وقد عرض شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (ت ٧٢٨ هـ) رأياً آخر في معنى الإيمان اللغوي، وهو من آرائه السديدة، واختياراته الموفقة؛ حيث اختار معنى (الإقرار) للإيمان؛ فقال - رحمه الله تعالى - " ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار ؛ لا مجرد التصديق ، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب وهو الانقياد، أي تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر " (٥).

(١) سورة قريش: جزء من الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ١٣٦.

(٣) سورة يوسف: جزء من الآية ١٧.

(٤) انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، د. ط، مادة: "آمن"، (١٥، ٥١٣)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "آمن"، (١٥١٨). ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "آمن"، (٢٧-٢١/١٣)، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د. ط، ص ٩٠، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، د. ط، مادة: "آمن"، (٢٠٧١ / ٥). الرازي، مختار الصحاح، ط ١، مادة: "آمن"، ص ١٨.

(٥) انظر: ابن تيمية، كتاب الإيمان الكبير، ضمن [مجموع الفتاوى]، ط ٣، (٦٣٨/٧-٦٣٩).

وقال -رحمه الله تعالى- أيضاً: " فكان تفسيره -أي الإيمان- بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقاً" (١).

وقد ذكر -رحمه الله تعالى - وجوه تمنع الترادف بين الإيمان والتصديق ومنها:
أولاً: أن لفظ الإيمان قيل: أصله التصديق ، وليس مطابقاً له ، بل هو الإقرار ؛ لأن التصديق إنما يطابق الخبر فقط، وأما الإقرار فيطابق الخبر والأمر، كقوله تعالى : ﴿قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقَرَّرْنَا﴾ (٢)؛ ولأن أقر وآمن : متقاربان.

ثانياً: إنه - أي الإيمان - ليس مرادفاً للتصديق في المعنى؛ فإن كل مخبر عن مشاهدة، أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت؛ فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأما لفظ الإيمان؛ فلا يستعمل إلا في الخبر عن غائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة، كقول: طلعت الشمس وغربت، أنه يقال: آمنه، كما يقال: صدقناه.

ثالثاً: إن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالكذب؛ كلفظ التصديق؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالكذب (٣).

وقد جمع الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في تعريفه للإيمان بين التصديق و الإقرار فقال: " أن الإيمان الذي هو: تصديق القلب التام، بهذه الأصول (٤)، وإقراره المتضمن لأعمال القلوب والجوارح" (٥).

إذن الإيمان لغة: هو الإقرار القلبي؛ ويكون الإقرار:

* بقول القلب: أي تصديقه بالأخبار.

* وعمل القلب: أي إذعانه وانقياده للأوامر.

(١) انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (٢٩١/٧).

(٢) سورة آل عمران: جزء من آية ٨١.

(٣) انظر: ابن تيمية، المرجع السابق، (٢٩١/٧-٢٩٢، ٦٣٧). "باختصار".

(٤) وهي أركان الإيمان الستة.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٧).

المطلب الثاني: تعريف الإيمان اصطلاحاً.

وردت أقوال عديدة للسلف وأئمة السنة في تعريف الإيمان اصطلاحاً:

- فهو عند بعضهم: قول وعمل.
- وعند البعض الآخر هو: قول وعمل ونية.
- وفريق ثالث يقولون الإيمان: قول وعمل ونية واتباع السنة^(١).
- وتارة يقولون: الإيمان: قول اللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية^(٢).

وكل هذه الأقوال المنقولة عن السلف والمتعلقة في تفسير الإيمان تؤول إلى معنى واحد وإن اختلفت ألفاظها كمّا وكيفاً، كما وضّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله عليه - (ت ٧٢٨هـ) حيث قال: "إن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أنّ لفظ القول لا يفهم منه إلاّ القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأمّا العمل فقد لا يفهم منه فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلاّن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلاّ باتباع السنة"^(٣).

وبَيَّنَّ الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ذلك بقوله: "إذا أُمر بعبادة الله تعالى مطلقاً دخل في عبادته كل ما أمر الله به،...، ومن ذلك: تعبير السلف عن الإيمان: أنه قول وعمل أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل ونية واتباع سنة، مع شمول كل تعبير منها"^(٤).

(١) انظر: ابن تيمية، كتاب الإيمان الأوسط، ضمن [مجموع الفتاوى]، ط ٣، (١/١٢٣).

(٢) انظر: ابن تيمية، كتاب الإيمان الكبير، ضمن [مجموع الفتاوى]، ط ٣، (٧/١٧٠).، انظر له: كتاب الإيمان الأوسط، مرجع سابق، (١/١٢٢).

(٣) انظر: ابن تيمية، كتاب الإيمان الكبير، مرجع سابق، (٧/١٧٠).

(٤) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٤.

ويقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ): "الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له، وإن حقن الدماء وعصم به الأموال والذرية، ولا يجزئ باطن لا ظاهر له، إلا إذا تعذر بعجز وإكراه أو ضعف وإكراه" (١).

وقد ذهب الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى ما ذهب إليه الشيخين -رحمهما الله تعالى- وأئمة السلف في تعريفه للإيمان، وقد بيّن ذلك في كتبه، وفي تفسيره، وفي كتابه "التوضيح والبيان لشجرة الإيمان".

فقال: "أما حد الإيمان وتفسيره فهو: التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به؛ والانقياد ظاهراً وباطناً. فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن. وذلك شامل للقيام بالدين كله" (٢).

وقال -رحمه الله-: "الإيمان اسم جامع لعقائد القلب وأعماله وأعمال الجوارح وأقوال اللسان، فجميع الدين أصوله وفروعه داخل في الإيمان" (٣).

وعرّفه في موضع آخر بقوله: "الإيمان هو التصديق الجازم بجميع ما أمر الله ورسوله بالتصديق به المتضمن للعمل الذي هو الإسلام وهو الاستسلام لله وحده والانقياد لطاعته" (٤).

وعرّفه أيضاً -رحمه الله-: "الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح" (٥). وقال أيضاً -رحمه الله تعالى-: "الإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين ظاهره وباطنه أصوله وفروعه ويدخل فيه العقائد التي يجب اعتقادها، فكل ما يحبه الله ورسوله يدخل في اسم الإيمان" (٦).

(١) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، ص ٨٥.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٨٩).

(٣) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٤) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٦٢).

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٩٩).

(٦) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٤، ولنفس المؤلف: التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٨٥.

إلا أن هنا إشارة لطيفة عرف فيها الشيخ -رحمه الله تعالى- الإيمان و كان مطابقاً لما عليه فقهاء المرجئة وليس من عقيدته وهي:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، قال: "لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين"^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ﴾^(٣)، قال: "إذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي: كإيمان الصحابة رضي الله عنهم، وهو الإيمان بالقلب واللسان"^(٤).

نقول: إن تعريفه للإيمان الحقيقي هنا، بأنه ما تواطأ عليه القلب واللسان، وأن ذاك هو إيمان الصحابة. هذا تعريف موافق لتعريف الإيمان عند فقهاء المرجئة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "قال فقهاء المرجئة: هو التصديق بالقلب واللسان وقال أكثر متكلميهم: هو التصديق بالقلب وقال بعضهم: التصديق باللسان"^{(٥)(٦)}.

والتعريف الصحيح للإيمان هو ما ذكره الشيخ السعدي -رحمه الله- سابقاً، وما عرفه أئمة أهل السنة والجماعة بأنه: "تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان"^(٧)؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"^(٨).

فمسمى الإيمان عندهم يطلق على ثلاث خصال مجتمعة، لا يجرى أحدهما عن الآخر، وهذه الأمور الثلاثة جامعة لدين الإسلام: (اعتقاد القلب، إقرار اللسان، عمل الجوارح)^(٩).

(١) سورة البقرة: جزء من آية ٨.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٢).

(٣) سورة البقرة: جزء من آية ١٣.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٣).

(٥) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٢ / ٤٧١).

(٦) انظر: محمد بن أحمد بن الحسن المغربي، فتح العليم العلي في التعليق على تفسير العلامة السعدي، د. ط، ص ١٩.

(٧) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص ٣٣٢.

(٨) انظر: هراس، شرح العقيدة الواسطية، ط ١، (١ / ٣١٣).

وبعبارة أخرى:

*قول القلب، وقول اللسان.

*عمل القلب، وعمل الجوارح.

وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى الفرق بين أقوال القلب وبين أعماله بقوله: "أن أقواله هي العقائد التي يعترف بها القلب و يعتقدها، وأما أعمال القلب فهي حركته التي يحبها الله ورسوله، وضابطها: محبة الخير وإرادته الجازمة وكراهية الشر، والعزم على تركه، وهذه الأعمال القلبية تنشأ عنها أعمال الجوارح، فالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد من الإيمان، وبر الوالدين وصلة الأرحام والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه المتنوعة كلها من الإيمان وكذلك الأقوال: فقراءة القرآن، وذكر الله والثناء عليه والدعوة إلى الله، والنصيحة لعباد الله وتعلم العلوم النافعة كلها داخلة في الإيمان".^(٢)

المطلب الثالث: تفصيل تعريف الإيمان الاصطلاحي.

ويمكن تفصيل تعريف الإيمان الاصطلاحي بأدلته على النحو التالي:

أولاً - قول القلب:

هو اعترافه، وتصديقه^(٣)؛ وهو ما عقد عليه القلب، وتمسك به، ولم يتردد فيه^(٤)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٥) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ

(١) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ط١، ص٢٦. وانظر: رباب نجيب أمين، الآثار الإيمانية لأسماء الله الحسنى، د. ط، ص١٧.

(٢) انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط٢، ص٨٥.

(٣) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ط١، ص٥٧٤.

(٤) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مرجع سابق، ص٢٧.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ^(١) . وقال النبي ﷺ: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير) ^(٢) .

و قول اللسان:

هو إقراره والتزامه. أي: النطق بالشهادتين، والإقرار بلوازمها ^(٣) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٤) .

وقال النبي ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله...) ^(٥) .

ثانياً: عمل القلب:

هو عبارة عن تحركه وإرادته ^(٦)، ونيته، وتسليمه، وإخلاصه، وإذعانه، وخضوعه، وإنقياده، والتزامه، وإقباله إلى الله تعالى، وتوكله عليه — سبحانه — ورجاؤه، وخشيته، وتعظيمه، وحبه ^(٧) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ^(٨) . وقال النبي ﷺ: (يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يُفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ) ^(٩) .

و عمل الجوارح:

(١) سورة الزمر: الآيات ٣٣ - ٣٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، (١ / ٢٤)، رقم الحديث: ٤٤ .

(٣) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، المرجع السابق، ص ٢٧ .

(٤) سورة الأحقاف: الآية ١٣ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، (١ / ١٧)، رقم الحديث: ٢٥ .

(٦) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ط ١، ص ٥٧٤ .

(٧) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ط ١، ص ٢٩ .

(٨) سورة الأنعام: جزء من الآية ٥٢ .

(٩) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: الغيبة، (٤ / ٤٢١)، رقم الحديث: ٤٨٨٢، صححه الألباني في صحيح

الترغيب والترهيب، (٢ / ٢٩٢)، رقم الحديث: ٢٣٤٠ .

أي فعل المأمورات والواجبات، وترك المنهيات والمحرمات^(١).

فعمل اللسان: فحركاته^(٢)، وما لا يؤدي إلا به؛ كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار؛ من التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والدعاء، والاستغفار، والدعوة إلى الله تعالى، وتعليم الناس الخير، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدي باللسان؛ فهذا كله من الإيمان^(٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾^(٤). وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٥).

وعمل الجوارح: مثل الصلاة، والقيام، والركوع، والسجود، والصيام، والصدقات، والمشي في مرضاة الله تعالى؛ كنقل الخطي إلى المساجد، والحج، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من أعمال شعب الإيمان^(٦)، فيكون عمل الجوارح إيماناً شرعاً؛ لأن الحامل لهذا العمل هو الإيمان^(٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٨) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴿٧٧﴾ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٩) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾^(٩).

*والأدلة على أن شمولية الإيمان لهذه الخصال:

(١) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٢) انظر: ابن عثيمين، مرجع سابق، (ص ٥٧٤).

(٣) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٩ .

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٤١ .

(٦) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، ط ١، ص ٣٠.

(٧) انظر: ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ط ١، (ص ٥٧٤).

(٨) سورة الحج: الآيتان ٧٨، ٧٧.

(٩) سورة الفرقان: الآيتان ٦٤، ٦٣ .

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ ^(١). قال عليه السلام: (عندما سأله جبريل -عليه السلام - عن الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) ^(٢)، فهذا قول القلب .
وأما عمل القلب، واللسان والجوارح ؛ فدليله قول النبي ﷺ: (الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ أو بضعٌ وستونَ شعبةً فأفضلُها قولُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ) ^(٣)؛ فهذا فهذا قول اللسان وعمله وعمل الجوارح ، والحياء عمل قلبي ، وهو انكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء ^(٤).

مما سبق بيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أنه لما كان الإيمان اسماً لهذه الأمور كلها من الأعمال القلبية والجوارح؛ ترتب عليه مسألة زيادة الإيمان ونقصانه كما صريح الأدلة القرآنية والنبوية الشريفة، وهذا ما سنُبينه في المبحث التالي.

المبحث الثاني: وجوه وأدلة زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الأول: وجوه زيادة الإيمان ونقصانه.

إذا كان الإيمان المطلق يتناول جميع ما امر الله به ورسوله ﷺ فإذا ذهب بعض ذلك فنصوص الرسول ﷺ وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه، ولهذا كان السلف يقولون: إنه يتفاضل ويزيد وينقص، والناس فيه متفاوتون بحسب قيامهم به وبلوازمه ومكملاته ^(٥).

(١) سورة البقرة: جزء من آية ١٧٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر، (٢٨/١)، رقم الحديث: ١٠٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، (٤٦/١)، رقم الحديث: ١٦٢.

(٤) انظر: ابن عثيمين، مرجع سابق، ص ٥٧٥.

(٥) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٥.

وقد أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، بعد تعريفه للإيمان في عدة مواضع من كتبه، فقال عن هذه المسألة: "الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله"^(١).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: بأن الإيمان: "يزيد بقوة الاعتقاد وكثرته وحسن الأعمال والأقوال وكثرتها وينقص بضد ذلك"^(٢).

وقد ذكر -رحمه الله تعالى- وجوه عديدة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه ومنها:

الوجه الأول: أن المؤمنين ينقسمون إلى ثلاثة طبقات:

الطبقة الأولى: سابقون بالخيرات، وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات. فهؤلاء المقربون.

الطبقة الثانية: ومقتصدون، وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات.

الطبقة الثالثة: وظالمون لأنفسهم وهم: الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. مع بقاء أصل الإيمان معهم. فما أعظم التفاوت بين هؤلاء الطبقات. وهذا من أكبر البراهين على زيادة الإيمان ونقصه.

الوجه الثاني: أن المؤمنين متفاوتون في عقائدهم وأعمال قلوبهم وجوارحهم. وكثرة الطاعات وقلة.

الوجه الثالث: أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان وتفصيله.

الوجه الرابع: أن من المؤمنين من لم تخرج المعاصي إيمانه وإن وقع منه شيء من ذلك بادر إلى التوبة والإنابة، ومنهم من هو متجرب على كثير من المعاصي ومعلوم الفرق بينهما.

الوجه الخامس: أن من المؤمنين من هو واجد لحلاوة الإيمان، وقد ذاق طعمه، واستحلى الطاعات وتأثر قلبه بالإيمان، ومنهم من لم يصل إلى ذلك^(٣).

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، مرجع سابق، ص (٨٩).

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٣٥/٦)، ولنفس المؤلف انظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ١٣١، مجموع الفوائد واقتناص الأوايد، د. ط، ص ٣٢، ٥٩، وله أيضاً: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ١٣، ٨٩، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ١٧.

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٥، ولنفس المؤلف: سؤال وجواب في أهم

المهمات، ط ١، ص ١٦. التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٨٦. "بتصرف".

المطلب الثاني: أدلة زيادة الإيمان ونقصانه.

نطرح الآن أدلة من الكتاب والسنة تبين هذه المسألة ، وكلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى -

حولها :

أولاً: أدلة الكتاب الحكيم :

*قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (١) ، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى - عند تفسيره للآيات مبيناً أن الإيمان يزيد وينقص: " هم المؤمنون حقاً لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، بين العلم والعمل، بين أداء حقوق الله وحقوق عباده. وقدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها، وفيها دليل على أن الإيمان، يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها" (٢) .

ويقول عند قوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ (٣) ، : "وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما قاله السلف الصالح، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (٤) ، ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (٥) ، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآيَاتُهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (٦) . وقوله عز شأنه: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (٧) .

(١) سورة الأنفال: الآيات ٢ - ٤ .

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣١٥) .

(٣) سورة مريم : جزء من آية ٧٦ .

(٤) سورة المدثر: آية ٣١ .

(٥) سورة الأنفال: جزء من آية ٢ .

(٦) سورة محمد: آية ١٧ .

(٧) سورة الفتح: آية ٤ .

ويدل عليه أيضا الواقع، فإن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، والمؤمنون متفاوتون في هذه الأمور، أعظم تفاوت" (١) .

ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤﴾ (٢)، "وفي هذه الآية دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن، أن يتفقد إيمانه و يتعاهده، فيجده وينمي، ليكون دائما في صعود" (٣).

ثانياً: أدلة السنة النبوية:

حديث النبي ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) (٤)؛ يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى عند شرحه: "وهذه الشعب التي ترجع إلى الأعمال الباطنة والظاهرة كلها من الإيمان... وهذا من أدلة السلف على أن الإيمان يزيد وينقص. وذلك بحسب علوم الإيمان ومعارفه، وبحسب أعماله. وهذا الأصل قد دلّ عليه الكتاب والسنة في مواضع كثيرة" (٥).

و كانت هناك آراء مخالفة لأهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه (٦)

، فذهبت الخوارج (٧) و المعتزلة (١)؛ إلى القول بعدم الزيادة أو النقصان في الإيمان، فكلاهما حكم على على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار، ولم يختلفوا إلا في مسماه في الدنيا، ف" كفرت الخوارج بالذنب

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٩٩).

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٤.

(٣) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٣٥٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، (١ / ٤٦)، رقم الحديث: ١٦٢.

(٥) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الحديث)، ط ١، ص ٣٣.

(٦) لمزيد من التفصيل يراجع كتاب: عبد الرزاق العباد، زيادة الإيمان ونقصانه، ط ٢، ص ٢٩٣، فالمسألة مبسطة فيه بشكل

جيد.

(٧) الخوارج: هو كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان، وسموا بهذا الاسم لخروجهم على الخليفة الراشد

وجعلوا صاحب الكبيرة كافراً مخلداً في النار، و وافقتهم المعتزلة على زوال جميع إيمانه وإسلامه، وعلى خلوده في النار، لكن نازعوه في الاسم، فلم يسموه كافراً، بل قالوا: هو فاسق لا مؤمن ولا مسلم ولا كافر، نزل منزلة بين المنزلتين، فهم وإن كانوا في الاسم إلى السنة أقرب، فهم في الحكم في الآخرة مع الخوارج^(٢).

وعلى الجانب الآخر هناك قائلين بأن الإيمان يزيد ولا ينقص، أو أن الإيمان يزيد وتوقف في النقصان، وأثر هذا الفهم الخاطيء لمفهوم -مسألة الزيادة في الإيمان ونقصانه- يؤدي إلى عموم الفوضى وانتشارها، فكثير من الناس كما نرى ينامون ويصحون على المعاصي، لا يردعهم رادع، لا من قرآن ولا من سنة، ولا قول قائل أو مذكر، فكيف بهم إن عرفوا أن هذه الأعمال التي تجرؤا عليها، وتلك الفرائض التي فرطوا فيها، لا يحاسب المرء عليها، وأنها لا ترفع من درجة ولا تضع إلى دركة؟!^(٣).

مما تقدم دلّ الكتاب والسنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا ما سار عليه الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-فيه على منهج أهل السنة والجماعة.

علي بن أبي طالب -عليه السلام- يوم التحكيم، فمضوا عنه ونزلوا بأرض يقال: لها حروراء، فسموا بذلك حرورية، من عقائدهم تكفير صاحب الكبيرة، وأنه مخلد في النار -إلا النجدات منهم- وإجماعهم على إكفار عثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعائشة -عليهم السلام- وأصحاب الجمل. * انظر في الترجمة: الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط ٢، (١٦٧/١)، الشهرستاني، الملل والنحل، د. ط، (١١٣ / ١).

(١) المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، سمو بذلك لا اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، لقول واصل بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وهم فرق كثيرة يجمعها ما يسمونه بأصولهم الخمسة وهي: ١ التوحيد، ٢ العدل، ٣ الوعد والوعيد، ٤ المنزلة بين المنزلتين، ٥ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. * انظر في الترجمة: الأشعري، مرجع سابق، (٢٣٥/١)، وانظر: البغدادى، الفرق بين الفرق، د. ط، ص ٢٠-٢١.

(٢) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، العقيدة الأصفهانية، ط ١، ص ١٧٥

(٣) انظر: رمضان الغنام، الإسرائيليات والموضوعات، د. ط، ص ٢٧٠.

المبحث الثالث: الاستثناء في الإيمان.

أهل السنة والجماعة: يرون الاستثناء في الإيمان؛ لشدة خوفهم من الله تعالى، وإثباتاً لأقداره، ونفيّاً لتزكية أنفسهم، لا شكّاً فيما يجب عليهم الإيمان به، ولكن خوفاً أن لا يكونوا قاموا بحقائقه، ورجاء أن يأتوا بواجباته وكمالاته.

ويمنعون الاستثناء إذا كان على وجه الشك في الإيمان؛ لأن الشك في ذلك كفر؛ بل يقصدون من ذلك: نفي الشك في إيمانهم من جهة، وعدم الجزم بكماله من جهة أخرى^(١).

(١) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه، ط١، ص٤٧.

إن مسألة الاستثناء في الإيمان مسألة مترتبة على بيان تعريف الإيمان، وأنه يزيد وينقص، وهذا معتقد أهل السنة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه-: "الاستثناء في الإيمان سنة عند أصحابنا وأكثر أهل السنة"^(١).

ويقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بعد تعريفه للإيمان، وبيانه لمسألة زيادة الإيمان ونقصانه: "ويرتبون على هذا الأصل صحة الاستثناء في الإيمان. فيصح أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأنه يرجو من الله تكميل إيمانه فيستثني من غير شك منه بحصول الإيمان"^(٢).

وقال -رحمه الله تعالى- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْهُمُ وَإِنَّا لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)،: "دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان، على وجه التقييد، بل على وجوب ذلك، بخلاف قوله: "أنا مؤمن" ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرونا بالاستثناء بالمشيئة، لما فيه من تزكية النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان"^(٤).

مما تقدم بين لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأنه يجوز الاستثناء فيه.

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٦٦٦/٧).

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ١٨، ١٩. وانظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص ٣٠١.

(٣) سورة البقرة: آية ١٣٦.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٦٧/١)، وانظر: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ١١.

المبحث الرابع: الإيمان الكامل والناقص.

الكتاب والسنة دلا من وجوه كثيرة على أن العبد يكون فيه خير وشر، وإيمان وخصال كفر، وخصال نفاق لا تخرجه عن الإيمان بالكلية، وهذا تحقيق مذهب أهل السنة الذي باينوا فيه الخوارج المارقين الذين يسلبون العصاة اسم الإيمان ويخلدوهم في النار وباينوا فيه المعتزلة الذين وافقوا الخوارج في المعنى وخالفوهم في اللفظ. وهذا ما تناوله الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في كتابه (التنبيهات اللطيفة)

وفي غيره من كتبه حيث وضح فيه تعريف (الإيمان المطلق)، و (مطلق الإيمان) وهذا ما سنبينه فيما يلي:

المطلب الأول: تعريف (الإيمان المطلق) (مطلق الإيمان):

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) متحدثاً عن عقيدة أهل السنة في ذلك: "ولا يسلبون الفاسق المسمى بالإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله ﷺ: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) ^١، ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يُعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم" ^٢. وقد أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تعريف (الإيمان المطلق)، و (مطلق الإيمان) بقوله: "المؤمن المطلق الممدوح الذي إيمانه يمنعه من دخول النار: هو الذي أدّى الواجبات وترك المحرمات، وأما من أطلق عليه اسم الإيمان ودخل في الأمر والنهي وفي ذم الشارع له على بعض الأفعال أو التروك، فهذا الذي معه أصل الإيمان، ولكنه يتجرأ على بعض المحرمات، ويترك بعض الواجبات، فهذا إيمانه يمنعه من الخلود في النار، وهما كالشجرة يتناول الأصل والفرع إذا وجد، وقد يقطع من الفروع شيء فتبقى شجرة ناقصة بحسب ما زال منها، وكذلك الإيمان كما مثله الله بالشجرة" ^(٣).

^١ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب: النهي بغير إذن صاحبه، (٨/ ٣٦٩)، رقم الحديث: ٢٢٩٥. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، (١/ ٧٦)، رقم الحديث: ٥٧. عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

^٢ انظر: ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ط ٢، ص ٢٤.

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٦، ١٤٩. "بتصرف".

ويقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في حكم الفاسق الملي: "من كان مؤمناً موحداً وهو مصر على المعاصي؛ فهو مؤمن بما معه من الإيمان؛ فاسق بما تركه من واجبات الإيمان. فلا يدخل في الاسم الذي يستحق أهله الوعد دون الوعيد بل يكون من أهل الوعيد .

ناقص الإيمان: مستحق للوعد بإيمانه وللوعيد بمعاصيه، ومع ذلك لا يخلد في النار. **فالإيمان المطلق التام:** يمنع من دخول النار. **والإيمان الناقص:** يمنع من الخلود فيها"^(١).

من خلال ما تقدم:

نعرف الإيمان المطلق بأنه: هو الذي يتناول الإيمان الممدوح الكامل في مثل قوله تعالى: ﴿

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ ٢ والإيمان الممدوح الكامل الذي يؤتى به في سياق الثناء على أهله . وهو الإيمان الذي يمنع صاحبه من التجري على الفواحش من الزنا وشرب الخمر والسرقه ونحوها. وهو الذي يمنع دخول النار. وهذا هو الإيمان الكامل^(٣). **وأما تعريف مطلق الإيمان:**

هو الذي يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص، فإنه قد ثبت في الكتاب الحكيم ،والسنة النبوية ، إطلاقه على العصاة من المؤمنين، وأجمع على ذلك سلف الأمة و أئمتها، قال تعالى: ﴿فَتَحَرَّ رِزْقَہٗ مُؤْمِنَةً ۖ﴾^٤، ومن المعلوم دخول أي مؤمن من الأرقاء في هذا النص ، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾^(٥)، فسماهم إخوة بعد وجود الاقتتال.

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ١١ . ولنفس المؤلف، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط ١، ص ١٥ .

^٢ سورة الأنفال: آية ٢-٣ .

(٣) انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة ، ط ٢، ص ٨٨ "بتصرف"

٤ سورة النساء: آية ٩٢ .

(٥) سورة الحجرات: آية ١٠ .

وهذا الإيمان الذي يقال لصاحبه: إنه من المؤمنين يدخل فيه هذا وهذا، وهو الذي لا يمنع صاحبه من التجري على الفواحش من الزنا وشرب الخمر والسرقه ونحوها. وهو الذي يمنع من الخلود في النار، وهذا هو الإيمان الناقص^(١).

المطلب الثاني: حكم مرتكب الكبائر وأمثلتها.

عند أهل السنة أن الكبائر لا تنقض الإيمان، ولا تنافيه فعليه فمرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، وقبل الشروع في إبراز ما يتعلق بحكم مرتكب الكبيرة نبين تعريف الكبيرة.

أولاً: الكبائر لغةً:

جمع الكبيرة وهي في اللغة: مأخوذة من كَبُرَ كَكْرَمٍ عَظُمَ وَجَسُمَ وكل ما عظم وجسم فقد كَبُرَ، وهي نقيض صَغُرَ فقول كَبُرَ كِبَرًا وكُبُرًا وكُبَارًا وكُبَارًا وكَبِيرًا والمؤنث منه كبيرة.

والكبيرة: هي كل فعلة منهي عنها شرعاً لقبحها وعظيم أمرها، وجمعها كبائر^(٢).

ثانياً: تعريف الكبائر شرعاً:

الكبائر ما يستصغره العباد^(٣). وهي: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة^(٤)، وأفضل و أجمع تعريف للكبيرة والذي ارتضاه أكثر العلماء من المتقدمين والمتأخرين، و رحمه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في تفسيره^(٥): "كل عمل أوجب الله تعالى فيه حداً في الدنيا أو عذاباً في الآخرة، أو لعن فاعله، أو

(١) انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٨٨ "بتصرف".

(٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "كَبُرَ"، ص ٦٠١، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "كَبُرَ"، (٣٨٠٧/٥)، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، د. ط، مادة: "كَبُرَ"، ص ٧٧٢.

(٣) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (١ / ٣٢٠-٣٢٣).

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (٤١/٥).

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، ص ١٤١.

غضب عليه أو تبرأ منه الله ورسوله، أو توعدّ عليه بعدم دخول الجنة، أو عدم الإيمان، أو وصفه بالفسق أو نحوه"^(١). فيدخل في ذلك جميع الأعمال التي وصفها الشارع بذلك.

ثالثاً: حكم مرتكب الكبيرة:

أما حكم مرتكب الكبيرة: فإن نصوص الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج من الدين بسبب ارتكابه للكبيرة، وإنما ينقص إيمانه فلا يذهب عنه الإيمان بالكلية بل يبقى معه مطلق الإيمان.

وارتكاب الكبيرة ليس سبباً للخلود في النار فلا يخلد أحد في النار بسبب ارتكاب الكبيرة؛ لأنه لا يوجب الخلود في النار إلا الإشراك بالله.

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، وأدلة الكتاب والسنة جميعها متضافرة على تقريره وتأصيله والرد على من خالفه.

أما الخوارج: فقد كفروا مرتكب الكبيرة وأخرجوه من الدين بالكلية وأوجبوا له الخلود في النار.

وأما المعتزلة: فقد وافقوا الخوارج في خلود مرتكب الكبيرة في النار، وأما في الدنيا فهو عندهم ليس مؤمناً ولا كافراً، وإنما في منزلة بين المنزلتين.

وأما المرجئة الخالصة^(٢): فقالوا: "إنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة".

فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان ولا يستحق دخول النار.

(١) انظر: الطبري، مرجع سابق، ط ١، (٤٢/٥). وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٦٥٠/١١)، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط، (١٨٤/١٢). ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، (٥٢٥/٢)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط ٢، (٣٦٥/١)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، (١٦١/٥)، محمد بن عبد الوهاب، الكبائر، ط ٣، ص ٨، ابن حجر الهيتمي، الزواج عن اقتراف الكبائر، ط ١، (١٣/١).

(٢) المرجئة: سموا بذلك نسبة إلى الإرجاء، وهو تأخير العمل عن الإيمان، والإرجاء على نوعين: أحدهما بمعنى التأخير، والثاني: إعطاء الرجاء. والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج ومرجئة القدريّة ومرجئة الجبريّة والمرجئة الخالصة، وهم الذين يقولون: لا يضر

وهذه الفرق كلها جانبت الصواب، وخالفت نصوص الكتاب الحكيم والسنة النبوية، والمذهب الحق في ذلك هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ لدلالة نصوص الكتاب الحكيم والسنة النبوية، عليه وهو وسط بين هذه المذاهب الضالة، فمن مات على كبيرة فأمره مفوض إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه، وإذا عاقبه بما فإنه لا يخلد خلود الكفار بل يخرج من النار ويدخل الجنة^(١).

وقد تناول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- هذا الحكم ورد على من خالفه، وذكر له أدلة كثيرة من الكتاب الحكيم والسنة النبوية، قال -رحمه الله تعالى-: "كبائر الذنوب وصغائرها لا تصل بصاحبها إلى الكفر ولكنها تنقص الإيمان من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام، ولا يخلد صاحبها في النار، ولا يطلقون عليه اسم الكفر كما تقوله الخوارج، أو ينفون عنه الإيمان كما تقول المعتزلة، بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فمعه مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق فينفي عنه"^(٢).

وقد استدل الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- على أن الكبائر لا يكفر صاحبها، ولا توجب الخلود في النار بأدلة كثيرة، منها:

الدليل الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْيَعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾^٣، يقول الشيخ

السعدي -رحمه الله تعالى-: "في قوله تَعَالَى: ﴿أَخِيهِ﴾^٤، دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد

مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ومن هؤلاء جهنم وأصحابه، أما مرجئة الفقهاء فهو: الذي اشتهر عند أهل الكوفة. * انظر في الترجمة: الشهرستاني، الملل والنحل، د. ط، (١٤٦/١-١٣٨).

(١) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط ٢، (٣٦٦/١) وما بعدها، الحكمي، معارج القبول، (٤١٧/٢) وما بعدها، انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٦٠، ٦١. ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية،

ط ١، ص ٥٧٥، وانظر: هراس، شرح العقيدة الواسطية، ط ١، ص ١٢١، ١٢٢.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ١٨.

^٣ -سورة البقرة: جزء من آية ١٧٨.

^٤ -سورة البقرة: جزء من آية ١٧٨.

بالأخوة هنا الأخوة الإيمانية فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى سائر المعاصي التي هي دون القتل، ولا يكفر بها فاعلها وإنما ينقص بذلك إيمانه^(١).

الدليل الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ طَافَيْنَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْسَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسيرها: "وفي هاتين الآيتين من الفوائد، غير ما تقدم: أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا، كان من أكبر الكبائر، وأن الإيمان، والأخوة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة، وعلى وجوب الإصلاح، بين المؤمنين بالعدل"^(٣).

وقد استدلل الخوارج والمعتزلة على مذهبهم الباطل بنصوص من القرآن، من تأملها وجد أنها حجة عليهم لا لهم. لذا يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في ذلك: "وكل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه"^(٤). ولذلك كان في تفسيره للقرآن إذا مر بآية استدلل بها الخوارج والمعتزلة على مذهبهم الباطل، بين أن في الآية المستدل بها حجة عليهم لا لهم.^(٥)

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٨٤/١).

^٢ - سورة الحجرات: آية ١٠.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٨٠٠/١).

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١٠٣/١).

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، ٧، ٤٩٥/١، ٣٦/٢، ٧، ١٢٩/٢٣، ٥، ٤٩٦/٥، ١، ٣٣٨/١، ١٠٣/١.

ومن أمثلة استدلال المبطلين وهي حجة عليهم: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ

يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ١٤﴾ 1

يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- عند تفسيرها مبيناً حكم الموحدين الذين اجتمعت لديهم الطاعات والمعاصي: "ويدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصي، فلا يكون فيها شبهة للخوارج القائلين بكفر أهل المعاصي فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على طاعته وطاعة رسوله، ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب، ومن عصى الله ورسوله معصية تامة يدخل فيها الشرك فما دونه، دخل النار وخلد فيها، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية، وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد، غير مخلدين في النار، فما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود فيها" (2).

ومن أمثلة ذلك أيضا استدلالهم بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى

فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٧٥﴾ 3

يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- عند تفسيرها: "اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال هذه الأمور التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه

^١ سورة النساء: آية ١٤.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/١٧٠).

^٣ سورة البقرة: آية ٢٧٥.

ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلولا ما مع الإنسان من التوحيد لصار عمله صالحاً للخلود فيها بقطع النظر عن كفره^(١).

ومن أمثلة ذلك أيضاً استدلالهم بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيرها: "وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه"^(٣).

وغيرها من الأمثلة التي تبين هدى الله لأهل السنة والجماعة للحق في ذلك لجمعهم بين النصوص وتوفيقهم بينها، لا كما يفعله المبطل من الأخذ بطرف من النصوص وتركهم طرفاً آخر لاشتماله على رد عليهم^(٤).

رابعاً: ذكر مجموعة من الكبائر وكلام الشيخ السعدي عنها:

يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أثر الكبائر في ذهاب الخوف من الله بقوله: "ومن أتى الكبائر مثل: الزنا والسرقه، أو شرب الخمر وغير ذلك، فلا بد أن يذهب ما في قلبه من تلك الخشية،

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (١/١١٦).

^٢ -سورة البقرة: آية ٨١.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/٥٧).

(٤) انظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص ٣١١-٣١٥.

والخشوع والنور، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، وهذا من الإيمان الذي ينزع عنه عند فعل الكبيرة"^(١).

وقد استدلل الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بالآيات القرآنية على أن المؤمنين سيخرجون من النار، ولا يخلدون فيها، ولو فعل من المعاصي ما فعل بأدلة كثيرة منها:

*القتل، الزنا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ﴾^(٢) ، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسير هذه الآية: " فالوعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها إما شرك وإما من أكبر الكبائر. وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناولوه الخلود؛ لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية، أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان والزنا فيه فساد الأعراض"^(٣).

*الفرار من الزحف

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْآدْبَارَ ۚ﴾^(٤) وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقُنَالٍ أَوْ مَتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ^(٥) ، يقول

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٠.

^٢ سورة الفرقان: الآيتان ٦٨-٦٩.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٥٨٧).

^٤ سورة الأنفال: الآيتان ١٥ - ١٦.

الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- عند تفسير هذه الآية: "وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وكما نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد"^(١).

*شرب الخمر، والميسر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿١١﴾^(٢)، يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- عند تفسير هذه الآية: "يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة،

ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصا هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر، وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمرهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما يُنصب ويُعبد من دون الله، والأزلام التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفسدها الداعية إلى تركها واجتنابها. فمنها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن نجسة حسا. والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضاعها. ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان.

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/ ٣١٧).

^٢ سورة المائدة: الآيتان ٩٠ - ٩١.

^٣ سورة المائدة: جزء من آية ٩٠.

^٤ سورة المائدة: الآيتان ٩٠ - ٩١.

ومن المعلوم أن العدو يحذر منه، وتحذر مصايدِه وأعماله، خصوصا الأعمال التي يعملها ليقوع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر منها، والخوف من الوقوع فيها...، ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، عرضا بقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾^(١) لأن العاقل -إذا نظر إلى بعض تلك المفاسد- انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ^(٢).

*أكل الربا

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣) يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بعد بيان معاني هذه الآية: "اختلف العلماء -رحمهم الله- في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال هذه الأمور التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلولا ما مع الإنسان من التوحيد لصار عمله صالحا للخلود فيها بقطع النظر عن كفره"^(٤).

من خلال ما تقدم تبين لنا أن موقف الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في حكم مرتكب الكبيرة، هو موقف أهل السنة والجماعة، على أن الكبائر لا يكفر صاحبها، وإنما ينقص إيمانه فلا

^١ سورة المائدة: الآيتان ٩٠ - ٩١.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٢٤٣).

^٣ سورة البقرة: آية ٢٧٥.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/ ١١٦).

يذهب عنه الإيمان بالكلية بل يبقى معه مطلق الإيمان. وارتكاب الكبيرة ليس سبباً للخلود في النار فلا يخلد أحد في النار بسبب ارتكاب الكبيرة؛ لأن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار.

المبحث الخامس: مسائل في باب الإيمان.

ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- جملة من مسائل الإيمان جمعتها من كتبه للفائدة منها وهي في المطالب التالية:

المطلب الأول: أسباب نور الإيمان وقوته.

من أسباب نور الإيمان وقوته، سماع القرآن وتدبره ومعرفة أحوال النبي ﷺ و معجزاته ، والنظر في آيات الله سبحانه ، والتفكر في ملكوت السماوات والأرض ، والتأمل في أحوال نفس الإنسان ، ومثل رؤية أهل الإيمان والنظر في أحوالهم والضرورات التي يحدثها الله للعبد يضطره بها إلى ذكر الله تعالى والاستسلام له و اللجوء إليه ، وقد يكون هذا سبباً لشيء من الإيمان ، وهذا سبباً لشيء آخر ، وسبب الإيمان وشعبه تارة من العبد وتارة من غيره ، مثل من يقيض له من يدعو إلى الإيمان ويأمره بالخير ، وينهاه عن الشر^(١).

المطلب الثاني: أوصاف المؤمنين أهل السعادة.

فاعلم أن المؤمن حقاً: هو الذي آمن بالله وبأسمائه وصفاته، الواردة في الكتاب والسنة على وجه الفهم لها، والاعتراف بها، وتنزيهه عما يُنافي ذلك فامتلاً قلبه إيماناً وعِلماً ويقيناً وطمأنينةً وتعلقاً بالله تعالى.

- فأناج إلى الله وحده، وتعبّد لله بالعبادات التي شرعها على لسان نبيه ﷺ مخلصاً لله بها راجياً لثوابه خائفاً من عقابه.

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٤٩.

- شاكراً لله بقلبه ولسانه وجوارحه على نعم الله وإحسانه العظيم الذي يتقلب به في جميع الساعات لاهجاً بذكره.
- لا يرى نعمةً أعظم من هذه النعمة، ولا كرامةً أعظم منها.
- يهزأ بلذات الدنيا المادية؛ إذا نُسبت إلى لذة الإنابة إلى الله، والإقبال عليه وحده.
- ومع هذا فقد أخذ نصيباً وافراً من لذات الحياة وتمتع بها لا على الوجه الذي يتمتع به الجاحدون أو الغافلون بل تتمتع بها على وجه الاستعانة بها على القيام بحقوق الله وحقوق عباده.
- وبذلك الاحتساب والرجاء تمت بها لذاته، واستراح قلبه واطمأنَّ ولن يحزن إذا جاءت الأمور على خلاف ما يحبُّ، فهذا قد جمع الله له بين سعادة الدنيا والآخرة.
- **ومن أوصاف المؤمنين:** التواضع للحقِّ وللخلق. والنصيحة لعباد الله على اختلاف مراتبهم، قولاً وفعلاً ونيةً.
- **المؤمن:** سليم القلب من الغشِّ، والغِلِّ، والحقد. يحبُّ للمسلمين ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه. ويسعى بحسب وسعه في مصالحهم، ويتحمل أذى الخلق، ولا يظلمهم بوجه من الوجوه.
- **المؤمن:** صدوق اللسان، حسنُ المعاملة. وصفة: الحلم، والوقار، والسكينة، والرحمة، والصبر، والوفاء، وسهولة الجانب، ولين العريكة.
- **المؤمن:** لا يذلُّ إلا لله قد صان قلبه ووجهه عن بذله وتذللٍ بغير ربه. وصفة: العفة، القوة، الشجاعة والسخاء، والمروءة، لا يختار إلا كل طيب.
- **المؤمن:** قد جمع بين السعي في فعل الأسباب النافعة والتوكل على الله والثقة به، وطلب العون منه في كل الأمور، والله تعالى في عونهِ.
- **المؤمن:** إذا أتته النعم تلقاها بالشكر، وصرفها فيما ينفعه ويعود عليه بالخير.
- **المؤمن:** إذا أصابته المصائب قابلها بالصبر والاحتساب، وارتقاب الأجر والثواب، والطمع في زوالها. فيكون ما عوّض من الخير والثواب أعظم مما فاتته من محبوب أو حصل له من مكروه.
- **المؤمن:** يدينُّ الله بالإيمان بجميع الرسل -عليهم السلام- وتعظيمهم وتقديم محبتهم على محبة الخلق كلهم.

- **المؤمن:** يدين الله بمحبة الصحابة وأئمة المسلمين وأئمة الهدى.
 - **المؤمن:** بكمال إخلاصه لله؛ يعمل لله، ويحسن إلى عباد الله.
 - **المؤمن:** منشرح الصدر، بالعلم النافع، والإيمان الصحيح، والإقبال على الله وللهج بذكره، والإحسان إلى الخلق، وسلامة الصدر من الأوصاف الذميمة.
- من خلال ما قدّم لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من أوصاف تميّز لنا أهل الإيمان من أهل الكفر والشقاء، وأن أوصاف أهل الكفر والإلحاد والشقاء عكس أهل الإيمان.

المطلب الثالث: موانع الإيمان:

قد ذكر الله تعالى لعدم الإيمان بالدين الإسلامي، موانع وأسباب عديدة واقعة من جمهور البشر عددها الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في كتابه (سؤال وجواب في أهم المهمات -تعليم أصول الإيمان) نذكر أبرزها وهي:

أولاً: الحسد والبغي: كحال اليهود الذين يعرفون النبي ﷺ، و صدقه وحقيقة ما جاء به كما يعرفون أبناءهم، ويكتمون الحق وهم يعلمون ، تقديماً للأغراض الدنيوية والمطالب السفلية على الإيمان. وقد منع هذا الداء كثيراً من رؤساء قريش كما هو معروف من أخبارهم وسيرهم.

ثانياً: الكبر: الذي هو أعظم الموانع من اتباع الحق. فالتكبر الذي هو رد الحق واحتقار الخلق، منع خلقاً كثيراً من اتباع الحق والانقياد له بعدما ظهرت آياته وبراهينه. قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَاءَ صِرْفُ عَنْ ءَاتِنَا الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^١.

ثالثاً: الإعراض عن الأدلة السمعية والأدلة العقلية الصحيحة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^٢، فلم يكن لأمثال هؤلاء الذين اعترفوا بعدم عقلهم وسمعهم النافع رغبة في علوم الرسل، والكتب المنزلة من الله، ولا عقول صحيحة يهتدون بها إلى الصواب؛ وإنما لهم آراء ونظريات خاطئة يظنونها عقليات، وهي

^١ سورة الأعراف : جزء من آية ١٤٦ .

^٢ سورة الملك : الآية ١٠ .

جهالاتٌ ولهم اقتداءٌ خلف زعماء الضلال منعهم من اتباع الحق حتى وردوا نار جهنم فبئس مثوى المتكبرين.

رابعاً: الفسق:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ لِكُمُت رِبِك عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣) ^١.
الفسق: وهو خروج العبد عن طاعة الله إلى طاعة الشيطان، وكون القلب على هذا الوصف الخبيث، أكبر مانع من قبول الحق علماً وعملاً. والله تعالى لا يزكي من هذه حاله؛ بل يكله إلى نفسه الظالمة فتجول في الباطل عناداً وضلالاً، وتكون حركاته كلها شراً وفساداً. فالفسق يقرنه الباطل، ويصدّه عن الحق؛ لأن القلب متى خرج عن الانقياد لله والخضوع فلا بد أن ينقاد لكل شيطانٍ مريدٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٤) ^٢.

خامساً: الانغماس في الترف والإسراف في النعيم:

فإنه يجعل العبد تابعاً لهواه، منقاداً للشهوات الضارة. كما ذكر ذلك هذا المانع في عدة آيات، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَفَيْهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤) ^٣، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ (٤٥) ^٤، فلما جاءهم الأديان الصحيحة بما يعدل ترفهم ويوقفهم على الحدّ النافع ويمنعهم من الانهماك الضار في اللذات؛ رأوا ذلك صادراً لهم عن مؤاداتهم. وصاحب الهوى الباطل ينصرُ هواه بكلِّ وسيلة. لما جاءهم الدين بوجوب عبادة الله وشكر المنعم على نعمه، وعدم الانهماك في الشهوات ولّوا على أدبارهم نفوراً ^(٥). وغيرها من الموانع العائقة أمام الإيمان الصحيح.

^١ سورة يونس: الآية ٣٣ .

^٢ سورة الحج: الآية ٤

^٣ سورة الأنبياء: الآية ٤٤

^٤ سورة الواقعة: الآية ٥٥

(٥) انظر: السعدي، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط ١، ص ٣٧-٤١.

من خلال ما عرضه الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-من مسائل يتبين لنا أن الإيمان يزيد بالطاعات والحسنات والقربات من رب البريات، وينقص بالمعاصي والسيئات، وأن أسباب الثواب، وأسباب العقاب مرتبط بحسب ما قام به من أصول الإيمان ولوازمه وفروعه ومسائله.

المبحث السادس: وسائل إيمانية لسعادة في الدنيا والآخرة.

إن راحة القلب، وطمأنينته وسروره وزوال همومه وغمومه، هو المطلب لكل أحد، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، ولذلك أسباب دينية، وأسباب طبيعية، وأسباب عملية، ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين، وأما من سواهم، فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسبب يجاهد عقلاؤهم عليه، فانتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالاً ومالاً.

لذا سأذكر برسالتي هذه وسائل إيمانية لهذا المطلب الأعلى، الذي يسعى له كل أحد، والتي ذكرها الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-في كتابه المسمى (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة)؛ لرفع مستوى الإيمان، وزيادته في قلب المؤمن، وإعانتة للحياة الطيبة السعيدة، ومن هذه الوسائل^(١):

الوسيلة الأولى: الإيمان والعمل الصالح.

فأعظم الأسباب للحياة الطيبة، وأصلها وأسها هو الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧). فأخبر تعالى ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بالحياة الطيبة في هذه الدار، وبالجزاء الحسن في هذه الدار وفي دار القرار.

(١) انظر: السعدي، الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، ط ١، ص ١-١٦. "بتصرف، اختصار".

(٢) سورة النحل: الآية ٩٧

وسبب ذلك واضح، فإن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، معهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهم والأحزان فهم:

* يتلقون المحاب والمسار بقبول لها، وشكر عليها، واستعمال لها فيما ينفع، فإذا استعملوها على هذا الوجه. أحدث لهم من الابتهاج بها، والطمع في بقائها وبركتها، ورجاء ثواب الشاكرين، أموراً عظيمة تفوق بخيراتها وبركاتهما هذه المسرات التي هذه ثمراتها.

* ويتلقون المكارة والمضار والهم والغم بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته، وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه، والصبر الجميل لما ليس لهم منه بد، وبذلك يحصل لهم من آثار المكارة من المقاومات النافعة، والتجارب والقوة، ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب أمور عظيمة تضمحل معها المكارة، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة، والطمع في فضل الله وثوابه، كما عبر النبي ﷺ عن هذا في الحديث الصحيح أنه قال: (عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له) (١).

فأخبر ﷺ أن المؤمن يتضاعف غنمه وخيره وثمرات أعماله في كل ما يطرقه من السرور والمكارة. لهذا تجد اثنين تطرقهما نائبة من نوائب الخير أو الشر فيتفاوتان تفاوتاً عظيماً في تلقيها، وذلك بحسب تفاوتهما في الإيمان والعمل الصالح. هذا الموصوف بهذين الوصفين يتلقى الخير والشر بما ذكرناه من الشكر والصبر وما يتبعهما، فيحدث له السرور والابتهاج، وزوال الهم والغم، والقلق، وضيق الصدر، وشقاء الحياة وتتم له الحياة الطيبة في هذه الدار. والآخر يتلقى المحاب بأشْر وبطُرٍ وطغيان. فتتحرف أخلاقه ويتلقاها كما تتلقاها البهائم بجشع وهلع، ومع ذلك فإنه غير مستريح القلب، بل مشتتة من جهات عديدة، مشتت من جهة خوفه من زوال محبوباته، ومن كثرة المعارضات الناشئة عنها غالباً، ومن جهة أن النفوس لا تقف عند حد بل لا تزال متشوقة لأمر آخر، قد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب: المؤمن أمره كله خير، (٤/٢٢٩٥)، رقم الحديث: ٢٩٩٩. عن صهيب -رضي الله عنه-.

تحصل وقد لا تحصل، وإن حصلت على الفرض والتقدير فهو أيضاً قلق من الجهات المذكورة ويتلقى المكاره بقلق وجزع وخوف وضجر، فلا تسأل عن ما يحدث له من شقاء الحياة، ومن الأمراض الفكرية والعصبية، ومن الخوف الذي قد يصل به إلى أسوأ الحالات وأفظع المزعجات، لأنه لا يرجو ثواباً. ولا صبر عنده يسليه ويهون عليه.

وكل هذا مشاهد بالتجربة، ومثل واحد من هذا النوع، إذا تدبرته ونزلته على أحوال الناس، رأيت الفرق العظيم بين المؤمن العامل بمقتضى إيمانه، وبين من لم يكن كذلك، وهو أن الدين يحث غاية الحث على القناعة برزق الله، وبما آتى العباد من فضله وكرمه المتنوع.

فالمؤمن إذا ابتلي بمرض أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كل أحد عرضة لها، فإنه - بإيمانه، وبما عنده من القناعة والرضى بما قسم الله له - يكون قدير العين، لا يتطلب بقلبه أمراً لم يقدر له، ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، وربما زادت بهجته وسروره وراحته على من هو متحصل على جميع المطالب الدنيوية، إذا لم يؤت القناعة.

كما تجد هذا الذي ليس عنده عمل بمقتضى الإيمان، إذا ابتلي بشيء من الفقر، أو فقد بعض المطالب الدنيوية، تجده في غاية التعاسة والشقاء.

ومثل آخر: إذا حدثت أسباب الخوف، وأملت بالإنسان المزعجات، تجد صحيح الإيمان ثابت القلب، مطمئن النفس، متمكناً من تدبيره وتسييره لهذا الأمر الذي دهمه بما في وسعه من فكر وقول وعمل، قد وطن نفسه لهذا المزعج الملم، وهذه أحوال تريح الإنسان وتثبت فؤاده.

كما تجد فاقد الإيمان بعكس هذه الحال إذا وقعت المخاوف انزعج لها ضميره، وتوترت أعصابه، وتشتت أفكاره وداخله الخوف والرعب، واجتمع عليه الخوف الخارجي، والقلق الباطني الذي لا يمكن التعبير عن كنهه، وهذا النوع من الناس إن لم يحصل لهم بعض الأسباب الطبيعية التي تحتاج إلى تمرين كثير انهارت قواهم وتوترت أعصابهم، وذلك لفقد الإيمان الذي يحمل على الصبر، خصوصاً في المحال الحرجة، والأحوال المحزنة المزعجة.

فالبر والفاجر، والمؤمن والكافر يشتركان في جلب الشجاعة الاكتسابية ، وفي الغريزة التي تلطف المخاوف وتهونها، ولكن يتميز المؤمن بقوة إيمانه وصبره وتوكله على الله واعتماده عليه، واحتسابه لثوابه .
 أموراً تزداد بها شجاعته، وتخفف عنه وطأة الخوف، وتهون عليه المصاعب، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٠٤) ، ويحصل لهم من معونة الله ومعينه الخاص ومدده ما يبعثر المخاوف. قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤٦) (٢)

الوسيلة الثانية: الإحسان إلى الخلق.

ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق: الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، وأنواع المعروف، وكلها خير وإحسان، وبها يدفع الله عن البر والفاجر الهموم والغموم بحسبها، ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب، ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابه، فيهن الله عليه بذل المعروف لما يرجوه من الخير، ويدفع عنه المكاره بإخلاصه واحتسابه، قال تعالى: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١٤) (٣) فأخبر تعالى أن هذه الأمور كلها خير ممن صدرت منه، والخير يجلب الخير، ويدفع الشر، وأن المؤمن المحتسب يؤتيه الله أجراً عظيماً ومن جملة الأجر العظيم: زوال الهم والغم و الأكدار ونحوها.

الوسيلة الثالثة: الانشغال بالعلم النافع.

(١) سورة النساء: الآية ١٠٤

(٢) سورة الأنفال: جزء من الآية ٤٦

(٣) سورة النساء: الآية ١١٤

ومن أسباب دفع القلق الناشئ عن توتر الأعصاب، واشتغال القلب ببعض المكدرات: الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة، فإنها تلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقته. وربما نسي بسبب ذلك الأسباب التي أوجبت له الهم والغم، ففرحت نفسه، وازداد نشاطه، وهذا السبب أيضاً مشترك بين المؤمن وغيره. ولكن المؤمن يمتاز بإيمانه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلمه أو يعمل الخير الذي يعمل به، إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان شغلاً دنيوياً أو عادةً أصحابها النية الصالحة. وقصد الاستعانة بذلك على طاعة الله، فلذلك أثره الفعال في دفع الهم والغموم والأحزان، فكم من إنسان ابتلي بالقلق وملازمة الأكدار، فحلت به الأمراض المتنوعة، فصار دواؤه الناجع (نسيانه السبب الذي كدره وأقلقته، واشتغاله بعمل من مهماته)، وينبغي أن يكون الشغل الذي يشتغل فيه مما تأنس به النفس و تشتاقه ، فإن هذا أدعى لحصول هذا المقصود النافع.

الوسيلة الرابعة: كُنْ ابن يومك (الاهتمام بعمل اليوم الحاضر).

ومما يدفع به الهم والقلق: اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وعن الحزن على الوقت الماضي، ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن، فلا ينفع الحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها وقد يضر الهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل، فعلى العبد أن يكون ابن يومه، يجمع جده واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإن جمع القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، ويتسلى به العبد عن الهم والحزن.

و النبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء فإنما يحث مع الاستعانة بالله والطمع في فضله على الجد والاجتهاد في التحقق لحصول ما يدعو بحصوله. والتخلي عما كان يدعو لدفعه لأن الدعاء مقارن للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده. ويستعينه على ذلك، ولهذا كان النبي ﷺ يُكثر من الاستعاذة من الهم والحزن عند قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك

من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال ^(١)، فجمع ﷺ بين الأمر بالحرص على الأمور النافعة في كل حال. والاستعانة بالله وعدم الانقياد للعجز الذي هو الكسل الضار وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة، ومشاهدة قضاء الله وقدره.

وجعل الأمور قسمين: قسماً يمكن العبد السعي في تحصيله أو تحصيل ما يمكن منه، أو دفعه أو تخفيفه فهذا بيدي فيه العبد مجهوده ويستعين بمعبوده. وقسماً لا يمكن فيه ذلك، فهذا يطمئن له العبد ويرضى ويسلم، ولا ريب أن مراعاة هذا الأصل سبب للسرور وزوال الهم والغم.

الوسيلة الخامسة: الإكثار من ذكر الله تعالى.

ومن أكبر الأسباب لانشرح الصدر وطمأنينته: الإكثار من ذكر الله، فإن لذلك تأثيراً عجباً في انشرح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ^(٢)، فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته، ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره.

الوسيلة السادسة: وأما بنعمة ربك فحدث.

ومن أسباب السعادة: التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة، فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الله به الهم والغم، ويحث العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها حتى ولو كان العبد في حالة فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا، فإنه إذا قابل بين نعم الله عليه -التي لا يحصى لها عد ولا حساب -وبين ما أصابه من مكروه، لم يكن للمكروه إلى النعم نسبة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب الخيس، (٥ / ٢٠٦٩)، رقم الحديث : ٥١٠٩، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨

بل المكروه والمصائب إذا ابتلى الله بها العبد، وأدى فيها وظيفة الصبر والرضى والتسليم، هانت وطأتها، وخفت مؤنتها، وكان تأميل العبد لأجرها وثوابها والتعبد لله بالقيام بوظيفة الصبر والرضى، يدع الأشياء المرة حلوة فتنسيه حلاوة أجرها مرارة صبرها.

ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في حديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- (انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ)^(١).

فإن العبد إذا نصب بين عينيه هذا الملحظ الجليل رآه يفوق جمعاً كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واعتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها.

وكلما طال تأمل العبد بنعم الله الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيراً ودفع عنه شروراً متعددة، ولا شك أن هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجب الفرح والسرور.

الوسيلة السابعة: السعي في تطبيق وسائل جلب السعادة.

ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم: السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكارِه التي لا يمكنه ردها، ومعرفة أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكير فيها وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله، مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكارِه التي يتخيلها في مستقبل حياته. فيعلم أن الأمور المستقبلية مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك، إذا فعل ذلك اطمأن قلبه وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، (٨ / ٢١٣)، رقم الحديث: ٧٦١٩.

الوسيلة الثامنة: لهج العبد بهذا الدعاء.

ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور: استعمال هذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به ، وهو حديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) ^(١)، وكذلك قوله ﷺ: (دَعَاؤُ الْمَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكُنْ لِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةٌ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) ^(٢). فإذا لهج العبد بهذا الدعاء الذي فيه صلاح مستقبله الديني والدنيوي بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده فيما يحقق ذلك، حقق الله له ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب همه فرحاً وسروراً.

الوسيلة التاسعة: توطين النفس على أسوأ الاحتمالات.

ومن أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم إذا حصل على العبد شيء من النكبات: أن يسعى في تخفيفها بأن يقدّر أسوأ الاحتمالات التي ينتهي إليها الأمر، ويوطن على ذلك نفسه، فإذا فعل ذلك فليسع إلى تخفيف ما يمكن تخفيفه بحسب الإمكان، فبهذا التوطين وبهذا السعي النافع، تزول همومه وغمومه، ويكون بذل ذلك السعي في جلب المنافع، وفي دفع المضار الميسورة للعبد.

فإذا حلت به أسباب الخوف، وأسباب الأسقام، وأسباب الفقر والعدم لما يحبه من المحبوبات المتنوعة، فليتلق ذلك بطمأنينة وتوطين للنفس عليها، بل على أشد ما يمكن منها، فإن توطين النفس على احتمال المكروه، يهونها ويزيل شدتها، وخصوصاً إذا أشغل نفسه بمدافعتها بحسب مقدوره،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: التَّعَوُّذُ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ. (٨) /

(٨١)، رقم الحديث: ٧٠٧٨ .

(٢) أخرجه أبي داود في سننه ، كتاب الأدب، باب: مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ، (٤ / ٤٨٤)، رقم الحديث: ٥٠٩٢. قال الألباني:

حسن الإسناد.

فيجتمع في حقه توطين النفس مع السعي النافع الذي يشغل عن الاهتمام بالمصائب، ويجاهد نفسه على تحديد قوة المقاومة للمكآره، مع اعتماده في ذلك على الله وحسن الثقة به ولا ريب أن لهذه الأمور فائدتها العظمى في حصول السرور وانسراح الصدور، مع ما يؤمله العبد من الثواب العاجل والآجل، وهذا مشاهد مجرب، ووقائعه ممن جربه كثيرة جداً.

الوسيلة العاشرة: شجاعة القلب وقوته.

ومن أعظم العلاجات لأمراض القلب العصبية، بل وأيضاً للأمراض البدنية: قوة القلب وعدم انزعاجه وانفعاله للأوهام والخيالات التي تجلبها الأفكار السيئة، والغضب والتشوش من الأسباب المؤلمة ومن توقع حدوث المكآره وزوال المحاب، أوقعه ذلك في الهموم والغموم والأمراض القلبية والبدنية، والانهيار العصبي الذي له آثاره السيئة التي قد شاهد الناس مضارها الكثيرة.

الوسيلة الحادية عشر: الثقة بالله، والتوكل عليه.

ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والانسراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، فكم ملئت المستشفيات من مرضى الأوهام والخيالات الفاسدة، وكم أثرت هذه الأمور على قلوب كثيرين من الأقوياء، فضلاً عن الضعفاء، وكم أدت إلى الحمق والجنون، والمعافى من عافاه الله ووفقه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة المقوية للقلب، الدافعة لقلقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(١)، أي كافيه جميع ما يهيمه من أمر دينه ودنياه.

فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا ترعجه الحوادث لعلمه أن ذلك من ضعف النفس، ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له، ويعلم مع ذلك أن الله قد تكفل لمن توكل عليه

(١) سورة الطلاق: جزء من الآية ٣

بالكفاية التامة، فيثق بالله ويطمئن لوعده، فيزول همه وقلقه، ويتبدل عسره يسراً، وترحه فرحاً^١، وخوفه أمناً، فنسأله تعالى العافية وأن يتفضل علينا بقوة القلب وثباته، وبالتوكل الكامل الذي تكفل الله لأهله بكل خير، ودفع كل مكروه وضير^٢.

الوسيلة الثانية عشر: التعامل الراقي مع الآخرين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: (لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)^(٣)، وهذا الحديث فيه فائدتان عظيمتان:

إحداهما: الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب والمعامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطن نفسك على أنه لا بد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكر ما فيه من المحاسن، والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة المحاسن، تدوم الصلبة والاتصال وتتم الراحة وتحصل لك.

الفائدة الثانية: وهي زوال الهم والقلق، وبقاء الصفاء، والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة: وحصول الراحة بين الطرفين، ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي ﷺ - بل عكس القضية فلحظ المساوئ، وعمي عن المحاسن -، فلا بد أن يقلق، ولا بد أن يتكدر ما بينه وبين من يتصل به من المحبة، ويتقطع كثير من الحقوق التي على كلٍ منهما المحافظة عليها.

وكثير من الناس ذوي الهمم العالية يوطنون أنفسهم عند وقوع الكوارث والمزعجات على الصبر والطمأنينة. لكن عند الأمور التافهة البسيطة يقلقون، ويتكدر الصفاء، والسبب في هذا أنهم وطنوا نفوسهم عند الأمور الكبار، وتركوها عند الأمور الصغار فضررتهم وأثرت في راحتهم، فالحازم يوطن

^١ الترح: الحزن.

^٢ الضير: الضرر.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، باب: الوصية بالنساء، (٤ / ١٧٨)، رقم الحديث: ٣٧٢١. يفرق: ييغض.

نفسه على الأمور القليلة والكبيرة ويسأل الله الإعانة عليها، وألا يكله إلى نفسه طرفة عين، فعند ذلك يسهل عليه الصغير، كما سهل عليه الكبير. ويبقى مطمئن النفس ساكن القلب مستريحاً.

الوسيلة الثالثة عشر: حياتك الدنيوية دقائق، فلا تضيعها بالهم.

العاقل يعلم أن حياته الصحيحة حياة السعادة والطمأنينة وأنها قصيرة جداً، فلا ينبغي له أن يقصرها بالهم والاسترسال مع الأكدار فإن ذلك ضد الحياة الصحيحة، فيشج بحياته أن يذهب كثير منها نهباً للهموم و الأكدار، ولا فرق في هذا بين البر والفاجر، ولكن المؤمن له من التحقق بهذا الوصف الحظ الأوفر، والنصيب النافع العاجل والآجل.

الوسيلة الرابعة عشر: مقارنة النعم بالمكروه.

وينبغي أيضاً إذا أصابه مكروه أو خاف منه أن يقارن بين بقية النعم الحاصلة له دينية أو دنيوية، وبين ما أصابه من مكروه، فعند المقارنة يتضح كثرة ما هو فيه من النعم، واضمحلال ما أصابه من المكروه، وكذلك يقارن بين ما يخافه من حدوث ضرر عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السلامة منها فلا يدع الاحتمال الضعيف يغلب الاحتمالات الكثيرة القوية، وبذلك يزول همه وخوفه، ويقدر أعظم ما يكون من الاحتمالات التي يمكن أن تصيبه، فيوطن نفسه لحدوثها إن حدثت، ويسعى في دفع ما لم يقع منها وفي رفع ما وقع أو تخفيفه.

الوسيلة الخامسة عشر: لا تجعل الناس همك.

ومن الأمور النافعة أن تعرف أن أذية الناس لك وخصوصاً في الأقوال السيئة، لا تضرك بل تضرهم، إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضررتهم، فإن أنت لم تضع لها بالاً لم تضرك شيئاً.

الوسيلة السادسة عشر: حياتك من صنع أفكارك.

اعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكاراً فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا فحياتك طيبة سعيدة. وإلا فالأمر بالعكس.

الوسيلة السابعة عشر: لا تنتظر شكراً من أحد، غير من الأحد ﷻ.

ومن أنفع الأمور لطرد الهم أن توطن نفسك على ألا تطلب الشكر إلا من الله، فإذا أحسنت إلى من له حق عليك أو من ليس له حق، فاعلم أن هذا معاملة منك مع الله. فلا تبال بشكر من أنعمت عليه، كما قال تعالى: ﴿فِي حَقِّ خَوَاصِّ خَلْقِهِ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (١).

ويتأكد هذا في معاملة الأهل والأولاد ومن قوة اتصالك بهم فمتى وطنت نفسك على إلقاء الشر عنهم، فقد أرحت واسترحت، ومن دواعي الراحة أخذ الفضائل والعمل عليها بحسب الداعي النفسي دون التكلف الذي يقلقك، وتعود على أدراجك خائباً من حصول الفضيلة، حيث سلكت الطريق الملتوي، وهذا من الحكمة، وأن تتخذ من الأمور الكدرة أموراً صافية حلوة وبذلك يزيد صفاء اللذات، وتزول الأكدار.

الوسيلة الثامنة عشر: ركز على أهدافك.

اجعل الأمور النافعة نصب عينيك واعمل على تحقيقها، ولا تلتفت إلى الأمور الضارة لتلهو بذلك عن الأسباب الجالبة للهم والحزن واستعن بالراحة وإجماع النفس على الأعمال المهمة.

الوسيلة التاسعة عشر: لا تؤجل عمل اليوم للغد.

ومن الأمور النافعة حسم الأعمال في الحال، والتفرغ في المستقبل، لأن الأعمال إذا لم تحسم اجتمع عليك بقية الأعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة، فتشتد وطأتها، فإذا حسمت كل شيء بوقته أتيت الأمور المستقبلية بقوة تفكير وقوة عمل.

(١) سورة الإنسان: الآية ٩

الوسيلة العشرون: الأهم فالأهم مع دراسته دراسة دقيقة.

وينبغي أن تتخير من الأعمال النافعة الأهم فالأهم، وميز بين ما تميل نفسك إليه وتشتد رغبتك فيه، فإن ضده يحدث السامة والملل والكدر، واستعن على ذلك بالفكر الصحيح والمشاورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريد فعله درساً دقيقاً، فإذا تحققت المصلحة وعزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين.

وعلى كلاً فالناس أنواع في حياتهم: فمنهم من أصاب كثيراً منها فعاش عيشة هنيئة، وحيي حياة طيبة، ومنهم من أخفق فيها كلها فعاش عيشة الشقاء، وحيي حياة التعساء. ومنهم من هو بين بين، بحسب ما وفق له. والله الموفق المستعان به على كل خير، وعلى دفع كل شر.

المبحث السابع: ثمار إيمانية من شجرة الإيمان.

كم للإيمان الصحيح من الفوائد والثمرات العاجلة والآجلة، في القلب والبدن. والراحة، والحياة الطيبة، في الدنيا والآخرة، فلهذه الشجرة الإيمانية من الثمار اليانعة، والجني اللذيذ، والأكل الدائم والخير المستمر منها:

أولاً: أنه سبب رضا الله الذي هو أكبر شيء، فما نال أحد رضا الله في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان وثمراته، بل صرح الله به في كتابه في مواضع كثيرة، وإذا رضي الله عن العبد قبل اليسير من عمله ونمائه، وغفر الكثير من زكّله ومحاه.

ثانياً: كل ثواب عاجل وآجل فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم والعمل الصالح والسرور والأفراح، وثواب الآخرة ودخول الجنة والتنعم بنعيمها، والنجاة من النار وعقابها، إنما يكون بالإيمان، فأهل الإيمان هم أهل الثواب المطلق، وهم الناجون من جميع الشرور، كما أن الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه.

ثالثاً: أن الله يدفع ويدافع عن الذين آمنوا شرور الدنيا والآخرة، فيدفع عنهم كيد شياطين الإنس والجن.

رابعاً: أن الله وعد المؤمنين القائمين بالإيمان حقيقة بالنصر، وأحقه على نفسه، فمن قام بالإيمان ولوازمه وتماماته فله النصر في الدنيا والآخرة، وإنما ينتصر أعداء المؤمنين عليهم إذا ضيعوا الإيمان، وضيعوا حقوقه وواجباته المتنوعة.

خامساً: أن الهداية من الله للعلم والعمل ولمعرفة الحق وسلوكه هي بحسب الإيمان والقيام بحقوقه. سادساً: أن الإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبراً عند الخلق أميناً، ويوجب للعبد العفة عن دماء الناس وأموالهم وأعراضهم.

سابعاً: أن قوي الإيمان يجد في قلبه من ذوق حلاوته ولذة طعمه واستحلاء آثاره ، والتلذذ بخدمة ربه ، وأداء حقوقه وحقوق عباده - التي هي موجب الإيمان وأثره - ما يزي بلذات الدنيا كلها بأسرها ، فإنه مسرور وقت قيامه بواجبات الإيمان ومستحباته ، ومسرور بما يرجوه ويؤمله من ربه من ثوابه وجزائه العاجل والآجل ، ومسرور بأنه ربح وقته الذي هو زهرة عمره وأصل مكسبه ، ومحشو قلبه أيضاً من لذة معرفته بربه ومعرفته بكماله وكمال بره ، وسعة جوده وإحسانه ولذة محبته والإنابة إليه الناشئة عن معرفته بأوصافه ، وعن مشاهدة إحسانه ومننه .

ثامناً: أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الدين ، وهو : الجهاد البدني والمالي و القولي ، جهاد الكفار بالسيف والسنان ، وجهاد الكفار والمنافقين والمنحرفين في أصول الدين وفروعه بالحكمة والحجة والبرهان ، فكلما قوي إيمان العبد علماً ومعرفة وإرادة وعزيمة قوي جهاده ، وقام بكل ما يقدر عليه بحسب حاله ومرتبته ، فنال الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة ، وإذا ضعف الإيمان ترك العبد مقدوره من الجهاد القولي بالعلم والحجة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وضعف جهاده البدني لعدم الحامل له على ذلك^(١).

من خلال ما قطف لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-من ثمرات إيمانية طيبة تبين لنا أن خيري الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان ومرتب عليه، والهلاك والنقص إنما يكون بفقد الإيمان ونقصه.

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٢١٥/١) "بتصرف". ولنفس المؤلف : تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (٩٣/١)، ولنفس المؤلف أيضاً: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص(١٢١-١٣٨). حيث ذكر فيه الشيخ السعدي جملة من الفوائد مع الأدلة يرجع إليها للفائدة.

هذه الأصول العقديّة المتعلّقة بمسائل الإيمان بشكل إجماليّ، وما يليه من الفصول الأصول العقديّة المتعلّقة بأركان الإيمان الستة بشكل تفصيلي، وأول ركن يلي هذا الفصل نتحدث عنه الأصول العقديّة المتعلّقة بالإيمان بالله: المتضمن للأصول العقديّة المتعلّقة في توحيد الربوبية. والله وليّ الاحسان.

الفصل الثاني: الأصول العقديّة المتعلّقة في توحيد الربوبية.

إن توحيد الربوبية من المباحث العقديّة الهامة؛ كونه متعلّق بأصل الأصول الإيمانية، وهو الإيمان بالله -جَلَّالَ- ومما يتضمّنه الإيمان بالله الإيمان بربوبيته -جَلَّالَ-، وتفردّه بالخلق، والمملك، والرزق، والتدبير.

ومما يدل على أهميته ما يثمره من الثمرات الجليلة؛ فالعلم به، والإيمان بمقتضاه يثمر إجلال الرب، ومحبته، والأنس به، وتعظيمه، ورجاءه، والخوف منه إلى غير ذلك من الأعمال القلبية.

وقد وافق الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أهل السنة والجماعة في المباحث العقدية لتوحيد الربوبية، وسار على منهجهم من خلال تفسيره للآيات القرآنية، وما طرحه وبَيَّنَّه في كتبه عنه، ولعل فيما يلي من صفحات إيضاحاً لطرحه -رحمه الله -، وذلك من خلال المباحث التالية:

-المبحث الأول: حقيقة توحيد الربوبية.

-المبحث الثاني: دلالات توحيد الربوبية.

-المبحث الثالث: خصائص توحيد الربوبية وآثاره.

المبحث الأول: حقيقة توحيد الربوبية

إِنَّ الْإِيْقَانِ بِأَنَّ اللَّهَ -عَلَّاهُ- هو المدبر لأمر المخلوقات الكونية العلوية والسفلية، وَأَنَّ كلماته الكونية - سبحانه- وسعت كل شيء رحمة وعلماً، وَأَنَّهُ ما تسقط من ورقة، وأنه ما من شجرة، ولا هبوب ريح،

ولا تحرك في جنين، ولا دم في العروق، ولا في حركة حيوان صَعُرَ أم كَبُرَ، فَأَنَّ ذلك كُلَّهُ بتدبير الله - **جَلَّالَهُ** -، وبديع صنعه سبحانه، فيُنظر إلى توحيد الربوبية ويُعَلِّمُ أَنَّهُ لا فِعْلَ للعبد ولا حول في أي شيء، ولا قوة إلا بالكريم - **جَلَّالَهُ** -.

ولبيان المقصود من توحيد الربوبية، ورأى الشيخ السَّعْدِي - رحمه الله تعالى - في هذا النوع من التوحيد نقف مع المطالب التالية:

المطلب الأول: معنى (الرَّبُّ) لغةً:

(الرَّبُّ) لغةً: مصدر رَبُّ يَرْبُ رَبًّا فهو رَبٌّ^(١)، وهو المصلح للشيء، يقال: رب فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها^(٢)، والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه^(٣).

و(الرَّبُّ) في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التمام، يقال: ربّه ورباه، وربّيه، وقيل: لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن^(٤).

و(الرَّبُّ): هو الله **جَلَّالَهُ** فهو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك، ولا يقال: الرب في غير الله إلا بالإضافة، مثل أن يقال: رب الدابة ورب الدار وفلان رب البيت، (فالرَّبُّ) هو: المالك والخالق والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم والصاحب^(٥).

المطلب الثاني: معنى (الرَّبُّ) في حق الله **جَلَّالَهُ**:

(١) المقرئزي، تجريد التوحيد، ط ١، (١ / ١).

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د. ط، مادة: "رب"، (٢ / ٣١٣).

(٣) ابن فارس، مرجع سابق، (٢ / ٣١٤).

(٤) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د. ط، ص (١٨٤).

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "رب"، (١ / ٣٩٩).

اسمٌ عظيم من أسماء الله الحسنى، تكرر وروده في القرآن الكريم في مقامات عديدة وسياقات متنوعة تزيد على خمسمائة مرة^(١)، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ

أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣).

وقد بينَّ الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- معنى اسم (الرَّبُّ) لله سبحانه بقوله: " (الرَّبُّ) هو المربي جميع عبادته بالتدبير وأصناف النعم، وأَحْصَى من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم، وأخلاقهم، ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة".^(٤) وأبرز الإمام ابن جرير الطبري^(٥) -رحمه الله تعالى- (ت ٣١٠ هـ) معنى اسم (الرَّبُّ) لله عز شأنه بقوله: "فربُّنا جلَّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْهَ له، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر".^(٦)، ولا يطلق إلا لله -عَزَّ وَجَلَّ-، "وقد قيل: إنه الاسم الأعظم"^(٧).

بل إنَّ هذا الاسم إذا أُفرد تناول في دلالاته سائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وفي هذا يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "إن (الرَّبُّ): هو القادر الخالق البارئ المصور؛ الحي القيوم؛ العليم السميع البصير؛ المحسن المنعم الجواد؛ المعطي المانع؛ الضار النافع؛ المقدم المؤخر؛ الذي

(١) انظر: عبد الرزاق البدر، فقه الأسماء الحسنى، ط ١، ص ٧٩.

(٢) سورة الفاتحة: آية ٢.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٦٤.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٦)، وأيضاً: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، ط ١، (٨٤/١).

(٥) الطبري: هو مُجَدِّد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ولد سنة ٢٢٤ هـ، وهو الإمام، المفسر، المحدث، المؤرخ، الفقيه، الأصولي، الأصولي، المجتهد، عالم بالقراءات، بصير بالمعاني، فقيه في أحكام القرآن، عالم بالسنن، توفي سنة ٣١٠ هـ.

* انظر في ترجمته الزركلي، الأعلام، ط ١٥، (٦٩/٦)، وأيضاً السبكي، طبقات الشافعية، د. ط، (١٢٠/٣)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط ٩، (٢٦٧/١٤).

(٦) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (١٤٢ / ١).

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٣١/١).

يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء؛ ويُسعد من يشاء، ويُشقي ويُعزُّ من يشاء ويُذلُّ من يشاء؛ إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى^(١).

* (الرَّبُّ) هو المالك كما قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾^(٢).

* (الرَّبُّ) هو الخالق البارئ المصور كما قال عن نفسه سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٣)، "فلا خالق سواه، وهو الذي برأ الخلق فأوجدهم بقدرته المصور خلقه كيف شاء وكيف يشاء"^(٤).

* (الرَّبُّ) هو المبدئ والمعيد كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(٥)، "والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى، هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه و يوجده، بعد أن لم يكن شيئاً، ثم يفنيه بعد ذلك، ثم يعيده، كما بدأه بعد فناءه، وهو أهون عليه"^(٦).

* (الرَّبُّ) هو المحيي والمميت، الذي أحيا بأن خلق فيهم الحياة، والذي خلق الموت كما خلق الحياة. كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٧).

* (الرَّبُّ) هو النافع الضار، قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٨).

* (الرَّبُّ) هو المعطي المانع كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٩).

(١) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ٢، (٢/٢١٢).

(٢) سورة الحشر: جزء من الآية ٢٣.

(٣) سورة الحشر: جزء من الآية ٢٤.

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (٢٣/٣٠٥).

(٥) سورة الروم: جزء من آية ٢٧.

(٦) الطبري، مرجع سابق، (٢٠ / ٩١، ٩٢).

(٧) سورة الملك: آية ٢.

(٨) سورة الفتح: جزء من آية ١١.

(٩) سورة فاطر: آية ٢.

*و(الرَّبُّ) هو المدبر لأمر هذا الكون كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ﴾ (١) .

*و(الرَّبُّ) هو الخالق الرازق القوي القدير كما قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٣)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤) .

وذلك أَنَّ من يُعْنَى النظر في هذا الاسم ويتأمل في دلالاته يشهد بأنَّ الرَّبَّ هو: "المربي الخالق الرازق الناصر الهادي الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم من خَلْقٍ ورزقٍ وعافية وإصلاح دين ودنيا" (٥)، فهو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها (٦)، وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة (٧) من غيره.

فتبين مما سبق إنَّ كل أثر من آثار الإيمان بالأسماء الحسنى هو في الحقيقة راجع إلى ما يتضمنه اسم (الرَّبُّ) سبحانه، وأنَّ معنى (الرَّبُّ) أي: ذو الربوبية على خلقه أجمعين خلقاً وملكاً وتصرفاً وتديراً، وهو من الأسماء الدالة على جملة معانٍ لا على معنى واحد، وهذا ما وافق فيه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- علماء أهل السنة والجماعة كالإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- والإمام الطبري -رحمه الله تعالى- .

المطلب الثالث: تعريف توحيد الربوبية اصطلاحاً:

(١) سورة يونس: جزء من آية ٣ .

(٢) سورة فاطر: جزء من آية ٣ .

(٣) سورة الذاريات: آية ٥٨ .

(٤) سورة البقرة: جزء من آية ٢٠ .

(٥) انظر: المقرئ، تجريد التوحيد، ط ١، (١ / ١) . "بتصرف" .

(٦) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١ / ٢٢) .

(٧) انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (١٤ / ١٣) .

تعريف توحيد الربوبية ينبنى على معنى الرب ، والرب - كما مر سابقاً- هو السيد والمصلح والمالك والمربي، ويعرّف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى - (ت ٧٢٨هـ)، توحيد الربوبية بأنه: "الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه"^١.

ويبين الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى - (ت ٧٥١هـ)، معنى الربوبية فيقول: "وربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه، وتدييره له، ونفاذ أمره كلّ وقت فيه، وكونه معه كلّ ساعة في شأن، يخلق ويرزق؛ ويُميت ويُحيي؛ ويخفض ويرفع؛ ويُعطي ويمنع؛ ويُعزّز ويُذلّ، ويُصرف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك إنكاراً لربوبيته وإلهيته وملكوته"^(٢).

ويقول الإمام ابن أبي العز الحنفي^(٣) -رحمه الله تعالى- (ت ٧٩٢هـ): "وأما الثاني وهو توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال"^(٤).

وقد عُرف توحيد الربوبية بمزيد تفصيل من المتأخرين ومنهم:

- الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حيث يقول في تعريفه: "بأن يعتقد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربي جميع الخلق بالنعم وربى خواص خلقه- وهم الأنبياء وأتباعهم- بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين"^٥.

^١ انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٥٠/١١)، (٣٣١/١٠).

(٢) انظر: ابن القيم، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ط ٣، (١٢٢٣/٤).

^٣ ابن أبي العز الحنفي: هو العلامة صدر الدين مُحمَّد بن علاء الدين عليّ بن مُحمَّد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي ولد سنة ٧٣١. اشتغل بالعلوم، وكان ماهراً في دروسه وفتاويه، وخطب بحسبان قاعدة البلقاء مدة، ثم ولي قضاء دمشق في المحرم سنة ٧٧٩، له كتب، منها: «شرح العقيدة الطحاوية»، «التنبيه على مشكلات الهداية» فقه، و «النور اللامع فيما يعمل به في الجامع» أي جامع بني أمية، وكانت وفاته بدمشق سنة ٧٩٢ عليه رحمة الله. الترجمة: مقدمة ط المكتب الإسلامي لشرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ص (١٦).

(٤) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص (٢٥).

^٥ انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (١٣).

ويعرفه -رحمه الله تعالى- أيضاً في موضع آخر فيقول: " وهو الاعتراف بانفراد الرب بالخلق والرزق والتدبير والتربية"^١.

● ويعرفه الشيخ الحكمي^٢ -رحمه الله تعالى- بتعريف جامع هو: " الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء و مملكه ، وخالقه، ومدبره، والمتصرف فيه، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له (ولا مماثل له)، (ولا سمي له)، ولا منازع في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته"^(٣).
ومن خلال هذه التعاريف لتوحيد الربوبية نجد أنها تدور حول أمرين للربوبية:
الأمر الأول: الإقرار بوجود الله تعالى.

الأمر الثاني: الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء، ومالكه، ورازقه، وأنه الحيي، المميت، النافع، الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، الذي له الأمر كله، وييده الخير كله، القادر على ما يشاء، المقدر لجميع الأمور، المتصرف فيها، المدبر لها، ليس له في ذلك كله شريك.^(٤)
ومن خلال ما عُرض لأقوال العلماء لتعريف توحيد الربوبية نجد أنها تتفق مع ما طرحه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في تعريفه بأنه إفراد الله -سبحانه وتعالى -في أمور ثلاثة؛ في الخلق، والملك، والتدبير.

المطلب الرابع: نوعي ربوبية الله لعباده:

^١ انظر: السعدي، المرجع السابق، ص (٦١).

^٢ الحكمي: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: فقيه أديب، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن. ولد في قرية (السلام) التابعة لمدينة المضاي، جنوبي جيزان سنة (١٣٤٢هـ)، من كتبه، (الجوهرة الفريدة في العقيدة) و (سلم الوصول إلى علم الاصول) ، و (معارج القبول) شرح لها، و (أعلام السنة المنشورة)، توفي بمكة سنة (١٣٧٧ هـ)، * انظر في ترجمته الزركلي، الأعلام، ط ١٥٥، (٢) / (١٥٩).

(٣) انظر: الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ط ٢، ص (٣٠).

(٤) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص (١٥). وانظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (١٦/٤٣)، (٣/٤٦٨)، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، د. ط، (١ / ١٧)، محمد بن عبد الوهاب، القول السديد شرح كتاب التوحيد، ط ٢، ص (١٤)، الحكمي، معارج القبول ، ط ١، (٩٩/١).

تقدم أن ذكرنا حقيقة الربوبية، وأنَّ (الرَّبُّ) هو الخالق المربي، الذي يربي عبده فيعطيه خلقه، ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها، والهداية هي الدلالة، وقد تكون عامة لكل الخلق، وقد تكون خاصة.

أما العامة: فالرب سبحانه هو الخالق، وهو الذي هدى الخلق لما يصلحهم في حياتهم الدنيا، من المطعم والمشرب والمنكح والمسكن، وذلك كما قال الله تعالى حكاية عن موسى -عليه السلام- لما سأله فرعون المتظاهر بجمود الربوبية عن ربه ورب هارون -عليه السلام-، فقال: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ۖ﴾^(١)، وعلى المعنى نفسه جاء قول الله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ۚ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)﴾^(٢)، والمراد: قدر خلقه فهدى، و الهداية هنا عامة، كما ذكر ذلك الإمام ابن جرير الطبري-رحمه الله تعالى- في تفسيره^(٣)، فدخل في ذلك هداية الله عزَّ وجلَّ المكلفين لسبيل الخير والشر.

فهذه هي الربوبية العامة المتعلقة بعموم الخلق، فكل من في السموات والأرض عبيد لله تعالى بهذا الاعتبار، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِيَّايَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ﴾^(٤)، فكلهم يأوي إلى الرب سبحانه ويلتجئ إلى ربوبيته عبدًا منقادًا لا يخرج عن قدر الله أبدًا، والآية على عمومها سواء أكان ذلك في الدنيا أو في الآخرة، ولا وجه لتخصيص إتيانهم ربهم بيوم القيامة لعدم وجود المخصص.

ويؤيد عدم التخصيص قول الله تعالى بعدها: ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۚ﴾^(٥) وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۚ﴾^(٥)، ولأن الله تعالى ذكر ذلك في سياق الرد على من ادعى لله ولدًا، -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-، فبيَّن أنَّ الجميع عبيده، فلا وجه لتخصيصه ذلك بيوم القيامة، ودخل في هذه الآية

(١) سورة طه: آية ٥٠.

(٢) سورة الأعلى: الآيات من ١-٣.

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (١٥/١٥٢، ٣٠).

(٤) سورة مريم: الآية ٩٣.

(٥) سورة مريم: الآيتان ٩٤، ٩٥.

المؤمن والكافر، فكلهم عبيد مربوبون مقهورون تحت عزته وقدرته وقهره، وقد هداهم جميعاً الهداية العامة.

وقد وردت بعض الآيات متناولة العبودية العامة والخاصة، كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦)، فالمراد بالعباد هنا الذين دخلوا في عبوديته طوعاً أو كرهاً، فشمّل ذلك مؤمنهم وكافرهم.

و الهداية الأخرى هي هداية التوفيق التي اختص الله بها بعض المكلفين، فوفقهم للإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (١٧)، فهؤلاء هم أهل العبودية الخاصة الذين رباهم الله بالإيمان ووفقهم إليه، ويتبع هذه الهداية الخاصة - أعني هداية التوفيق - الهداية في الآخرة إلى الجنة، كما قال الله تعالى عن المؤمنين عند دخولهم الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣). (٣)

فالله عزّ وجلّ هو المتفرد بالخلق والرزق والهداية الخاصة والعامة، ومما تفرد به سبحانه تربيته أصفياه من الرسل والأنبياء والصالحين التربية الخاصة بالوحي، فوفقهم للعمل الصالح على أنه هو الذي خلقهم وهداهم إلى ما فيه صلاحهم مدة بقائهم في الدنيا، والله عزّ وجلّ قد هدى الإنسان إلى السبيل، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢)، فهذا من أنواع الهداية، وهي دلالة الخلق إلى الهدى والدين الحق، وهذا يستلزم إرسال الرسل التي تجيء بالحق من عند الله تعالى. (٥)

(١) سورة الزمر: آية ٤٦ .

(٢) سورة محمد: آية ١٧ .

(٣) سورة الأعراف: آية ٤٣ .

(٤) سورة الإنسان: آية ٣ .

(٥) انظر: ابن عثيمين، تفسير آيات الأحكام "سورة البقرة"، ط ١، (٩٥/١)، خالد بن عبد اللطيف، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة، د. ط ، (٢٤٢/١) "بتصرف".

وقد قسّم الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- تربيته سبحانه خلقه إلى قسمين: عامة وخاصة فقال: "الرَبوبية العامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والرَبوبية الخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر"^(١). فعلم مما تقدم أن الربوبية الخاصة تتعلق ببعض المكلفين، فيربيهم الله عزّ وجلّ بوحيه، ويوفقهم للعمل الصالح، ويهديهم إلى الجنة.

أما الربوبية العامة فهي متعلقة بكل الخلق مؤمنهم وكافرهم، فهو الذي خلقهم، وهو مالکهم، وهم تحت قهره، وهو الذي هداهم لما فيه صلاحهم في المعاش (٢)، فحيث أُطلقت ربوبيته تعالى فإن المراد بها الربوبية العامة، وحيث قُيدت بما يحبه و يرضاه، أو وقع السؤال بها من الأنبياء وأتباعهم، فإن المراد بها الربوبية الخاصة، وهي متضمنة للربوبية العامة وزيادة؛ ولهذا نجد أسئلة الأنبياء -عليهم السلام- وأتباعهم في القرآن بلفظ الربوبية غالباً فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة، فملاحظة هذا المعنى نافعة أعظم النفع للعبد.

من خلال ما سبق تبين أن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- قد وافق منهج أهل السنة والجماعة في تقسيمه لنوعي الربوبية إلى ربوبية عامة، وربوبية خاصة.

المبحث الثاني: دلائل توحيد الربوبية.

دلّ على تفرد الله -سبحانه تعالى- بربوبيته الشرع، الفطرة، العقل، وقد أشار الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- لذلك في تفسيره، ولبيان ذلك نقف مع المطالب التالية:

المطلب الأول: دلالة الشرع.

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٣٩).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، ص ١٢٥-١٢٨.

الكتب السماوية ناطقة بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به^(١).

وقد تعددت الأدلة القرآنية في إثبات الربوبية لله تعالى، فكل نص ورد فيه اسم (الرَّبُّ) أو ذكر فيه خاصية من خصائص الربوبية، كالخلق، والرزق، والملك، والتقدير، والتدبير، وغيرها فهو من أدلة الربوبية، كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في تقريره لتوحيد الربوبية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣): " (الرَّبُّ) ، هو المربي جميع العالمين - وهم من سوى الله جلَّ جلاله - بخلقه إياهم، وإعدادهم لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة، فمنه تعالى"^(٤). ثم يقول بعد ذلك: "فَدَلَّ قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) على: انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار"^(٦).

وذكر - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "والله سبحانه هو رب العالمين، وكل ما سواه فهو مربوب مفطور فقير محتاج معبد مقهور، وهو الواحد القهار الخالق البارئ المصور...، وهو سبحانه وحده الغني عما سواه ليس له شريك يعاونه، ولا ضد يناوئه ويعارضه"^(٧).

^١ انظر: ابن عثيمين، شرح أصول الإيمان، ط ١، ص ١٧.

(٢) سورة الفاتحة: آية ٢.

(٣) سورة الفاتحة: جزء من آية ٢.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٩).

(٥) سورة الفاتحة: جزء من آية ٢.

(٦) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٣٩).

^٧ انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية - المجلد الثاني)، ط ١، ص ٢٣.

ومن الأدلة أيضاً قوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(١)، وكقوله جل وعلا: ﴿قُلْ مَنْ يَدْعُو
مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)، والملكوت: الملك^(٣).

وقد أمر الله العباد بالنظر والتفكير في آيات الله الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية،
ليستدلوا بها على ربوبيته سبحانه وتعالى^(٤).

المطلب الثاني: دلالة الفطرة.

إن الإيمان والإقرار بربوبية الله تعالى، وأنه هو وحده الرب الخالق الرازق وأنه يجب علينا أن نعبد
وحده، وأن نتوجه ونتقرب إليه وحده، هذا أمر فطر الله عليه كل نسمة خلقها منذ أن خلق الإنسان
الأول أبانا آدم عليه السلام إلى آخر مخلوق يُخلق في هذه الأرض، كما قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فَطَرَ اللَّهُ إِلَيْنَا فِطْرَ النَّاسِ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴾^(٥) .

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت٧٢٨هـ): "ولما كان الإقرار
بالصانع فطرياً - كما قال ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو

(١) سورة الأعراف: جزء من آية ٥٤.

(٢) سورة المؤمنون: جزء من آية ٨٨.

(٣) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د.ط، ص ٤٣، ٤٢. وانظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢،
(٣/٤٦٩، ٤٦٨). والملك: يقال مَلَكَ الشيء: حازه وانفرد بالتصرف فيه، والملَكُوتُ مَلَكُ الله خاصة، وسلطانه وعظمته. انظر:
إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُجَدِّ النجار، المعجم الوسيط، د.ط، مادة: "ملك"، (١/٤٧٩)، الرّازي، مختار
الصّاح، ط ١، مادة: "ملك"، ص ٥٨٩.

(٤) انظر: عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، شرح مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، ط ٤، ص ٤١.

(٥) سورة الروم: آية ٣٠.

يمجسانه^(١)، فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنيابة إليه وهو معنى لا إله إلا الله؛ فإن الإله هو الذي يعرف ويعبد^(٢).

ومن أعظم الآيات الدالة على توحيد الربوبية، وعلى أنه أمر فطري فطر الله تعالى الخلق عليه، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾^٢، لذا نجد أن الشيخ السَّعْدِي - رحمه الله تعالى - يقرر هذا الأمر الفطري عند تفسير هذه الآية بقوله: "﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن، و حين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرتهم من الإقرار، بأنه ربهم وبهم وخالقهم وملكهم، قالوا: بلى قد أقرنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم، فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة، ولهذا ﴿قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ أي: إنما امتحناكم حتى حتى أقررتم بما تقرر عندهم، من أن الله تعالى ربكم، خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تقروا بشيء من ذلك، وتزعمون أن حجة الله ما قامت عليكم، ولا عندهم بها علم، بل أنتم غافلون عنها لا هون، فالיום قد انقطعت حجتكم، وثبتت الحجة البالغة لله عليكم، أو تحتجون أيضا بحجة أخرى،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، (٤٥٦/١)، رقم الحديث: ١٢٩٢. عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، (٥٢/٨)، رقم الحديث: ٦٩٢٦. عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٦ / ٢).

٣ سورة الأعراف: الآيتان ١٧٣-١٧٢.

٤ سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

٥ سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

٦ سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

فتقولون: ﴿ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾^١ فحدونا حدوهم، وتبعناهم في باطلهم.

﴿ أَفَنُهَيْكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾^٢ فقد أودع الله في فطركم، ما يدلکم على أن ما مع آبائكم باطل، وأن الحق ما جاءت به الرسل، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم، ويعلو عليه.

نعم قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين، ومذاهبهم الفاسدة ما يظنه هو الحق، وما ذاك إلا لإعراضه، عن حجج الله وبياناته، وآياته الأفقية والنفسية، فإعراضه عن ذلك، وإقباله على ما قاله المبطلون، ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق، هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات^(٣).

ومضمون الآية السابقة مؤكد لقوله — عز شأنه —: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤).

وقال — رحمه الله تعالى — في موضع آخر: "فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها"^(٥)، وهذا كما حصل من الفلاسفة الذين أرادوا أرادوا تبديل فطرة الله التي فطر الناس عليها، واستبدلها بعلومهم الفلسفية المخالفة للعقل والنقل، وقد بين الشيخ السعدي — رحمه الله تعالى — ذلك بقوله: "والله خلق عبادة على الفطرة التي فطرهم عليها، وبعث إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه، فصالح العباد وقوامهم بالفطرة المكمل بالشرعية المنزلة وهؤلاء

١ سورة الأعراف: الآية ١٧٣.

٢ سورة الأعراف: الآية ١٧٣.

٣ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٠٨).

(٤) سورة الروم: آية ٣٠.

(٥) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٦٤٠).

الفلاسفة بدلوا وغيروا فطرة الله وشرعته ، خلقه وأمره ، وأفسدوا اعتقادات الناس وإراداتهم ، إدراكهم وحركاتهم ، قولهم وعملهم ، وأمروهم أن يتركوا الفطرة الربانية والعلوم النبوية ويمحوا من قلوبهم ذلك ، ويستبدلوا به العلوم الفلسفية المخالفة للعقل والنقل " (١).

المطلب الثالث: دلالة العقل.

دلَّ العقل على وجود الله تعالى وانفراده بالربوبية وكمال قدرته على الخلق وسيطرته عليهم، وذلك عن طريق النظر والتفكير في آيات الله الدالة عليه، وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته طرق كثيرة بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقتان:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية، فالنفس آية من آيات الله العظيمة الدالة على تفرد الله وحده بالربوبية لا شريك له، كما قال عز شأنه: ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٣)، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب صنع الله لأرشدته ذلك إلى أن له ربا خالقا حكيما خبيرا ؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها ؟ أو أن يحولها إلى علقة، أو يحول العلقة إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما ؟

وقد أرشدنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى هذا الطريق فقال : "وعلى كُلِّ ، فالنفس آية كبيرة من آياته التي يحق الإقسام بها ، فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة، والتغير والتأثر والانفعالات النفسية، من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة، وقد أفلح

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٣٦.

(٢) سورة التغابن: آية ٣.

(٣) سورة الشمس: آية ٧.

من طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح^(١).

وقال -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢)، "وكذلك في نفس العبد من العبر والحكمة والرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد، وأنه لم يخلق الخلق سدى"^(٣).

ويذكر -رحمه الله تعالى- في موضع آخر مبيناً أن النفس من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، فقال: "أليس هو الذي خلقك فسواك في أحسن تقويم؟ وركبك تركيباً قوياً معتدلاً في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟ إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات"^(٤)، "وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده، مُزَيَّنًا بالعقل والتمييز"^(٥).

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون، وهذه كذلك آية من آيات الله العظيمة الدالة على ربوبيته، قال سبحانه: ﴿سَتَرْنَاهُمْ عَيْنَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمَ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٦)، لذا نجد أن الشيخ السَّعْدِي - رحمه الله تعالى - يقول عند تفسير هذه الآية: "فإن قلتم، أو شككتهم بصحته وحقيقته -أي القرآن- فسيقوم الله لكم،

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٨٥٦).

(٢) سورة: الذاريات: آية ٢١.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/ ٨٠٩).

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١/ ٩١٤).

(٥) انظر: البغوي، معالم التنزيل، د. ط، (٨/ ٤٧٢).

(٦) سورة فصلت: آية ٥٣.

ويريكم من آياته في الآفاق كالأيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق، ...، وفي حلول العقوبات و المثالات في المكذبين، ونصر المؤمنين، حتى يتبين لهم من تلك الآيات، بياناً لا يقبل الشك أنه الحق، وما اشتمل عليه حق" (١).

و يقول تعالى داعياً عباده إلى التفكير والاعتبار: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)، "وذلك شامل لنفس الأرض، وما فيها، من جبال وبحار، وأنهار، وأشجار، ونبات تدل المتفكر فيها، المتأمل لمعانيها، على عظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه، بالظواهر والبواطن" (٣) وكلما " تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها. فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه" (٤).

من خلال ما تقدم عُلم أن لتوحيد الربوبية دلائل تدل عليه ومنها دلالة الشرع، والفطرة، والعقل، وإذا عَلم العبد بالعقل أن له ربا أوجده، فكيف يليق به أن يعبد غيره؟ وكلما تفكر وتدبر ازداد يقينا وتوحيدا، لا رب غيره، ولا إله سواه.

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٥٢).

(٢) سورة الذاريات: آية ٢٠ .

٢ انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٨٠٩).

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٧٨).

المبحث الثالث: خصائص توحيد الربوبية وآثاره.

المطلب الأول: دلالة توحيد الربوبية على توحيد الألوهية.

إذا أقر العبد بانفراد الرب تبارك وتعالى بالخالق والحكم، وشهد بذلك، فإن ذلك يقوده إلى تحقيق توحيد الإلهية، فإن الأمرين متلازمان، فمن أقر الله بالربوبية لزمه أن يقر له بالإلهية.

ولذا فإن النصوص القرآنية التي جاءت لتقرير توحيد الربوبية يستدل بها على وجوب توحيد

الألوهية، وإفراده بالعبادة، وقد أكد ذلك الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ)، فقال

: "إن أول ما يتعلق القلب بتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله سبحانه

عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج عليهم به، ويقررهم به، ثم يخبر أنهم

ينقضونه بشركهم به في الإلهية" ^(١)، لذلك يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ

﴿١٠٦﴾﴾، والمقصود بإيمانهم "قولهم: الله خالقنا ويزقنا و يميئنا، فهذا إيمان، مع شرك عبادتهم

غيره" (٣) (٤).

وبيان ذلك أن من أثبت لله خصائص الربوبية: من الخلق والإحياء والإماتة والنفع والضرر

والإسعاد و الاشقاء ؛ استسلم لله تعالى في كل شيء، فيعلم أن ما أصابه فمن الله ولم يكن ليخطئه،

وأنه إذا دخل الجنة فبتوفيق الله وفضله، وإذا دخل النار فبحكمته وعدله، وكل ذلك قدره الله تعالى،

فإذا علم ذلك، لجأ إلى خالقه ليستعين به في جلب المنافع ودفع المضار، و يسأله الهداية للصراط

المستقيم، فيورث ذلك محبة عظيمة في قلب العبد لربه تعالى، فيقدم محاب ربه على كل شيء، ويورثه

ذلك الخوف من الله وتعظيمه وتوقيره ^(٥)، و "هذه علامة توحيد الإلهية في هذا القلب، والباب الذي

دخل إليه منه: توحيد الربوبية، أي: باب توحيد الإلهية: هو توحيد الربوبية" ^(١).

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (١/٤١٣).

(٢) سورة يوسف: آية ١٠٦.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (٨/١٣٧-٧٨).

(٤) انظر: خالد بن عبد اللطيف، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة، د. ط، (١/٢٤٢) "بتصرف".

(٥) انظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، ط ١، ص ١١٩.

*ابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الواعظ. الإمام الحافظ، المحدث، الفقيه، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ = ١٣٣٦م. له مصنفات عديدة، منها: شرح الترمذي؛ شرح علل

وقد بينَّ الشيخ السَّعدي - رحمه الله تعالى - ذلك عند تفسيره للنصوص القرآنية ومنها:

* **الدليل الأول: قوله تعالى:** ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٧) قال الشيخ السَّعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيرها: "ولئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية، ومن هو الخالق، لأقروا أنه الله وحده لا شريك له، ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٣) فكيف يصرفون عن عبادة الله والإخلاص له وحده؟ فإقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك" (٤).

* **الدليل الثاني: قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) (٥)، قال الشيخ السَّعدي - رحمه الله تعالى - "وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وهو ذكر توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقرا بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك، وصحة التوحيد" (٦).

ومن خلال ما قاله الشيخ السَّعدي - رحمه الله تعالى - يظهر لنا أهمية الإقرار بالربوبية لله تعالى، وهذه المعرفة فطرية في قلوب بني آدم إلا أن أكثر الناس الذين وقعوا في الشرك إنما وقعوا فيه لإتيانهم

الترمذي؛ طبقات الحنابلة؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري لم يتمه؛ وجامع العلوم والحكم، التوحيد. نشأ وتوفي بدمشق سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م.

* انظر ترجمته ابن العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ٧، (٣٣٩/٦)، وانظر الشوكاني، البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، د. ط، (٣٢٨/١).

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (٤١٣/١).

(٢) سورة الزخرف: آية ٨٧.

(٣) سورة الزخرف: جزء من آية ٨٧.

(٤) انظر: السَّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٧٧٠ / ١).

(٥) سورة البقرة: الآيتان ٢١، ٢٢ .

(٦) انظر: السَّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٤٤/١).

بما يناقض توحيد الإلهية، لذلك جاءتهم الرسل بالدعوة إلى هذا النوع من التوحيد -توحيد الإلهية - وإذا أقر الإنسان لله بالربوبية ولم يوحدته في عبوديته ما نفعه إقراره هذا.

المطلب الثاني: آثار الإيمان بتوحيد الربوبية.

للإيمان بالربوبية آثار عظيمة، وثمرات كثيرة، فإذا أيقن المؤمن أن له رباً خالقاً هو الله -تبارك وتعالى- وأن هذا الرب هو رب كل شيء وملكه، وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، أنست رُوحه بالله جلّ جلاله، واطمأنت نفسه بذكره، ولم تنزل له الأعاصير والفتن، وتوجه إلى ربه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائماً خائفاً من تقصيره، وذنبه؛ لأنه يعلم قدرة ربه عليه، ووقوعه تحت قهره وسلطانه، فتحصل له بذلك التقوى، والتقوى رأس الأمر، بل هي غاية الوجود الإنساني.

ومن ثمراته أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السموات والأرض، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى إفراء الله بالدعاء والإرادة والقصد.

ثم إذا علم أن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كله بيد الله . انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هيب، وتحرر من رق المخلوقين، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله عز وجل، وهكذا نجد أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، والكلام في مقتضيات الربوبية وما تثمره من ثمرات يفوق الحصر والعد، وما مضى إنما هو إشارات عابرة يقاس عليها غيرها.

وهنا نصل إلى نهاية الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة في توحيد الربوبية، يليه الفصل الثالث: الذي يتحدث عن الأصول العقدية في توحيد الألوهية (العبادة).

والله ولي الاحسان.

الفصل الثالث: الأصول العقيدية في توحيد الألوهية (العبادة).

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خلق الخلق لعبادته والإخلاص له، وهذا حقه - سبحانه - الواجب عليهم، فجميع الكتب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحيد، ونهوا عن ضده من الشرك والتنديد، وخصوصاً مُحَمَّدٌ ﷺ، و القرآن الكريم أمر به وفرضه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيد، وقد اهتم الشَّيْخ السَّعْدِي - رحمه الله تعالى - بهذا النوع من التوحيد اهتماماً كبيراً، فمن خلال اطلاعي لكتبه وجدت كثرة طرحه له، وتحفيزه للعبد بأن يبذل جهده في معرفته، ومعرفة شروطه ومكملاته، ومعرفة نواقضه ومفسداته من ذلك قوله: "وهو الذي خلق الله

لأجله، وشرع الجهاد لإقامته، وجعل الثواب الدنيوي و الأُخروي لمن قام به وحققه والعقاب لمن تركه، و به يحصل الفرق بين أهل السعادة القائمين به، وأهل الشقاوة التاركين له، فعلى العبد أن يبذل جهده في معرفته وتحقيقه والتحقق به ويعرف حده وتفسيره، ويعرف حكمه و مرتبته، ويعرف آثاره ومقتضياته وشواهد أدلته وما يقويه وينميه، وما ينقضه، وشروطه ومكملاته، ويعرف نواقضه ومفسداته لأنه الأصل الأصيل الذي لا تصح الأصول إلا به فكيف بالفروع" (١).

ولتوضيح حقيقة توحيد الألوهية عند الشيخ السَّعدي -رحمه الله تعالى- نقف مع المباحث التالية:

-المبحث الأول: حقيقة توحيد الألوهية.

-المبحث الثاني: أدلة إثبات توحيد الألوهية.

-المبحث الثالث: فوائد توحيد الألوهية.

-المبحث الرابع: حقيقة كلمة التوحيد.

-المبحث الخامس: معنى العبادة وأركانها وأصولها وأنواعها.

المبحث الأول: حقيقة توحيد الألوهية.

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية:

(الإله) لغة^٢: بمعنى (المألوه) أي (المعبود) حباً وتعظيماً، والتَّأَلُّهُ: التَّنَسُّكُ والتَّعَبُّدُ، و(الإله) هو الذي

يؤله ويعبد^(١)، ف (الإله) الذي يأله القلب بكمال الحب، والتعظيم، والإجلال، والإكرام، والخوف

والرجاء^(٢).

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٦٨.

٢ هنا إشارة لطيفة لمعنى الإله لغة، وأوردت تفاصيل معانيه عند شرح: اسم الجلالة ﴿الله﴾ تبارك وتعالى.

وبالتالي فإن توحيد الألوهية هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-(ت٧٢٨هـ) في تعريفه: "إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله"^(١).

وعرّفه الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-(ت٧٥١هـ)، بقوله: "وتوحيد الإلهية المتضمن أنه وحده الإله المعبود المحبوب، الذي لا تصلح العبادة والذل والخضوع والحب إلا له"^(٢).

وقيل في تعريفه أيضاً: "هو إفراده تعالى بالعبادة، والتأله له، والخضوع، والذل، والحب، والافتقار، والتوجه إليه - عز وجل -"^(٣).

وقد عرف الشيخ السَّعدي-رحمه الله تعالى- توحيد الألوهية بتعريفات متعددة منها:

أولاً: "توحيد الألوهية والعبادة: وهو إفراده وحده بأجناس العبادة وأنواعها وإفرادها من غير إشراك به في شيء منها مع اعتقاد كمال ألوهيته"^(٤).

ثانياً: "وسمي توحيداً فعلياً لأنه متضمن لأفعال القلوب والجوارح، فهو توحيد الله بأفعال العبيد"^(٥).

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د.ط، مادة: "إله"، (١٢٧/١)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "إله"، (٤٦٨/١٣) - (٤٦٩)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "إله"، ص ١٦٠٣.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٦٢/٥).

(٣) انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، د.ط، (٢٢٤/١).

(٤) انظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ط ١، (٩٤٣/٤).

(٥) انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط ٢، (١٢٩/١)، انظر أيضاً: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د.ط، ص (٢٩/١)، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، د.ط، ص ٣٦.

(٦) انظر: السعدي، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط ١، ص ١١.

ثالثاً: "وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرد به بالربوبية يلزم منه ألا يستحق العبادة أحد سواه"^(١).

رابعاً: "وتقرر الألوهية كلّها لله وحده، فهو الذي يستحق أن يؤله محبة ورغبة ورهبة وإنابة إليه، وخضوعاً وخشوعاً له من جميع الوجوه والاعتبارات، فهو المألوه وحده، المعبود، المحمود، المعظم، الممجّد، ذو الجلال والإكرام"^(٢).

خامساً: وعرّف -رحمه الله تعالى- توحيد الألوهية بتعريف جامع، ذكر فيه حد هذا التوحيد وتفسيره وأركانه فقال: "فأما حده وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم و يعترف على وجه العلم واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا عرف ذلك واعترف به حقاً؛ أفرد بالعبادة كلها الظاهرة و الباطنة فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين وصلة الأرحام والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه، ويقوم بأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويقوم بحقائق الإحسان وروح الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة مخلصاً ذلك كله لله، لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربه وطلب

(١) انظر: السعدي، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، ط ١، (٢١٢/٣).

(٢) انظر: السعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ط ١، ص ١٤.

(٣) انظر: السعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط ١، ص ١٥.

ثوابه، متابِعاً في ذلك رسول الله ﷺ فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله ﷺ، وأخلاقه وآدابه الاقتداء بنبيه ﷺ في هديه وسمته وكل أحواله؛ ولهذا فإن كمال هذا التوحيد وقوامه بثلاثة أشياء:

(توحيد الإخلاص لله وحده) فلا يكون للعبد مراد غير مراد واحد وهو العمل لله وحده.

(وتوحيد الصدق) وهو توحيد إرادة العبد في إرادته وقوة إنابته لربه وكمال عبوديته.

(وتوحيد الطريق) وهو المتابعة.

...فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح ولا ينقص من كمال العبد إلا بنقص واحد من هذه الثلاثة^(١).

من خلال تعريف الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- لتوحيد الألوهية نجد أنه قد سار على نهج السلف الصالح في تعريفه، وتبين لنا منهم أن توحيد الألوهية هو إفراد الله بأفعال العباد.

المطلب الثاني: أهمية توحيد الألوهية:

لما كانت الغاية العظمى من خلق الإنس والجن هي معرفة الخالق العظيم، وعبادته وحده لا شريك له، كان لا بد من بيان هذين الأمرين فهما الموصولان إلى سعادة الدنيا والآخرة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨ هـ): "واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس عليه، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة. فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا يطمئن بالدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقية، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ غير منع ولا ملتذ له، بل قد يؤذيه اتصاله به، ووجوده عنده، ويضره ذلك. وأما إلهه فلا بد له

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٦٩، ١٣، ١٢، وانظر لنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ١١، ١٠.

منه في كل حال، وكل وقت، وأينما كان فهو معه، ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل عليه السلام: "قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا أُحِبُّ الْأَفْلَيْتَ﴾" (١) " (٢).

ويقول -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله سبحانه، ومن عبد غير الله وإن أحبه، وحصل به مودة في الحياة الدنيا، ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم". (٣).

لذا نجد الشيخ السَّعدي -رحمه الله تعالى- قد اهتم ببيان هذا الأصل العظيم في مواضع متفرقة من مؤلفاته فقال: "وهذان الأمران وهما معرفة الله وعبادته هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهي الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح وسعادة دنيوية و أخروية، وهما أشرف عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذات على الإطلاق، وهما اللذان إن فاتا فأتى كل خير وحضر كل شر" (٤).

وقال أيضاً -رحمه الله - في موطن آخر: "وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وأوجبها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله وخلق المخلوقات، وشرع الشرائع لقيامه وبوجوده يكون الصلاح وبفقدته يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر به أو بحق من حقوقه أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفرق بينهم وبين المشركين" (٥).

كما أنه -رحمه الله - قد بيّن أيضاً أن هذا النوع من التوحيد يعتبر أعظم أوامر الدين، وأساس الأعمال، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية وغيرها إنما هي أدلة للأمر بوجوبه فقال: "أن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقية والنفسية أدلة وبراهين على الأمر بهذا التوحيد ووجوبه، فالتوحيد هو حق الله

(١) سورة الأنعام: جزء من آية ٧٦.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١ / ٢٤-٢٥).

(٣) انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (١ / ٢٤).

(٤) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، (١ / ٥٤١)، (٧ / ١٨١).

(٥) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، ط ١، ص ١٥٨.

الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال"^(١)، و"بالجملة: فكل خير عاجل وآجل، فإنه من ثمرات التوحيد وكل شر عاجل وآجل فإنه من ثمرات الشرك"^(٢). يظهر لنا مما تقدم أن توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد، وأعظمها فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وسلت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين، وهذا ما وافق فيه الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-أهل السنة والجماعة.

المبحث الثاني: أدلة إثبات توحيد الألوهية:

لقد سلك الشيخ السَّعدي-رحمه الله تعالى-منهجاً في إثبات توحيد الألوهية وذلك بعد أن يتعرض له أثناء السورة وبعد ختامها، إما بالتعليق على الآيات بعد شرحها شرحاً عاماً وعند ذلك يقرر هذا التوحيد، أو يستخدم توحيد الربوبية وهذا أكثر شيوعاً في القرآن في إثبات توحيد الألوهية، وأحياناً يذكر الدليل الإجمالي ثم يشرحها بالأدلة التفصيلية، كما نراه يستخدم قصص الأنبياء في تقرير توحيد الألوهية بالأدلة السمعية والعقلية، ويرد على المشركين ويبتل دعواهم في سبيل تقرير الألوهية لله^(٣)، وقد فصل القول في ذلك كما يلي:

المطلب الأول: الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية:

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ١١.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٣) انظر: ناصر العبد سليم المرني، منهج الشيخ السعدي في تفسيره، ص ١٥٥.

من أقوى براهين هذا التوحيد العلم بتفرد الرب بالربوبية والعظمة والكبرياء والسلطان، وأنه ما بالعباد من نعمة ظاهرة وباطنة إلا منه، وهو الذي يأتي بالحسنات ويدفع السيئات، وهو المنفس لكرب المكربين وإغاثة المضطرين، وهو الذي يجير ولا يجار عليه سبحانه^(١).

لذا فإن توحيد الألوهية يستلزم توحيد الربوبية، والأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه ألا يستحق العبادة أحد سواه^(٢).

ويبين الشيخ السَّعدي -رحمه الله تعالى- ذلك بقوله: "وإذا كان الله تعالى هو الذي خلقك ورزقك وأنعم عليك بالنعمة الظاهرة والباطنة لم يشاركه في ذلك مشارك، فعليك ألا تتأله ولا تتعبد لغيره، وعليك أن تخصه بالتوحيد والسؤال واللجأ والفرع في أمور كلها. وهذا من أعظم الأدلة على توحيد الألوهية، وهو الاستدلال بربوبية الله للعبد بل وللخلق كلهم والتفرد بتدبيرهم وإسداء النعم عليهم، على أنه هو الإله حقاً الذي لا يستحق الألوهية ولا شيئاً من العبودية غيره"^(٣). وهذا النوع أكثر الأنواع شيوعاً في القرآن الكريم، ومنه:

*قوله تعالى: ﴿وَالْهَكُمُ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٤)، يقول الشيخ السَّعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره للآية: "يخبر تعالى - وهو أصدق القائلين - أنه إله واحد: أي متوحد منفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فليس له شريك في ذاته ولا سمي له ولا كفؤ ولا مثل ولا نظير ولا خالق ولا مدبر غيره فإذا كان كذلك فهو المستحق لأن يؤله ويبعد بجميع أنواع العبادة ولا يشرك به أحد من خلقه لأنه الرحمن الرحيم المتصف بالرحمة العظيمة التي لا يماثلها رحمة أحد فقد

(١) انظر: السعدي، توضيح الكافية الشافية، ط ١، ص ١٣٥.

(٢) انظر: السعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ط ١، ص ١٤.

(٣) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٦٩.

(٤) سورة البقرة: آية ١٦٣.

وسعت كل شيء، وعمّت كل حي... ففي هذه الآية إثبات وحدانية الباري وإلهيته وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم واندفاع جميع النقم فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى^(١).

ثم ذكر الأدلة التفصيلية فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى-: "أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة آيات أي أدلة على وحدانية الباري وإلهيته وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته ولكنها لقوم يعقلون أي لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له فعلى حسب ما من الله على عبده من العقل ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره وتدبره ففي خلق السماوات في ارتفاعها واتساعها وإحكامها وإتقانها وما جعل الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وتنظيمها لمصالح العباد، وفي خلق الأرض مهادا للخلق يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها والاعتبار ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها وحكمته التي بها أتقنها وأحسنها ونظمها وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع من منافع الخلق ومصالحهم وضروراتهم وحاجاتهم، وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير والقيام بشؤون عباده"^(٣).

فاستدل -رحمه الله تعالى- بما أقر به المشركون وهو: خلق السماوات والأرض، وغيرها من المخلوقات وهذا توحيد الربوبية على المقصود الأول وهو توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: الاستدلال بالآيات القرآنية من خلال قصص الأنبياء على توحيد الألوهية:

يقصُّ الله - عز شأنه- من أنباء الرسل -عليهم السلام- والسالفين في كتابه الحكيم ما به تبين

الحقائق، وتقوم البراهين المتنوعة على توحيد الألوهية، فجميع الأدلة: السمعية، والعقلية، والفطرية^(٤)

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، ص ٦٠.

(٢) سورة البقرة: آية ١٦٤.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، ص ٦٠.

(٤) وهذا ما بيّنه سابقاً في الفصل الأول: في توحيد الربوبية.

،قد قامت شاهدة بتوحيد الله - عز شأنه-،ومعترفة بانفراده بالخلق والتدبير ، وأن من هذا شأنه ، لا يستحق العبودية إلا هو ، وجميع الرسل -عليهم السلام- متفقون على هذا الأصل العظيم، ولم ينكره إلا معاند مكابر ^(١) ،ومن أدلة التوحيد قصص الأنبياء -عليهم السلام- الواردة في النور المبين ومنها :

- في قصة نوح عليه السلام بعد أن بينَّ الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قصته ذكر ثمراتها الياينة الطيبة في التوحيد الخالص والنهي عن الشرك ومن الثمرات:
أولاً: أن جميع الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم متفقون على الدعوة إلى التوحيد الخالص والنهي عن الشرك، فنوح وغيره أول ما يقولون لقومهم قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ^(٢) ،ويكررون هذا الأصل بطرق كثيرة.
ثانياً: أن من فضائل الأنبياء وأدلة رسالتهم اخلاصهم التام لله تعالى في عبوديتهم لله القاصرة وفي عبوديتهم المتعدية لنفع الخلق، كالدعوة والتعليم وتوابع ذلك.
ثالثاً: أنه ينبغي الاستعانة بالله وأن يذكر اسمه عند الركوب والنزول وفي جميع التقلبات والحركات، وحمد الله والاكثار من ذكره عند النعم لاسيما النجاة من الكربات والمشقات.
رابعاً: أن تقوى الله والقيام بواجبات الايمان من أسباب نيل خيري الدنيا والآخرة ^(٣).

- وفي قصة إبراهيم عليه السلام بعد تفسيره لقصته مع قومه في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ^(٤) ،يقول -رحمه الله تعالى-: "فجمع لهم بين الدليل العقلي والدليل السمعي:

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٩٣ "بتصرف".

(٢) سورة الأعراف : جزء من آية ٥٩ .

(٣) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص(١٤٧-١٥٠) "بتصرف".

(٤) سورة الأنبياء: آية ٥٦.

أما الدليل العقلي: فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم عليه السلام أن الله وحده الخالق لجميع المخلوقات من بني آدم والملائكة والجن والبهائم والسموات والأرض المدبر لهن بجميع أنواع التدبير فيكون كل مخلوق مفطوراً مدبراً متصرفاً فيه، ودخل في ذلك جميع ما عبد من دون الله أفيلق عند من له أدنى مسكة من عقل وتمييز أن يعبد مخلوقاً متصرفاً فيه لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر.

أما الدليل السمعي: فهو المنقول عن الرسل -عليهم السلام- فإن ما جاؤوا به معصوم لا يغلط^(١). ولا يخبر بغير الحق ومن أنواع هذا القسم شهادة أحد من الرسل على ذلك فلهذا قال إبراهيم عليه السلام وأنا على ذلكم أي أن الله وحده المعبود وأن عبادة ما سواه باطل من الشاهدين، وأي شهادة بعد شهادة الله أعلى من شهادة الرسل -عليهم السلام- خصوصاً أولي العزم منهم خصوصاً خليل الرحمن عليه السلام، وقد بين أن أصنامهم ليس لها من التدبير شيء^(٢).

● وفي قصة يوسف عليه السلام بعد تفسيره لقصته وذكر ثمراتها الياصرة، ومنها: "أنه كما على العبد عبودية لربه في حال رخائه، فعليه عبودية في حال الشدة، فيوسف عليه السلام لم يزل يدعو إلى الله جلّ جلاله، فلما دخل السجن استمر على ذلك ودعا من يتصل به من أهل السجن ودعا الفتيين إلى التوحيد ونهاهما عن الشرك... وبرهن لهما على حسن التوحيد ووجوبه، وعلى قبح الشرك وتحريمه^(٣).

● وفي قصة خاتم النبيين وإمام المرسلين، يجلي لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إن من أعظم مقامات دعوته: دعوته إلى التوحيد الخالص والنهي عن ضده، دعا الناس لهذا، وقرره الله في كتابه وصرفه بطرق كثيرة واضحة تبين وجوب التوحيد وحسنه، وتعينه طريقاً إلى الله

(١) الغلط: أن نَعْيًا بالشيء فلا تَعْرِفَ وجه الصواب فيه، جمعه على غلط، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "غلط"، (١٣ / ٣٤٠).

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، ص ٤٧٥.

(٣) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٢٢٢، ٢٢٣. "باختصار".

وإلى دار كرامته، وقرر إبطال الشرك والمذاهب الضارة بطرق كثيرة احتوى عليها القرآن ، وهي أغلب السور المكية^(١).

فانظر كيف اتفقت جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وخصوصاً إمامهم و خاتمهم ﷺ على تقرير توحيد الله وتفرد بالوحدانية وسعة الصفات وعظمتها ، ولم يقدح فيه إلا هؤلاء الضلال الذين كان قدحهم فيه أسقط اعتبارهم وبرهن على فساد عقولهم^(٢).

فتبين لنا مما تقدم أن من أدلة براهين توحيد الألوهية: الاستدلال بربوبيته -عز شأنه - للعباد، والآيات الكونية والنفسية، وتفرد -سبحانه- بإسداء النعم على خلقه، ومن براهينه أيضاً: شهادة الرسل -عليهم السلام - خصوصاً أولي العزم منهم، وهذا ما سار عليه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- على منهج أهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: فوائد توحيد الألوهية.

توحيد الله، وإفراده بالعبادة أجل النعم وأفضلها على الإطلاق، وفضائله وثمراته لا تعد ولا تحصر، ففضائل التوحيد، كثيرة يترتب عليها خيري الدنيا والآخرة، وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى جملة من فضائل توحيد الألوهية ومن تلك الفضائل ما يلي:

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

أولاً: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما، كما في قصة يونس عليه السلام.

ثانياً: أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأنه أسعد الناس بشفاعته مُحَمَّد ﷺ.

رابعاً: ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

خامساً: ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.

سادساً: أن التوحيد إذا كمل في القلب حُب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

سابعاً: أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام، فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان، يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

ثامناً: ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي، ويكون مع ذلك متأهلاً متعبداً لله، لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

تاسعاً: ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء: أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام، فإنه يصير القليل من عمله كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب.

عاشراً: ومن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر في الدنيا، والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير ليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد في الأقوال والأفعال.

الحادي عشر: أن الله يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره.

الثاني عشر: ومن أجل فوائده أنه يمنع الخلود في النار، إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل. وأنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار بالكلية. وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة^(١).

ومن خلال ما قطف لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من ثمار طيبة لشجرة التوحيد يتبين للمتأمل إن من حقق التوحيد حصلت له هذه الفضائل كلها وأكثر منها، والعكس بالعكس.

المبحث الرابع: حقيقة كلمة التوحيد.

فكلمة " لا إله إلا الله " هي دعوة الرسل أجمعين وهي عنوان التوحيد وهي العروة الوثقى وهي كلمة النجاة وهي منهاج حياة.

فمعنى " لا إله إلا الله " أي: لا معبود بحق إلا الله ولا يلجأ العباد ويضرعون ويفزعون في كل ما ينوبهم إلا إلى الله سبحانه، وهو الذي تشتاق إليه وتميل إليه القلوب.

(١) انظر: السعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ط ١، ص ١٧-١٩.

وكلمة "لا إله إلا الله" تتضمن الكفر بالطاغوت في شقها الأول (لا إله) وهي نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن كل أحد دون الله، وتتضمن الإيمان بالله في شقها الثاني (إلا الله). وقد أشار الشيخ السَّعدي -رحمه الله تعالى- إلى تفسير كلمة التوحيد -لا إله إلا الله- عند تفسيره لبعض الآيات القرآنية ومنها:

الدليل الأول: قوله **حَلَالًا**: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝٦٥﴾^(١)، فقد ذكر الشيخ السَّعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره للآية تقرير الألوهية لله سبحانه وحده لا شريك له، مبيناً تفسير كلمة الإخلاص بقوله: "أي مسامياً مماثلاً في صفات الألوهية، وكذلك كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله، تتضمن نفي الألوهية عن غير الله، وأنه لا يستحق أحد من الخلق فيها مثقال ذرة، فلا يصرف لغير الله شيء من العبادات الظاهرة والباطنة، وتقرر الألوهية كلها لله وحده، فهو الذي يستحق أن يؤله محبة ورغبة ورهبة وإنابة إليه، وخضوعاً وخشوعاً له من جميع الوجوه والاعتبارات، فهو المألوه وحده، المعبود، المحمود، المعظم، الممجَّد، ذو الجلال والإكرام"^(٢).

الدليل الثاني: قوله **حَلَالًا**: ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٦٤﴾^(٣)، أخبر النبي ﷺ أن هذه الآية أعظم آيات القرآن على الإطلاق ، وأنها تحفظ قارئها من الشياطين والشُرور كلها ، لما احتوت عليه من معاني التوحيد والعظمة ، وسعة صفات الكمال لله تعالى ؛ فأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية ، وأنه لا يستحق الألوهية غيره ، فألوهية غيره وعبادة غيره باطلة ضارة في الحال والمآل ؛ وعبادته وحده لا شريك له هي الحق الموصلة إلى كل كمال"^(٤).

(١) سورة مريم: جزء من آية ٦٥.

(٢) انظر: السَّعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط ١، ص ١٥.

(٣) سورة البقرة: جزء من آية ٢٥٥.

(٤) انظر: السَّعدي، مرجع سابق، ص ٩١. ولنفس المؤلف، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ١٤.

الدليل الثالث: وذكر عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١) "فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله إلا هو، وذلك لكماله العظيم وإحسانه الشامل وتدبيره العام، وكل إله غيره فإنه باطل، لا يستحق من العبادة مثقال ذرة؛ لأنه فقير عاجز ناقص لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً"^(٢).

الدليل الرابع: وذكر الشيخ السَّعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣) "أنَّ العلم الذي أمر الله به هو العلم بتوحيد الله، وبين لنا الطرق الموصولة إلى هذا العلم فقال: "العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه وتمامه أن يعمل بمقتضاه. وهذا العلم الذي أمر الله به وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائن من كان، والضرورة إلى هذا العلم والعمل بمقتضاه -من تمام التأله لله -فوق كل ضرورة، والعلم بالشيء يتوقف على معرفة الطريق المفضي إلى معرفته وسلوكها، والطريق إلى العلم بأنه "لا إله إلا الله" على وجه الإجمال والعموم أمور:

أحدها: -وهو أعظمها وأوضحها وأقواها -تدبر أسمائه وصفاته الدالة على كماله وعظمته وجلاله فإنها توجب بذل الجهد في التأله والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدينية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبة والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأولياءه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة ومن عقوبته لأعدائه المشركين به فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة وأنها ناقصة من جميع الوجوه فقيرة بالذات لا تملك لنفسها ولا لعبديها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا

(١) سورة الحشر: آية ٢٢.

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٧٩٢.

(٣) سورة محمد: الآية ١٩.

ينصرون من عبدهم ولا ينفعونهم بمثقال ذرة من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا الله وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا وعلمًا وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية التي تدل على التوحيد أعظم دلالة تنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه^(١).

التاسع: ما أودعه الله في شرعه من الآيات المحكمة والأحكام الحسنة والحقوق العادلة والخير الكثير، وجلب المنافع كلها ودفع المضار، ومن الإحسان المتنوع، وذلك يدل أكبر دلالة أنه الله الذي لا يستحق العبادة سواه، وأن شريعته التي نزلت على السنة رسله شاهدة بذلك^(٢).

ثم بعد ذكره -رحمه الله- لهذه الطرق بين فائدتها برسوخ الإيمان والعلم في قلب العبد بحيث يكون كالجبال الرواسي فقال: "فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت وقامت أدلة للتوحيد من كل جانب فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تزلزله الشبه والخيالات ولا يزداد على تكرار الباطل والشبه إلا نموا وكمالا"^(٣).

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط١، ص٧٣٢. انظر لنفس المؤلف، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، ط١، ص١٥٩.

^٢ انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، مرجع سابق، ص١٥٩-١٦٠.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص٧٣٢. انظر لنفس المؤلف، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، مرجع سابق، ص١٦٠.

وبين -رحمه الله- بعد ذلك الدليل الأعظم من ذلك كله فقال: "هذا وإن نظرت إلى الدليل العظيم والأمر الكبير وهو تدبير هذا القرآن العظيم والتأمل في آياته فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله مالا يحصل في غيره" (١).

مما سبق نقول: إن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد فسر "لا إله إلا الله": بأنها لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ من شهد لله بالألوهية ونطق بكلمة التوحيد؛ لابد أن يوحده بالعبودية ويعمل بمقتضاها، ويحذر من الوقوع بضدها وهو الشرك.

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٧٣٢. انظر لنفس المؤلف، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، المرجع السابق، ص ١٦٠.

المبحث الخامس: معنى العبادة وأركانها وأصولها وأنواعها.

المطلب الأول: معنى العبادة:

العبادة في اللغة: عَبْدٌ بَيْنَ الْعُبُودَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ. وأصل الْعُبُودِيَّةِ الْخُضُوعُ والذُّلُّ على وجه التعظيم .
والتعبيدُ: التذليلُ يقال: طريقٌ مُعَبَّدٌ. إذا كان مذلاً، قد وطئته الأقدام^(١).

تعريف العبادة اصطلاحاً: عرفت العبادة اصطلاحاً بعدة تعريفات، ومنها ما يلي:

أولاً: عَرَّفَهَا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) فقال: "العبادة" هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة. وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله. وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها^(٢).

ثانياً: عَرَّفَهَا الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) بقوله: "فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل"^(٣).

(١) انظر: الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، د.ط، مادة: "عبد"، (١/٤٤٠). إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، د.ط، مادة: "عبد"، (٢/٥٧٩)، ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ط ١، (٥/١٥٨).

(٢) انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (٥/١٥٥-١٥٦).

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط ٢، (٢/١٣٣).

وقال-رحمه الله تعالى- في نونيته:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان^(١).

ثالثاً: بين الشيخ السَّعدي-رحمه الله تعالى-تعريف العبادة فقال: "العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها الذل والانكسار لله ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة تتبعها المحاب كلها"^(٢).

وقال -رحمه الله -أيضاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّاكَ نَعْبُدُ وَإِلَيْكَ نَسْتَعِثُ﴾^(٣)، فقال: "أي نخضعك وحدك بالعبادة والاستعانة؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر وهو إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، فكأنه يقول نعبدك ولا نعبد غيرك ونستعين بك ولا نستعين بغيرك... إلى أن قال: والعبادة: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة و الباطنة"^(٤).

المطلب الثاني : أركان العبادة :

العبادة تبنى على ثلاثة أركان، بل إن هذه الأركان هي محركها في القلوب وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى- (ت٧٢٨هـ): "اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء. وأقواها المحبة وهي مقصودة تراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٥) الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) ابن القيم، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ط ١، ص ٣٢.

(٢) انظر: ابن تيمية، الصفدية، ط ٢، (٢/ ٢٣٤)، ولنفس المؤلف، الفتاوى الكبرى، ط ١، (٥/ ١٥٨). انظر: السعدي،

المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٧١.

(٣) سورة الفاتحة: آية ٥.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/ ٣٥)، وانظر لنفس المؤلف، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص

وَكَاثُرًا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾^(١)، والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له فإنه لا تحصل له العبودية بدونه وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره^(٢).

ولتفصيل هذه الأركان مع كلام الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عنها بما يلي:

الركن الأول: كمال المحبة للمعبود سبحانه، يبين الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - (ت ٧٥١هـ) ذلك فيقول: "فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله فلا يحب معه سواه وإنما يحب لأجله وفيه كما يجب أنبياءه ورسله وملائكته وأوليائه فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه كمحبة من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحبه، وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيهِ فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تبين حقيقة العبودية والمحبة"^(٣).

وهذه العبودية "متضمنة لكمال الحب مع كمال الذل، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له"^(٤).
وبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ركن المحبة للمعبود عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٥)، "أي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من

(١) سورة يونس: الآيتان ٦٢ - ٦٣.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١/ ٩٥).

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (١/ ٩٩).

(٤) انظر: ابن تيمية، الصفدية، ط ٢، (٢/ ٢٣٤)، ولنفس المؤلف، الفتاوى الكبرى، ط ١، (٥/ ١٥٨).

(٥) سورة البقرة: جزء من آية ١٦٥.

يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشئت أمره^(١).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "وعلامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها لله ، والنصح فيها وإيقاعها على أكمل الوجوه المقذور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب"^(٢).

الركن الثاني: كمال الرجاء، يبيّن الشيخ السّعدي -رحمه الله تعالى- ركن رجاء للخالق العظيم من أوليائه المقربين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾^(٣)، فيقول: "أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبدلون ما يقدرّون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته"^(٤).

الركن الثالث: كمال الخوف من الله جلّ جلاله، يبيّن الشيخ السّعدي -رحمه الله تعالى- ركن خوف أوليائه المتقين، من عظمة الملك الجبار، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾^(٥) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا^(٦) ﴿٥٧﴾^(٧)، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٨) ﴿٥٧﴾^(٩)، أي: هو الذي ينبغي شدة الحذر منه و التوقي من أسبابه"^(١٠).

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٩).

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٦٠).

(٣) سورة الإسراء: جزء من آية ٥٧.

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٤٦٠).

(٥) سورة الإسراء: جزء من آية ٥٧.

(٦) سورة الإسراء: جزء من آية ٥٧.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٦٠).

: "ثم يوضح هذه الأركان وإنها سر سعادة العبد و فلاحه بقوله: "وهذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقربين عنده هي الأصل والمادة في كل خير. فمن تمت له تمت له أموره وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور" (١).

المطلب الثالث: أصول العبادة:

إنَّ العبادات بأنواعها لا تقبل من العبد إلا بأصلين:

أولهما: الإخلاص فيها للمعبود؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه ﷻ.
وثانيهما: المتابعة للرسول ﷺ؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا الموافق لهدي الرسول ﷺ.
وقد بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت٧٢٨هـ) ذلك بقوله: "ولا بد في عبادة العبد من أصلين:

أحدهما: إخلاص الدين له سبحانه.

والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله -عليهم الصلاة والسلام-؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول في دعائه: (اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا) (٢).

وقد تناول الشيخ السَّعدي -رحمه الله تعالى- ببيان هذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة عند تفصيله لمذهب السلف الصالح فقال -رحمه الله تعالى-: " فأتمم -أي مذهب أهل السنة والجماعة- يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الله متفرد بالخلق والملك والسلطان والتدبير، فليس له في ذلك شريك ولا عون، وأنه الإله الحق الذي لا معبود سواه، وأن كل من عبد من دونه من ملك مقرب أو نبي مرسل أو غيرهما فعبادته من أبطل الباطل وأعظم الشرك ويقومون بعبودية ربهم بكل ما

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/٤٦٠).

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط٣، (١/٣٣٤)، (١٠/٣١٨، ١٧٣)، ولنفس المؤلف، أسباب رفع العقوبة، د.ط، ص٣٣.

يجبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة و الباطنة، يخلصونها لله ويتابعون فيها رسول الله، ويتقربون بها إلى ربهم على وجه المحبة التامة والذل الكامل، فإن عبادة الله مبنية على هذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة، الناشئين عن محبة الله وتعظيمه، فعبودية الله الظاهرة و الباطنة تدور على هذا، ولا نجاة ولا فلاح إلا بذلك، ويرون أعظم التقربات إلى الله الجد في إحسان الأعمال وإكمالها وإيقاعها على أكمل الوجوه مع استحضار مقام المراقبة لله وقت تلبس العبد بها، فيجتهدون في إتقان العمل وتنقيته من جميع المنقصات، ويعلمون أن هذا مراد الله من عباده كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (١) (٢)

وقال -رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية: "أي ليمتحنكم إذ خلق لكم ما في السماوات والأرض بأمره ونهي، فينظر أيكم أحسن عملا، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "دين الله أخلصه وأصوبه". قيل: يا أبا علي "ما أخلصه وأصوبه"؟

فقال: إن العمل إذا كان صوابا، ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا.

والخالص: أن يكون لوجه الله والصواب: أن يكون متبعا فيه الشرع والسنة" (٣).

ومن النصوص القرآنية الجامعة لهذين الأصلين قوله -عز شأنه - في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) (٤).

وقال -رحمه الله - في تفسيرها: "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وهو الموافق لشرع الله من واجب ومستحب، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يرائي بعمله بل يعمل خالصا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة وهو الذي ينال ما يرجو، ويطلب، وأما من عدا ذلك فإنه خاسر في دنياه وأخراه وقد فاتته القرب من مولاه ونيل رضاه" (٥).

(١) سورة هود: جزء من آية ٧. وسورة الملك: جزء من آية ٢.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٩٨.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٤٠٤/٣) (٤٢٨/٧)، وانظر لنفس المؤلف، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٢٠١.

(٤) سورة الكهف: آية ١١٠.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٨٨/٥).

المطلب الرابع: أقسام العبودية:

وقد قسّم الشيخ السّعدي -رحمه الله تعالى- العبودية من حيث عموم الخلق إلى نوعين هما: عبودية لربوبيته، وعبودية لألوهيته، وفصلهما -رحمه الله تعالى- بقوله:

" العبودية لله نوعان:

النوع الأول: عبودية لربوبيته: فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم برهم و فاجرهم، فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١).

و النوع الثاني: عبودية لألوهيته وعبادته ورحمته: وهي عبودية أنبيائه وأوليائه وهي المرادة بقوله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٢) ؛ ولهذا أضافها إلى اسمه إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته " (٣). وهناك تقسيم آخر، بأن عبودية الخلق للخالق تنقسم إلى ثلاثة أقسام (٤):

أولاً: عبودية عامة: ويشترك فيها كافة الخلق؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم. كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٥). فهذه عبودية الربوبية فالخلق كلهم عبيد لله مربوبون له.

ثانياً: عبودية خاصة: وهي عبودية الألوهية، وهي عبودية عباد الله الصالحين وهم كل من تعبد لله بشرعه، وأخلص في عبادته. بقوله سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

(١) سورة مريم: آية ٩٣.

(٢) سورة الفرقان: آية ٦٣.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٥/٢٩٣)، وانظر أيضاً لنفس المؤلف، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٣٩.

(٤) ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، ط ٢، (١/٢٨-٢٩).

(٥) سورة مريم: آية ٩٣.

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴿٦٣﴾^(١). ولهذا أضافهم إلى اسمه إشارة إلى أنهم وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، وهذه إضافة التشريف.

ثالثاً: عبودية خاصة الخاصة: وهي أيضاً عبودية الألوهية، وهي للأنبياء والمرسلين الذين لا يباريهم ولا يدانيهم أحد في عبادتهم لله تعالى، قال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾^(٢)، وقال عن محمد ﷺ: "قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾"^(٣)، وغيرهم من الأنبياء.

ومما تقدم نجد أن العبودية تنقسم إلى قسمين: عبودية لربوبيته سبحانه عامة للخلق، وعبودية لألوهيته وهي خاصة لعباده المقربين من المرسلين والأولياء الصالحين -جعلنا المولى منهم- ولا مشاحة في التقسيم بين ما قسمه الامام ابن القيم -رحمه الله تعالى- إلى ثلاثة أقسام، أو ما قسمه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى قسمين فقد جمع -رحمه الله تعالى- القسم الثاني والثالث في قسم واحد.

ومن خلال ما طرحه العلماء -رحمهم الله تعالى- ومنهم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تبين لنا أن العبادة شاملة لكل محبوب إلى الله سبحانه من الأعمال والأقوال القلبية والفعلية والقولية مع تضمنها لكمال الحب مع كمال الذل، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له.

المطلب الخامس: أنواع العبادة وأمثلتها.

إنَّ العبادة اسم جامع لما يحبه الله و يرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة و الباطنة^(٤)، ولها أنواع

(١) سورة الفرقان: آية ٦٣.

(٢) سورة الإسراء: جزء من آية ٣.

(٣) سورة الإسراء: جزء من آية ١.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٣٥/١)، وانظر أيضاً لنفس المؤلف، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ١٠.

كثيرة بينها الشيخ السَّعدي-رحمه الله تعالى- بقوله: " أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة، والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه، أحسن معاملة من إنصافهم، وحفظ عهودهم وأسرارهم ، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى"(١).

وهذه الأنواع تناولها الشيخ السَّعدي-رحمه الله تعالى-من خلال طرحه للنصوص القرآنية الكريمة، والنبوية الشريفة، ومواضع أخرى من مصنفاته؛ فنجد أنه -رحمه الله تعالى-وقف عند كثير من الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر أي نوع من أنواع العبادات، فيفصل فيها بما يتعلق بهذا النوع من العبادة، ويذكر أنها حق من حقوق الله-سبحانه-التي لا يجوز صرفها لغيره، وما يندرج تحتها من معاني وأقسام وثمرات، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بها. ونورد أمثلة على ذلك بعبادة الصلاة ، وعبادة الإخلاص، وعبادة الصبر، ونبدأ أولاً بعبادة الصلاة لفضلها وشرفها ، وتضمنها عبودية القلب، واللسان، والجوارح.

أولاً: عبادة الصلاة.

الصلاة لها منزلة عظيمة وقدر رفيع في الدين الاسلامي، فهي إحدى دعائمه الأساسية، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام التي بُني عليها، وهو فريضة واجبة على كل مسلم بالغ عاقل، ذكراً كان أو أنثى.

• تعريف الصلاة لغة واصطلاحاً:

الصلاة لغةً: الدعاء، وهو اسمٌ يوضعُ مَوْضِعَ المَصْدَرِ تقول صَلَّيْتُ صلاةً ولا تَقُلْ تَصَلِيَةً وصلَّيْتُ على النبي صلى الله عليه وسلم، والمصلَّى: تالي السابق، وهي العبادةُ المخصوصةُ (٢).

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٨٢٢)، وانظر أيضاً لنفس المؤلف، طريق الوصول إلى العلم المأمول،

ط ١، ص ٢١٢. وانظر: المقرئ، تجريد التوحيد، ط ١، (١ / ٣٦، ٣٥).

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: " صلى"، (١٤ / ٤٦٤)، الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، د. ط، مادة: " صلى"، (١ / ٣٩٤)، الجرجاني، التعريفات، ط ٢، مادة: " صلى"، (١ / ١٧٥).

الصلاة اصطلاحاً: عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدرة ، و الصلاة أيضا طلب التعظيم لجانب الرسول ص في الدنيا والآخرة ^(١).

وقد أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تعريفها بقوله : "الصلاة هي عماد الدين ونور المؤمنين وهي الصلة بين العبد وبين ربه فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة مجتمعا فيها ما يلزم فيها وما يسن وحصل فيها حضور القلب الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها استشعر دخوله على ربه ووقوفه بين يديه موقف العبد الخادم المتأدب مستحضرا لكل ما يقوله وما يفعله مستغرقا بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة يوجب للعبد في قلبه وصفا وداعيا يدعوه إلى امتثال أوامر ربه واجتناب نواهيه هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء" ^(٢).

وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بقوله : الصلاة : هي أعرف المعروف من الأعمال، وهي عمود الإسلام وأعظم شرائعه وهي قرينة الشهادتين ، وإنما فرضها الله ليلة المعراج وخاطب بها الرسول بلا واسطة لم يبعث بها رسولا من الملائكة وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته ^(٣) .

● أدلة عبادة الصلاة :

نورد مجموعة من الأدلة القرآنية و النبوية الشريفة وكلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حولها:

● أولاً: الأدلة القرآنية الكريمة.

(١) انظر: الجرجاني ، مرجع سابق ، (١ / ١٧٥).

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/١٦٢، ٥٧).

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٢٨ / ٧٠).

الدليل الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ^(١) ، هذا الأمر من الله لعباده بالصلاة التي أمر بها في آيات متعددة ، ويأتي الأمر بها في القرآن بلفظ الإقامة كهذه الآية ، ومثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ^(٢) ، ونحوها ، وهو أبلغ من قوله : (افعلوها) ، فإن هذا أمر بفعلها ، وبتكميل أركانها وشروطها ومكملاتها ظاهرا وباطنا ، ويجعلها شريعة ظاهرة قائمة من أعظم شعائر الدين ^(٣) .

الدليل الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ^(٤) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ^(٥) ، يأمر تعالى بالمحافظة على الصلوات عموما ، وعلى الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر خصوصا ، لفضلها وشرفها وحضور ملائكة الليل والنهار فيها ، ولكونها ختام النهار ، والمحافظة على الصلوات عناية العبد بها من جميع الوجوه التي أمر الشارع بها وحث عليها من : مراعاة الوقت ، وصلاة الجماعة ، والقيام بكل ما به تكمل وتتم ، وأن تكون صلاة كاملة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، ويزداد بها إيمانه ، وذلك إذا حصل فيها حضور القلب وخشوعه الذي هو لبها وروحها ، ولهذا قال : ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ^(٥) ، أي : مخلصين خاشعين لله ، فإن القنوت هو دوام الطاعة مع الخشوع ؛ ومن تمام ذلك سكون الأعضاء عن كل كلام لا تعلق له بالصلاة .
وفيهما أن القيام في صلاة الفريضة ركن إن كان المراد بالقيام هنا الوقوف ، فإن أريد به القيام بأفعال الصلاة عموما دل على الأمر بإقامتها كلها ، وأن تكون قائمة تامة غير ناقصة ^(٦) .

● ثانياً: الأدلة النبوية الشريفة.

(١) سورة البقرة: جزء من آية ٤٣ .

(٢) سورة البقرة: جزء من آية ٤٣ .

(٣) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٥٧ .

(٤) سورة البقرة: الآيتان ٢٣٩، ٢٣٨ .

(٥) سورة البقرة: جزء من آية ٢٣٨ .

(٦) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٥٩ .

الدليل الأول: عن مالك بن الحويرث - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صلُّوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم" ^(١).

هذا الحديث احتوى على ثلاث جمل، أولها أعظمها:
الجملة الأولى: قوله "إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم" فيه مشروعية الأذان ووجوبه للأمر به، وكونه بعد دخول الوقت.
الجملة الثانية: قوله: "وليؤمكم أكبركم" فيه: وجوب صلاة الجماعة وأن أقلها إمام ومأموم، وأن الأولى بالإمامة أقومهم بمقصود الإمامة.
الجملة الثالثة: وهي الأولى في هذا الحديث - قوله: "صلُّوا كما رأيتموني أصلي" وهذا تعليم منه صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل ^(٢).

الدليل الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) ^(٣).
هذا الحديث يدل على عظيم فضل الله وكرمه بتفضيله هذه العبادات الثلاث العظيمة، وأن لها عند الله المنزلة العالية، وثمراها لا تعدّ ولا تحصى.
فمن ثمراتها: أن الله جعلها مكملة لدين العبد وإسلامه، وأنها متممة للإيمان، مسقية لشجرته. فإن الله غرس شجرة الإيمان في قلوب المؤمنين بحسب إيمانهم، وقَدَّرَ من ألطافه وفضله من الواجبات والسنن ما يسقي هذه الشجرة وينميها، ويدفع عنها الآفات حتى تكمل وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وجعلها تنفي عنها الآفات ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التمني، باب: ما جاء في إجازة خير الواحد الصدوق في الأذان والصلوة والصوم والفرائض والأحكام، (٦ / ٢٦٤٧)، رقم الحديث: ٥٥٠٠.

(٢) انظر: السعدي، بهجة قلوب الأبرار، ط ٤، ص ٥٦، ٥٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، (١ / ١٤٤)، رقم الحديث: ٥٧٤.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٥٣، ٥٤.

• ثمار عبادة الصلاة:

أولاً: أن الصلاة تدعو إلى الإبانة والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١)، فهذا إعانتها على التقوى^(٢).

ثانياً: ما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر ، ولهذا هذا النوع يقال له : توحيد الإلهية ، وتوحيد العبادة ، فالألوهية ، وصفه تعالى ، والعبودية ، وصف عبده^(٣).

ثالثاً: أن الصلاة ميزان الإيمان ، وعلى حسب إيمان العبد ، تكون صلاته ، وتتم وتكمل^(٤).

رابعاً: أن الصلاة من أفضل القربات إلى الله عز وجل مع العلم والجهد فهؤلاء الثلاثة من أفضل الأعمال بإجماع الأمة ، والتحقيق: أن كلا من الثلاثة لا بد له من الآخرين، وقد يكون هذا أفضل في حال، وهذا أفضل في حال^(٥).

خامساً: من أعظم الثمار للصلاة أنها تربية للعبد المؤمن واستعداداً للوقوف الأكبر: يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- : " للعبد بين يدي الله موقفان : موقف بين يديه في الصلاة وموقف بين يديه يوم لقائه ، فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف^(٦).

من خلال ما تقدم من عرض الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- لعبادة الصلاة تبين لنا أن العبادة تُقسَم إلى عدة أنواع وذلك حسب طريقة فعلها وتأديتها، ومن أنواعها العبادات البدنية:

(١) سورة العنكبوت : جزء من الآية ٤٥

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٥٩٠).

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٤٥٢).

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/١٦٢).

(٥) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٦٥.

(٦) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٢٣٨.

ويُقصد بها التي تعتمد على الأفعال الجسدية التي تحتاج إلى حركة، وتنقل؛ وهي أفعال مُعينة مُشاهدة، مثل: الصلّاة، وسائر العبادات العملية الأخرى.
ثانياً: عبادة الإخلاص^(١).

الإخلاص عبادة قلبية عظيمة، و هو لب العبادة وروحها، بل هو الأساس العقدي الأول لبناء وتربية الشخصية المؤمنة، فالعبادة بأنواعها لا بد أن تؤتي ثمارها الإيمانية إذا سُقيت بعقيدة الاخلاص لله عزو جل واستقرت جذور هذه العقيدة في قلب العبد المؤمن، واتخاذها منطلقاً لحركات وسكنات غصونها وأوراقها.

* تعريف عبادة الإخلاص.

الإخلاص لغة: النجاة، خلص الشيء أي نجا وسلم من كل نشب، والمخلص الذي وَّخَدَ الله -عَزَّوَجَلَّ- خالصاً^(٢)، وهو التبري عن كل من دون الله^(٣)، و ترك الرياء^(٤).

وقيل: الخالص كالصافي إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه ، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه.

ويقال خلصته فخلص^(٥)، ويأتي الإخلاص بمعنى الاختصاص، فكما يقال: استخلص الشيء الشيء لنفسه أي اختص نفسه به، فكذلك إخلاص العمل لله، أن تخص به الله دون غيره^(١).

(١) انظر: رباب نجيب أمين، الآثار الإيمانية لأسماء الله الحسنى، د.ط، ص ٤٥-٥٠.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "خلص"، (٢٦/٧).

(٣) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: "خلص"، (١٥٥/١).

(٤) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "خلص"، (٧٩٧).

(٥) انظر: الأصفهاني، مرجع سابق، مادة: "خلص"، (١٥٤/١).

تعريف الإخلاص اصطلاحاً:

ذكر العلماء تعريفات كثيرة للإخلاص منها:

عرفه الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) فقال: "الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود، وإفراد المعبود عن غيره" (٢).

وعرفه الإمام سهل بن عبد الله التستري (٣) -رحمه الله تعالى- (ت ٢٨٣هـ) فقال فيه: "نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا: أن تكون حركاته وسكناته في سره و علانيته لله تعالى وحده، لا يمازجه شيء لا هوى ولا نفس، ولا دنيا" (٤).

وتناول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تعريف هذه العبادة القلبية فقال: "فالإنابة هي انجذاب القلب، وإقباله التام على الله تعالى، ويتحقق ذلك بالإخلاص لله في كل ما يأتي العبد وما يذر، في معاملته لله والقيام بعبوديته، وفي معاملته للخلق والقيام بحقوقهم، فأصل استقامة القلب بهاذين الأمرين، فإن المنيب المخلص لله تعالى قد استقام على الصراط المستقيم، وقد تواطأ ظاهره

(١) انظر: الفيروز آبادي، مرجع سابق، مادة: "خلص"، (٣٠١/٢).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (١١٠/١)، ولفظ المؤلف، إعلام الموقعين، د. ط، (١٨٢/٢).

(٣) (التستري): هو أبو محمد سهل بن عبد الله، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعبود

الأفعال. ولد سنة (٢٠٠هـ = ٨١٥م)، له كتاب في (تفسير القرآن) مختصر، وكتاب في (رفائق المحبين) وغير ذلك، توفي في

سنة (٢٨٣هـ = ٨٩٦م). انظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام، ط ١٥، (١٤٣/٣).

(٤) انظر: النووي، المجموع شرح المذهب، ط ٤، (١٧/١).

وباطنه على الخير المحض، وقد سهلت عليه الأعمال بما في قلبه من قوة لإنباء، وما يرجوا من ربه من جزيل الثواب" (١).

ويقول -رحمه الله تعالى- عن حقيقة الإخلاص: "حقيقة الإخلاص توحيد المطلوب، وحقيقة الصدق توحيد الطلب والإرادة ولا يثمران إلا بالاستسلام المحض للمتابعة، فهذه الأركان الثلاثة هي أوصل الطريق التي من لم يبن عليها سيره، فهو مقطوع، ومن اجتمعت له فهو السابق الذي لا يجارى، وذلك فضل الله تعالى" (٢).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "توحيد الإخلاص لله وحده فلا يكون للعبد مراد غير مراد واحد وهو العمل لله وحده" (٣).

● أدلة عبادة الإخلاص.

● أولاً: الأدلة القرآنية الكريمة.

الإخلاص هو حقيقة الدين، وهو مضمون دعوة الرسل -عليهم السلام-. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٤).

يبين الإمام القرطبي (٥) -رحمه الله تعالى- (ت ٦٧١ هـ) عند تفسيره لهذه الآية تعريف عبادة

(١) انظر: السعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط ١، ص ٩٥.

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٢١٤.

(٣) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٦٩، ١٣، ١٢، وانظر لنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ١١، ١٠.

(٤) سورة البينة: آية ٥.

(٥) القرطبي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. فقيه مفسر عالم باللغة ولد سنة ٦٠٠ هـ - ١٢٠٤ م في مدينة قرطبة، كان عالماً كبيراً منقطعاً إلى العلم منصرفاً عن الدنيا، فترك ثروة علمية، أبرزها تفسيره الجامع لأحكام القرآن الكريم، و التذكرة بأحوال الموتى؛ أحوال الآخرة؛ التذكار في أفضل الأذكار، وتوفي سنة ٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م * انظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام، ط ٥، (١٥٣/٧)، القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، د. ط، (٥٩/٣).

الإخلاص بقوله: "مخلصين له الدين، أي مخلصين له العبادة، وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات، فإن الإخلاص من عمل القلب، وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره" (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (١١) ، يقرر الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لهذه الآية تعريف عبادة الإخلاص بقوله: "أي: أخلص لله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والسرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد" (٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (٤)، يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لهذه الآية بأهمية عبادة الإخلاص بقوله: "هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، ف كذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله -وَجَلَّ- في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده" (٥).

● ثانياً: الأدلة النبوية الشريفة.

وردت أحاديث نبوية كثيرة تبين أهمية عبادة الإخلاص، وإنَّ أهم حديث في باب عبادة الإخلاص هو حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، (٢٠ / ١٤٤).

(٢) سورة الزمر: آية ١١.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧١٧).

(٤) سورة الزمر: جزء من آية ٣.

(٥) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٧١٧).

امرى ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ،فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه^(١).

تناول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى -تعريف النية بقوله: "أما النية: فهي القصد للعمل تقرباً إلى الله تعالى، وطلباً لمرضاته وثوابه، فيدخل في هذا: نية العمل، ونية المعمول له.

أما نية العمل: فلا تصح الطهارة بأنواعها، ولا الصلاة والزكاة والصوم والحج وجميع العبادات إلا بقصدتها ونيتها، فينوي تلك العبادة المعينة، وأما نية المعمول له: فهو الإخلاص لله في كل ما يأتي العبد وما يذر، وفي كل ما يقول ويفعل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ٥﴾^(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ٣﴾^(٣).

وذلك أن على العبد أن ينوي نية كلية شاملة لأموره كلها، مقصوداً بها وجه الله تعالى، والتقرب إليه، وطلب ثوابه، واحتساب أجره، والخوف من عقابه، ثم يستصحب هذه النية في كل فرد من أفراد أعماله وأقواله، وجميع أحواله، حريصاً فيه على تحقيق الإخلاص وتكميله، ودفع كل ما يضاده: من الرياء والسمعة، وقصد الحمدة عند الخلق، ورجاء تعظيمهم، بل إن حصل شيء من ذلك فلا يجعله العبد قصده، وغاية مراده، بل يكون القصد الأصيل منه: وجه الله تعالى، وطلب ثوابه من غير التفات

^(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب: كيف بدء الوحي إلى الرسول ﷺ، (٣/١)، رقم الحديث: ١، أخرجه

مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: باب قوله - ﷺ - « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ »، (٤٨/٦)، رقم

الحديث: ٥٠٣٦، واللفظ عنده "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ". عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

^(٢) سورة البينة: آية ٥.

^(٣) سورة الزمر: جزء من آية ٣.

للخلق، ولا رجاء لنفعهم أو مدحهم، فإن حصل شيء من ذلك من دون قصد من العبد لم يضره شيئاً، بل قد يكون من عاجل بشرى المؤمن" (١).

ويتناول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- شرح الحديث مبيناً أهمية الإخلاص، وأن مدار قبول العمل عليه بقوله: "فقوله ﷺ: **"إنما الأعمال بالنيات"** أي: إنها لا تحصل ولا تكون إلا بالنية، وأن مدارها على النية. ثم قال: **"وإنما لكل امرئ ما نوى"** أي: إنها تكون بحسب نية العبد صحتها أو فسادها، كما لها أو نقصانها، فمن نوى فعل الخير وقصد به المقاصد العليا -وهي ما يقرب إلى الله تعالى- فله من الثواب والجزاء الجزاء الكامل الأوفى، ومن نقصت نيته وقصده نقص ثوابه. ومن توجهت نيته إلى غير هذا المقصد الجليل فاته الخير، وحصل على ما نوى من المقاصد الدنيئة الناقصة" (٢).

-ومن الأحاديث النبوية التي فيها بيان أهمية الإخلاص: حديث رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (٣).

وكذلك الحديث الذي رواه النبي ﷺ عن ربه -تبارك وتعالى-: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) (٤).

(١) انظر: السعدي، **بجعة قلوب الأبرار**، ط ٤، (٦، ٥/٧).

(٢) انظر: السعدي، **مرجع سابق**، (٧/٧).

(٣) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب البر والصلة والأدب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم الحديث: ٦٧٠٨. عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٤) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الزهد والرفائق، باب: من أشرك في عمله غير الله، (٢٢٨٩/٤) رقم الحديث: ٢٩٨٥. عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

● ثمرات عبادة الإخلاص:

قطف لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- ثمار طيبة من شجرة عبودية الإخلاص فقال: "

أولاً: فالمخلص لله قد علق قلبه بأكمل ما تعلق به القلوب من رضوان ربه وطلب ثوابه، وعمل على هذا المقصد الأعلى فهانت عليه المشقات، وسهلت عليه النفقات، وسمحت نفسه بأداء الحقوق كاملة موفرة، وعلم أنه قد تعوض عما فقدته أفضل الأعواض وأجزل الثواب وخير الغنائم.

ثانياً: من ثمرات الإخلاص أنه يمنع منعاً باتاً من قصد مراعاة الناس وطلب مُجَدِّتهم، والهرب من ذمهم، والعمل لأجلهم، والوقوف عند رضاهم وسخطهم، والتقييد بإرادتهم ومرادهم، وهذا هو الحرية الصحيحة ألا يكون القلب متقيداً متعلقاً بأحد من الخلق.

ثالثاً: ومن ثمرات الإخلاص أن العمل القليل من المخلص يعادل الأعمال الكثيرة من غيره، وأن المخلصين هم أسعد الناس بشفاعة مُجَدِّ - ﷺ - .

رابعاً: وأنَّ المخلص يصرف الله عنه من السوء والفحشاء ما لا يصرفه عن غيره. قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٤)، قرئ بكسر اللام وفتحها، وهما متلازمان، لأن الله تعالى لإخلاصهم جعلهم من المخلصين.

خامساً: إن المخلصون هم خلاصة الخلق وصفوتهم، وهل يوجد أكمل ممن خلصت إرادتهم ومقاصدهم لله وحده، طلباً لرضاه وثوابه، وتفرغت أعمالهم الظاهرة والباطنة على هذا الأصل الطيب الجليل، ومثل كلمة طيبة: قَالَ تَعَالَى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ^{٢٥} (٢).

(١) سورة يوسف: جزء من آية ٢٤.

(٢) سورة إبراهيم: جزء من الآيتان ٢٥، ٢٤.

سادساً: ومن ثمرات الإخلاص الطيبة: أنَّ المخلص إذا عمل مع الناس إحساناً قولياً، أو فعلياً أو مالياً أو غيره، لم يبالي بجزائهم ولا شكرهم لأنه عامل الله تعالى، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يثني عزمه ونشاطه قلة شكرهم له، فقد قال تعالى في حق المخلصين: ﴿ إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۖ ﴾^(١)،^(٢).

من خلال ما تقدم نُعرِّف (الإخلاص) بأنه عبادة عظيمة وهي إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة؛ أي أن نقصده وحده لا شريك له، مع تصفية العبادة عن ملاحظة المخلوقين، وهذا ما وافق به الشيخ السعدي أئمة علماء السنة وسار عليه -رحمهم الله تعالى- أجمعين.

● ثالثاً: عبادة الصبر:

الصبر من الإيمان بمثابة الرأس من الجسد، الصبر كنز من كنوز الخير، وهو يشتمل على أكثر مكارم الأخلاق.

● تعريف عبادة الصبر:

الصبر لغة: الصاد والباء والراء أصول ثلاثة: الأول الحبس، والثاني: أعالي الشيء، والثالث: جنس من الحجارة.

فالأول: الصبر وهو الحبس. يقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حبسْتُها. والمصبورة المحبوسة على الموت. وأما الثاني فقالوا: صَبِرَ كُلُّ شيء أعلاه. وأما الأصل الثالث فالصُّبرة من الحجارة: ما اشتدَّ وغلُظَ^(٣).

(١) سورة الإنسان: آية ٩.

(٢) انظر: السعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط ١، ص (٩٦، ٩٧).

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د. ط، مادة: "صبر"، (٣/ ٣٢٩).

تعريف الصبر اصطلاحاً:

ذكر العلماء تعريفات متعددة للصبر منها:

يعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (ت ٧٢٨هـ) بقوله: "الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة الهوى" (١).

ويقول أيضاً - رحمه الله تعالى -: "الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه لا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه" (٢).

وعرفه الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - (ت ٧٥١هـ) بقوله: "هو حبس النفس عن الجزع و التسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن لطم الحدود وشق الثياب ونحوها" (٣).

وبين الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - حقيقة الصبر بقوله: "هو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمنع صاحبه من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها" (٤).

وقيل: "هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقيل: الصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة" (٥)، و "حقيقة الصبر مع الله: هو ثبات القلب بالاستقامة معه" (٦).

(١) انظر: ابن تيمية، رسالة في قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة)، د. ط، ص ٨٤. أبو حمزة الشامي، مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، د. ط، (١ / ٧).

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) ابن القيم، عدة الصابرين، ط ٣، (١ / ٣)، ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (١٥٦ / ٢).

(٤) ابن القيم، عدة الصابرين، ط ٣، (١ / ٣).

ويقدر الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تعريف عبادة الصبر عند تفسيره لقوله عز شأنه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَٰبِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤).

فيقول: "ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح -وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم **الصبر**، الذي هو: حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

والمصابرة أي: الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.

والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي و الأخروي، وينجون من المكروه كذلك. فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدا الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها" (٥).

ويتحدث الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عن عبادة الصبر ويبين أهميته في الحصول على الأمور العظمية بقوله: "هو الأساس الأكبر لكل خُلُقٍ جميلٍ، والتنزه من كل خُلُقٍ رذيلٍ، وهو حبس النفس على ما تكره، وعلى خلاف مرادها طلباً لرضى الله وثوابه، ويدخل فيه الصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقدار الله المؤلمة. فلا تتم هذه الأمور الثلاثة التي تجمع الدين كله إلا بالصبر.

١ سكينه، راحة، سعة.

(٢) ابن القيم، مرجع سابق، (١٥/١).

(٣) ابن القيم، المرجع السابق، (١٥/١).

(٤) سورة آل عمران: آية ٢٠٠.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/١٦٢).

فالتطاعات خصوصاً الطاعات الشاقة، كالجهاد في سبيل الله، والعبادات المستمرة كطلب العلم والمداومة على الأقوال النافعة، والأفعال النافعة، لا تتم إلا بالصبر عليها، وتمرين النفس على الاستمرار عليها وملازمتها ومرابطتها، وإذا ضعف الصبر ضعفت هذه الأفعال، وربما انقطعت.

وكذلك كفّ النفس عن المعاصي وخصوصاً المعاصي التي في النفس داعٍ قويٍّ إليها، لا يتم التّرك إلا بالصبر والمصابرة على مخالفة الهوى وتحمل مرارته.

وكذلك المصائب حين تنزل بالعبد ويريد أن يقابلها بالرضى والشكر والحمد لله على ذلك لا يتم ذلك إلا بالصبر واحتساب الأجر، ومتى مرّ العبد نفسه على الصبر، ووطنها على تحمل المشاق والمصاعب وجدّ واجتهد في تكميل ذلك، صار عاقبته الفلاح والنجاح، وقلّ من جدّ في أمر تطلبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر"^(١).

● أدلة عبادة الصبر.

● أولاً: الأدلة القرآنية الكريمة.

أمر الله تعالى عباده بالصبر وأثنى على الصابرين، وأخبر أنّ لهم المنازل العالية والكرامات الغالية في آيات كثيرة من القرآن، وأخبر أنّهم يوفون أجرهم بغير حساب"^(٢)، وقد تناول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عبادة الصبر بالتفصيل كما تناول غيرها من العبادات من خلال تفسيره للآيات القرآنية التالية:

الدليل الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾^(٣)، يشير الشيخ السعدي -رحمه الله

تعالى- إلى الصبر النافع الممدوح الذي هو من صفات أهل الإيمان عند تفسيره لهذه الآية بقوله: "﴿

(١) انظر: السعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط ١، ص (١٠٤، ١٠٣).

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص (١٠٤).

(٣) سورة الرعد: جزء من آية ٢٢.

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ﴿١﴾. على المأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد منها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها. ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ﴿أَبِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿٢﴾، لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه، طلبا لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة" (٣).

الدليل الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٤﴾، يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لهذه الآية أن العبد المنتفع بآيات ربه، الشاكر لنعمه، هو العبد الصابر بقوله: "فهم المنتفعون بالآيات، صبار على الضراء، شكور على السراء، صبار على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقداره، شكور لله، على نعمه الدينية والدنيوية" (٥).

الدليل الثالث: قاعدة عظيمة في الصبر:

و يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن الصبر أكبر عون على جميع الأمور، والإحاطة بالشيء علما وخبرا هو الذي يعين على الصبر، و قَعَّدَ الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قاعدة عظيمة لعبادة الصبر من هذه الآية القرآنية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ ﴿٦﴾، بقوله: "أمرهم

(١) سورة الرعد: جزء من آية ٢٢.

(٢) سورة الرعد: جزء من آية ٢٢.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٤١٦/١).

(٤) سورة لقمان: جزء من آية ٣١.

(٥) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٦٥٢/١).

(٦) سورة البقرة: جزء من آية ٤٥.

الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وهذه القاعدة عظيمة النفع قد دلَّ القرآن عليها صريحاً وظاهراً في أماكن كثيرة، فقلوه سبحانه ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(١)، أي: استعينوا على جميع المطالب، وفي جميع شئونكم بالصبر، فبالصبر يسهل على العبد القيام بالطاعات، وأداء حقوق الله وحقوق عباده، وبالصبر يسهل عليه ترك ما تهواه نفسه من المحرمات، فينهاها عن هواها حذر شقاها، وطلباً لرضى مولاها، وبالصبر تخف عليه الكريهات. ولكن لهذا الصبر وسيلته وآلته التي ينبني عليها، ولا يتم وجوده إلا بها: وهي معرفة الشيء المصبور عليه، ومعرفة ما فيه من الفضائل وما يترتب عليه من الثمرات.

فمتى عرف العبد ما في الطاعات من زيادة الإيمان، وصلاح القلوب واستكمال الفضائل، وما تثمره من الخيرات والكرامات، وما في المحرمات من الضرر والردائل وما توجبه من العقوبات المتنوعة، وعلم ما في أقدار الله من البركة وما لمن قام بوظيفته فيها من الأجور، إذا عرف ذلك هان عليه الصبر على جميع الشدائد. وبهذا فضل العلم، وأنه أصل الفضائل كلها ولهذا يذكر الله تعالى كثيراً في كتابه أن المنحرفين في الأبواب الثلاثة ما انحرفوا إلا لقصور علمهم، وعدم إحاطتهم التامة بها"^(٢).

الدليل الرابع: جزاء الصابرين:

(١) سورة البقرة: جزء من آية ٤٥.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٥١).

وبيّن سبحانه جزاء الصابرين فيأخذ قلوبهم بهذه اللمسة في موضعها المناسب ، ويعالج ما يشق على تلك القلوب الضعيفة العلاج الشافي ، وينسم عليها في موقف الشدة نسمة القرب والرحمة^(١). قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا انْقُضُوا رَبَّكُمْ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢)، ويوضح الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- جزاء عبادة الصبر عند هذه الآية بقوله: "﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾"^(٣)، وهذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها ، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، فوعده الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله، وأنه معين على كل الأمور"^(٤).

● ثانياً: الأدلة النبوية الشريفة.

في السنة النبوية أحاديث كثيرة تبين فضيلة الصبر وثوابه اذكر منها:

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ - ﷺ - بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ فَقَالَ: (اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي). قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمَصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ: لَهَا إِنَّهُ النَّبِيُّ - ﷺ -. فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) ^(٥).

(١) انظر: أبو حمزة الشامي، مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، د.ط، (١/ ٤).

(٢) سورة الزمر: آية ١٠.

(٣) سورة الزمر: جزء من آية ١٠.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٧٢٠/١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: زيارة القبور ، (٥ / ٢٩)، رقم الحديث: ١٢٠٣، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز ، باب: فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى. (٤٩١/٤)، رقم الحديث: ١٥٣٥. عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - .

* وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: (مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) (١).

● أقسام عبادة الصبر:

للصبر أنواع يبينها الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - (ت ٧٥١هـ) في كتبه (عدة الصابرين) بقوله: "الصبر ضربان: ضرب بدني وضرب نفسي، وكل منهما نوعان اختياري واضطراري فهذه أربعة أقسام:

الأول: البدني الاختياري، كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختياراً وإرادة.

الثاني: البدني الاضطراري كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك.

الثالث: النفسي الاختياري كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً.

الرابع: النفسي الاضطراري كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه" (٢).

وقد قسم الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - الصبر ثلاثة أقسام، وبين ما يتعلق بكل نوع

وهي (٣): .

الأول: صبر على طاعة الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، (٣١٨/٥)، رقم الحديث: ١٣٧٦، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل التَّعَفُّفِ وَالصَّبْرِ (٢٧٤/٥)، رقم الحديث: ١٧٤٥، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .

(٢) انظر: ابن القيم، عدة الصابرين، ط ٣، (١/٧).

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٢١٤-٢١٥.

الثاني: صبر عن معصية الله تعالى.

الثالث: صبر على امتحان الله تعالى.

فالأولان: صبر على ما يتعلق بالكسب، والثالث: صبر على ما لا كسب للعبد فيه، وصبر الاختيار أكمل من صبر الاضطرار، ومن تمام الصبر أن يكون كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾^(١)، وأقواه أن يكون بالله معتمداً فيه عليه لا على نفسه ولا على غيره من الخلق.

● ثمرة الصبر:

قطف لنا الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ثمار طيبة من شجرة عبودية الصبر فقال: "وَحَسْبُكَ مِنْ خَلْقٍ يَسْهَلُ عَلَى الْعَبْدِ مَشَقَّةُ الطَّاعَاتِ، وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ تَرْكُ مَا تَهْوَاهُ النُّفُوسُ مِنَ الْمَخَالَفَاتِ، وَيُسْلِيهِ عَنِ الْمَصِيبَاتِ، وَيُجِدُّ الْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ كُلَّهَا، وَيَكُونُ لَهَا كَالْأَسَاسِ لِلْبَنِيَانِ. وَمَتَى عَلِمَ الْعَبْدُ مَا فِي الطَّاعَاتِ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَمَا فِي الْمَعَاصِي مِنَ الْأَضْرَارِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَمَا فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ، وَالْأَجْرِ الْجَمِيلِ، سَهَلَ الصَّبْرُ عَلَى النَّفْسِ، وَرَبَّمَا أَتَتْ بِهِ مِنْقَادَةٌ مُسْتَحْلِيَةٌ لثَمَرَاتِهِ. وَإِذَا كَانَ أَهْلُ الدُّنْيَا يَهْوَنُ عَلَيْهِمُ الصَّبْرُ عَلَى الْمَشَقَّاتِ الْعَظِيمَةِ لِتَحْصِيلِ حَطَامِهَا، فَكَيْفَ لَا يَهْوَنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمَوْفُوقِ الصَّبْرُ عَلَى مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ لِحَصُولِ ثَمَرَاتِهِ، وَمَتَى صَبَرَ الْعَبْدُ لِلَّهِ مُخْلِصًا فِي صَبْرِهِ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بِالْعَوْنِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّسْدِيدِ"^(٢). نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنا مِنْ عِبَادِهِ الصَّابِرِينَ الْمُخْلِصِينَ الصَّادِقِينَ.

من خلال ما تقدم نُعرِّف (الصبر) بأنه عبادة عظيمة تحمِّلُ صاحبها على ضبط النَّفْسِ وتحْمِلُ الآلام والابتلاءات وتلقِّيها بالرضى والطمأنينة دون سخط أو شكوى، وهو نوعان اختياري

(١) سورة الرعد: جزء من آية ٢٢.

(٢) انظر: السعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط ١، ص ١٠٤.

واضطرابي، وصبر الاختيار أكمل من صبر الاضطراب، وهذا ما وافق به الشيخ السعدي أئمة علماء السنة وسار عليه-رحمهم الله تعالى-أجمعين.

وهنا نصل إلى نهاية الفصل الثالث: الأصول العقدية المتعلقة بتوحيد الألوهية، ويليه الفصل الرابع: الذي نتحدث فيه عن الأصول العقدية المتعلقة في توحيد الأسماء والصفات، والله ولي الاحسان.

الفصل الرابع: الأصول العقدية المتعلقة في توحيد الأسماء والصفات.

إن الباحث في أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ليدرك أن هذا الباب هو أهم مباحث الاعتقاد ؛ إذ بمعرفة أسماء الله وصفاته يستطيع التوصل للمعرفة الحقّة بالله ﷻ ، التي هي أعظم ما يرجوه العبد من المقاصد والمطالب في العلم والعبادة ، فالعلم بأسمائه الحسنى المتضمنة للصفات العلى؛ أشرف العلوم، وأفضلها، بل هو أصلها كلها و أعلاها مكانة، وأجلها شرفاً، فهو الفقه الأكبر في الدين، وأسمى المراتب في كمال الإيمان واليقين، وأفضل الثمرات في تحقيق التوحيد، وذلك أن شرف العلم يعلو بشرف معلومه، ولا أشرف وأفضل من العلم بالله تبارك وتعالى، وبأسمائه الحسنى، صفاته العلى، التي جاءت في الآيات القرآنية، والسنة النبوية المطهّرة.

لذا فإن نجد أن السلف الصالح قديماً وحديثاً اهتموا ببيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها، وبيان ثمرات الإيمان بها، وكان الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-منهم حيث كان موقفه من الأسماء الحسنى والصفات الواجبة لله تعالى موقف أهل السنة والجماعة وهو: إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتتها لنفسه وأثبتها رسول الله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه. وهذا ما سنلاحظه من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: أصول الايمان بأسماء الله وصفاته.

المبحث الرابع: تفسير أسماء الله الحسنى.

المبحث الخامس: ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته.

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

إن العلم بأسماء الله وصفاته أشرف علم القلوب، وأزكى ما أدركته العقول؛ فهو زبدة الرسالة الإلهية، وهو الطريق إلى معرفة الله وعبادته وحده لا شريك له.

وقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) بقوله: "هو الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ. من غير تحريف^(١)، ولا تعطيل^(٢)، ولا تكييف^(٣)، ولا تمثيل^(٤)"^(٥).

وعرفه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بتعريف جامع حيث قال: "توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد انفراد الرب -جلاله- بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه. وذلك بإثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله -ﷺ-. من جميع الأسماء، والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل. ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله -ﷺ-. من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله"^(٦).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات جميع ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ - من الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات من غير

١ التحريف معناه: تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها.

٢ التعطيل معناه: سلب الصفات ونفيها عن الله تعالى.

٣ التكييف معناه: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات.

٤ التمثيل فمعناه: التشبيه، فلا يقال: ذات الله مثل ذواتنا أو شبه ذواتنا، وهكذا.

(٥) انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٦.

(٦) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ١٠. ولنفس المؤلف طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٨٧.

تشبيهه، ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل" (١).

وذكر-رحمه الله تعالى- أن توحيد الأسماء والصفات يدخل فيه توحيد الربوبية فقال: "، توحيد الأسماء

والصفات، ويدخل فيه توحيد الربوبية، وهذا يرجع إلى العلم والاعتقاد" (٢).

من خلال ما تقدم تبين لنا أن توحيد الأسماء والصفات هو: الإيمان بأن الله -جَلَّالَ- متفرد
بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال. وذلك بإثبات ما أثبتته الله
لنفسه، أو أثبتته له رسوله -ﷺ- من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإثبات معانيها وأحكامها
الواردة بالكتاب والسنة .

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٣٩/١)، ولنفس المؤلف، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط ١، ص ١١ .

(٢) انظر: السعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط ١، ص ٨.

المبحث الثاني: معتقد أهل السنة في باب الأسماء والصفات.

المطلب الأول: معتقد أهل السنة في باب الأسماء الحسنی^(١).

اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات جميع أسماء الله تعالى الثابتة في القرآن وصحيح السنة، مع إثبات ما تضمنته تلك الأسماء من صفات الكمال على الوجه اللائق بذي العزة والجلال، وإثبات ما يتعلق بهذه الأسماء والصفات من أحكام ومقتضيات، ويمكن إجمال عقيدة السلف مع ذكر أقوالهم، ومنهم الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- يرى ما يروونه كما تبينه النقاط التالية:

أولاً: التوقف على ما جاء في القرآن الكريم، وما صلح الاحتجاج به من الأحاديث النبوية؛ فيشمل الصحيح، والحسن منها، دون زيادة ولا نقصان، ودون الخوض في إثبات الأسماء بمجرد العقل، وهو معنى قولهم: إن أسماء الله توقيفية^(٢)، وذلك لسببين:

السبب الأول: أن باب الأسماء الحسنی يدخل في نطاق الأمور الغيبية التي لا يمكن لنا أن نعرفها إلا عن طريق الرسل -عليهم السلام-، ولو كان العقل قادراً على معرفة أسماء الله، وما يجوز أن يسمى به -سبحانه- مما لا يجوز، لما احتاج الناس إلى الوحي، ولأصبح إرسال الرسل إلى الناس من العبث، تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٣).

السبب الثاني: أن العلم بالأسماء الحسنی على سبيل التفصيل فرع من العلم بالذات، والعقل لا يدرك الذات^(٤)، فلا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء تفصيلاً، فوجب الوقوف في ذلك على النصوص^(٥)؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٦).

(١) انظر: رباب نجيب أمين، الآثار الإيمانية لأسماء الله الحسنی، د.ط، ص ٢٣-٣٦.

(٢) انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د.ط، (١ / ٢٧٠).

(٣) انظر: التّجدي، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنی، ط ٥، ص (٤٤، ٤٥) "بتصرف شديد".

(٤) انظر: البريكان، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، ط ١، ص ١٤٦.

(٥) انظر: ابن القيم، شرح أسماء الله الحسنی، ط ١، ص ٦٦. وانظر: ابن عثيمين، القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه

الحسنی، د.ط، ص (١٣).

(٦) سورة الإسراء: آية ٣٦.

وبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن أسماء الله وصفاته **توقيفية** بقوله: "نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل ثبت له سبحانه ما أثبت له لنفسه من الأسماء والصفات، ونفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيهاً" (١).

وبين -رحمه الله تعالى- ذلك أيضاً عند تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (٢): "وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين منهي عنهما، وهما: قول الكذب على الله تعالى، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ورسله، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، أو نفى عنه ما أثبت له لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور" (٣).

ويقول -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "والواجب في أسمائه الحسنی وصفاته العليا أن تثبت على ما جاء به الكتاب والسنة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، فلا ينفي منها اسم ولا ينفي من معانيها صفة، ولا تشبه بصفات المخلوقين" (٤).

* و يقول الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- (ت ٣٥٤ هـ): "لله تعالى أسماء جاء بها كتابه واخبر بها نبيه أمته لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول" (١).

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٢٥٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٢١٦، ٨٠). "بتصرف".

(٤) انظر: السعدي، الحق الواضح المبين، ط ٢، ص ٥٥.

وقال الإمام الخطابي ^(٢) -رحمه الله تعالى- (٣٨٨هـ): " ومن علم هذا الباب -أعني الأسماء الصفات -ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط : أنه لا يتجاوز فيها التوقيف " ^(٣) .

وقال الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي ^(٤) -رحمه الله تعالى- (٦٢٠هـ): " ومذهب السلف - رحمة الله عليهم - الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنزيله، وعلى لسان رسوله ﷺ، من غير زيادة عليها، ولا نقص منها " ^(٥) .

ثانياً: كما يقر أهل السنة أن أسماء الله تعالى كلها **حسنى**: أي بالغة في الحسن غايته، قال

وَعَلَيْكُمْ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) ،

يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- هذا المعتقد على منهج أهل السنة عند تفسيره لهذه الآية بقوله: "هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علماً محضاً لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما

(١) انظر: ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة و الجهمية، ط ١، (١/٩٤)، وأورده الذهبي، في العلو للعلي الغفار، ط ١، (١٦٦/١) الجملة الأولى منه فقط . "باختصار".

(٢) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي البستي، أبو سليمان، الفقيه، الأديب، المحدث، صاحب التصانيف البديعة، ولد سنة ٣١٧هـ، وقيل: ٣١٩هـ. *انظر في ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط ١، (١/٤٥٣)، السبكي، طبقات الشافعية، د.ط، (٣/٢٨٢)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط ٩، (١٧/٢٣)، السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، د.ط، (١/٥٤٦).

(٣) انظر: الخطابي، شأن الدعاء، ط ١، ص ١١١.

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، موفق الدين، فقيه، زاهد، كثير العبادة، كان إماماً في فنون كثيرة، توفي سنة ٦٢٠هـ. *انظر في ترجمته: الذهبي، مرجع سابق، (٢٢/١٦٥)، ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، د.ط، (٢/١٣٣)، ابن العماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ٧، (٥/٨٨).

(٥) انظر: المقدسي، ذم التأويل، ط ١، ص ١١.

صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها^(١).

ويقول -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها؛ لأنها وسيلة مقربة إليه يحبها ويحب من يحبها ويحب من يحفظها، ويجب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها.^(٢)

ثالثاً: مع إقرار أهل السنة بجميع الأسماء، فإنهم يقرون بجميع ما تضمنته تلك الأسماء من صفات الكمال، فأسماء الله -وَجَلَّ- أعلامٌ وأوصافٌ، أعلامٌ باعتبار دلالتها على الذات، وأوصافٌ باعتبار دلالتها على الصفات، فأسماء الرب -تبارك وتعالى- كما يبين ذلك الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بقوله: "أن أسمائه الحسنی كلها أعلام وأوصاف دالة على معانيها، وكلها أوصاف مدح وحمد وثناء؛ ولذلك كانت حسنى فلو كانت أعلاماً محضة لم تكن حسنى"^(٣).

وبهذا يتميز معتقد السلف عن سائر أهل البدع، سواء من أقر بالأسماء وأنكر بعض الصفات، أو من أنكر كل الصفات ممن رأى أن أسماء الله جامدة لا تحمل أي معنى، ولا تتضمن أي صفة، وزعم أنه -وَجَلَّ- عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سمیع بلا سمع، كما يذهب إليه المعتزلة، ومن نحاً نحوهم كالجهمية .

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٠٩).

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٥ / ١٤٥). انظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص ١٢١.

(٢٦) للاستزادة في هذه المسألة: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٤٣/٦)، وانظر أيضاً: ابن القيم لمؤلفاته التالية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د.ط، ص (٢٧٠)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط ٢، (٢٨/١)، (١٢٥/١)، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ط ٢، ص (١٧٢)، بدائع الفوائد، ط ١، (١٧٠/١)، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ط ٣، (٩٣٨/٣)، وانظر أيضاً: انظر: السعدي، الحق الواضح المبين، ط ٢، ص ٥٥. ولنفس المؤلف: توضيح الكافية الشافية، ط ١، ص ٩٦، ابن عثيمين، القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنی، د.ط، ص (٢١).

رابعاً: كما يقر أهل السنة أن دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة وبالتضمن وبالالتزام.

إن دلالة الأسماء الحسنى قسمان:

أولاً: دلالة لفظية وهي نوعان:

أ- دلالة مطابقة: وذلك بدلالة الاسم على جميع أجزائه: "الذات والصفات" دلالة اللفظ على كل معناه.

ب- دلالة تضمن: وذلك بدلالة الاسم على بعض أجزائه.

ثانياً: دلالة معنوية عقلية وهي: دلالة التزام: وذلك بدلالة الاسم على غيره من الأسماء أو الصفات التي تتعلق تعلقاً وثيقاً بهذا الاسم وإن كانت خارجة عنه.

وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى نوعي دلالة الأسماء الحسنى، وأنها مشتملة على الدلالات الثلاث وهي: دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام، وهذا جاري في جميع الأسماء الحسنى كل واحد منها يدل على الذات، وتلك الصفة دلالة مطابقة، ويدل على الذات وحدها أو على الصفة وحدها دلالة تضمن. ويدل على الصفة الأخرى اللازمة لتلك المعاني دلالة التزام، بقوله: "فإن الدلالة نوعان: لفظية، ومعنوية عقلية، فإن أعطيت اللفظ جميع ما دخل فيه من المعاني فهي دلالة مطابقة، لأن اللفظ طابق المعنى من غير زيادة ولا نقصان، وإن أعطيته بعض المعنى فتسمى دلالة تضمن، لأن المعنى المذكور بعض اللفظ وداخل في ضمنه، وأما الدلالة المعنوية العقلية فهي خاصة بالعقل والفكر الصحيح؛ لأن اللفظ بمجرد لا يدل عليها وإنما ينظر العبد ويتأمل في المعاني اللازمة لذلك اللفظ الذي لا يتم معناها بدونها وما يشترط له من الشروط، وهذا يجري في جميع الأسماء الحسنى كل واحد منها يدل على الذات وتلك الصفة دلالة مطابقة، ويدل على الذات وحدها أو على الصفة وحدها دلالة تضمن. ويدل على الصفة الأخرى اللازمة لتلك المعاني دلالة

التزام، مثال ذلك: (الرَّحْمَنُ) يدل على الذات وحدها وعلى الرحمة وحدها دلالة تضمن، وعلى الأمرين دلالة مطابقة، ويدل على الحياة الكاملة، والعلم المحيط، والقدرة التامة ونحوها دلالة التزام لأنه لا توجد الرحمة من دون حياة الراحم وقدرته الموصلة لرحمته، للمرحوم وعلمه به وبحاجته" (١)، و" هذه الأخيرة- دلالة التزام- تحتاج إلى قوة فكر وتأمل ، ويتفاوت فيها أهل العلم ، فالطريق إلى معرفتها أنك إذا فهمت اللفظ وما يدل عليه من المعنى ، وفهمته فهماً جيداً ففكر فيما يتوقف عليه ولا يتم بدونه، وهذه القاعدة تنفعك في جميع النصوص الشرعية فدالاتها الثلاث كلها حجة ؛ لأنها معصومة محكمة" (٢).

خامساً: كما يقر أهل السنة أن أسماء الله الحسنى قديمة غير مخلوقة (٣)، وأن الله هو الذي سمي بها نفسه، فالله - ﷻ - هو الذي تكلم بهذه الأسماء. فأسماء الله غير مخلوقة بل هو الذي تكلم بها، وكلام الله غير مخلوق، وقد أكد ذلك الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بقوله: " وأما القرآن فإني أقول إنه كلام الله ﷻ منزل غير مخلوق. منه بدا وإليه يعود، تكلم الله به صدقاً، وسمعه جبريل ﷺ منه حقاً وبلغه مُحمّداً ﷺ وحيّاً وإنه عين كلام الله حقيقة، وأن جميعه كلام الله وليس قول البشر...، ونقول: إن الله فوق سماوته مستو على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته وهو العلي الأعلى بكل اعتبار" (٤).

(١) انظر: السعدي، الحق الواضح المبين، ط٢، ص ٥٤، ٥٥.

(٢) انظر: السعدي، توضيح الكافية الشافية، ط١، ص ١٣٢-١٣٣.

(٣) انظر: كاملة الكواري، المجلي في شرح القواعد المثلى. ط١، ص ١٦١.

(٤) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص ٢٥٣.

ومما يدل على أن الأسماء الحسنى من كلام الله قول الرسول ﷺ: (أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ)^(١)، وقد أكَدَّ ذلك الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - (ت ٧٥١هـ) بقوله: "وقد دل الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه، ولهذا لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها، فإن الله لا يقسم عليه بشيء من خلقه، فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم"^(٢).

سادساً: إقرار أهل السنة أنه ليس من أسماء الله اسم جامد لا معنى له، بل كل اسم من الأسماء الحسنى يدل على الذات، وعلى ما تضمنه ذلك الاسم من صفة، كما يبين ذلك الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - بقوله: "الأسماء تدل على الصفات وهي مشتقة منها، وصفاته تدل على اسمائها، فما سمي بالعليم التقدير الحي السميع البصير ونحوها إلا لما اتصف به من كمال العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر، والفعل مرتبطة به الأسماء والصفات"^(٣).

وهذا معنى قول العلماء: إنها مشتقة، بمعنى أنها دالة على صفة له - وَجَلَّ -، وأنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، ولم يريدوا بذلك أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله كما توهمه من نفى الاشتقاق، ومسألة اسم (الله) مشتق كسائر الأسماء، وهي مسألة خلافية فالبعض قال: أنه جامد، والبعض الآخر ذهب: أنه مشتق وليس جامداً كما ذهب إليه البعض^(٤).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب: الأدعية (٣ / ٢٥٣)، رقم الحديث: ٩٧٢، [قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح]، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن مسعود، (٣٩١/١)، رقم الحديث: ٣٧١٢، وأيضاً: (١ / ٤٥٢)، رقم الحديث: ٤٣١٨. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ص (١٩٩).

(٢) انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د.ط، (١ / ٢٧٦).

(٣) انظر: السعدي، توضيح الكافية الشافية، ط ١، ص ١٠٠.

(٣٣) انظر في بيان اشتقاق أسماء الله الحسنى: ابن القيم لمؤلفاته التالية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د.ط، ص (٢٧٧)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط ٢، (١ / ٢٨)، بدائع الفوائد، ط ١، (١ / ٢٦-٢٧)، وانظر أيضاً: الزركشي، معنى "لا إله إلا الله"، ط ٣، ص (١٠٦-١١٠)، النجدي، النهج الأسامي في شرح أسماء الله الحسنى، ط ٥، ص (٧٠).

مما سبق نقول إن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد وافق أهل السنة والجماعة في معتقدهم في باب الأسماء الحسنى، وسار على منهجهم.

المطلب الثاني: معتقد أهل السنة في باب الصفات.

أهل السنة والجماعة يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ - من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، وطريقتهم في أسماء الله وصفاته مبني على أصولين هما^(١):

الأصل الأول (الإثبات): يثبتون ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

الأصل الثاني (النفي): ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى إذ إن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب؛ فجميع صفات النقص كالعجز والنوم والموت ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله، وما نفاه عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية، وإثبات كمال ضدها؛ وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال حتى يكون متضمناً لصفة ثبوتية يُحمد عليها كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٢). وقد قرر الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- طريقة أهل السنة والجماعة في الإيمان بأسماء الله وصفاته بقوله: "كيفية الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأنه مبني على أصلين :

أحدهما: النفي وثانيهما: الإثبات؛ أما **النفي** فإنه ينفي عن الله ما يضاد الكمال من أنواع العيوب والنقائص، وينفي عنه أيضاً أن يكون له شريك أو نديد أو شبيه في شيء من صفاته أو في حق من حقوقه الخاصة، فكل ما ينافي صفات الكمال فإن الله منزّه عنه مقدس، والنفي مقصود لغيره، والقصد منه إثبات ما لم يرد نفي شيء منه في الكتاب والسنة عن الله إلا بقصد إثبات ضده،

(١) انظر: ابن منده، التوحيد، د.ط، (١٠٢/٢)، انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٣٠/٣-٤٠، ٢٦/٥). ولنفس

المؤلف، منهاج السنة النبوية، ط ١، (١٠٥/٢ و ١٠٩-١١١ و ١٣٢ و ١٩٢ و ١٩٨ و ٥٥٤-٥٥٦).

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

فنفي الشريك والنديد عن الله لكمال عظمته وتفرد به بالكمال؛ ونفي السنّة والنوم والموت لكمال حياته ونفي عزوب شيء عنه لعلمه وقدرته . ولهذا كان التنزيه والنفي لأُمور مجملة عامة.

وأما **الإثبات** فإنه يجمع الأمرين: إثبات المجملات كالحمد المطلق، والكمال المطلق، والمجد المطلق ونحوها. وإثبات المجملات: كتفصيل علم الله وقدرته وحكمته ورحمته، ونحو ذلك من صفاته، فأهل السنة والجماعة لزموا هذا الطريق الذي هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وبلزومهم لهذا الطريق النافع تمت لهم النعمة، وصحت عقائدهم، وكملت أخلاقهم، أما من سلك غير هذا السبيل فإنه منحرف في عقيدته وأخلاقه وآدابه^(١).

*** وقد قرر هذا المنهج الحق في أسماء الله وصفاته من خلال تفسيره للأدلة والآيات القرآنية التالية:**

الدليل الأول: فقال -رحمه الله تعالى- عن سورة الإخلاص: "فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات"^(٢)، فإثبات الوجدانية لله ومعاني الصمدية كلها يتضمن إثبات تفاصيل جميع الأسماء الحسنى والصفات العلي ، فهذا أحد نوعي التوحيد ، وهو الإثبات وهو أعظم النوعين ، والنوع الثاني: التنزيه لله عن الولادة والند والكفو والمثل ، وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^(٣)، أي: ليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير ، فمتى اجتمع للعبد هذه المقامات المذكورة في هذه السورة ، بأن نزه الله وقدمه عن كل نقص وند وكفو ومثيل ، وشهد بقلبه انفراد الرب بالوجدانية والعظمة والكبرياء وجميع صفات الكمال التي ترجع إلى هذين الاسمين الكريمين وهما الأحد ، الصمد ، ثم صمد إلى ربه وقصده في عبوديته وحاجته الباطنة والظاهرة

(١) انظر: السعدي، **التنبيهات اللطيفة**، ط ٢، ص ١٩، ١٨.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٩٣٧).

(٣) سورة الإخلاص: الآيتان ٤، ٣.

، متى كان كذلك- تم له التوحيد العلمي الاعتقادي والتوحيد العملي ، فحق لسورة تشتمل على هذه المعارف أن تعدل ثلث القرآن^(١).

الدليل الثاني: ومن ذلك ما بينه عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، "أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾^(٣) لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. ﴿الْبَصِيرُ﴾^(٤) يرى ديب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة، في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٦) وعلى المعطلة^٧، في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) ^(٢).

(١) انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة ، ط ٢، ص ٢٢، ٢١.

(٢) سورة الشورى :جزء من آية ١١ .

(٣) سورة الشورى :جزء من آية ١١ .

(٤) سورة الشورى :جزء من آية ١١ .

° **المشبهة:** هم الزائغون عن سبيل الرسل وأتباعهم في أسماء الله وصفاته، غلوا في جانب الإثبات، وقصّروا في جانب النفي، وطريقتهم أنهم أثبتوا لله الصفات على وجه يماثل صفات المخلوقين، فقالوا: لله وجه، ويدان، وعينان، كوجوهنا، وأيدينا، وأعيننا، ونحو ذلك. انظر : ابن عثيمين ، **تقريب التندمية** ، د. ط ، ص ٢١ .

(٦) سورة الشورى : جزء من آية ١١ .

٧ **المعطلة:** هم الزائغون عن سبيل الرسل وأتباعهم في أسماء الله وصفاته، وهم الذين أنكروا ما سمى الله تعالى، ووصف به نفسه إنكاراً كلياً أو جزئياً، وحرفوا من أجل ذلك نصوص الكتاب الحكيم، والسنة النبوية، فهم محرفون للنصوص، معطلون

الدليل الثالث: وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(٣)،: "أي: هل تعلم الله مساميا ومشابها ومماثلا من المخلوقين. وهذا استفهام بمعنى النفي، المعلوم بالعقل. أي: لا تعلم له مساميا ولا مشابها، لأنه الرب، وغيره مربوب، الخالق، وغيره مخلوق، الغني من جميع الوجوه، وغيره فقير بالذات من كل وجه، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية، وأن عبادته حق، وعبادة ما سواه باطل، فلهذا أمر بعبادته وحده، والاصطبار لها، وعلل ذلك بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى"^(٤).

وقال -رحمه الله - في موضع آخر: "اشتملت على أن الله تعالى كامل الأسماء والصفات عظيم النعوت، جليل القدر وليس له في ذلك شبيه ولا نظير ولا سمي بل قد تفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، ودلّ على هذا أكبر الأدلة على أنه الذي لا تنبغي العبادة الظاهرة والباطنة، القلبية والبدنية والمالية، إلا لوجهه الكريم، خالصة مخلصه؛ كما خلص له الكمال والعظمة والكبرياء والمجد والجلال"^(٥).

الدليل الرابع: تقرير القرآن لهذا الأصل:

وقد بيّن -رحمه الله - أن القرآن الكريم من أوله إلى آخره يقرر هذا الأصل الذي هو أكبر الأصول وأعظمها، بقوله: " انظر إلى توحيد الله وتفرد بالوحدانية، وتوحيده بصفات الكمال، كيف كانت الكتب السماوية مشحونة بها، بل هي المقصد الأعظم، وخصوصا القرآن الذي هو من أوله إلى آخره

للصفات، وهم أربع طوائف: أولاً: الأشاعرة ومن ضاهاهم من الماتريدية، ثانياً: المعتزلة، ثالثاً: غلاة الجهمية، والقرامطة، والباطنية، رابعاً: غلاة الغلاة من الفلاسفة، والجهمية والقرامطة والباطنية. انظر: ابن عثيمين، مرجع سابق، ص ٢٤.

(١) سورة الشورى: جزء من آية ١١.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٥٤).

(٣) سورة مريم: جزء من آية ٦٥.

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٤٩٨).

(٥) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الأول)، ط ١، ص ٦١.

يقرر هذا الأصل الذي هو أكبر الأصول وأعظمها وانظر كيف اتفقت جميع الرسل والأنبياء وخصوصا خاتمهم وإمامهم مُحَمَّد ﷺ، على توحيد الله وأنه متفرد بالوحدانية وعظمة الصفات: من سعة العلم، وشمول القدرة والإرادة وعموم الحجة والحكمة والملك والمجد والسلطان والجلال والجمال والحسن والإحسان في أسمائه وصفاته وأفعاله، ثم انظر إلى هذا الأصل العظيم في قلوب سادات الخلق، و أولي الأبواب الكاملة، والعقول التامة كيف تجده أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، وأوضح من كل شيء، وأنه مقدم على الحقائق كلها^(١).

ومعلوم أن المنهج الذي أنزلت به الكتب واتفقت عليه الرسل هو المنهج الحق الذي لا يجوز العدول عنه، بل إن العدول عنه إلى غيره بعد وضلال واستبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير، وكلما ازداد الإنسان رغبة في غيره من المناهج ازداد بعدا عن الطريق المستقيم، وكلما بعد عن الطريق المستقيم ازداد إلحاده في أسماء الله وصفاته^(٢).

من خلال ما تقدم نجد أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد قرر المسلك الذي سار عليه السلف الصالح في بيان كيفية الإيمان بأسماء الله وصفاته العلى، وأنها مبنية على أصلين:

الأول: أن الله -سبحانه وتعالى- منزّه عن صفات النقص مطلقا؛ كالسنة، والنوم، والعجز، والجهل، وغير ذلك. **والثاني:** أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها، على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات.

المبحث الثالث: أصول الإيمان بأسماء الله وصفاته:

المطلب الأول: أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته:

من قواعد الأسماء والصفات الإيمان بأسماء الله وصفاته، وبما دلت عليه من المعاني، وبما تعلقت به من الآثار.

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ٣٠.

(٢) انظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص ١١١.

وقد وُضِّحَ ذلكَ الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-بقوله: "ومن أصولهم العظيمة-أي أهل السنة-أنه لا يتم الإيمان بالله حتى يؤمن العبد بجميع أسماء الله الحسنى، وجميع ما دلت عليه من الصفات، وما صدر عنها من الأفعال والمتعلقات والأحكام. وهذه الأصول الثلاثة هي: أركان الإيمان بالأسماء والصفات"^(١).

وقعَّد الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-في كتابه القواعد الحسان (القاعدة الثلاثون) وذكر فيها أركان الإيمان بأسماء الله وصفاته فقال: "هي ثلاثة: إيماننا بالاسم، وبما دل عليه من المعنى، وبما تعلق به من الآثار. وهذه القاعدة العظيمة: خاصة بأسماء الرب سبحانه وتعالى.

وفي القرآن من الأسماء الحسنى ما يَنبِئُ عن ثمانين اسماً، كُتِرَتْ في آيات متعددة، بحسب ما يناسب المقام، كما تقدم بعض الإشارة إليها. وهذه القاعدة تنفعك في كل اسم من أسمائه الحسنى المتعلقة بالخلق والأمر، والثواب والعقاب، فعليك أن تؤمن بأنه عليم، وذو علم عظيم، ومحيط بكل شيء، قدير، وذو قدرة وقوة عظيمة ويقدر على كل شيء، ورحيم، وذو رحمة عظيمة ورحمته وسعت كل شيء والثلاثة متلازمة، فالاسم دل على الوصف، وذلك دل على المتعلق. فمن نفى واحداً من هذه الأمور الثلاثة فإنه لم يتم إيمانه بأسماء الرب وصفاته، الذي هو أصل التوحيد. ولنكتف بهذا النموذج ليعرف أن الأسماء كلها على هذا النمط"^(٢).

(١) انظر: السعدي، توضيح الكافية الشافية، ط ١، ص ١٠٠.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٣٣، ٣٤)، ولنفس المؤلف: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٧، وله أيضاً: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ١١، و أيضاً: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٦٢. المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، ط ١، ص ٩١.

وقد وضح ذلك الإمام ابن القيم - رحمه الله - (ت ٧٥١هـ) بقوله: "كل اسم من أسمائه جَلَّالَهُ له تعبد مختص به علماً ومعرفةً وحالاً:

علماً ومعرفة: أي إن من علم أن الله مسمى بهذا الاسم وعرف ما يتضمنه من الصفة ثم اعتقد ذلك فهذه عبادة. وحالاً: أي إن لكل اسم من أسماء الله مدلولاً خاصاً وتأثيراً معيناً في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك، تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه" (١).

فتبين مما سبق أن أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدد، تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل، **الثاني:** ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل **الثالث :** ثبوت حكمها ومقتضاها ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة، استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٤) (٢)، لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسماً لله تعالى، وإثبات السمع صفة له وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو أنه يسمع السر والنجوى كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَائِكَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) (٣)، وإن دلت على وصف غير متعدد تضمنت أمرين: أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل **الثاني:** ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسماً لله - عز وجل - وإثبات الحياة صفة له (٤)، ومثاله الحي والقيوم.

المطلب الثاني: أقسام الصفات.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (١/٤٢٠).

(٢) سورة المائدة: آية ٣٤.

(٣) سورة المجادلة: جزء من آية ١.

(٤) انظر: ابن عثيمين، القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنى، د. ط، ص ١٣.

أشار الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى - إلى تقسيم صفات الله جل وعلا بقوله: "ومن الأصول المتفق عليها بين السلف التي دلت عليها هذه النصوص أن صفات الباري قسمان:

القسم الأول: صفات ذاتية.

القسم الثاني: صفات فعلية.

صفات ذاتية: لا تنفك عنها الذات كصفة الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والعزة، والملئك، والعظمة، والكبرياء، ونحوها كالعلو المطلق.

وصفات فعلية: تتعلق بها أفعاله في كل وقت وآن وزمان ولها آثارها في الخلق والأمر ، فيؤمنون بأنه تعالى فعال لما يريد ، وأنه لم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور ، وأن أفعاله تقع شيئاً فشيئاً ، تبعاً لحكمه وإرادته ، فإن شرائعه وأوامره ونواهيه الشرعية لا تزال تقع شيئاً فشيئاً ، وقد دل على هذا الأصل الكبير ما في هذه النصوص من ذكر قال ويقول ، وسمع ويسمع ، وكلم ويكلم ، ونادى وناجى ، وعلم ، وكتب ويكتب ، وجاء ويجيء ، وأتى ويأتي ، وأوحى ويوحى ، ونحوها من الأفعال المتنوعة التي تقع مقيدة بأوقاتها ، كما سمعت في هذه النصوص المذكورة آنفاً ، وهذا من أكبر الأصول وأعظمها^(١).

وقد أشار الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى - إلى أن هذا هو التقسيم الحق عند أهل السنة، وبَيَّن بطلان التقسيم الباطل عند المخالفين بقوله: "هذا هو التقسيم الصحيح لصفات الباري، وأن صفات الذات متعلقة بالذات، وصفات أفعاله متصفة بها الذات، ومتعلقة بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال.

(١) انظر: السعدي، التبيينات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، ط ١، ص ٣٩.
وانظر لنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ١٧، وأيضاً: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٦٣.

وأما تقسيم بعض أهل الكلام الباطل أن صفات الأفعال لا تقوم بذات الله، بل الفعل عندهم عين المفعول، فهذا قول باطل بالكتاب والسنة والإجماع من السلف، وهو مخالف لما يعقله العقلاء في قلوبهم، فإن صفات الأفعال قائمة بمن فعلها، ومتصف بها من قالها أو عملها، ولا يتصور في العقل مفعول من غير فعل، ولا مخلوق من غير خلق، كما لا يتصور أحد اسماً مشتقاً دالاً على غير صفة في المحل المسمى به. والذي أوجب لهم هذا الغلط الفاحش زعموا أنهم إذا لم يقولوا بهذا اقتضى حلول الحوادث في ذات الله، فنفوا بهذا كل صفة فعلية لله فأنكروا استواءه على عرشه ونزوله، وأفعاله التي يوجدها شيئاً فشيئاً، وأقواله التي يتكلم بها شيئاً بعد شيء. وهذا التعطيل لأفعاله نظير تعطيل الجهمية ومن تبعهم لجميع صفات الله الذاتية والفعلية، ولا فرق بين الأمرين. فإذا كان هذا التعطيل لصفاته الذاتية باطلاً فكذلك التعطيل لصفاته الفعلية باطل.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم أثبتوا كل ما جاء به الكتاب والسنة من صفات الله، واعترفوا بها لا فرق عندهم بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته وقدرته، وكلها قائمة بالله، والله موصوف بها، وهو القول الذي دل عليه النقل والعقل، ومن أوصاف الأفعال الأسماء المزدوجة كالمقدم المؤخر والضار النافع والمعطي المانع ونحوها.^(١)

واضرب أمثلة للصفات الذاتية والفعلية^(٢)، مع بيان الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - إلى معانيها الجليلة ومنها:

أولاً: من الصفات الذاتية:

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٢٥٦/١)، وانظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، مرجع سابق، ص ٢٨٥، ٢٦٤.

(٢) انظر: لمزيد من الأمثلة للصفات الذاتية والفعلية، كتاب: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص

الصفة الأولى: صفة (السمع): "فالسميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي من الأصوات يسمعها سرها وعلنها وكأنها لديه صوت واحد لا تختلط عليه الأصوات ولا تخفى عليه جميع اللغات والقريب والبعيد والسر والعلانية عنده سواء... وسمعه تعالى نوعان: أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها. الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيهم ويثيهم" (1).

الصفة الثانية: صفة (البصر): والبصير الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر فيبصر ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان الماء في أغصان الأشجار وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك فسبحان من تحيرت العقول في عظمة وسعة متعلقات صفاته وكمال عظمته ولطفه وخبرته بالغيب والشهادة والحاضر والغائب! ويرى خيانات الأعين وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان (2).

أولاً: من الصفات الفعلية:

الصفة الأولى: صفة (الصبر): إن الكمال المطلق التام من جميع الوجوه ثابت لله تعالى نقلاً في جميع الأسماء والصفات والنعوت ومن أنواع الكمال الصبر، وصبره أكمل صبر؛ لأنه عن كمال قدرة، وكمال غنى عن الخلق وكمال رحمة وإحسان (3).

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٦٢٢/٥)، وانظر لنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٢٩، ٢٢٨.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٦٢٢/٥)، وانظر لنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، مرجع سابق، ص ٢٢٩. "بتصرف".

(٣) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، (٢١/١٦)، ولنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٢٤٢.

الصفة الثانية: (الإتيان والنزول والاستواء):

يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أنه وردت آيات قرآنية بها تتضح أقوال أهل السنة المثبتين للصفات الإخبارية، كالاستواء، والنزول والمجيء، وغيرها، مع رده للمخالفين لها بالدليل النقلي والعقلي، من هذه الأدلة القرآنية:

الدليل الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسير هذه الآية:

"وهذا فيه من الوعيد الشديد والتهديد ما تنخلع له القلوب، يقول تعالى: هل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان، النابذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال، الذي قد حشي من الأهوال والشدائد والفظائع، ما يقلقل قلوب الظالمين، ويحق به الجزاء السيئ على المفسدين.

وذلك أن الله تعالى يطوي السماوات والأرض، وتنتشر الكواكب، وتكور الشمس والقمر، وتنزل الملائكة الكرام، فتحيط بالخلائق، وينزل الباري تبارك تعالى: ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ (٢)، ليفصل بين عباده بالقضاء العدل.

فتوضع الموازين، وتنتشر الدواوين، وتبيض وجوه أهل السعادة وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكل يجازى بعمله، فهناك يعرض الظالم على يديه إذا علم حقيقة ما هو عليه.

وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى، عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافا للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول

(١) سورة البقرة: آية ٢١٠

(٢) سورة البقرة: جزء من آية ٢١٠

لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان، بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي.

أما الدليل النقلي: فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها بل صريحها، دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلائلها على مذهبهم الباطل، أن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأما الدليل العقلي: فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قيل لهم: الكلام على الصفات، يتبع الكلام على الذات، فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفاته خلقه، تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.

ويقال أيضا، لمن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضا، أو أثبت الأسماء دون الصفات: إما أن تثبت الجميع كما أثبت الله لنفسه، وأثبت رسوله، وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكرا لرب العالمين، وأما إثباتك بعض ذلك، ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، ففرق بين ما أثبتته، وما نفيت، ولن تجد إلى الفرق سبيلا فإن قلت: ما أثبتته لا يقتضي تشبيهها، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيت لا يقتضي تشبيهها، فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيت إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه، فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفيت.

والحاصل أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته، فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول^(١).

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٩٤).

الدليل الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظَرُوا إِنَّا مُنْظَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾^(١)، يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى -عند تفسير هذه الآية: "وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى كالاستواء والنزول والإتيان لله تبارك وتعالى من غير تشبيه له بصفات المخلوقين، وفي الكتاب والسنة من هذا شيء كثير"^(٢).

وما أشار اليه الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-من أقسام للصفات داخل في الصفات الثبوتية، حيث أن الصفات تنقسم إلى قسمين^(٣): الصفات الثبوتية، والصفات السلبية.

الصفات الثبوتية هي: ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وأمثلة هذه الصفات كثيرة، ومنها: العلم، والخلق، والحياة، والقدرة، والإرادة والسمع، والبصر، والكلام، والإحياء، والإماتة، والرضى، والغضب، والوجه، واليدين، والرجل، والعلو والاستواء، وغير ذلك؛ فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به.

و هذه الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين:

أولاً: صفات ذاتية، وهي: التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها؛ كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، ومنها الصفات الخبرية؛ كالوجه، واليدين، والعينين.

(١) سورة الأنعام: آية ١٥٨

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢٨١).

(٣) انظر: للمزيد من معرفة أقسام الصفات إلى المراجع التالية: انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، د.ط، (٣ / ٣٢١)، ولنفس المؤلف: الرد على المنطقيين، د.ط، ص ٨٠، وله أيضاً: مجموع الفتاوى، ط ٣، (٦ / ٦٨، ٢٤٤)، انظر: أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، ط ١ (١ / ٨٥)، عبد العزيز السلطان، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ط ٦، ص ٤٢٩. ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية، ط ١، (١ / ١٤٢)، ولنفس المؤلف ابن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، د.ط، ص ٢٨، هراس، ابن تيمية السلفي -نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات، ط ١، ص ٨٧، محمد أمان بن علي الجامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، ط ٣، ص ٢٠٣، التميمي، الصفات الإلهية تعريفها أقسامها، د.ط، ص ٥٨، علوي بن عبد القادر السقاف، صفات الله عز وجل، ط ١، ص ٢٨.

ثانياً: صفات فعلية، وهي: التي تتعلق بمشيئة الله، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها: كالخلق، والرزق، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والجيء، ونحوها.

والصفات السلبية هي: ما نفاه الله ﷻ عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقص في حقه: وأمثلتها كثيرة، منها: الموت، والجهل، والعجز، والنوم، والظلم، واتخاذ الصاحبة، أو الولد، أو الشريك، ونحو ذلك.

مما تقدم تبين أن من قواعد صفات الله تعالى، أنها تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية، صفات فعلية، وهذا ما قرره الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- وفق منهج السلف الصالح وهو المنهج الحق.

المبحث الرابع: تفسير أسماء الله الحسنى.

المطلب الأول: منهج شرح أسماء الله الحسنى:

هذا الأصل هو أعظم أصول التوحيد، بل لا يقوم التوحيد ولا يتم ولا يكمل حتى ينبنى على هذا الأصل، فإن التوحيد يقوى بمعرفة الله، ومعرفة الله أصلها معرفة أسمائه الحسنى وما تشتمل عليه من المعاني العظيمة والتعبد لله بذلك.

وورد حديث أن رسول الله - ﷺ - قال: (إن لله تسعةً وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة) ^(١). وإحصاؤها تحصيل معانيها في القلب، وامتلاء القلب من آثار هذه المعرفة، فإن كل اسم له في القلب الخاضع لله المؤمن به أثر وحال لا يُحصَلُ العبد في هذه الدار ولا في دار القرار أجلّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدة، (٦ / ٢٦٩١)، رقم الحديث: ٧٣٩٢،

[انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (٣٧٧/١٣) حديث [٧٣٩٢]، وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه، في كتاب

الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط و الثنيا في الإقرار، (٢ / ٩٨١)، رقم الحديث: ٢٥٨٥، [انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح

الباري، (٣٥٤/٥) حديث [٢٧٣٦]. وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: في أسماء الله تعالى

وفضل من أحصاها، (٨/٦٣)، رقم الحديث: ٦٩٨٦. عن أبي هريرة ؓ.

وأعظم منها، فنسأله تعالى أن يمنَّ علينا بمعرفته ومحبته والإنابة إليه^(١).

وقد اهتم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بشرح أسماء الله الحسنى، واتسم منهجه عند شرحه لأسماء الله الحسنى ببيان المعنى الظاهر للاسم مع الغوص في بيان المعاني الإيمانية للأسماء الحسنى، وبيان آثار الإيمان بها. وهذه السمة مما ميّزت شرحه على كثير من شروح الأسماء الحسنى مع إغفاله للأوجه اللغوية للاسم، وهذا ظاهر في أغلب الأسماء التي شرحها رحمه الله تعالى^(٢).

المطلب الثاني: أمثلة لأسماء الله الحسنى^(٣) وكلام السعدي عنها.

أولاً: اسم الجلالة ﴿الله﴾ تبارك وتعالى

ورد هذا الاسم في كتاب الله (٢٧٢٤) مرة^(٤) منها قوله ﴿وَكَلَّمَ﴾ : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٥).

● **المعنى اللغوي:**

(الله) أصله (الإله) ، و الإله في لغة العرب، أطلق لمعانٍ ثمان هي^(٦):

الأول: المعبود، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾^(٧) أي المعبود في السماء، والمعبود في الأرض.

(١) انظر: السعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط ١، ص ١١.

(٢) انظر: السعدي، تفسير أسماء الله الحسنى، د. ط، ص ٥.

(٣) انظر: رباب نجيب أمين، الآثار الإيمانية لأسماء الله الحسنى، د. ط، ص ٦٤ وما بعدها.

(٤) انظر: عمر الأشقر، أسماء الله الحسنى، ط ١، ص ٣٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٦) وهذه المعاني عند من قال: بأنها مشتقة، ولمعرفة اشتقاقات لفظ الجلالة (الله) يرجع الى كتاب الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط ١، ص (١٦٥/١ - ١٦٧)، انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، (١٤٤ / ٢٠). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١٣١/١).

(٧) سورة الزخرف، آية: ٨٤.

الثاني: الملتهب والمفزع إليه : قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِيْلَٰهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٧٤) أي، أي

ينصرونهم على الأعداء، فكانت العرب تلجأ إلى آلهتها طلباً للنصرة.

الثالث: المحبوب المعظم: وقد كانت العرب تحب آلهتها و تعظمها وتجلُّها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (٢).

الرابع: الذي تختار العقول فيه: أي: أَنَّ (الإله) تختار فيه القلوب، عند التفكير في عظمته سبحانه،

وتعجز عن بلوغ كنه جلاله وعظمته (٣).

الخامس: المجير؛ لأن الخلق يتأهلون إليه في حوائجهم ويتضرعون إليه عند شدائدهم، فالجير لجميع

الخلائق من كل المضار كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨) (٤)، وهو

وحده المنعم بجميع النعم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ (٥٣) (٥)

(٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (٦).

(١) سورة يس، آية: ٧٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٥ .

(٣) انظر: القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، د. ط، ص (٢٧٨) .

(٤) سورة المؤمنون: آية ٨٨.

(٥) سورة النحل: آية ٥٣.

(٦) سورة النمل: آية ٦٢.

السادس: أن لفظ الجلالة يتضمن معنى الاحتجاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) ﴿١﴾.

السابع: الذي تسكن إليه القلوب؛ فالقلوب لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته، والنفوس لا تطمئن إلا بالتقرب إليه، فكل شيء تخافه فتهرب منه، ومن خاف الله تقرب إليه فيحصل له الاطمئنان والسكون، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿٢﴾.

الثامن: أن لفظ الجلالة متضمنٌ لمعنى: أن العباد يتوجهون إليه وحده سبحانه وتعالى، أي: أن (الإله) كما قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - : "إن العباد مألوهون: أي مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال"، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا بَجَّحَكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٦٧) ﴿٣﴾.

وقد رجح جماعة من العلماء القول الأول، وأن لفظ الجلالة "الله" مشتق من (أله يألوه) إذا عبد، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وكل الاشتقاقات، والمعاني الأخرى تدخل تحت هذا المعنى الأول؛ فهو متضمن لها.

● المعاني المتضمنة لاسم الجلالة ﴿الله﴾ تبارك وتعالى

هذا الاسم الجليل هو أعظم الأسماء الحسنى، وأعلىها، وأجمع لمعانيها، تفرّد الله به تبارك وتعالى عن جميع العالمين، وقد قبض الله تعالى أفئدة الجاهلين وألسنتهم عن التسمي به، من غير مانع ولا وازع^(٤)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (١) ﴿٤﴾.

(١) سورة الأنعام: آية ١٠٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٣) سورة الإسراء: آية ٦٧.

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، ص (٢٧٦).

و الله ﷻ: هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين^(٢)، وهو الذي يُؤله ويعبدُه كل المخلوقات^(٣) في السموات والأرض، والذي تؤله قلوب العباد: محبةً، وتعظيمًا، وخضوعًا، وخوفًا وطمعًا ورجاءً، وإجلالًا، وإكرامًا^(٤).

ويقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- شارحاً المعاني الجليلة لهذا الاسم العظيم: "والله عز شأنه هو الجامع لصفات الألوهية وهي: صفات الكمال، والجلال، والجمال، والعظمة، مع نفي أصدادها عنه ﷻ؛ وهذه الصفات الجليلة "هي التي يستحق أن يؤله، ويُعبد لأجلها، فيؤله: لأنَّ له أوصافَ العظمة والكبرياء، ويؤله: لأنه المنفرد بالقيومية، والرُّبوبية، والملك، والسلطان، ويؤله: لأنَّه المنفرد بالرحمة، وإيصال النعم الظاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله: لأنه المحيط بكل شيءٍ علماً، وحكماً، وحكمةً، وإحساناً، ورحمةً، وقدرةً، وعزةً، وقهراً، ويؤله: لأنه المنفرد بالغنى المطلق التام من جميع الوجوه، كما أن ما سواه مفتقرٌ إليه على الدوام من جميع الوجوه، مفتقرٌ إليه في حاجاته كلها؛ وأعظم الحاجات هي: افتقاره إلى عبادته وحده، والتأله له وحده، فالألوهية تتضمن جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبهذا احتجَّ من قال: إن (الله) هو الاسم الأعظم"^(٥) كما سيأتي.

ويقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في موضع آخر مبيناً أثر هذا الاسم الجليل على القلب: "فإذا تدبر اسم الله عرف أن الله تعالى له جميع معاني الألوهية، وهي كمال الصفات والانفراد بها، وعدم الشريك في الأفعال لأن المألوه إنما يؤله لما قام به من صفات الكمال فيحب ويخضع له

(١) سورة لقمان، آية : ٢٥.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط١، (٥/٦٢٠). ولنفس المؤلف، الحق الواضح المبين، ط٢، (١/٣٣) بهجة قلوب الأبرار، ط٤، ص١٦٥، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط١، ص٨٩.

(٣) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، (١/١٢٢-١٢٣).

(٤) انظر: ابن القيم لمؤلفاته التالية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د.ط، (١/٤١١)، بدائع الفوائد، ط١، (٢/٢١٢)، طريق المهجرتين وباب السعادت، ط٢، ص١٠٨، الفوائد، ط٢، ص٢٠٣.

(٥) انظر: السعدي، فتح الرحيم الملك العلام، ط١، ص٢٠، ولنفس المؤلف، الحق الواضح المبين، ط٢، (١/٣٣) بهجة قلوب الأبرار، ط٤، ص١٦٥، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط١، ص٨٩. "باختصار وتصرف".

لأجلها، والباري ﷻ لا يفوته من صفات الكمال شيء بوجه من الوجوه، أو يؤله أو يعبد لأجل نفعه وتولييه ونصره فيجلب النفع لمن عبده فيدفع عنه الضرر، ومن المعلوم أن الله تعالى هو المالك لذلك كله، وأنَّ أحداً من الخلق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فإذا تقرر عنده أن الله وحده المألوه أوجب له أن يعلق بربه حبه وخوفه ورجاءه، وأناب إليه في كل أموره، وقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقين ممن ليس له من نفسه كمال ولا له فعال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

ثانياً: الله ﴿الحيّ - القيوم﴾ ﷻ

ورد هذان الاسمان في كتاب الله عز وجل مقترنين معاً في ثلاثة مواضع منها قوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢)، وقوله -عز وجل-: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾^(٣)؛ وورد اسمه تعالى (الحي) منفصلاً عن (القيوم) مرتين منها: قوله -عز وجل-: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(٤)، وفي دعاء النبي ﷺ: ((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث))^(٥)، وقوله ﷺ: ((اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون))^(٦).

● المعنى اللغوي:

(١) انظر: السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ط ٢، ص ٦٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٣) سورة طه، آية: ١١١.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٥٨.

(٥) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الدعوات، باب: ٩٢، (٥ / ٥٣٩)، رقم الحديث: ٣٥٢٤، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٩٦).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، (٨ / ٨٠)، رقم الحديث: (٧٠٧٤).

الحي لغةً: نقيض الميت^(١)، والحياة: ضدُّ الموت، و يُسمَّى المطر حيّاً، لأنه به حياة الأرض^(٢)، وهذا الاسم الجليل لربنا العظيم، يدل على كمال حياته تبارك وتعالى، وتماها من جميع الوجوه والاعتبارات، كما أفاد(أل) الذي يفيد الاستغراق والشمول "فليس في الوجود موجود له حياة من ذاته لذاته، إلا الله جلّ وعلا وحده" ^(٣).

و القيوم لغةً: من صيغ المبالغة في القيام على الشيء، فهو السيد الذي يسوس الأمور، ويدبرها، بالرعاية، والعناية، والمحافظة، ويأتي الفعل على معنيين: الأول: القيام بالذات، والبقاء على الوصف، والثاني: إقامة الغير، والإبقاء عليه، لأن غيره مفتقر إليه^(٤).

● معنى الاسمين في حق الله تعالى.

الله تبارك وتعالى هو الحيُّ الذي لا يموت أبداً، و هو القيوم القائم على كل شيء:

أولاً: فهو سبحانه ذو الحياة الكاملة في وجودها، وكاملة في أزمانها، فهو سبحانه حيٌّ لا أوّل له بحدٍّ، و لا آخر له بآمد^(٥)، و حياته سبحانه لم تسبق بعدم، و لا يلحقها زوال ولا فناء على الدوام^(٦)، الدوام^(٦)، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربّاً، ويبعد كل من ادّعى من دونه إلهاً^(٧).

(١) انظر: الكردي، الأسماء الحسنى في القرآن الكريم، ط ١، ص ٢٠٩.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د. ط، مادة: "حي"، (١٢٢/٢)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "حي"، (١٠٧٥/٢).

(٣) انظر: القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، د. ط، ص (٣٧٧).

(٤) انظر: ابن منظور، مرجع سابق، مادة "قيوم"، (٣٥/١١)، الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٦٩٠.

(٥) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (٣٨٦/٥).

(٦) انظر: ماهر مقدم، الجامع أسماء الله الحسنى، ط ٨، ص ٨٣.

(٧) انظر: الطبري، مرجع سابق، ص (١٠٩/٣)، النجدي، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، ط ٥، ص (٦٩).

ثانياً: فمن كمال حياته وتماها: أنه تعالى كامل القدرة ، نافذ الإرادة والمشئنة ، في كلِّ وقتٍ وحين^(١)، وهو تعالى يحيي النفوس والأرواح بنور العلم، والهدى، والإيمان ، "فبه حيث القلوب من الكفر، والجهل ، والنكران" ^(٢).

ثالثاً: ومن كمالها: أن حياته سبحانه تستلزم أن لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا سهو ، ولا غفلة ولا عجز، و لا موتٌ بأيِّ حالٍ من الأحوال، قال سبحانه: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ^(٣). وقال ﷺ: ((إنَّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام)) ^(٤).

رابعاً: وهو قيوم: أي القائم بنفسه مطلقاً^(٥)، لا بغيره أزلاً و أبداً، فلم يحتج إلى أحد بوجه من الوجوه، الوجوه، لكمال غناه وقدرته^(٦).

خامساً: وهو قيوم: القائم على جميع العوالم، العلوية والسفلية، ومن فيهما من المخلوقات، والجمادات، في جميع أحوالهم: بتدبيرهم، و أرزاقهم، وحفظهم، وفي جميع شؤونهم بالعناية والرعاية ، و إمدادها بكلِّ ما فيه بقاؤها ، وصلاحها في كل وقت وحين ، قال عزَّ شأنه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ^(٧)، وفي دعاء المصطفى ﷺ في صلاة الليل: ((اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض و لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن)) ^(٨)، "فإنَّ صفة الحياة متضمَّنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها،

(١) انظر: الخطابي، شأن الدعاء، ط١، ص(٨٠)، ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ط١، (٢ / ٦٧٩).

(٢) انظر: ابن منده، كتاب التوحيد، ط١، (٨٤/٢).

(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام « إن الله لا ينام »، (١ / ١١١)، رقم الحديث: ٤٦٥.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط١، (٣٠٣/٥).

(٦) انظر: ابن القيم، مرجع سابق، (٢ / ٤١٠).

(٧) سورة الرعد، آية : ٣٣.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة﴾، (٦ / ٢٧٠٩)،

(٢٧٠٩)، رقم الحديث: ٧٠٠٤. أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه،

(١٨٤/٢)، رقم الحديث: ١٨٤٤.

وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال^(١)؛ لأنه القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدتها وأبقاها، وأمدّه بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها^(٢). فتضمن هذان الاسمان الكريمان معاني أسمائه وصفاته وأفعاله، ولهذا قيل: إن (الحي القيوم) هو الاسم الأعظم^(٣).

ثالثاً: الله (العليم) ﷻ

ورد اسم الله (العليم) في مائة وسبعة وخمسين موضعاً من التنزيل منها: قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

• المعنى اللغوي:

العلم: نقيض الجهل، وهو معرفة الشيء، وإدراكه بحقيقته، أي: على ما هو عليه بدون تردد وبدون شك، وهو على وزن فعيل من أبنية المبالغة^(٥).

* المعنى في حق الله تعالى:

- الله تبارك وتعالى العليم: العالم بكل شيء، الذي لكمال علمه يعلم ما بين أيدي الخلائق وما خلفهم، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر، وإنه لا يغفل، ولا

(١) انظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ٢٧، (٤/٢٠٤).

(٢) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، مرجع سابق، (١/٢٥)، انظر لنفس المؤلف: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، (١/٣١٣)، وأيضاً: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، مرجع سابق، ص ٣٠٠.

(٣) انظر المعاني السابقة: انظر: ابن منده، كتاب التوحيد، ط ١، (٢/٨٤). الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (٥/٣٨٨). ابن القيم، طريق المهجرتين وباب السعادتين، ط ٢، ص (٢٣٤)، الشوكاني، فتح القدير، ط ٢، ص (١٣٢٥). السعدي، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، ط ١، ص ٤٦. وله أيضاً: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، مرجع سابق، ص ٦٤٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٣٢.

(٥) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة "علم"، (٤/٣٠٨٢)، الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٨٠.

ينسى^(١): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَكْتُبُهَا وَلَا يَابِسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٢)(٣).

-ومن كمال علمه أنه تعالى العالم بما كان وما يكون قَبْلَ كَوْنِهِ وبما يكون وَلَمَّا يَكُنْ بَعْدَ قَبْلٍ أَنْ يكون لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى^(٤).

ويبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- كمال علم الله تعالى الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن بقوله: "فيعلم تعالى الأمور المتقدمة والأمور المتأخرة أزلاً وأبداً ويعلم جليل الأمور وحقيرها وصغيرها وكبيرها ويعلم تعالى ظواهر الأشياء وبواطنها غيبها وشهادتها ما يعلم الخلق منها وما لا يعلمون، ويعلم تعالى الواجبات والمستحيلات و الجائزات، ويعلم تعالى ما تحت الأرض السفلي كما يعلم ما فوق السموات العلى ويعلم تعالى جزئيات الأمور وخبائيا الصدور وخفايا الأشياء في كل الأوقات ولا يعرض لعلمه خفاء ولا نسيان"^(٥)، وهو الذي أحاط علمه بجميع الأشياء في كل الأوقات"^(٦).

(١) انظر: السعدي، توضيح الكافية الشافية، ط ١، ص ١١٨، ولنفس المؤلف، الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين، ط ١، ص ٣٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(٣) انظر: ماهر مقدم، الجامع أسماء الله الحسنى، ط ٨، ص ٣٧٢، ٣٧١. بتصرف.

(٤) انظر: ابن منظور: مرجع سابق، مادة "علم" (١٢ / ٤١٦).

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، (١٤٥/٥)، ولنفس المؤلف، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي السعدي (العقيدة الإسلامية)، مرجع سابق، ص ٣٧٩، ٢٣١، ٢٣٠، وأيضاً: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الأول)، ط ١، ص ٥٩.

(٦) انظر: السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ط ٢، ص ٦٣، ٦٤.

المطلب الثالث: مسألة اسم الله الأعظم.

بعد ما تبين أن جماهير العلماء قديماً وحديثاً يذهبون إلى إثبات أن لله تعالى اسماً أعظم^١، لورد نصوص نبوية بذلك كما سيأتي.

إلا أنهم اختلفوا في كونه اسماً ظاهراً يمكن للمسلم أن يعرفه، وأن يدعو الله تعالى به أم لا؟ على ثلاثة أراء ولكل منها وجه هو موليتها، وأدلة تثبتها وهي:

أولاً: القائلون إن الاسم الأعظم مخفي في الأسماء الحسنى^(٢)، كليفة القدر ، لا يعلمه الناس.

ثانياً: القائلون بأنه يعلمه الخاصة من الناس، من الأنبياء والأولياء دون سائر الناس، لكنهم اختلفوا في تحديد هؤلاء الأشخاص الذين خصهم الله تعالى بمعرفته.

ثالثاً: القائلون بتعيين أسماء معينة، وأنها هي الاسم الأعظم ، ومنها:

الأول: لفظ الجلالة (الله) **جَلَّالٌ** ، وهذا رجحه أكثر أهل العلم.

الثاني: اسمي (الحي القيوم) ، ومما رجحه بأتهما الاسم الأعظم شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — وتلميذه ابن القيم — رحمه الله تعالى —.

الثالث: ذو الجلال والإكرام.

الرابع: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

الخامس: الرحمن.

السادس: رب.رب.

^١ انظر لتفاصيل مسألة اسم الله الأعظم، للكتاب: عبد الله بن عمر الدميحي، اسم الله الأعظم، ط١، ص ١١١-١٤٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، د.ط، (٢٢٨/١١).

وأما رأي الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في حقيقة الاسم الأعظم يتجلى حينما سئل عن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنى: هل هو اسم معيّن معروف أو اسم غير معين ولا معروف؟

فكان جوابه عن السؤال: "بعض الناس يظن أن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنى اسم لا يعرفه إلا من خصه الله بكرامة خارقة للعادة، وهذا ظن خطأ؛ فإن الله تبارك وتعالى حنّنا على معرفة أسمائه وصفاته، وأثنى على من عرفها، وتفقه فيها، ودعا الله بها دعاء عبادة وتعبّدٍ ودعاء مسألة، ولا ريب أن الاسم الأعظم منها أولها بهذا الأمر؛ فإنه تعالى هو الجواد المطلق الذي لا منتهى لجوده وكرمه، وهو يحب الجود على عباده، ومن أعظم ما جاد به عليهم تعرّفه لهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ فالصواب أن الأسماء الحسنى كلها حسنى، وكل واحد منها عظيم، ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل على جميع صفاته الذاتية والفعلية، أو دل على معاني جميع الصفات؛ مثل:

(الله)؛ فإنه الاسم الجامع لمعاني الألوهية كلها، وهي جميع أوصاف الكمال .

ومثل: (الحميد المجيد)؛ فإن الحميد الاسم الذي دل على جميع المحامد و الكمالات لله تعالى. و(المجيد) الذي دل على أوصاف العظمة والجلال، ويقرب من ذلك الجليل الجميل الغني الكريم.

ومثل: (الحي القيوم)؛ فإن الحي من له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات والقيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع خلقه وقام بجميع الموجودات؛ فهو الاسم الذي تدخل فيه صفات الأفعال كلها.

ومثل: اسمه (العظيم الكبير) الذي له جميع معاني العظمة والكبرياء في ذاته وأسمائه وصفاته، وله جميع معاني التعظيم من خواص خلقه .

ومثل: قولك: (يا ذا الجلال والإكرام)؛ فإن الجلال صفات العظمة والكبرياء و الكمالات المتنوعة، والإكرام استحقاقه على عباده غاية الحب وغاية الذل، وما أشبه ذلك فعلم بذلك أن الاسم الأعظم اسم جنس، وهذا هو الذي تدل عليه أيضاً الأدلة الشرعية الواردة عن المصطفى ﷺ

وتثبت هذا الاسم الأعظم^١ ، الذي إذا سُئِلَ به أعطى وإذا دُعِيَ به أجاب ، ومن هذه النصوص ما يلي:

الحديث الأول: حديث بريدة بن الحُصَيْب - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك ، أي أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، فقال : ((والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى))^(٢).

الحديث الثاني: حديث أنس - رضي الله عنه - قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ في المسجد ورجل يصلي فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت ، المنان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم؛ فقال النبي ﷺ : ((دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى))^(٣).

الحديث الثالث: حديث أبي أمامه أن رسول الله ﷺ قال : ((اسم الله الأعظم في سور من القرآن ثلاث : في البقرة ، و آل عمران ، وطه))^(٤). فمضى دعا الله العبدُ باسم من هذه الأسماء العظيمة بحضور قلب ورقة وانكسار؛ لم تكدر له دعوة^(١).

^١ وبهذا القول تجتمع الأدلة في بيان معنى اسم الله الأعظم ، والله أعلم.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب أبواب الدعوات ، باب: ٦٥ ، (١٧٨/٥) ، رقم الحديث : ٣٥٤٢ ، وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ، باب : الدعاء ، (٧٩/٢) رقم الحديث: ١٤٩٤ ، ١٤٩٣ ، وأخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الدعاء باب : اسم الله الأعظم ، (١٢٦٧/٢) رقم الحديث: ٣٨٥٧ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب الدعاء (٥٠٤/١) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب السهو ، باب: الدعاء بعد الذكر (٥٢/٣) ، وأخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة باب : الدعاء ، (٧٩/٢) رقم الحديث ١٤٩٥ ، وأخرجه أحمد في مسنده ، (١٢٠ ، ١٥٨ ، ٢٤٥/٣) وذكر اسم (الحنان) ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، كتاب الأدعية ، باب: الدعاء بأسماء الله تعالى ، ص ٥٩٢ ، رقم الحديث: ٢٣٨٢ وأخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب الدعاء (٥٠٣/١) ، وصححه و وافقه الذهبي.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ، كتاب الدعاء ، باب: اسم الله الأعظم (١٢٦٧/٢) رقم الحديث: ٣٨٥٦ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب الدعاء (٥٠٥/١) ، الطحاوي ، مشكل الآثار ، ط ١ ، (٦٣ / ١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة للألباني ، د. ط. ، (٣٨٢/٢) رقم الحديث ٧٤٦.

والرأي الذي أرجحه في مسألة الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة (الله) ﷻ لأمر منها:

أولاً: كثرة وروده في القرآن الكريم ، فقد ورد في كتاب الله (٢٧٢٤) مرة كما مرّ سابقاً .
ثانياً: أنه الاسم الوحيد الذي ورد في كل الأحاديث التي أخبر الرسول ﷺ أن فيها اسم الله الأعظم^(٢).

ثالثاً: أن هذا الاسم لم يطلق على غير الله تبارك وتعالى بحال ، ولا يتجرأ أحد على ادعائه إلا ما كان من قادة الضلال الكبار أمثال فرعون الذين هم أذّل الناس وأضلهم^(٣).
رابعاً: أن اسم (الله) يدلُّ دلالة العلم على الإله الحق، وهو يدلُّ عليه دلالة جامعة لجميع الأسماء الحسنى الإلهية الأحدية^(٤)، ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه فيقال: الرحمن، الرحيم، والقدوس، والسلام، والعزیز، والحكيم من أسماء الله ﷻ، و لا يقال (الله) من أسماء الرحمن، فدلَّ على أنه الأصل في أسماء الله تعالى، وسائر الأسماء مضافة إليه^(٥).

مما تقدم تبين أن القائلين بتعيين الاسم الأعظم، فقد اختلفوا في تحديده وتعيينه، لكن رأي الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في حقيقة الاسم الأعظم هو: أن الأسماء الحسنى كلها حسنى، وكل واحد منها عظيم، ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل على جميع صفاته الذاتية والفعلية، أو دل على معاني جميع الصفات.

(١) انظر: السعدي ، مجموع الفوائد واقتناص الأوابد ، د.ط، ص ٢٥٠-٢٥٣. "بتصرف" فائدة رقم ١٤٢ . (الاسم الأعظم) ، ولنفس المؤلف، تفسير أسماء الله الحسنى ، د.ط، ص ١٥-١٦ .

(٢) انظر: عمر الأشقر، العقيدة في الله ، ط ١٢ ، (ص ٣٣) . ولنفس المؤلف ، أسماء الله الحسنى، ط ١ ، ص ٣٣ .

(٣) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، د.ط، (١١ / ٢٢٥).

(٤) انظر: عمر الأشقر، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ، ط ٢ ، ص ٩٠ .

(٥) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢ ، (١ / ٣٣) وانظر: ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق ، (١١ / ٢٢٣).

وظهر لنا أيضاً أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- يشرح الأسماء الحسنى على منهج السلف معتمداً على الأدلة النقلية أدلة الكتاب والسنة.

المبحث الخامس: ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته.

العلم بأسماء الله وصفاته، وتدبرها، وفهمها على مراد الله أهم العلوم وأشرفها؛ لما يثمره من الثمرات العظيمة النافعة المفيدة، ولقد اعتنى علماء الإسلام قديماً وحديثاً ومنهم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في بيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها كما مر، وبيان ثمرات الإيمان بها، فمن الثمرات التي تحصل من جراء الإيمان بها ما يلي^١:

أولاً: إنّ العلم بالله، وأسمائه، وصفاته أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله سبحانه، وتعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله، فالاشتغال بفهم هذا العلم اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب^(٢).

ثانياً: إن معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى مما يزيد الإيمان كما قال الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى-: "أنّ الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومعرفتها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية،

^١ انظر المعاني السابقة: انظر: ابن منده، كتاب التوحيد، ط ١، (١٨٠/٢)، الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (٣٨٨/٥). مجّد أويس الندوي، التفسير القيم لابن القيم، د. ط، ص (٢٤-٣٧)، ابن القيم، طريق المجرتين وباب السعادتين، ط ٢، ص (٨٢-٨٥)، ولنفس المؤلف، مفتاح دار السعادة، (٩٠٩/٢)، وله، الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة، ط ٣، (٦٢-٥٩/١)، انظر: السعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ط ١، ص (١٦٣-١٦١)، انظر: عمر الأشقر، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، ط ٢، ص (٣٩-١٨)، النجدي، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، ط ٥، ص (٣٩-١٨).

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٦/٥)، ولنفس المؤلف، درء تعارض العقل والنقل، د. ط، (٢٧، ٢٨/١)، وانظر: ابن القيم، إعلام الموقعين، د. ط، (٤٩/١). انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٢٤/١).

وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء، والصفات، وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان وروحه^١، وأصله وغايته فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله، وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه^(٢).

ثالثاً: أن الله خلق الخلق ليعبدوه ويعرفوه، فهذا هو الغاية المطلوبة منهم، فلاشتغال بذلك اشتغال بما خلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له. وقبيح بعبد، لم تنزل نعم الله عليه متواترة، وفضله عليه عظيم من كل وجه، أن يكون جاهلاً بربه معرضاً عن معرفته.

رابعاً: أن أحد أركان الإيمان، بل أفضلها وأصلها الإيمان بالله، وليس الإيمان بمجرد قوله: "آمنت بالله" من غير معرفة بربه. بل حقيقة الإيمان، أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص . وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن. والطريق في ذلك، إذا مر به اسم من أسماء الله، أثبت له ذلك المعنى وكماله وعمومه، ونزهه عما يضاد ذلك.

خامساً: أن العلم به تعالى أصل الأشياء كلها، حتى إن العارف به حقيقة المعرفة، يستدل بما عرف من صفاته وأفعاله على ما يفعله، وعلى ما يشرعه من الأحكام، لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته، فأفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة. وكذلك لا يشرع ما يشرعه من الأحكام، إلا على حسب ما اقتضاه حمده وحكمته وفضله وعدله؛ فأخباره كلها حق وصدق، وأوامره ونواهيه عدل وحكمة. وهذا العلم أعظم وأشهر من أن ينبه عليه لوضوحه^(٣).

سادساً: تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد: وهذه الثمرة من أجل الثمرات التي تحصل بمعرفة أسماء الله وصفاته، فالشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريق الإصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلم بأسماء الله وصفاته،

^١ انظر: السعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ط ١، ص ١٣٥.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ١٢١.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٣٦، ٣٥).

يعصم بإذن الله من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، واستحضر معانيها أثر ذلك فيه أيما تأثير، وامتأل قلبه بأجل المعارف والألطف. فمثلاً أسماء العظمة تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله. وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة له، وشوقاً إليه، ورغبة بما عنده، وحمداً وشكراً له. وأسماء العزة، والحكمة، والعلم، والقدرة تملأ القلب خضوعاً وخشوعاً وانكساراً بين يديه عز وجل. وأسماء العلم، والخبرة، والإحاطة، والمراقبة، والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات في الجلوات والخلوات، وحراسةً للخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة. وأسماء الغنى، واللفظ، تملأ القلب افتقاراً، واضطراباً، والتفاتاً إليه في كل وقت وحال^١.

سابعاً: يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن من أعظم الضروريات حاجة النفوس إلى معرفة ربها وخلقها، وبأسمائه الحسنی، فيقول: "ولهذا فإنه لا أعظم حاجة وضرورة من معرفة النفوس بربها وملكها الذي لا غنى لها عنه طرفة عين ولا صلاح لها ولا زكاء إلا بمعرفته وعبادته وكلما كان العبد أعرف بأسماء ربه وما يستحقه من صفات الكمال وما يتنزه عنه مما يضاد ذلك، كان أعظم إيماناً بالغيب واستحق من الثناء والمدح بحسب معرفته... و لما كان هذا النوع هو أصل الإيمان بالغيب و أعظمه وأجله قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه-: (إن لله تسعةً وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة)^(٢). أي: ضبط ألفاظها وأحصى معانيها وتعقلها في قلبه وتعبد الله بها، وتقرب بمعرفتها إلى رب العالمين"^(٣).

١ انظر: السعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ط ١، ١٣٢-١٣٥. "بتصرف".

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدة، (٦ / ٢٦٩١)، رقم الحديث: ٧٣٩٢، [انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (٣٧٧/١٣) حديث ٧٣٩٢]، وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه، في كتاب الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط و الثنيا في الإقرار، (٢ / ٩٨١)، رقم الحديث: ٢٥٨٥، [انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (٣٥٤/٥) حديث ٢٧٣٦]. وأخرجه مسلم أيضاً في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، (٦٣/٨)، رقم الحديث: ٦٩٨٦. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الأول)، ط ١، ص ٨٣.

ثامناً: أن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته وخشيته، وخوفه ورجائه، وإخلاص العمل له، وهذا عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله، إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، و التفقه في فهم معانيها. وقد اشتمل القرآن من ذلك على ما لم يشتمل عليه غيره، من تفاصيل ذلك وتوضيحها، والتعرف بها إلى عبادته، وتعريفهم لنفسه كي يعرفوه.

تاسعاً: ومن أجل آثار معرفة الله بأسمائه وصفاته (الرضا)، فمن عرف الله عليم حكيم عدل لا يظلم أحداً رضي وصبر، وعلم أن المكروهات التي تصيبه والحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يبلغها علمه؛ لكنها هي مقتضى علم الله تعالى وحكمته فيطمئن ويسكن إلى ربه، ويفوض أمره إليه، يقول الإمام ابن الجوزي^(١) - رحمه الله تعالى - (ت ٥٩٨هـ): "إن الرضا من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته رضيت بقضائه، وقد يجري في ضمن القضاء مرارات يجد بعض طعمها الراضي، أما العارف فتقل عنده المرارات لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة"^(٢).

فعلم مما تقدم أن من انفتح له هذا الباب باب الأسماء والصفات انفتح له باب التوحيد الخالص، الذي لا يحصل إلا للكمّل من الموحدين. وإنه من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وذلك لما يورثه في قلوب العابدين من المحبة، والإنابة، والإخبات، والتقديس، والتعظيم للباري جل وعلا.

(١) ابن الجوزي: هو أبو الفرج الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، المفسّر، المحدث، المؤرخ، شيخ الإسلام عالم العراق. ولد سنة ٥٠٨هـ=١١١٦م، كتب بخطه كثيراً من كتبه إلى أن مات. كان ذا حظٍ عظيم، وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك، والوزراء وبعض الخلفاء، والأئمة والكبراء، وقيل إنه حضر في بعض مجالسه مائة ألف. وقال: كتبت بأصبعي ألفي مجلد، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفاً. ومن تصانيفه المهمة: زاد المسير في التفسير؛ جامع المسانيد؛ المغني في علوم القرآن وغير ذلك توفي سنة ٥٩٨هـ=١٢٠١م. *انظر ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية، ط ١، (٣١/١٣)، وأيضاً: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط ١، (١٤٠/٣). الفتوحي، أجد العلوم، د. ط، (٩١/٣).

(٢) انظر: ابن الجوزي، صيد الخاطر، د. ط، (٢٩/١). باختصار.

وهنا نصل إلى نهاية الفصل الرابع: الأصول العقدية المتعلقة في توحيد الأسماء والصفات، يليه الفصل الخامس وهو يتحدث الأصول العقدية المتعلقة بنواقض التوحيد، والله ولي الاحسان.

الفصل الخامس: الأصول العقدية المتعلقة بنواقض التوحيد.

إنَّ خطورة الكفر والشرك والتحذير منهما، وأنهما أعظم الظلم، وأن صاحبهما مخلدان في النار، وردت حوله آيات قرآنية كثيرة، ومثله أيضاً النفاق والبدعة، وقد اهتم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ببيان نواقض التوحيد هذه، ووضَّح لنا أنواعها، وأقسامها، وخطرهما، وجميع الأمور المتعلقة بها في ضوء المباحث التالية:

- المبحث الأول: الكفر.

- المبحث الثاني: الشرك.

- المبحث الثالث: النفاق.

- المبحث الرابع: البدعة.

المبحث الأول: الكفر.

المطلب الأول: تعريف الكفر وأقسامه و أنواعه .

***الكُفْرُ لغةً:** ضدُّ الإيمان. وقد كَفَرَ بالله كُفْرًا. وجمع الكافر كُفَّارٌ وَكُفْرَةٌ وَكُفَارٌ أيضاً. وجمع الكافِرَةِ الكَوَافِرُ. والكُفْرُ أيضاً: جُحودُ النعمة، وهو ضدُّ الشكر. والكُفْرُ بالفتح: التغطية. وقد كَفَرْتُ الشيءَ أَكْفِرُهُ بالكسر كُفْرًا، أي سَتَرْتُهُ. والكافرُ: الليل المظلم، لأنه ستر كلَّ شيءٍ بظلمته. وكلُّ شيءٍ عَطِيَ شيئاً فقد كَفَرَهُ^(١).

***تعريف الكفر اصطلاحاً:** يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حقيقة الكفر المناقض للإيمان

بقوله: "وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم الدعوة إلا إقامة الحجة، وكأن في هذا قطعاً لطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في إيمانهم، وأنت لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات"^(٢)

وقد عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) بقوله: "الكفر هو تكذيب الرسول في شيء مما جاء به"^(٣)، فتكذيب الرسول كفر وبغضه، وسبه وعداوته مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف^(٤).

فالكفر إذن هو الاعتقاد والقول والعمل المناقض للإيمان، وهو على شعب، ومراتب متفاوتة؛ منها ما يوجب الخروج من ملة الإسلام، ومنها ما هو دون ذلك.

* **أقسام الكفر وأنواعه:**

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "كفر"، (١٤٤/٥)، الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، د. ط، مادة: "كفر"، (١١٨/٢) .

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤١).

(٣) انظر: ابن تيمية، بغية المراتد، ط ١، ص ١٩٦.

(٤) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ط ١، (٥ / ١٧٢-١٧١).

بيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- نوعي الكفر مع تعريفهما فقال: "أن الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود وعناد.

فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه.

وأما كفر العمل: فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان، وأما الحكم بغير ما أنزل الله ، وترك الصلاة ، فهو من الكفر العملي قطعاً ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، وقد نفى ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر ومن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد وأشياء كثيرة من هذا النوع ، ومعلوم أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي ، وهذا الكفر لا يخرج عن الدائرة الإسلامية والملة بالكلية، كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وإن زال عنه اسم الإيمان، وهذا التفصيل هو قول الصحابة ، فههنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك ، وفسوق دون فسوق ، وظلم دون ظلم"(١).

ثم اعلم رحمك الله أن الكفر أعم من الشرك، فمن جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه بلا تأويل فهو الكافر من أي دين يكون، سواء كان صاحبه معانداً أو جاهلاً ضالاً^(٢).

إذن الكفر في الشرع ينقسم إلى قسمين: كفر أكبر (الاعتقادي)، وكفر أصغر (العملي)^(٣).

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص٢١٩.

(٢) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط١، ص٢٨٦.

(٣) انظر: عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة ، ط١، ص١١٤-١١٧ بتصرف.

النوع الأول: كفر أكبر (الاعتقادي):

هذا الكفر مناقض للإيمان، ويخرج صاحبه من ملة الإسلام، ويوجب لصاحبه الخلود في النار، ولا تناله شفاعة الشافعين، ويكون بالاعتقاد، وبالقول، وبالفعل، وبالشك والريب، وبالترك، وبالرد، وبالإعراض، وبالاستكبار.

ولهذا الكفر الأكبر (الاعتقادي) له أنواع كثيرة؛ ومن أهمها:

أولاً: كفر والجحود والتكذيب:

وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهراً أو باطناً فقد كفر، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۖ﴾ (٦٨) ، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: " ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (١)، فنسب ما هو عليه من الضلال والباطل إلى الله، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ (٢)، على يد رسوله محمد ﷺ، ولكن هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٤)، يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، الذين لا يخرجون منه" (٥).

ثانياً: كفر الإباء والاستكبار:

وهو عدم الانقياد والإذعان لرسول الله ﷺ ظاهراً مع العلم به ومعرفته باطناً، وذلك بأن يقر أن ما جاء به الرسول ﷺ حق من ربه؛ لكنه يرفض اتباعه أشراً وبطراً واحتقاراً للحق وأهله.

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٨.

(٢) سورة العنكبوت: جزء من آية ٦٨.

(٣) سورة العنكبوت: جزء من آية ٦٨.

(٤) سورة العنكبوت: جزء من آية ٦٨.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٣٥).

ثالثاً: كفر الشك:

بأن لا يجزم بصدق النبي ﷺ ولا كذبه؛ بل يشك في أمره، ويتردد في اتباعه؛ إذ المطلوب هو اليقين بأن ما جاء به الرسول من ربه حق لا مرية فيه؛ فمن شك في الاتباع لما جاء به الرسول، أو جوز أن يكون الحق خلافه؛ فقد كفر كفر شك.

رابعاً: كفر الإعراض:

والمراد الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾^(١)، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند هذه الآية: "أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضاً عن الحق، و صدوف عن دعوة الرسل فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾"^(٢)، وأما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم، وتلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالانقياد والتعظيم ففازوا بكل خير، واندفع عنهم كل شر"^(٣).

النوع الثاني: كفر الأصغر (العملي):

وهو ما لا يناقض أصل الإيمان؛ بل ينقصه ويضعفه، ولا يسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته، وهو مقتض لاستحقاق الوعيد والعذاب دون الخلود في النار، وله صور كثيرة، منها:

أولاً: كفر النعمة: وذلك بنسبتها إلى غير الله تعالى بلسانه دون اعتقاده، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤)، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند هذه الآية: "فحسابهم على الله فيأنهم يرون الإحسان، ويعرفون نعمة الله، ولكنهم ينكرونها ويحدونها، ﴿

(١) سورة الأحقاف: جزء من آية ٣.

(٢) سورة الأحقاف: جزء من آية ٣.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٧٩).

(٤) سورة النحل: آية ٨٣.

وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾، لا خير فيهم، وما ينفعهم توالي الآيات، لفساد مشاعرهم وسوء قصدوهم وسيرون جزاء الله لكل جبار عنيد كفور للنعم متمرد على الله وعلى رسوله^(٢).

ثانياً: كفران العشير والإحسان:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي ﷺ: (أريت النار؛ فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن) قيل: أيكفرن بالله. قال: (يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط)^(٣).

ثالثاً: الحلف بغير الله ﷻ:

لقوله ﷻ: (من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك)^(٤). فإجماع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام، ما لم يعظم المخلوق به في قلب الحالف كعظمة الله تعالى.

رابعاً: قتال المسلم:

لقوله ﷻ: (سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)^(١)، وقوله ﷻ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضكم رقاب بعض)^(٢). فهذا النوع من الكفر غير مخرج من الملة باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة.

(١) سورة النحل: جزء من آية ٨٣.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: كفران العشير وكفر بعد كفر، (١ / ١٩)، رقم الحديث: ٢٩.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الإيمان والنذور، باب: في كراهية الحلف بالآباء، (٣ / ٢١٧)، رقم الحديث: ٣٢٥٣.

وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب النذور والإيمان عن ﷺ، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، (٤ / ١١٠)،

١٥٣٥. قال الشيخ الألباني: صحيح.

المطلب الثاني: عواقب الكفر.

أولاً: يُحرم الحياة الطيبة في الدارين:

فالعبد المؤمن بربه وبرسوله، هو الذي يعيش عيشة السعداء ، وينال الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) ، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: "﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾" (٤). فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها بل لا تسمى أعمالاً صالحة إلا بالإيمان والإيمان مقتض لها فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ (٥)، وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب ﴿

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن ، باب: قول النبي ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض)، (٦ / ٢٥٩٢)، رقم الحديث: ٦٦٦٥ . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب: بَيَانُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ - (سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقَتَالُهُ كُفْرٌ)، (١ / ٥٧)، ٢٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم ، باب: الإنصات للعلماء ، (١ / ٥٦)، رقم الحديث: ١٢١ . أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب: « لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » . (١ / ٥٨)، رقم الحديث: ٢٣٢ .

(٣) سورة النحل: الآية ٩٧

(٤) سورة النحل: جزء من الآية ٩٧

(٥) سورة النحل: جزء من الآية ٩٧

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ ﴿١٧﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿١٧﴾ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾، من أصناف اللذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة^(٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾^(٤)، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسير هذه الآية: "﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾^(٥)، لا يضره كفركم، كما لا ينتفع بطاعتكم، ولكن أمره ونهيهِ لكم محض فضله وإحسانه عليكم.

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾^(٦)، لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يدعوا ما خلقهم لأجله^(٧). لأجله^(٧).

ثانياً: عرض نفسه لمقت الله وغضبه:

فيكون عرضة لنزول به المصائب ، وتحل به الكوارث ؛ عقوبة عاجلة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٨) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسير هذه الآية: "هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم

(١) سورة النحل: جزء من الآية ٩٧

(٢) سورة النحل: جزء من الآية ٩٧

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٤٨).

(٤) سورة الزمر: جزء من الآية ٧

(٥) سورة الزمر: جزء من الآية ٧

(٦) سورة الزمر: جزء من الآية ٧

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧١٩).

(٨) سورة النحل: الآيات من ٤٥-٤٧.

بالعذاب على غرّة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلّبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب ببالهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده .

ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهّلهم ويعافيههم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أوليائه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي تضرهم، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب، فليستح المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهّل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العميم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه و يرضاه^(١).

ثالثاً: المعيشة الضنك:

فالكافر بربه، والمستكبر عن عبادته جعل حياته ضنكا، وجمع عليه الهموم والغموم، وإن ملك جميع وسائل الراحة، وأصناف المتاع الدنيوي؛ التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) ^(٢)، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى، أنه أمر آدم عليه السلام، وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأن يتخذوا آدم عليه السلام وبنوه الشيطان عدوا لهم، فيأخذوا الحذر منه، ويعدوا له عدته ويحاربوه، وأنه سينزل عليهم كتباً، ويرسل إليهم رسلاً يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، ويحذرونهم من هذا العدو المبين، وأنهم أي: وقت جاءهم ذلك الهدى، الذي هو الكتب والرسل، فإن من اتبعه اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهي عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة.

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٤١).

(٢) سورة طه: الآيتان ١٢٥، ١٢٤.

وقد نفى عنه الخوف والحزن في آية أخرى، بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، واتباع الهدى، بتصديق الخبر، وعدم معارضته بالشبه، وامتنال الأمر بأن لا يعارضه بشهوة ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِىَ﴾^(٣)، أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(٤)، أي: فإن جزاءه، أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابا.

وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه،... وبعض المفسرين، يرى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض عن ذكر ربه، من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها. ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾^(٥)، أي: هذا المعرض عن ذكر ربه ﴿يَوْمَ أَلْقَيْمَةَ أَعْمَى﴾^(٦)، البصر على الصحيح، كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ أَلْقَيْمَةَ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾^(٧)، قال على وجه الذل والمراجعة والتألم والضجر من هذه الحالة: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(٨)، في دار الدنيا ﴿بَصِيرًا﴾^(٩)، فما الذي صيرني إلى هذه الحالة البشعة^(١٠).

(١) سورة البقرة : جزء من آية ٣٨.

(٢) سورة البقرة : جزء من آية ٣٨.

(٣) سورة طه: الآيتان ١٢٥، ١٢٤.

(٤) سورة طه: جزء من آية ١٢٤

(٥) سورة طه: ١ جزء من آية ١٢٤

(٦) سورة طه: جزء من آية ١٢٤

(٧) سورة الأسراء: جزء من آية ٩٧.

(٨) سورة طه: جزء من آية ١٢٥

رابعاً: الخوف وعدم الأمن في الدارين:

وعد الله الذين آمنوا به واتبعوا رسله بالأمن التام في الحياة الدنيا وفي الآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسير هذه الآية: "﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ (٤)، أي: يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ، الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء" (٦).

خامساً: أنه مخلص في العذاب:

ذلك أن الكافر ينتقل من عذاب إلى عذاب، فهو يخرج من الدنيا -وقد تجرع غصصها ومصائبها- إلى الدار الآخرة ، وهي دار جزاء وليست دار أمان فلا بد أن يلقي الإنسان جزاء عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وشر ما يلقي الكافر في الدار الآخرة عذاب النار ، وقد نوع الله على أهلها أصناف العذاب ليدوقوا وبال أمرهم ، وأن أموالهم وأولادهم لن تغني عنهم شيئاً من عذاب الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (١٠) كَذَّبَ ءَالِ

(١) سورة طه: جزء من آية ١٢٥

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥١٥).

(٣) سورة الأنعام: آية ٨٢.

(٤) سورة الأنعام: جزء من آية ٨٢.

(٥) سورة الأنعام: جزء من آية ٨٢.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٦٣).

فَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾^(١)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسير هذه الآية: " لما ذكر يوم القيامة، ذكر أن جميع من كفر بالله، وكذب رسول الله، لا بد أن يدخلوا النار ويصلوها ، وأن أموالهم وأولادهم لن تغني عنهم شيئاً من عذاب الله، وأنه سيجري عليهم في الدنيا من الأخذات والعقوبات، ما جرى على فرعون وسائر الأمم المكذبة بآيات الله ﴿فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾^(٢)، وعجل لهم العقوبات الدنيوية، متصلة بالعقوبات الأخروية، ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣) فإياكم أن تستهينوا بعقابه، فيهون عليكم الإقامة على الكفر والتكذيب^(٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١١﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَمٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾^(٥)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسير هذه الآية: " ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٦)، يشمل^(٦) كل كافر، من اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئين، والمشركين.

﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾^(٧) أي: يجعل لهم ثياب من قطران، وتشعل فيها النار، ليعمهم العذاب من جميع جوانبهم.

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١١، ١٠.

(٢) سورة آل عمران: جزء من آية ١١

(٣) سورة آل عمران: جزء من آية ١١

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٩٦٣).

(٥) سورة الحج: الآيات ١٩ - ٢٢

(٦) سورة الحج: جزء من آية ١٩.

(٧) سورة الحج: جزء من آية ١٩.

﴿يُصَبِّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١)، الماء الحار جدا، يصهر ما في بطونهم من اللحم والشحم والأعضاء، من شدة حره، وعظيم أمره، ﴿وَلَهُمْ مَقْعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(٢)، بيد الملائكة الغلاظ الشداد، تضربهم فيها وتقمعهم، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٣)، فلا يفترون عنهم العذاب، ولا هم ينظرون، ويقال لهم توبيخا: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(٤)، أي: المحرق للقلوب والأبدان^(٥). نسأل الله العافية في الدارين .

وأختم هذا المبحث بكلام جميل للإمام ابن القيم — رحمه الله تعالى —: أيه الإنسان تذكر بأن: " ناصيتك بيد الله ، ونفسك بيده ، وقلبك بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبه كيف يشاء ، وحياتك وموتك بيده ، وسعادتك وشقاوتك بيده ، وحركاتك وسكناتك وأقوالك بإذن الله ومشيتته ، فلا تتحرك إلا بإذنه ولا تفعل إلا بمشيئته ، إن وكلك إلى نفسك وكلك إلى عجز وضعف وتفريط وذنب وخطيئة ، وإن وكلك إلى غيرك ، وكلك إلى من لا يملك لك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فلا غنى لك عنه طرفة عين ، بل أنت مضطر إليه على مدى الأنفاس ظاهرا وباطنا ، يسبغ عليك النعم ، وأنت تنبغض إليه بالمعاصي والكفر مع شدة الضرورة إليه من كل وجه ، قد اتخذته نسيا ومردك إليه ومرجعك وموقفك بين يديه " ^(٦).

(١) سورة الحج: جزء من آية ١٩ .

(٢) سورة الحج: آية ٢١

(٣) سورة الحج: جزء من آية ٢٢ .

(٤) سورة الحج: جزء من آية ٢٢ .

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٨٥).

(٦) ابن القيم، الفوائد، ط ٢، ص ٥٦. "بتصرف".

مما تقدم يظهر لنا أن الكفر عواقبه وخيمه في الدارين، فمن أراد السعادة لنفسه فليؤمن بربه ويعمل عملاً صالحاً يظفر بجنة الدنيا قبل جنة الآخرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، جعلنا المولى منهم، وزادنا من فضله إنه جواد كريم.

المبحث الثاني: الشرك.

المطلب الأول: تعريف الشرك وأقسامه.

الشرك لغةً: الشِّرْكَةُ والشَّرْكَةُ سواء مخالطة الشريكين يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركوا وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله: كفر فهو مشرك. والشرك هو النصيب وأشراك واعتقاد تعدد الآلهة^(١).

تعريف الشرك اصطلاحاً: هو أن يجعل العبد شريكاً لله - عز وجل - ربوبيته أو إلهيته أو أسمائه وصفاته. وقد عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (ت ٧٢٨هـ) بقوله: "الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله الها آخر"^(٢).

و قال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "الشرك بالله أعظم ذنب عصي الله به ، فمن جعل لله ندا من خلقه فيما يستحقه عز وجل من الإلهية والربوبية فقد كفر بإجماع الأمة"^(٣).

ويعرفه الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - (ت ٧٥١هـ) بقوله: "حقيقة الشرك: هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية"^(٤).

(١) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "شرك"، ص ١٢٤٠، وانظر: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُجَدِّد النجار، المعجم الوسيط، د. ط، مادة: "شرك"، (١/٤٨٠)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "شرك"، (٤٤٨/١٠).

(٢) انظر: ابن تيمية، الاستقامة، ط ١، (٢/٢١٠).

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١/٨٨) "بتصرف".

(٤) ابن القيم، الجواب الكافي، د. ط، ص ١. "باختصار".

وبيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حقيقة الشرك بقوله: "وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحدًا، مخلصًا لله في جميع أحواله، فهذا حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"^(١).

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- نوعي الشرك فقال: "وهو نوعان:

- شرك في الإلهية وشرك في الربوبية. فأما **الشرك في الإلهية** فهو: أن يجعل لله ندا -أي: مثلاً في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. وأما النوع الثاني: **فالشرك في الربوبية** فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته"^(٢).

وقد قسّم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- الشرك إلى شركين: شرك يتعلق بذات المعبود، شرك في عبادته سبحانه بقوله: "الشرك شركان: **شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته** وهو شرك التعطيل وهو أقبح أنواعه، كشرك فرعون وأشباهه، فالشرك والتعطيل متلازمان، والتعطيل ثلاثة أنواع: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيله عن كماله المقدس، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، وهذا هو **النوع الثاني وهو الشرك في عبادته** كشرك المشركين الذين يعترفون أن الله هو الخالق وحده، المالك وحده، ولكنهم يعبدون معه سواه، وأما **الشرك الأصغر**: فكالشرك في الألفاظ، كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشاء فلان، كالرياء والعمل الذي قصد به غرض من الأغراض النفسية، ولم يرد به وجه الله، وأما **الشرك في الإرادات** والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئاً غير التقرب إلى الله وطلب

١ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٢٧٩/١).

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٩١/١)، "باختصار"، ابن القيم، الصلاة وأحكام تاركها، د. ط، (٤/ ٤٤).

الجزء منه فقد أشرك في نيته وإرادته ،والإخلاص أن يخلص الله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام التي أمر الله بها عباده كلهم^(١).

وبين-رحمه الله تعالى- في موضع آخر أن الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة، وقد قسمه إلى قسمين بقوله: "الشرك في العبادة وهو قسمان: شرك أكبر، وشرك أصغر.

فالشرك الأكبر: أن يصرف العبد نوعا من أنواع العبادة لغير الله كأن يدعو غير الله، أو يرجوه، أو يخافه. فهذا مخرج من الدين، وصاحبه مخلد في النار.

وأما الشرك الأصغر: فالوسائل والطرق المفضية إلى الشرك إذا لم تبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله والرياء ونحو ذلك"^(٢).

فتبين من تقسيم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن الشرك شركان: شرك أكبر، وشرك أصغر. **والشرك الأكبر** له ثلاثة أنواع، يتعلق كل نوع بأنواع التوحيد الثلاثة: النوع الأول: الشرك في الربوبية وهذا إما شرك في التعطيل وإما شرك في الأنداد، والنوع الثاني: الشرك في توحيد الأسماء والصفات وهو أيضا إما بالتعطيل وإما بالأنداد، والنوع الثالث: الشرك في توحيد الألوهية كشرك الدعاء، وشرك الطاعة، وشرك المحبة، وشرك الخوف وغيره.

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص٢٤٥.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط١، ص٦٥، ٣٣، ٣٢، ولنفس المؤلف:

المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الأول)، ط١، ص٥٣٢. وله، طريق الوصول إلى العلم

المأمول، ط١، ص٢٤٥. سؤال وجواب في أهم المهمات، ط١، ص١٧، الحق الواضح المبين، ط٢، ص٥٩، القول السديد

في مقاصد التوحيد، ط١، ص٢٤، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط١، ص٢٨٦.

وأما **الشرك الأصغر** له نوعان: النوع الأول: **شرك ظاهر**، وهو: ألفاظ وأفعال. فالألفاظ كالحلف بغير الله تعالى، وأما الأفعال: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمام خوفاً من العين وغيرها^١.

وأما النوع الثاني: من **الشرك الأصغر**: **شرك خفي**، وهو الشرك في الإرادات والنيات ؛ كالرياء والسمعة ؛ وهذا الشرك في الإرادات والنيات هو : "البحر الذي لا ساحل له. وقل من ينجو منه. فمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً من غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته -والإخلاص أن يخلص الله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته"^(٢).

وقد وردت أحاديث تبين هذا النوع من الشرك، منها:

الحديث الأول: أن رسول الله - ﷺ - قال: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟) قال: قلنا: بلى، قال: (الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل)^٣.

الحديث الثاني: أن رسول الله - ﷺ - قال: (أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من ديب النمل)، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟ قال: (قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفره لما لا نعلم)^٤.

١ وهذا ما سنبينه في المطلب القادم: مسائل في باب الشرك.

(٢) ابن القيم ، الجواب الكافي ، د.ط، ص ١١٥.

^٣ أخرجه أحمد في المسند (٣٠/٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب: الرياء بالسمعة، (٤٢٠٤)، والبيهقي في الشعب، (٣٣٤/٥)، وصححه الحاكم في المستدرک، (٣٢٩/٤)، و وافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠)، عن أبي سعيد الخدري - ﷺ -.

^٤ أخرجه أحمد في المسند، (٤٠٣/٤)، وابن أبي شيبة في المصنف، (٧٠/٦)، وأبو يعلى في مسند، (٦٠/١)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب، (٣٦)، -عن أبي موسى الأشعري - ﷺ -.

هذه النصوص تدلّ على أن هناك نوعاً آخر من الشرك يسمّى الشرك الخفي.

مما تقدم يظهر لنا أن الشرك على اسمه هو تشريك غير الله مع الله في العبادة، وأن يجعل الله نداً وقد خلقهم، وينقسم إلى نوعين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وهذا ما سار به الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-على منهج علماء أهل السنة والجماعة.

المطلب الثاني: مسائل في باب الشرك:

هناك أفعال تدخل في باب الشرك؛ وقد تكون شرك أكبر أو شرك أصغر، حسب ما يكون في قلب الشخص من نوع هذا التشريك: فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، ومثل تعليق التمام خوفاً من العين، والاستعاذة والاستغاثة بغير الله تعالى وغيرها، إذا اعتقد أن هذه أسباب لرفع البلاء أو دفعه، فهذا شرك أصغر. لأن الله لم يجعل هذه أسباباً. أما إن اعتقد أنها تدفع أو ترفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر، لأنه تعلق بغير الله.

وقد ذكر الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-عند ترجمته لكتاب التوحيد مسائل في باب الشرك، تبين مثل هذه الأفعال نستطردّها مع بيان شرحه-رحمه الله-لها وهي كالتالي:

المسألة الأولى: لبس الحلقة والخيط ونحوها لرفع البلاء أو دفعه:

إن من لبس الحلقة أو الخيط أو نحوها قاصداً بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك؛ لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر. وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن، اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيٍّ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣٨) . (١)

ولحديث : أن النبي - ﷺ - : (رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة. فقال: "انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) (١)

(١) سورة الزمر: جزء من آية ٣٨ .

وحديث : (من تعلق تيممة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) (٢)

وأشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى أن الحكم في هذه المسألة متوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب حيث فصل المسألة فقال: "أنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور: أحدها: ألا يجعل منها سببا إلا ما ثبت أنه سبب شرعا أو قدرا. ثانيها: ألا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدرها، مع قيامه بالمشروع منها، وحرصه على النافع منها.

ثالثها: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء: إن شاء أبقي سببيتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العباد، ويعرفوا بذلك تمام حكمته، حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعلمها، وإن شاء غيرها كيف يشاء لئلا يعتمد عليها العباد، وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد في نظره وعمله بجميع الأسباب. إذا علم ذلك فمن لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك؛ لأنه إن اعتقد أنها هي الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر. وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكا مع الله في الخلق والتدبير. وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعا ورجاء لنفعه، وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده ولكن، اعتقدها سببا يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سببا شرعيا ولا قدريا سببا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر.

(١) أخرجه أحمد في المسند، (٤ / ٤٤٥) بسند لا بأس به. وفي إسناده (المبارك) وهو ابن فضالة البصري. قال ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب، ط ٢ (٢ / ٢٢٧) "صدوق يدلّس ويسوي". ومن طريق أبي عامر الحزاز عن الحسن عن عمران بنحوه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث: (١٤١١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤ / ٢١٦)، ووافقه الذهبي. عن عمران بن حصين -رضي الله عنه-.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، (٤ / ١٥٤)، وفي إسناده (خالد بن عبيد) وهو المعافري. قال ابن حجر العسقلاني في تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ط ١، ص ١١٤: "رجال حديثه موثوقون". وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤ / ٢١٦)، ووافقه الذهبي. عن عتبة بن عامر -رضي الله عنه-.

أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشد النهي، وما نهي عنه فليس من الأسباب النافعة. وأما القدر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة. وكذلك هو من جملة وسائل الشرك؛ فإنه لا بد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التي شرعها على لسان نبيه ﷺ التي يتوسل بها إلى رضا الله وثوابه، ولا من الأسباب القدرية التي قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية المباحة كان المتعلق بها متعلقا قلبه بها راجيا لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها لئتم إيمانه وتوحيده؛ فإنه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أيضا نقص في العقل حيث التعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض. والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد في الأمور النافعة المرقية للعقول، المزكية للنفوس، المصلحة للأحوال كلها دينيها و دنيويها والله أعلم^(١).

المسألة الثانية: ما جاء في الرقى والتمائم.

ما حكم الرقى والتمائم الذي يعلق على الأولاد يتقون به العين، والتولة وهو: ما يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى زوجته؟ نوضح ذلك من خلال النصوص النبوية الشريفة وكلام الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عنها:

ولحديث: عَنْ عَبَادِ بْنِ تَمِيمٍ أَنَّ أَبَا بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ - قَالَ - فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - رَسُولًا - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ وَالنَّاسُ فِي مَسِيَّتِهِمْ - (لَا يَنْفَقِينَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةً مِنْ وَتَرٍ أَوْ قِلَادَةً إِلَّا قُطِعَتْ) ^(٢)

و حديث: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: (إن الرقى والتمائم و التولة شرك) ^(١).

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٤٢-٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل، (٣ / ١٠٩٤) رقم الحديث: (٢٨٤٣). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب: كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير، (٦ / ١٦٣)، رقم الحديث: (٥٦٧١).

"التمايم": شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و"الرقى": هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

و"التولة": هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

وأشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى هذه المسألة وفصل فيها، وأنها منها من الشرك الأكبر، ومنها محرم كالتى فيها أسماء لا يفهم معناها، فقال: "أما التمايم فهي: تعاليق تتعلق بها قلوب متعلقها، والقول فيها كالقول في الحلقة والخيط كما تقدم.

فمنها: ما هو شرك أكبر كالتى تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين. فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك.

ومنها: ما هو محرم كالتى فيها أسماء لا يفهم معناها؛ لأنها تجر إلى الشرك. وأما التعاليق التى فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها لعدم ورودها عن الشارع، ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحرم؛ ولأن الغالب على متعلقها أنه لا يحترمها ويدخل بها المواضع القذرة.

أما الرقى ففيها تفصيل: فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن، فإنها مندوبة في حق الراقي؛ لأنها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق المرقى، إلا أنه لا ينبغي له أن يتدأ بطلبها، فإن من كمال توكل العبد وقوة يقينه ألا يسأل أحدا من الخلق لا رقية ولا غيرها، بل ينبغي إذا سأل أحدا أن يدعو له أن يلحظ مصلحة الداعي والإحسان إليه، بتسببه لهذه العبودية له

(١) أخرجه أحمد في المسند، (١ / ٣٨١). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب: في تعليق التمايم (٤ / ٩)، رقم الحديث: (٣٨٨٣). قال المنذري في مختصر سنن أبي داود، د.ط، (٥ / ٣٦٣): "والراوي عن زينب مجهول". اهـ. وقد وصف عند الإمام أحمد وأبي داود بأنه "ابن أخي زينب"، ووصف في (سنن ابن ماجه) (٢ / ١١٦٧) بأنه "ابن أخت زينب".

مع مصلحة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة التي لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلا الكُمل من العباد.

وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره، فهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنه دعاء واستغاثة بغير الله. فافهم هذا التفصيل، وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها في أسبابها وغاياتها^(١).

المسألة الثالثة: من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.

هل التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها مشروع؟ نوضح ذلك من خلال الأدلة القرآنية والنبوية الشريفة وكلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عنها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ (٢).

ولحديث: عن أبي واقد الليثي -رضي الله عنه- قال: (خرجنا مع رسول الله -ﷺ- إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله -ﷺ-: الله أكبر إنها السنن، قلتهم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى -عليه السلام-:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ (٣)، لتركبن سنن من كان قبلكم^(٤).

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٤٥-٤٨).

(٢) سورة النجم: آية ١٩-٢٣.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٣٨.

(٤) أخرجه الترمذي وصححه في السنن، كتاب الفتن، باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم. (٤ / ٤٧٥)، رقم الحديث (٢١٨٠)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح). ولفظه: (أن رسول الله لما خرج إلى خير مر بشجرة يقال لها ذات أنواط...) الحديث.

وأشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى هذه المسألة في حكم التبرك بشجرة أو حجر ونحوهما فيقول: "أي فإن ذلك من الشرك ومن أعمال المشركين، فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها. فإن هذا التبرك غلو فيها، وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحد عليه، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبي ﷺ وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة.

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرفة، فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته، فهو روح التعبد. فهذا تعظيم للخالق وتعبد له، وذلك تعظيم للمخلوق وتأله له. فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاص وتوحيد، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد" (١).

المسألة الرابعة: ما جاء في الذبح لغير الله تعالى.

إن نصوص القرآنية والنبوية الشريفة صريحة في الأمر بالذبح لله ﷻ، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، بل قد قرن -سبحانه- الذبح بالصلاة في عدة مواضع في الذكر الحكيم، لذا فإن الذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة الإسلامية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ (٢)، وقوله سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَعْ (٣)﴾.

ولحديث: عن علي -عليه السلام- قال: حدثني رسول الله -ﷺ- بأربع كلمات: (لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض) (٤).

وبوضح لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ما جاء في الذبح لغير الله وأنه من الشرك ويجب إخلاص هذه العبادة لله فقال: "أنه شرك، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هي صريحة بذلك في الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٤٩-٥١).

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٣، ١٦٢.

(٣) سورة الكوثر: آية ٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله (٣ / ١٥٦٧)، رقم الحديث (١٩٧٨).

مواضع من كتابه. وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده: (أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله).

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر. فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء. كما أن حد الشرك الأصغر هو: (كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة).

فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التي يكثر اشتباهها والله المستعان^(١).

المسألة الخامسة: الاستعاذة والاستغاثة بغير الله تعالى.

الأمر الرباني يأمر العباد بالاستعاذة بالله وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به عند كل كرب وشدة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ؛ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(٤).

ولحديث: عن خولة بنت حكيم - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرجل من منزله ذلك)^(٥).

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٥٢-٥٤).

(٢) سورة الجن: آية ٦.

(٣) سورة يونس: الآيتان ١٠٧، ١٠٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤)

/ (٢٠٨١)، رقم الحديث: (٢٧٠٨).

وروى المحدث الطبراني - رحمه الله تعالى - (ت ٣٦٠ هـ) ^(١): أنه كان في زمن النبي - ﷺ - منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: (إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله) ^(٢).

ويبين لنا الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أن الحد في الشرك الأكبر، هو أن (من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك)، والعبادة (اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة و الباطنة)، الاستعاذة و الاستغاثة من ذلك. ومتى فهم المسلم هذا الضابط فهم هذه المسألة، ثم يفصل لنا حكمها فيقول: "أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به في كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة، أن الدعاء عام في كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المحيى لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضاً من العقل، فإن أحداً من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقراء إلى الله في كل شئونهم" ^(٣).

من خلال ما عرضه الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - من مسائل تبين لنا أن فهم ضابط الشرك الأكبر؛ بأن يصرف العبد أي نوع من أنواع العبادات القلبية أو القولية أو الجوارحية أو المالية لغير الله ﷻ فقد أشرك بالله تعالى، وأن ضابط الشرك الأصغر كل ذريعة يتوصل من خلالها إلى

(١) (الطبراني): هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم: من كبار المحدثين. أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا، سنة ٢٦٠ هـ، له ثلاثة (معاجم) في الحديث، منها (المعجم الصغير)، وله كتب في (التفسير) و (الآوائل) و (دلائل النبوة)، وتوفي بأصبهان سنة: ٣٦٠ هـ. انظر ترجمته في: الزكلي، الأعلام، ط ١٥، (٣ / ١٢١).

(٢) عزاه الهيثمي للطبراني في (المعجم الكبير) عن عبادة بن الصامت، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط ٣، (١٠ / ١٥٩): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق، وهو في الأدب في باب القيام".

(٣) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٦٠-٦١).

الشرك الأكبر من النيات والإرادات والأقوال والأعمال التي لم تبلغ رتبة أي نوع من أنواع العبادات ، فهماً دقيقاً تنور لنا السبيل الحق ، و الفرقان بين كثير من الأمور التي يكثر اشتباهها ومنها مسائل الشرك.

المطلب الثالث: خطورة الشرك وبطلانه.

أولاً: خطورة الشرك.

الشرك خطورته عظيمة على المشرك، لذا يبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) خطورة الشرك بقوله: "والشرك به هو: أعظم الفساد في الأرض؛ بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو الشرك بالله ومخالفة أمره" (١).

وظهر تحذير الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من الشرك، وبيان خطر ناقض التوحيد هذا بقوله: " فإذا كان الشرك ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار والخلود فيها، وحرمان الجنة إذا كان أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه، كان حقاً على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق. وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألهاً، وإنابة وخوفاً ورجاء وطمعاً وقصدًا لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد، وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه" (٢).

وبين -رحمه الله تعالى- خطورة هذا الناقض لتوحيد أيضاً وبطلانه في ضوء تفسيره لآيات الفرقان المجيد ومنها:

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٥/٢٤).

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، مرجع سابق، ص ٣٣ .

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (١)، يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية مبيناً إن المشرك قد سد على نفسه أبواب الرحمة، فلا تنفعه القربات من دون التوحيد: "يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك به أحداً من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته. فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد.

وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً، وما لهم يوم القيامة من شافعين ولا صديق حميم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٢) أي: افترى جرماً كبيراً وأي ظلم أعظم ممن سوى المخلوق - من تراب الناقص من جميع الوجوه الفقير بذاته من كل وجه الذي لا يملك لنفسه - فضلاً عما عمن عبده - نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً - بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه الغني بذاته عن جميع مخلوقاته الذي بيده النفع والضرر والعطاء والمنع الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟

ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٣)، وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب وأما التائب فإنه يغفر له الشرك فما دونه كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤) أي: لمن تاب إليه وأناب" (٥).

(١) سورة النساء: آية ٤٨.

(٢) سورة النساء: آية ٤٨.

(٣) سورة المائدة: آية ٧٢.

(٤) سورة الزمر: آية ٥٣.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٨١).

الدليل الثاني: وقوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٣١) ﴿١﴾.

يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لهذه الآية خطر الشرك فيقول: "أمرهم أن يكونوا ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ (٢) أي: مقبلين عليه وعلى عبادته، معرضين عما سواه.

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ (٣) فمثله ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ (٤) أي: سقط منها ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ (٥). بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (٦) أي: بعيد، كذلك المشرك، فالإيمان بمنزلة السماء، محفوظة مرفوعة. ومن ترك الإيمان، بمنزلة الساقط من السماء، عرضة للآفات و البليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفه الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودينه" (٧).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣١) ﴿٨﴾، يضرب سبحانه الأمثال في القرآن، من أجل تقريب الحقائق لإفهام الناس، فيتذكرون الحق فيه فيعلمون ويعملون، و من ذلك ما ضرب مثلاً للشرك وما ينقضه من التوحيد في هذه الآية القرآنية، فنقف عند كلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- فيه حيث يقول: "ضرب الله مثلاً للشرك والتوحيد فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾ (٩) أي: عبداً ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾

(١) سورة الحج: آية ٣١.

(٢) سورة الحج: جزء من آية ٣١.

(٣) سورة الحج: جزء من آية ٣١.

(٤) سورة الحج: جزء من آية ٣١.

(٥) سورة الحج: جزء من آية ٣١.

(٦) سورة الحج: جزء من آية ٣١.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٣٨).

(٨) سورة الزمر: آية ٢٩.

(٩) سورة الزمر: جزء من آية ٢٩.

﴿^(١)، فهم كثيرون، وليسوا متفقيين على أمر من الأمور وحالة من الحالات حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ ^(٢)، أي: خالصا له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ ^(٣)، أي: هذان الرجلان ﴿مَثَلًا﴾ ^(٤)؟ لا يستويان.

كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقر له قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه، قد خلصه الله من الشركة لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة، ف ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ^(٥)، على تبيين الحق من الباطل، وإرشاد الجهال، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٦)، ^(٧).

الدليل الرابع: قال -رحمه الله تعالى- عند تفسيره **لقوله تعالى:** ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٨): "وجه كونه عظيما، أنه لا أفضع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسَوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسَوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسَوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، وديناهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟؟!"

(١) سورة الزمر: جزء من آية ٢٩.

(٢) سورة الزمر: جزء من آية ٢٩.

(٣) سورة الزمر: جزء من آية ٢٩.

(٤) سورة الزمر: جزء من آية ٢٩.

(٥) سورة الزمر: جزء من آية ٢٩.

(٦) سورة الزمر: جزء من آية ٢٩.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٢٣).

(٨) سورة لقمان: آية ١٣.

وهل أعظم ظلما ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا^(١).

الدليل الخامس: قال عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ١١٦﴾^(٢)، قوله تعالى: ﴿وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ﴾^(٣) أي: نعذبه فيها عذابا عظيما، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۖ﴾^(٤) أي: مرجعا له ومآلا، وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا الله بحسب حالة الذنب صغرا وكبرا، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق.

وهو: أن الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضرر، الذي ما من نعمة إلا منه، ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبار.

فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه.

وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب عليه وعاقب بعدله وحكمته^(٥).

ثانياً: بطلان الشرك بالدليل العقلي والنقلي.

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٦٤٨).

(٢) سورة النساء: الآيتان ١١٦، ١١٥.

(٣) سورة النساء: جزء من آية ١١٥.

(٤) سورة النساء: جزء من آية ١١٥.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٠٢).

وبيين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - بطلان شرك المشركين بالدليل العقلي والنقلي عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾^١، بقوله: "يقول تعالى مُعْجَزًا لآلهة المشركين، ومبينًا نقصها، وبطلان شركهم من جميع الوجوه.

﴿قُلْ﴾^٢ يا أيها الرسول لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾^٣ أي: أخبروني عن شركائكم ﴿الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هل هم مستحقون للدعاء والعبادة، ف﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ هل خلقوا بحرا أم خلقوا جبالا جبالا أو خلقوا حيوانا، أو خلقوا جمادا؟ سيقرون أن الخالق لجميع الأشياء، هو الله تعالى، أم لشركائكم شِرْكَةٌ ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾^٤ في خلقها وتديرها؟ سيقولون: ليس لهم شركة.

فإذا لم يخلقوا شيئا، ولم يشاركوا الخالق في خلقه، فلم عبدتموهم ودعوتموهم مع إقراركم بعجزهم؟ فانتفى الدليل العقلي على صحة عبادتهم، ودل على بطلانها.

ثم ذكر الدليل السمعي، وأنه أيضا منتف، فلهذا قال: ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا﴾^٥ يتكلم بما كانوا به يشركون، يأمرهم بالشرك وعبادة الأوثان. فهم في شركهم ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾^٦ من ذلك الكتاب الذي نزل عليهم في صحة الشرك؟

١ سورة فاطر: آية ٤٠.

٢ سورة فاطر: جزء من آية ٤٠.

٣ سورة فاطر: جزء من آية ٤٠.

٤ سورة فاطر: جزء من آية ٤٠.

٥ سورة فاطر: جزء من آية ٤٠.

٦ سورة فاطر: جزء من آية ٤٠.

٧ سورة فاطر: جزء من آية ٤٠.

ليس الأمر كذلك؟ فإنهم ما نزل عليهم كتاب قبل القرآن، ولا جاءهم نذير قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولو قدر نزول كتاب إليهم، وإرسال رسول إليهم، وزعموا أنه أمرهم بشركهم، فإننا نجزم بكذبهم، فالرسل والكتب، كلها متفقة على الأمر بإخلاص الدين لله تعالى، فإن قيل: إذا كان الدليل العقلي، والنقلي قد دلا على بطلان الشرك، فما الذي حمل المشركين على الشرك، وفيهم ذوو العقول والذكاء والفطنة؟

أجاب تعالى بقوله: ﴿بَلْ إِنْ يَعْذُلِ الْمُؤْمِنُ لِبَعْضٍ مِنْ آيَاتِنَا فَاعْبُدْ﴾، أي: ذلك الذي مشوا عليه، ليس لهم فيه حجة، وإنما ذلك توصية بعضهم لبعض به، وتزيين بعضهم لبعض، واقتداء المتأخر بالمتقدم الضال، وأماي منّاها الشيطان، وزين لهم سوء أعمالهم، فنشأت في قلوبهم، وصارت صفة من صفاتها، فعسر زوالها، وتعسر انفصالها، فحصل ما حصل من الإقامة على الكفر والشرك الباطل المضمحل^(٣).

من خلال ما تقدم تبين لنا أن الشرك ينافي الغاية العظمى التي خلقت الخليقة من أجلها وهي التوحيد، ويوجب عليهم دخول النار والخلود فيها، وحرمان سلعة الرحمن إذا كان شرك أكبر، ولا تتحقق السعادة إلا بالفرار منه، ومن طرقه ووسائله وأسبابه، نسأل المولى العافية منه.

المطلب الرابع: تلازم الشرك والتعطيل.

الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-قام بإبراز العلاقة بين الشرك والتعطيل بقوله: "الشرك من أكبر الأدلة على فساد التعطيل. ووجه ذلك أن كل عبد مضطر إلى الله في كل أموره الدينية والدنيوية ليس له غنى عنه طرفة عين، وإليه يلجأ في مهماته ويقصده في كل حاجاته. فإذا انتفت صفات الله على قول المعطلين- كحياة الله وعلمه وقدرته وإرادته ورحمته وحكمته- لم يكن عند هذا المنفى عنه هذه الصفات مطالب الخلق وفزعت الخليقة إلى غيره وتوجهت القلوب لمن يعلم بأحوالها ويقدر على

١ سورة فاطر: جزء من آية ٤٠.

٢ سورة فاطر: جزء من آية ٤٠.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٩١).

مصلحتها ومنافعها ودفع مضارها ، و اضطربهم هذا الأمر إلى الشرك. وأما الإثبات لصفات كماله فإنه أصل التوحيد^(١).

لذا نجد أن "شرك الفلاسفة"^٢، أشنع من شرك المشركين؛ لأن شرك الفلاسفة بالتوحيدين توحيد الربوبية والإلهية^(٣). فهم قد عطلوا الباري عن كماله المقدس، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد كما مر معنا.

والمقصود مما تقدم أن المشرك وإن كان مفترياً كافراً فالمعطل شرمنه؛ لأنه عطل الباري عن كماله المقدس ونفى صفاته، ويلزم من ذلك نفي أفعال الرب وربوبيته، ونفي عبودية العبيد عن خالقهم العظيم.

المبحث الثالث: النفاق.

يقول الإمام ابن القيم-رحمه الله تعالى-(ت ٧٥١هـ) في المنافقين: "كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم، لكثرتهم على ظهر الأرض، وفي أجواف القبور، فلا خلت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات وتتعطل بهم أسباب المعاش، وتختطفهم الوحوش والسباع في الفلوات"^(٤).

وقد اعتنى الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-بهذا الناقض للتوحيد في مؤلفاته، وبين أوصافه وجزاؤه وما يترتب عليه من أضرار في الدنيا والآخرة، ولتفصيل ذلك نقف مع المطلبين التاليين:

المطلب الأول: تعريف النفاق وأقسامه.

(١) انظر: السعدي، توضيح الكافية الشافية، ط ١، ص ١٦٦.

٢ وهؤلاء هم: الفلاسفة غير مسلمين.

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١١٨.

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، ص (١/٣٥٨).

أولاً: النفاق لغةً: نَافَقَ يُنَافِقُ مُنَافِقَةً وَنِفَاقاً وهو مأخوذ من النافقاء، والنافقاء: موضعٌ يرققه اليربوعُ من جُحرِهِ فإذا أُتِيَ من قِبَلِ القاصعاء ضَرَبَ النَافِقَاءَ برأسه فانتَفَقَ، أي خرج، ومنه اشتقاق النِّفاق، لأن صاحبه يَكْتُمُ خلافَ ما يُظْهَرُ^(١).

ثانياً: تعريف النفاق شرعاً وأقسامه.

وقد عرّفه الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- بقوله: "النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه على التكذيب"^(٢) و" وأساس النفاق وأصله هو: التزين للناس بما ليس في الباطن من الإيمان"^(٣).

كما بيّن الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- نوعي النفاق فقال: "النفاق نفاقان: نفاق اعتقاد، ونفاق عمل، فنفاق الاعتقاد هو: الذي أنكره الله على المنافقين في القرآن وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار، ونفاق العمل كقول الرسول ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)^(٤) " (٥).

وقد اعتنى الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بتعريف النفاق بأنه: إظهار الخير وإبطان الشر، أي: إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، وقد جاءت سورة التوبة التي تسمى الفاضحة ببيان ما عليه أهل النفاق، وحذرت المؤمنين من شرهم وما يخفونه من خبث وعداوة للمسلمين.

فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٨) يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ^(٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د.ط، مادة: "نق"، (٥ / ٣٦٤)، وانظر: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُجَدِّدُ النِّجَارِ، المَعْجَمُ الوَسِيطُ، د.ط، مادة: "نق"، (٢ / ٩٤٢)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "نق"، (١٠ / ٣٥٧). الجرجاني، التعريفات، ط ٢، مادة: "نق"، (١ / ٣١١).

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ط ٢، (١ / ٣٣٨).

(٣) ابن القيم، إعلام الموقعين، د.ط، (٢ / ١٨١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، (١ / ٢١)، رقم الحديث: ٣٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: خصال المنافقين، (١ / ٥٦)، رقم الحديث: ٢٢٠٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر: ابن القيم، الصلاة وأحكام تاركها، د.ط، (٤ / ٤٥).

أَلَيْسَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾^(١) : " أن النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي"^(٢).

فتبين من التعريف أن الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - كغيره من العلماء قسم النفاق إلى قسمين هما: النفاق الأكبر (الاعتقادي)، والنفاق الأصغر (العملي).

ثم طرح حديثاً نبوياً يوضح معنى النفاق العملي هو: قول النبي ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان) ^(٣).

وقد أبان - رحمه الله تعالى - تعريف النفاق الأكبر الاعتقادي فقال: "وأما النفاق الاعتقادي فهو: المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجوداً قبل هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة "بدر" وأظهر الله المؤمنين وأعزهم، ذل من في المدينة ممن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفاً ومخادعة، ولتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم، وفي الحقيقة ليسوا منهم"^(٤).

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "فالكفر الأكبر والنفاق: لا ينفع معه إيمان ولا عمل، وأما الأصغر منهما: فقد يجتمع مع الإيمان؛ فيكون في العبد خيراً وشرّاً، وأسباب ثواب، وأسباب عقاب"^(٥).

المطلب الثاني: أوصاف المنافقين وجزاؤهم.

إن المنافقين كسائر الكفار وذلك لأنهم اشتركوا معهم بالكفر بالله والبغضاء للمؤمنين ورسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتخطيط للعداوة بين المؤمنين، على وجه الخفاء والتستر، ورتبوا على ذلك

(١) سورة البقرة : الآيات من (٨-١٠).

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق، (١/٢١)، رقم الحديث: ٣٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: خصال المنافقين، (١/٥٦)، رقم الحديث: ٢٢٠٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٢٨٧، ٢٨٦. ولنفس المؤلف، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٢).

(٥) انظر: السعدي، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط ١، ص ٢٣.

جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا الدرك الأسفل من النار.

وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى هذا الجانب منهم وبين أوصافهم وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾^(١): "ذكر وصف المنافقين العام، الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾^(٢)، وهو الكفر والفسوق والعصيان. ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾^(٣)، وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾^(٤)، عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم البخل.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾^(٥)، فلا يذكرونه إلا قليلاً ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾^(٦)، من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلدين.

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٧)، حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد.

(١) سورة التوبة: الآيتان ٦٧، ٦٨.

(٢) سورة التوبة: جزء من آية ٦٧.

(٣) سورة التوبة: جزء من آية ٦٧.

(٤) سورة التوبة: جزء من آية ٦٧.

(٥) سورة التوبة: جزء من آية ٦٧.

(٦) سورة التوبة: جزء من آية ٦٧.

(٧) سورة التوبة: جزء من آية ٦٧.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٦٨) ^(١) جمع المنافقين والكفار في النار، واللعة والخلود في ذلك، لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعادة لله ورسوله، والكفر بآياته ^(٢).

وقال عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (١٤٥) ^(٣): "يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدرجات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعادة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عليهم بالتوبة من السيئات" ^(٤).

فتجلى لنا مما سبق أن الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - كغيره من علماء أهل السنة والجماعة قد أبان أن النفاق هو: إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وقسم النفاق إلى قسمين هما: النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي.

المبحث الرابع: البدعة

اهتم الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - بهذا الناقض في مواضع متعددة من كتبه، فبين تعريف البدعة وأقسامها، وخطرها وأضرارها وأنها بجميع أنواعها ضلالة، ولتفصيل ذلك نقف مع المطالبين التاليين:

المطلب الأول: تعريف البدعة وأنواعها.

(١) سورة التوبة: آية ٦٨.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٤٣).

(٣) سورة النساء: آية ١٤٥.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢١١).

أولاً: البدعة لغةً: ما استحدث في الدين وغيره، والجمع: بدع. وبدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه: أنشأه وبدأه. وأبدعت الشيء: اخترعته على غير مثال سابق فهو بديع^(١).

ثانياً: تعريف البدعة شرعاً وأنواعها.

عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) بقوله: "أن البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب"^(٢).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "هي الزيادة في الدين أو النقصان منه الحادثان بعد الصحابة بغير إذن من الشرع"^(٣).

وقد أبرز لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تعريف البدعة وحد لها ضابط جامع بقوله: "البدعة هي خلاف السنة؛ وهي الابتداع في الدين، فإن الدين: هو ما جاء به النبي ﷺ في الكتاب و السنة، وما دلت عليه أدلة الكتاب والسنة، فهو من الدين، وما خالف ذلك، فهو البدعة؛ هذا هو الضابط الجامع^٤."

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "هي عبادة الله بعبادة فاسدة ابتدعتها بعض الضالين، وهذا هو الدين الفاسد، والدين الصحيح هو عبادة الله وحده بما شرع الله ورسوله ﷺ"^(٥).

(١) انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "بدع"، ص ٩٠٦، وانظر: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مجلّد النجار، المعجم الوسيط، د. ط، مادة: "بدع"، (٤٣/١)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "بدع"، (٦/٨).

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٠٧/٤).

(٣) انظر: ابن تيمية، أسباب رفع العقوبة، د. ط، ص ٣٥.

(٤) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٦٩، وانظر لنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ٤٨. وانظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص ٢٠٠.

(٥) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٥٤.

وبيّن الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- (ت ٣٥٤ هـ) أقسام البدعة بقوله: "البدعة بدعتان: بدعة خالفت كتاباً وسنة وإجماعاً وأثراً عن بعض (أصحاب) رسول الله ﷺ فهذه بدعه ضلاله، وبدعه لم تخالف شيئاً من ذلك فهذه قد تكون حسنة" (١).

وقد قسم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- البدعة إلى نوعين:

-**النوع الأول:** "بدعة اعتقاد، وهي اعتقاد خلاف ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، وهي المذكورة في قوله ﷺ: (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) (٢). فمن كان على هذا الوصف؛ فهو صاحب سنة محضة، ومن كان من بقية الفرق فهو مبتدع، وكل بدعة ضلالة؛ وتتفاوت البدع بحسب بعدها عن السنة (٣)، ولا يُجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه، ولا ببدعة ابتدعها، ولو دعا الناس إليها، كافرًا في الباطن إلا إذا كان منافقاً، فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول ﷺ، وما جاء به وقد غلط فيما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلاً، وكذلك سائر الثنتين والسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر بالباطن، ومن لم يكن منافقاً؛ بل مؤمناً بالله ورسوله ﷺ في الباطن لم يكن كافرًا بالباطن، وإن أخطأ في التأويل (٤) كائناً ما كان خطؤه، وقد يكون في بعضهم شعبة من النفاق، ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، ومن قال: إن الثنتين والسبعين فرقة كل واحد منهم

(١) انظر: ابن تيمية، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، د. ط، (١٦٣/٢٠)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "بدع"، (٦/٨).

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق الأمة، (٥ / ٢٦)، رقم الحديث: ٢٦٤١. عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه. قال أبو عيسى: "هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن.

(٣) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ٦٩، وانظر لنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، ص ٤٨.

(٤) التأويل: هو صرف اللفظ عن ظاهره، وهو بيان العاقبة ووجود العاقبة. انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم

المأمول، ط ١، ص ٣٦، ٧٦.

يكفر كفرا ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة -رضوان الله عليهم -؛ بل إجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة فليس فيهم من كفر كل واحدة من الثنتين والسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضا ببعض المقالات^١.

-والنوع الثاني: بدعة عملية، وهي التعبد بغير ما شرع الله ورسوله ﷺ، أو تحريم ما أحل الله ورسوله ﷺ. فمن تعبد بغير الشرع أو حرم ما لم يحرمه الشارع فهو مبتدع^٢، وهي داخلة في حديث عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -ﷺ- قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)^٣. يشرح الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- الحديث فيقول: "فيدل هذا الحديث بالمنطوق وبالمفهوم: أما منطوقه: فإنه يدل على أن كل بدعة أحدثت في الدين ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة، سواء كانت من البدع القولية الكلامية، كالتجهم والرفض والاعتزال وغيرها، أو من البدع العملية كالتعبد لله بعبادات لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ. فإن ذلك كله مردود على أصحابه. وأهله مذمومون بحسب بدعهم وبُعدها عن الدين. فمن أخبر بغير ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، أو تعبد بشيء لم يأذن الله به ورسوله ﷺ ولم يشرعه: فهو مبتدع. ومن حرّم المباحات، أو تعبد بغير الشرعيات: فهو مبتدع"^٤؛ "لأن البدعة نوعان: نوع يتعبد لله بعبادة، لم يشرعها أصلا ونوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصفة، وهذا منه"^٥.

^١ انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص١٤، ١٥.

^(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط١، ص٦٩، وانظر لنفس المؤلف: المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط١، ص٤٨.

^(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود، (٦ / ٢٦٧٥)، رقم الحديث: ٢٥٥٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأقضية باب: نقض الأحكام الباطلة وَرَدُّ مُخَدَّاتِ الْأُمُورِ، (٥ / ١٣٢)، رقم الحديث: ٤٥٩٠.

^(٤) انظر: السعدي، بهجة قلوب الأبرار، ط٤، ص١٢.

^٥ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط١، (١ / ٧٦).

وأما مفهوم الحديث: "فإن من عمل عملاً، عليه أمر الله ورسوله ﷺ - وهو التبعّد لله بالعقائد الصحيحة، والأعمال الصالحة: من واجب ومستحب: فعله مقبول، وسعيه مشكور. ويستدل بهذا الحديث على أن كل عبادة فعلت على وجه منهى عنه فإنها فاسدة؛ لأنه ليس عليها أمر الشارع، وأن النهي يقتضي الفساد. وكل معاملة نهي الشارع عنها فإنها لاغية لا يعتد بها"¹.

وقد أشار الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - إلى الضابط الجامع للبدع من خلال تفسيره للآيات التالية:

الدليل الأول: فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٧﴾ (٢)،: "وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله"³.

الدليل الثاني: ويقول عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ (٤)،: "ودل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله ﷺ، أنه لا يحصل له إلا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شراً له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية العمل.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٥)، الشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى، الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتلأ طاعته، أعانه على

(١) انظر: السعدي، بهجة قلوب الأبرار، ط٤، ص ١٢.

(٢) سورة الحشر: آية ٧.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط١، (١ / ٨٥٠).

(٤) سورة البقرة: آية ١٥٨.

(٥) سورة البقرة: جزء من آية ١٥٨.

ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نورا وإيمانا وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطا، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق"^(١).

ثالثاً: البدعة المذمومة هي الدين الفاسد.

والمقصود أن الدين الصحيح هو: عبادة الله وحده بما شرع الله ورسوله ﷺ^(٢)، فالله عز وجل أكمل الدين "بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه. فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ورسوله"^(٣)، والله سبحانه قد أكمل دينه فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤).

مما عرض لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- آنفاً تبين أن البدعة خطرهما عظيم على صاحبها وعلى الناس وعلى الدين، وهي مردودة على صاحبها يوم القيامة، نعوذ بالله من البدع ومن النار.

المطلب الثاني: مسائل في باب البدعة.

ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- مسائل عن البدع في كتابه (طريق الوصول إلى العلم المأمول) وهي متفرقة في مواضع عديدة فيه تم جمعها وهي كالتالي:

أولاً: مصدر عقيدة أهل البدع.

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٦).

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٥٤.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢١٩).

(٤) سورة المائدة: جزء من آية ٣ .

أهل البدع لا يعتمدون على الكتاب والسنة وآثار السلف من الصحابة والتابعين، وإنما يعتمدون على العقل واللغة^(١)، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة، والحديث وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رءوسهم، وهذه طريقة الملاحدة أيضاً، إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها. هؤلاء يعرضون عن نصوص الأنبياء إذ هي عندهم لا تفيد العلم، وأولئك يتأولون القرآن الكريم برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي ﷺ وأصحابه. قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- (ت ٢٤١هـ): (أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس)^(٢).

ثانياً: أنواع أهل البدع:

أهل البدع الذين ذمهم الله نوعان:

أحدهما: عالم بالحق يتعمد خلافه.

الثاني: جاهل متبع لغيره.

فالأولون يبتدعون ما يخالف كتاب الله ويقولون هو من عند الله، إما أحاديث مفتريات، وإما تفسير وتأويل للنصوص باطل ويعضدون ذلك بما يدعون من الرأي والعقل، وقصدهم بذلك الرئاسة والمآكل، وهؤلاء إذا عورضوا بنصوص الكتب الإلهية وقيل لهم هذه تخالفكم، حرفوا الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة، وأما النوع الثاني: فهم الأميون الجهال الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون^(٣).

(١) ومعنى ذلك: أن المعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع، يفسرون القرآن برأيهم، ومعقولهم، وما تأولوه من اللغة، انظر التوسع بذلك في كتاب: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١١٩/٧). ومعلوم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً يَبْنِىْ بحسب تلك اللغة، أما إيجاباً أو سلباً، انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١١٢. "بتصرف".

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٤.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٧٧.

ثالثاً: أربع عظام لأهل البدع:

أهل البدع من الجهمية^(١)، ونحوهم في تحريفهم لنصوص الصفات ارتكبوا أربع عظام: ردهم لنصوص الأنبياء، وردهم لما يوافق ذلك من عقول العقلاء، وجعل ما خالف ذلك من أقوالهم المجللة الباطلة هي أصول الدين، وتكفيرهم أو تفسيقهم أو تخطئهم لمن خالف هذه الأقوال المبتدعة المخالفة للعقل والنقل^(٢).

رابعاً: وصف أهل البدع:

الوصف الأول: أهل البدع يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب والسنة، ويكفرون من خالفهم^(٣).

الوصف الثاني: والناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان، وطريق شرعي. فالطريق الشرعي هو النظر بما جاء به الرسول ﷺ والاستدلال بأدلتها والعمل بموجبها،...، وأما الطريقان المبتدعان: فأحدهما طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي، فإن هذا فيه باطل كثير، وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله ﷺ من الأعمال، فيبقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل، وهؤلاء منحرفون إلى اليهودية الباطلة، والثاني: طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادات البدعية، وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية الباطلة^(٤).

(١) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان السمرقندي الذي أظهر مذهبهم ونشره بين المسلمين، القائل بالجبر، وإنكار الصفات، و أن الإيمان هو المعرفة فقط، و أن الجنة والنار تفنيان، قتله سلم بن أحوز سنة ١٢٧هـ.

* انظر في الترجمة: الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط ٢، (٣٣٨/١)، البغداد، الفرق بين الفرق، د. ط، ص ٢١١. البريكان، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، ط ١، ص ٢٦.

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٥٠.

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٤٩.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٦٥.

الوصف الثالث: من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممدح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون، وسبب ذلك: أن أحدهما قد يظن ما ليس بكفر كفرة، وقد يكون كفرة؛ لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول ﷺ، و سبب للخالف، والآخر لم يتبين له ذلك فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يكفر إذا قاله ان يكفر من لم يعلم بحاله^(١).

خامساً: الحذر من البدع:

لأنها من أسباب الضلال والغي: فالبدع في الدين والفجور في الدنيا، وهي مشتركة تعم جميع بني آدم لما فيهم من الظلم والجهل^(٢).

سادساً: من أعظم أسباب البدع:

ومن أعظم أسباب بدع المتكلمين من الجهمية وغيرهم قصورهم في مناظرة الكفار والمشركين، فأثم يناظروهم ويحاجونهم بغير الحق والعدل لينصروا الإسلام، زعموا، بذلك فيتسلط عليهم أولئك لما فيهم من الجهل والظلم ويحاجونهم بممانعات ومعارضات فيحتاجون حينئذ إلى جحد طائفة من الحق الذي جاء به الرسول ﷺ، والظلم والعدوان لإخوانهم المسلمين بما استظهر عليهم أولئك المشركون ؛ فصار قولهم مشتملاً على إيمان وكفر، وهدى وضلال، ورشد وغي، وجمع بين النقيضين، وصاروا مخالفين للكفار والمؤمنين^(٣).

سابعاً: طريقة التعامل مع أهل البدع:

هجران أهل البدع وترك عيادتهم وتشجيع جنائزهم من باب العقوبات الشرعية، وهو يختلف باختلاف الأحوال من قلة البدعة وكثرتها وظهور السنة وخفائها، وأن المشروع هو التأليف تارة والهجران أخرى

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٦٤-٦٥.

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٣١.

كما كان ﷺ يفعل؛ لأن المقصود دعوة الخلق بأقرب طريق إلى طاعة الله سبحانه^(١) من أصر على فعل البدع وتحسينها فإنه ينبغي أن يعزر تعزيزاً يردعه وأمثاله عن مثل ذلك، ومن نسب إلى رسول الله ﷺ الباطل خطأ فإنه يعرّف فإن لم ينته عوقب، ولا يحل لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ما ليس منه^(٢).

من خلال ما تقدم أبرز لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن مصدر معتقد أهل البدعة هو العقل واللغة، وأن البدعة من أسباب ضلال العبد وغيه، وأعظم سبب للبدعة قصور المبتدعين في مناظرة الكفار والمشركين.

وأختم هذا الفصل بأن يرزقنا المولى ﷻ قلباً سليماً، و"القلب السليم هو: الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر والنفاق والإصرار على البدعة والذنوب ويلزم من سلامته الاتصاف بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين ومحبة الخير وتزيينه في قلبه وأن تكون إرادته ومحبه تابعة لمحبة الله وهواه تابعا لما جاء عن الله تعالى"^(٣)، و نعمل بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝﴾^(٤).

وبذلك نصل إلى نهاية الباب الأول من البحث المبين للأصول العقديّة المتعلقة بالإيمان بالله، يليه الباب الثاني يتحدث عن الأصول العقديّة المتعلقة ببقية أركان الإيمان، وأول فصل نتحدث فيه: الأصول العقديّة المتعلقة بالإيمان بالملائكة. والله وليّ الاحسان.

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٥٤.

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٥٩٣). "بتصرف".

(٤) سورة الكهف: آية ١١٠.

الباب الثاني: الأصول العقدية المتعلقة ببقية أركان الإيمان.

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة.

الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب.

الفصل الثالث: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسول.

الفصل الرابع: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر.

الفصل الخامس: الأصول العقدية المتعلقة بالقضاء والقدر.

الباب الثاني: الأصول العقديّة المتعلقة ببقية أركان الإيمان.

الفصل الأول: الأصول العقديّة المتعلقة بالإيمان بالملائكة.

الملائكة عالم غيبي خلقهم الله من نور، وجعلهم طائعين متذللين له، ولكل منهم وظائف خصه الله بها، والإيمان بهم والتصديق بوجودهم جزء من عقيدة المؤمن، وهو ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان العبد إلا به، وقد خلقهم الله ﷻ، وجبلهم على الطاعة والعبادة وعدم المعصية، ولمعرفة منزلة الإيمان بهم، وصفاتهم، وخصائصهم ووظائفهم، وموقف الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من ذلك نقف مع المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بالملائكة ومنزلة الإيمان بهم.

المبحث الثاني: صفات الملائكة وخصائصهم.

المبحث الثالث: وظائف الملائكة في العالم العلوي والسفلي.

المبحث الرابع: الملائكة والكفار والملاحدة.

المبحث الأول: التعريف بالملائكة ومنزلة الإيمان بهم.

المطلب الأول: التعريف بالملائكة.

تعريف الملائكة لغةً: (ألك) الهمزة واللام والكاف أصلٌ واحد، وهو تَحْمُلُ الرِّسالة، (الملك) واحد الملائكة أصله مَأْلِك من الألوكة، (الألوكة) الرسالة.

والملائكة: جمع مَلَأْكة ثم ترك الهمز فقليل مَلَك في الوجدان، وأصله مَلَأْك، ويقال: جاء فلان قد اسْتَأْلَكَ مَأْلَكَته أي حمل رسالته^(١).

تعريف الملائكة اصطلاحاً: هم خلق من مخلوقات الباري ﷻ، خلقهم لا كخلق الثقلين من الجن^٢ والإنس، لهم أجسام نورانية لطيفة، وهم السفرة الكرام البررة، الأقوياء الأتقياء، قد اختارهم الله ﷻ، واصطفاهم لعبادته والقيام بأوامره الكونية والدينية، لا يعصونه أبداً.

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "ألك"، (١٠ / ٣٩٢)، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د. ط، مادة: "ألك"، (١ / ١٣٧)، الأزهري، تهذيب اللغة، د. ط، مادة: "ألك"، (٣ / ٤٠٩)، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مجد النجار، المعجم الوسيط، د. ط، مادة: "ألك"، (١ / ٢٤).

٢ فالجن: ليسوا كالأنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به مساوياً لما على الإنس في الحد والحقيقة لكنهم يشاركونهم في جنس التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم بلا نزاع بين العلماء. انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٩٥.

وقد أشار الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى إلى حقيقة الملائكة معرفاً بهم بقوله: "أنهم في غاية القوة على عبادة الله والرغبة العظيمة فيها، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنهم لا يستكبرون عن عبادته، بل يرونها من أعظم نعمه عليهم، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وكما أنهم الوسائط بينه وبين عبادته في تبليغ الوحي والشرائع إلى الأنبياء، فهم الوسائط في التدبيرات القدريّة"^(١).

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر مبيناً أصل خلقهم من نور بقوله: "جميع الرسل - عليهم السلام - وجميع أهل الملل يعلمون قطعاً أن الملائكة مخلوقون من نور كما أخبر بذلك النبي ﷺ، وأنهم كما وصفوا في الكتاب الحكيم والسنة النبوية"^(٢).

وقد أكد ذلك الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - (ت ٧٥١هـ) بقوله: "أعظم جند الله الملائكة، وسموا ملائكة من الألوكة وهي الرسالة، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره، وهم منفذون ذلك بأمره، وهم خير محض، والخير كله حصل على أيديهم، ليس لهم من الأمر شيء؛ بل الأمر كله لله - عز شأنه -، وأصل الملائكة ومادتهم التي خلقوا منها هي النور، كما ثبت ذلك عن النبي - ﷺ - قال: (خلقت الملائكة من نور)"^(٣).

مما طرحه الشيخان الشيخ السعدي، و الشيخ ابن القيم - رحمهما الله تعالى - عن التعريف بحقيقة الملائكة تبين لنا عظمة الخالق ﷻ في ابداع خلقهم ، كمال قدرته، وعموم رحمته، وسعة ملكه سبحانه.

المطلب الثاني: منزلة الإيمان بالملائكة.

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، لا يتحقق الإيمان إلا به. وقد دلت نصوص قرآنية كثيرة على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ إِيمَانُكَ أَنْ تَقُولَ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ إِيمَانُكَ أَنْ تَقُولَ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ إِيمَانُكَ أَنْ تَقُولَ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾.

(١) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٧٦-٧٨).

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٥٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب: في أحاديث متفرقة. (٨ / ٢٢٦)، رقم الحديث: ٧٦٨٧.

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾ (١)

فأخبر سبحانه أن الإيمان بالملائكة مع بقية أركان الإيمان مما أنزله على رسوله ﷺ وأوجبه عليه وعلى أمته وأنهم امتثلوا ذلك، وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٥٧٢٨هـ) بقوله: "إذ كانت هذه السورة -سورة الأعلى- تضمنت أصول الإيمان: الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالرسول والكتب التي جاءوا بها وذلك يتضمن الإيمان بالملائكة. وفيها العمل الصالح الذي ينفع في الآخرة والفساد الذي يضر فيها" (٢).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "فيجب الإيمان بالملائكة والنبيين، ويؤمن بكل ما أخبر به الرسول مثل منكر ونكير والحدود والعين والولدان وغير ذلك" (٣). وقد أشار الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) إلى أن آيات القرآن تدل على هذا الأصل العظيم بقوله: "لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحاً أو تلويحاً أو إشارة وأما ذكرهم

في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر ولهذا كان الإيمان بالملائكة عليهم السلام أحد الأصول الخمس التي هي أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر" (٤).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "فالدنيا وما فيها والجنة والنار والموت وأحكام البرزخ -وكل الله بذلك كله ملائكة يدبرون ما شاء الله من ذلك ولهذا كان الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الذي لا يتم الإيمان إلا به" (٥).

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٥.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٦ / ١٥١).

(٣) انظر: علوي السقاف، المنتخب من كتب شيخ الإسلام، ط ١، ص ٣١.

(٤) ابن القيم، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ط ٢، (٢ / ١٣١).

وقد اعتنى الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى ببيان هذه العقيدة لترسيخها في قلب المسلم فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَكَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝﴾^(٢). "يخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه، وانقيادهم وطاعتهم وسؤالهم مع ذلك المغفرة، فأخبر أنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله ونعوت جلاله على وجه الإجمال والتفصيل،... ويتضمن الإيمان بالملائكة الذين نصت عليهم الشرائع جملة وتفصيلاً"^(٣).

ويقول - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "الإيمان بالملائكة أحد أصول الإيمان، ولا يتم الإيمان بالله وكتبه ورسله إلا بالإيمان بالملائكة"^(٤).

كما يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أن الكفر بالملائكة؛ كفر بجميع أركان الإيمان ، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝﴾^(٥): "واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض"^(٦).

فأطلق الكفر على من أنكر هذه الأركان ووصفه بالبعد والضلال. فدل ذلك أن الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الأيمان وأن تركه مخرج من الملة.

المطلب الثالث: كيفية الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن عدة أمور لابد للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة، وقد أبرز الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - هذه الأمور من خلال النقاط التالية:

(١) ابن القيم ، التبيان في أقسام القرآن ، ط ٢ ، ص ٨٣.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٥.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٢٠).

(٤) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٧٦-٧٨).

(٥) سورة النساء : جزء من آية ١٣٦.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٠٩).

أولاً: الإقرار بوجودهم والتصديق بهم.

كما دلت النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

ثانياً: الإيمان بعدد جنود رب العالمين.

وما يعلم جموع مخلوقاته - عز وجل - وجنوده التي من جملتها خلقه من السفرة البررة إلا الباري سبحانه، وفي هذا يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَهِئُ إِلَّا ذِكْرًا لِلْبَشَرِ﴾ (٣١) ^(١)، "فإنه لا يعلم جنود ربك من الملائكة وغيرهم إلا هو فإذا كنتم جاهلين بجنوده، وأخبركم بها العليم الخبير، فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك ولا ارتياب" ^(٢)، ويقول الإمام الألوسي ٣ - رحمه الله تعالى - (ت ١٣١٧ هـ) عند تفسير هذه الآية: "وما يعلم جموع خلقه تعالى التي من جملتها الملائكة المذكورون على ما هم عليه ﴿إِلَّا هُوَ﴾" ^(٤)، عز وجل إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها؛ ولو إجمالاً فضلاً عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها" ^(٥).

ثالثاً: الإقرار بعلو مرتبة الملائكة عند ربهم .

(١) سورة المدثر: آية ٣١.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٩٦).

^٣ الألوسي هو: نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي: واعظ فقيه، باحث، من أعلام الاسرة الألوسية في العراق. ولد ونشأ ببغداد سنة ١٢٥٢ هـ، من كتبه "جلاء العينين في محاكمة الأحمدى" ابن تيمية وابن حجر - رحمهما الله تعالى -، و "الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح" و "غالية المواعظ"، و توفي سنة ١٣١٧ هـ. * انظر في ترجمته الزركلي، الأعلام، ط ١٥، (٨ / ٤٢).

(٤) سورة المدثر: جزء من آية ٣١.

(٥) انظر: الألوسي، روح المعاني، ط ١، (٢١ / ٤٢٩)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٨ / ٢٧٠)، البغوي، معالم التنزيل، د. ط، (٨ / ٢٧١).

وكرمهم عليه وشرفهم عنده كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْـَٔفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ۝ ﴾^(١).

و لعل من أعظم الآيات، التي تدل على عظم مكانة الملائكة عند ربهم، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ۝ ﴾^(٢)، ووجه الدلالة من الآية ؛ أن الله احتج بشهادتهم على أعظم مشهود على الإطلاق، وهو توحيده سبحانه، وقرن شهادتهم بشهادته، والله لا يستشهد من خلقه إلا من عظم قدره عنده، فهذه الآية تدل على علو قدرهم ومكانتهم، و في ذلك يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسير الآية : " هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، فنوع الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا الأصل العظيم"^(٣).

كما أقسم بهم في غير موطن من كتابه وهذا لشرفهم عنده فقال تعالى: ﴿ وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجَرِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّيْلَتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ ۝ ﴾^(٤)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى عند تفسير الآية : " هذا قسم منه تعالى بالملائكة الكرام، في حال عبادتها وتبديرها ما تدبره بإذن ربها، على ألوهيته تعالى وربوبيته"^(٥). وشواهد صور إكرام الملائكة وتنوع أساليبها وتعدد سياقاتها من كتاب الله كثيرة لا تحفى على متدبر.

رابعاً: الاعتقاد بأن الملائكة خلق من خلق الله.

(١) سورة الأنبياء: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٩٣).

(٤) سورة الصفات: الآيات ١-٤.

(٥) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/٧٠٠).

لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور، بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى عند تفسير الآية: "وهذا تعميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه ولا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة والنبيين وغيرهم" (٢).

خامساً: الاعتقاد واليقين أن الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب.

وهي صفة من صفات المؤمنين المتقين كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣)، وقد وضَّح الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - العلاقة بين الإيمان بالغيب والإيمان بالملائكة فقال: "ومن الإيمان بالغيب الإيمان بالملائكة الكرام، الذين جعلهم الله عباداً مكرمين، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنه تعالى جعلهم يدبرون بأمره وإذنه أمور الدنيا والآخرة، فهم أكثر جنود الله، وهم رسله في أحكامه الدينية وأحكامه القدريّة، وأن الله جعل للعبد منهم معقبات يحفظونه من أمر الله، ويحفظون عليه أعماله، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٤)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٥)، ولهم صفات أفعال مذكورة في الكتاب والسنة لا يتم الإيمان بالغيب إلا بالإيمان بها" (٦).

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "أمور الغيب علينا أن نؤمن بما أخبر الله به ورسوله ﷺ منها وما زاد على ذلك من التعريض لكيفياتها وصفاتها فإنه من باب القول بلا علم، ومن باب التكلف

(١) سورة آل عمران: آية ٨٠.

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١/ ٣٦).

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٣، ٢.

(٤) سورة ق: آية ١٨.

(٥) سورة الانفطار: الآيات ١٠-١٢.

(٦) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية - المجلد الأول ط ١، (١٣ / ٨٩-٩٠)، وانظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص (٢٣٩).

الضار، ويدخل في هذا صفات الملائكة والجن وهيئتها وكيفياتها، بل نؤمن بما في النصوص منها، ونعلم أنه حق على حقيقته ونسكت عما سوى ذلك، وبهذا يحصل الإيمان الصحيح والعصمة"^(١)، فهذه جملة ما يجب اعتقاده في حق الملائكة الكرام مما دلت عليه النصوص الشرعية.

سادساً: اعتقاد تفاضل الملائكة.

وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله تعالى، فالملائكة متفاضلون بعضهم أفضل من بعض، وأفضلهم المقربون الذين قال الله فيهم: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾^(٣)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - مبيناً أن أشرف الملائكة حملة العرش، وهم الملائكة المقربون عند تفسيره للآية: "﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾"^(٤)، أي: عرش الرحمن، الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأحسنها، وأقربها من الله تعالى، الذي وسع الأرض والسموات والكرسي، وهؤلاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم، واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر، وقربهم منه، يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾^(٥) من الملائكة المقربين في المنزلة والفضيلة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(٦)، هذا مدح مدح لهم بكثرة عبادتهم لله تعالى، وخصوصاً التسبيح والتحميد، وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره، وحمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة لله تعالى"^(٧).

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٥٣.

(٢) سورة النساء: جزء من آية ١٧٢.

(٣) سورة غافر: جزء من آية ٧.

(٤) سورة غافر: جزء من آية ٧.

(٥) سورة غافر: جزء من آية ٧.

(٦) سورة غافر: جزء من آية ٧.

(٧) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٧٣٢).

ويقول الإمام الرازي^١ -رحمه الله تعالى- (ت ٦٠٦ هـ) -عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ

الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢)، "يدل على أن طبقات الملائكة مختلفة في الدرجة والفضيلة؛ فالأكابر منهم مثل

جبريل عليه السلام، وميكائيل عليه السلام، وإسرافيل عليه السلام، ...، وحملة العرش)^(٣).

وأفضل المقربين رؤساء الملائكة الثلاثة الذين كان النبي ﷺ يذكرهم في دعائه الذي يفتح به صلاته إذا قام من الليل فيقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض)^(٤).

وعقب الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- على هذا الحديث: "فتوسل إليه سبحانه بربوبيته العامة

والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة، فجبريل عليه السلام موكل بالوحي الذي به حياة القلوب

والأرواح، وميكائيل عليه السلام موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل عليه السلام موكل

بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم، فسأله رسوله ﷺ بربوبيته لهؤلاء أن يهديه لما اختلف

فيه من الحق بإذنه لما في ذلك من الحياة النافعة"^(٥).

وأفضل الملائكة ومقدمهم جبريل عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ ﴿١٤﴾ يَلْسَانُ عَرَبٍ مُبِينٍ ﴿١٥﴾﴾^(٦)، وقد بين ذلك الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره

١ الرازي، هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان، سنة ٥٤٤ هـ، كان الرازي عالماً في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف (بمفاتيح الغيب)، و (لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (معالم أصول الدين)، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ. * انظر في ترجمته الزركلي، الأعلام، ط ١٥، (٦ / ٣١٣).

(٢) سورة النساء: جزء من آية ١٧٢.

(٣) انظر: الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط ١، (١١ / ١٢١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب: الدُّعَاءُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، (٢ / ١٨٥)، رقم الحديث: ١٨٤٧.

(٥) انظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط ٢، (٢ / ١٢٧).

(٦) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣-١٩٥.

لآية بقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٣٣ ﴾^(١)، وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة و أقواهم ﴿الْأَمِينُ﴾^(٢) الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص. ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٣) يا مُحَمَّدٌ ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٤) تهدي تهدي به إلى طريق الرشاد، وتنذر به عن طريق الغي. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾^(٥) وهو أفضل الألسنة، بلغة من بعث إليهم، وباشروا دعوتهم أصلاً اللسان البين الواضح. وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين"^(٦).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر مبيناً أن جبريل عليه السلام أفضل الملائكة بقوله: "فإن الله يصطفي من الملائكة رسلاً، ومن الناس، فاصطفى من الملائكة جبريل عليه السلام، ومن البشر محمداً ﷺ، وأخبر أن هذا القرآن الكريم نزل به هذا الرسول عليه السلام إلى هذا الرسول ﷺ مبلغاً عن الله تعالى"^(٧).

ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾^(٨)، أي: يختار ويجتبي من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء"^(٩).

(١) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٣.

(٢) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٣.

(٣) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٤.

(٤) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٤.

(٥) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٥.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٩٧، ٧٦٠)، انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير تفسير القرآن، ط ١، ص ٣٧.

(٧) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١١٦.

(٨) سورة الحج: آية ٧٥.

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٤٦).

وقد أشار الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- إلى أفضلية جبريل عليه السلام بقوله: "جبريل عليه السلام أطيب الأرواح العلوية وأزكاها وأطهرها وأشرفها، وهو السفير في كل خير وهدى وإيمان وصلاح" (١).

ومن أفضل الملائكة: الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله ﷺ؛ كما ثبت في الحديث عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه: أن جبريل عليه السلام جاء للنبي ﷺ فقال: (ما تعدون من شهد بدرًا فيكم؟ قلت: خيارنا، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة) (٢).

من خلال ما طرحه الشيخ السعدي والعلماء -رحمهم الله تعالى- أجمعين تبين لنا أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وأن الإيمان بالغيب لا يتم إلا بالإيمان بالملائكة وهذه من صفات عباد الله المتقين، وأنهم متفاوتون في المنزلة عند الله كما هم متفاوتون في الخلقة.

المبحث الثاني: صفات الملائكة وخصائصهم.

المطلب الأول: صفات الملائكة.

قد تضمن الكتاب والسنة الكثير من النصوص المبينة صفات الملائكة وحقائقها، وقد أبان الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- صفاتهم إجمالاً بقوله: "وقد وصفهم الله بأكمل الصفات" (٣)، كما بين -رحمه الله تعالى- وصفهم مفصلاً في ضوء تفسيره للآيات القرآنية التالية:

الصفة الأولى: موصوفون بالقوة والشدة.

وقد بين ذلك الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- هذا الوصف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَادُ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

(١) انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د.ط، (٢/ ٦٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: شهود الملائكة بدرًا، (٤ / ١٤٦٧)، رقم الحديث: ٣٧٧١.

(٣) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٧٨-٧٦).

﴿ ٦ 》^(١)، "﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ ﴾"^(٢)، أي: غليظة أخلاقهم، عظيم انتهارهم، يفرعون بأصواتهم ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمتشلون فيهم أمر الله تعالى، الذي حتم عليهم العذاب وأوجب عليهم شدة العقاب، ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(٣)، وهذا فيه أيضاً مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به"^(٤).
وقد أشار -رحمه الله تعالى- في موضع آخر إلى غاية قوتهم بقوله: "أنهم في غاية القوة على عبادة الله والرغبة العظيمة فيها"^(٥).

الصفة الثانية: تفاوتهم في الخلق والمقدار.

فهم ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح. قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحٍ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٦)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في بيان تفاوتهم في الخلق والمقدار عند تفسيره للآية: "يمدح الله تعالى نفسه الكريمة المقدسة، على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، لأن ذلك دليل على كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه. ولما ذكر الخلق، ذكر بعده ما يتضمن الأمر، وهو: أنه ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾"^(٧)، في تدبير أوامره القدريّة، ووسائل بينه وبين خلقه، في تبليغ أوامره وأوامره الدينية.

(١) سورة التحريم: آية ٦.

(٢) سورة التحريم: جزء من آية ٦.

(٣) سورة التحريم: جزء من آية ٦.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٧٤).

(٥) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٧٨-٧٦).

(٦) سورة فاطر: آية ١.

(٧) سورة فاطر: جزء من آية ١.

وفي ذكره أنه جعل الملائكة رسلا ولم يستثن منهم أحدا، دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم لأمره، كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١)، ولما كانت الملائكة مدبرات بإذن الله، ما جعلهم الله موكلين فيه، ذكر قوتهم على ذلك وسرعة سيرهم، بأن جعلهم ﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ﴾ (٢)، تطير بها، فتسرع بتنفيذ ما أمرت به.

﴿مَنْفَىٰ وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ﴾ (٣) أي: منهم من له جناحان وثلاثة وأربعة، بحسب ما اقتضته حكمته. ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ (٤) أي: يزيد بعض مخلوقاته على بعض، في صفة خلقها، وفي القوة، وفي الحسن، وفي زيادة الأعضاء المعهودة، وفي حسن الأصوات، ولذة النغمات. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥) فقد رتبته تعالى تأتي على ما يشاؤه، ولا يستعصي عليها شيء، ومن ذلك: زيادة مخلوقاته بعضها على بعض "٦).

الصفة الثالثة: الحسن والجمال.

فهم على درجة عالية من ذلك. قال تعالى في وصف جبريل عليه السلام: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٥) ذُومِرَقَ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ (٧)، وقد أشار إلى ذلك الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - فقال: "﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٨) أي: شديد القوة الظاهرة و الباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ، ومنعه من اختلاس الشياطين (٩) له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله

(١) سورة التحريم: جزء من آية ٦.

(٢) سورة فاطر: جزء من آية ١.

(٣) سورة فاطر: جزء من آية ١.

(٤) سورة فاطر: جزء من آية ١.

(٥) سورة فاطر: جزء من آية ١.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٨٤).

(٧) سورة النجم: الآيتان ٦، ٥.

(٨) سورة النجم: جزء من آية ٥.

(٩) الشياطين: جمع الشيطان، والشيطان تارة يحدث وسواس الشر، وتارة ينسى الخير، وكان ذلك مما يشغله به من حديث

النفس. انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٩١. "بتصرف".

لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾^(١) أي: قوة، وخلق حسن، وجمال ظاهر وباطن. ﴿فَاسْتَوَى﴾^(٢): جبريل عليه السلام^(٣).

الصفة الرابعة: الملائكة كرام أبرار.

ومن صفاتهم التي وصفهم الله بها أنهم كرام أبرار. قَالَ تَعَالَى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾^(٤) ﴿كَرَامٍ بَرِّزَةٍ﴾^(٥)، يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ذلك عند تفسيره للآية فيقول: "أن السفارة: هم الملائكة فهم السفراء بين الله وبين عباده، ﴿كَرَامٍ﴾^(٥) أي: كثيري الخير والبركة، ﴿بَرِّزَةٍ﴾^(٦) قلوبهم وأعمالهم. وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلا وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول"^(٧).

الصفة الخامسة: العلم.

ومن صفات الملائكة: العلم، قال تعالى في خطابه للملائكة: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٨)، يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - صفة العلم لهم عند تفسيره للآية: "فأثبت الله عز وجل للملائكة علماً وأثبت لنفسه علماً لا يعلمونه. ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾^(٩) من هذا الخليفة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٠)؛ أن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة، أضعاف أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر فلو لم يكن في ذلك"^(١١) إلى غير ذلك مما

(١) سورة النجم: جزء من آية ٦.

(٢) سورة النجم: جزء من آية ٦.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨١٨).

(٤) سورة عبس: الآيتان ١٥، ١٦.

(٥) سورة عبس: جزء من آية ١٦.

(٦) سورة عبس: جزء من آية ١٦.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٩١١).

(٨) سورة البقرة: جزء من آية ٣٠.

(٩) سورة البقرة: جزء من آية ٣٠.

(١٠) سورة البقرة: جزء من آية ٣٠.

(١١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٨).

ثبت في الكتاب والسنة من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة الدالة على علو شأنهم وسمو منازلهم عليهم السلام.

المطلب الثاني: خصائص الملائكة.

للملائكة عليهم السلام خصائص قد اختصهم الله تعالى بها، وامتاازوا بها عن الجن والإنس وسائر المخلوقات، وقد عرض الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- خصائصهم وما تميزوا به عن غيرهم من الخلق عند شرحه للآيات القرآنية التالية:

الخاصية الأولى: مسكنهم في السماء.

إن مساكن الملائكة في السماء، وإنما يهبطون إلى الأرض تنفيذاً لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: ﴿يُزِيلُ الْمَلَكُةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١)، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَكُةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- خدمة الملائكة لربهم، وتنزيههم للرب سبحانه فيقول: "وَتَرَى الْمَلَكُةَ حَافِيَةً" أيها الرائي ذلك اليوم العظيم ﴿حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾^(٣) أي: قد قاموا في خدمة خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(٤) أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا"^(٥).

الخاصية الثانية: لا يوصفون بالأنوثة.

من خصائصهم الملائكة أنهم لا يوصفون بالأنوثة، قال تعالى منكرًا على الكفار ذلك: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَكُةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّبُ شَهِدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾^(٦)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) سورة النحل: جزء من آية ٢.

(٢) سورة الزمر: آية ٧٥.

(٣) سورة الزمر: جزء من آية ٧٥.

(٤) سورة الزمر: جزء من آية ٧٥.

(٥) سورة الزمر: جزء من آية ٧٥.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٣١).

(٧) سورة الزخرف: آية ١٩.

لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسَّمُوهَ الْمَلَائِكَةَ سَمِيَةً الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ ﴿١﴾، يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - شناعة وصف المشركين للملائكة بأنهم بنات الله بقوله: "أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثاً، فتجروا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله، و أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! " (٢).

الخاصية الثالثة: لا يعصون الله تعالى.

ومن خصائصهم أنهم لا يعصون الله تعالى في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره: كما قال تعالى في وصفهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) (٣) ، وقد تقدم بيان الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - لذلك حيث يقول في تفسير الآية: " وهذا فيه أيضًا مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به " (٤) .

الخاصية الرابعة: لا يفترون ولا يسأمون.

ومن خصائصهم أيضاً أنهم لا يفترون عن العبادة ولا يسأمون. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) يُسْحِرُونَ أَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (٥)، يبين الشيخ الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - هذه الخاصية فيهم فيقول: "وكيف يجعل الله منها ولد؟! فتعالى وتقدس، المالك العظيم، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الصعاب، وخشعت له الملائكة المقربون، وأذعنوا له بالعبادة الدائمة المستمرة أجمعون، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ (٦) أي من الملائكة ﴿لَا

(١) سورة النجم: آية ٢٧.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٧٦٣).

(٣) سورة التحريم : جزء من آية ٦.

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٨٧٤).

(٥) سورة الأنبياء : الآيتان ١٩، ٢٠.

(٦) سورة الأنبياء : جزء من آية ١٩ .

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخْسِرُونَ ﴿١٩﴾^(١)، أي: لا يملون ولا يسأمونها، لشدة رغبتهم، وكمال محبتهم، وقوة أبدانهم. ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾^(٢)، أي: مستغرقين في العبادة والتسبيح في جميع أوقاتهم فليس في أوقاتهم وقت فارغ ولا خال منها وهم على كثرتهم بهذه الصفة، وفي هذا من بيان عظمتهم وجلالة سلطانه وكمال علمه وحكمته، ما يوجب أن لا يعبد إلا هو، ولا تصرف العبادة لغيره^(٣).

مما تقدم بيّن لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- صفات وخصائص الملائكة التي اختصهم الله بها دون الثقلين من الإنس والجن، وفق منهج أهل السنة.

المبحث الثالث: وظائف الملائكة في العالم العلوي والسفلي.

المطلب الأول: وظائف الملائكة إجمالاً.

الملائكة جند من جنود الله تعالى، أسند الله إليهم كثيراً من الأعمال الجليلة، والوظائف الكبيرة في العالم العلوي والسفلي، وأعطاهم القدرة على تأديتها على أكمل وجه. وهم بحسب ما هيأهم الله تعالى له ووكّلهم به على أقسام.

ويبين الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) أعمال الملائكة مع الإنسان بقوله: "أن الله سبحانه وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشئته وأمره فلهذا

(١) سورة الأنبياء : جزء من آية ١٩.

(٢) سورة الأنبياء : جزء من آية ٢٠.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٢٠).

يضيف التدبير إلى الملائكة تارة لكونهم هم المباشرين للتدبير قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^١، ويضيف التدبير إليه،...، والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره لهم وله شأن آخر فإنهم موكلون بتخليقه ونقله من طور إلى طور وتصويره وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله وأجله وشقاوته وسعادته وملازمته في جميع أحواله وإحصاء أقواله وأفعاله وحفظه في حياته وقبض روحه عند وفاته وعرضها على خالقه وفاطره وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ وبعد البعث وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب^(٢).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر مبيناً أعمالهم الأخرى: "فإن الله وكل بالرحم ملائكة ، وبالقطر ملائكة ، وبالنبات ملائكة ، وبالرياح ملائكة ، وبالأفلاك والشمس والقمر والنجوم ، ووكل بكل عبد أربعة من الملائكة ، كاتبين عن يمينه وشماله ، وحافظين من بين يديه ومن خلفه ، ووكل ملائكة بقبض روحه وتجهيزها إلى مستقرها في الجنة والنار ، وملائكة بمساءلته وامتحانه في قبره ، وملائكة بتعذيبه في النار أو نعيمه في الجنة ، ووكل بالجبال ملائكة ، وبالسحاب ملائكة تسوقه ، حيث أمرت به ، وبالقطر ملائكة تنزل بأمر الله بقدر معلوم كما شاء الله ، ووكل ملائكة بغرس الجنة وعمل آلتها وفرشها والقيام عليها ، وملائكة بالنار كذلك . فأعظم جند الله الملائكة ، ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ غيره وليس لهم من الأمر شيء ، بل الأمر كله لله ، وهم يدبرون الأمر ويقسمونه بأمر الله وإذنه"^(٣).

وقد أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أعمالهم ووظائفهم في العالم العلوي والسفلي بقوله: "فإن الله وصفهم بأنهم المدبرات أمرا، فكل طائفة منهم قد كلفه على عمل هو قائم به بإذن الله، فمنهم: الموكلون بالغيث والنبات، والموكلون بحفظ العباد مما يضرهم، وبحفظ أعمالهم وكتابتها؛ والموكلون بقبض الأرواح، وبتصوير الأجنة في الأرحام، وكتابة ما يجري عليها في الحال والمآل،

^١ سورة النازعات: آية ٥ .

(٢) ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ط ٢ ، (١٣٠/٢ - ١٣١).

(٣) ابن القيم ، الجواب الكافي ، د. ط ، ص ١.

والموكلون على الجنة والنار، ومنهم حملة العرش ومن حوله من الملائكة المقربين، إلى غير ذلك مما وصفوا به في الكتاب والسنة".^(١) .

المطلب الثاني: وظائف الملائكة بالتفصيل وكلام الشيخ السعدي عنها.

نبين أدلة أعمال الملائكة بالتفصيل، وكلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عنها عند تفسيره لآيات القرآنية الواردة في ذلك فيما يلي:

الوظيفة الأولى: الموكل بالوحي (جبريل عليه السلام):

من الملائكة من هو موكل بالوحي من الله تعالى إلى رسله -عليهم الصلاة والسلام- وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٣٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾^(٢)، بين ذلك الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره للآية بقوله: "﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣٣﴾ ﴾^(٣)، وهو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأقواهم ﴿ الْأَمِينُ ﴾^(٤) الذي قد أمن أن يزيد فيه أو ينقص. ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٥) يا محمد ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾^(٦) تهدي به إلى طريق الرشاد، وتنذر به عن طريق الغي. ﴿ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ ﴾^(٧) وهو أفضل الألسنة، بلغة من بعث إليهم، وبأشر دعوتهم أصلاً اللسان البين الواضح. وتأمل كيف اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين"^(٨).

(١) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٧٨-٧٦).

(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٩٣-١٩٥.

(٣) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٣.

(٤) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٣.

(٥) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٤.

(٦) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٤.

(٧) سورة الشعراء: جزء من آية ١٩٥.

(٨) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٩٧).

الوظيفة الثانية: الموكل بالقطر والنبات (ميكائيل عليه السلام):

وقد ورد ذكره في القرآن. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١) وهو ذو مكانة عالية ، منزلة رفيعة عند ربه، و لذا خصه الله هنا بالذكر مع جبريل -عليه السلام-، وعطفهما على الملائكة، مع أنهما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام.

الوظيفة الثالثة: الموكل بالصور (إسرافيل عليه السلام):

وهو أحد حملة العرش (٢)، والصور: قرن عظيم ينفخ فيه. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِيرِينَ﴾ (٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ (٤) .

هل الملائكة تموت؟

نعم تموت كما يموت الجن والإنس، وبقية المخلوقات، وقد أشار الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - إلى ذلك بقوله: "لما خوفهم تعالى من عظمتهم، خوفهم بأحوال يوم القيامة، ورغبهم ورهبهم فقال: ﴿

(١) سورة البقرة: آية ٩٨.

(٢) والدليل على أن إسرافيل عليه السلام من حملة العرش: حديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال: (ما جمعكم فقالوا اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمتهم، فقال: لن تدركوا التفكر في عظمتهم ألا أخبركم ببعض عظمة ربكم، قلنا: بلى. يا رسول الله قال: إن ملكا من حملة العرش، يقال له: إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله قد مرقنا قدماه الأرض السابعة السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة العليا)، أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني، في العظمة، كتاب الجزء الثاني، ذكر حجب ربنا تبارك وتعالى (٢ / ٦٩٧، ٦٩٨)، رقم ٢٧.

(٣) سورة النمل: آية ٨٧.

(٤) سورة الزمر: آية ٦٨.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴿١﴾ وهو قرن عظيم، لا يعلم عظمته إلا خالقه، ومن أطلعه الله على علمه من خلقه، فينفخ فيه إسرائيلي الكليل، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن.

﴿فَصَعَقَ﴾ ^(٢) أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٣) أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمتها، وما يعلمون أنها مقدمة له. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ^(٤) ممن ثبته الله عند النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، وغيرهم. وهذه النفخة الأولى، نفخة الصعق، ونفخة الفزع.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ ^(٥) النفخة الثانية نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ^(٦) أي: قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم، قد تمت منهم الحلقة الجسدية والأرواح، وشخصت أبصارهم يَنْظُرُونَ ماذا يفعل الله بهم ^(٧).

كما بيّن ذلك الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - (ت ٧٧٤ هـ) - عند تفسيره لهذه الآية بقوله:

" نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله... ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو

(١) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٢) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٣) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٤) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٥) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٦) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٢٩).

الباقى آخرا بالديمومة والبقاء، ويقول: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمِنَ الْمَلَكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝١٦﴾^١ ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝١٦﴾^٢ (٣).

الوظيفة الرابعة: الموكل بقبض الأرواح.

وهو ملك الموت وله أعوان، وقد اشتهر على ألسنة الناس أن اسم ملك الموت عزرائيل عليه السلام، وهذا التسمية - كما يقول العلماء - لم ترد في حديث صحيح، وقد ذكره الله تعالى بوظيفته لا باسمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتُوفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾^(٤)، أي: جعله - ملك الموت - الله وكيلا على قبض الأرواح، وله أعوان^(٥). وملك الموت أعوان من الملائكة، يأتون العبد بحسب عمله، فإن كان محسناً ففي أحسن هيئة، وإن كان مسيئاً ففي أشنع هيئة. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝١٦﴾^(٦)، وبين الشيخ السعدي السعدي - رحمه الله تعالى - هذه الوظيفة لهم فيقول: " فقد وكل بالعباد حفظاً من الملائكة، يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كُنِينِ ۝١١ يَعْمُونَ مَا نَفْعَلُونَ ۝١٢﴾^(٧)، وقال سبحانه: ﴿إِذْ نَفَخْنَا فِي السَّمَاءِ الْمَلَائِكَةَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾^(٨)، فهذا حفظه لهم في حال الحياة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝١٦﴾^(٩)، أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ

^١ سورة غافر: جزء من آية ١٦

^٢ سورة غافر: جزء من آية ١٦

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (١١٦ / ٧).

(٤) سورة السجدة: آية ١١.

(٥) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٦٥٤).

(٦) سورة الأنعام: آية ٦١.

(٧) سورة الانفطار: الآيات ١٠-١٢.

(٨) سورة ق: الآيتان ١٧، ١٨.

(٩) سورة الأنعام: آية ٦١.

يُقَرِّطُونَ ﴿١﴾، في ذلك فلا يزيدون ساعة مما قدره الله وقضاه ولا ينقصون ولا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية و التقادير الربانية" (٢).

الوظيفة الخامسة: حملة العرش.

من الملائكة حملة عرش الرحمن، قَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (٣)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في بيان ذلك عند تفسيره للآية: "﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾" (٤)، أي: عرش الرحمن، الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأحسنها، وأقربها من الله تعالى، تعالى، الذي وسع الأرض والسموات والكرسي، وهؤلاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم، واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر، وقربهم منه، يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ (٥) من الملائكة المقربين في المنزلة والفضيلة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (٦)، هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم لله تعالى، وخصوصاً التسبيح والتحميد، وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره، وحمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة لله تعالى" (٧).

ويقول - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ (٨)، :أملاك في غاية القوة إذا أتى للفصل بين العباد والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله (٩).

الوظيفة السادسة: خزنة الجنة.

(١) سورة الأنعام: جزء من آية ٦١.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٥٩).

(٣) سورة غافر: جزء من آية ٧.

(٤) سورة غافر: جزء من آية ٧.

(٥) سورة غافر: جزء من آية ٧.

(٦) سورة غافر: جزء من آية ٧.

(٧) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٧٣٢).

(٨) سورة الحاقة: آية ١٧.

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٨٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝٢٤﴾^(١). وقد أشار الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - إلى تحية الملائكة للمؤمنين بدخول الجنة فقال: "﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾"^(٢) يهنئوهم بالسلامة وكرامة الله لهم ويقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾"^(٣) أي: حلت عليكم السلامة والتحية من الله وحصلت لكم، وذلك متضمن متضمن لزوال كل مكروه، ومستلزم لحصول كل محبوب"^(٤). كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝٧٣﴾^(٥).

الوظيفة السابعة: خزنة النار.

وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر - عياداً بالله منها -، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾^(٦)، وقال عز شأنه: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ كَفَرُوا ۖ﴾"^(٧)، يوضح الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - شدة وقوة الملائكة الغلاظ الشداد على الكافرين فيقول: "﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾"^(٨) من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾"^(٩) وذلك لشدتهم وقوتهم"^(١٠).

الوظيفة الثامنة: الكرام الكاتبون.

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الرعد: جزء من آية ٢٣.

(٣) سورة الرعد: جزء من آية ٢٤.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤١٦).

(٥) سورة الزمر: آية ٧٣.

(٦) سورة العلق: الآيتان ١٧، ١٨.

(٧) سورة المدثر: الآيتان ٣٠، ٣١.

(٨) سورة المدثر: الآية ٣٠.

(٩) سورة المدثر: جزء من آية ٣١.

(١٠) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٩٦).

وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم. وقد بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحَفَظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾^(١): "وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم وتحلوهم وتحترمهم"^(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِذْ يَتْلَى التَّلْقَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قِمِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾^(٣)، يُنبه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- المسلم على مراقبة أعماله وأقواله لإحصاء الملائكة لهما عند تفسيره للآية: "وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين، ولهذا قال: ﴿إِذْ يَتْلَى التَّلْقَانِ﴾^(٤) أي: يتلقيان يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد. ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾^(٥) يكتب الحسنات و الآخر ﴿وَعَنِ الشِّمَالِ﴾^(٦) يكتب السيئات، وكل منهما ﴿قِمِيدٌ﴾^(٧) بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له، ملازم له"^(٨).

الوظيفة التاسعة: حراسة بنى آدم (الحفظة والمعقبات).

قد ذكر الحق ﷻ من أعمال الملائكة، أنهم موكلون بحفظ بنى آدم، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٩)، فهذه الملائكة تحفظ الإنسان من الشرور بأمر الله عز وجل حتى

(١) سورة الانفطار: الآيتان ١٠، ١١.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٩١٤).

(٣) سورة ق: الآيتان ١٧، ١٨.

(٤) سورة ق: جزء من آية ١٧.

(٥) سورة ق: جزء من آية ١٧.

(٦) سورة ق: جزء من آية ١٧.

(٧) سورة ق: جزء من آية ١٧.

(٨) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٠٥).

(٩) سورة الرعد: جزء من آية ١١.

حتى إذا جاء القدر خلوا عنه، كما قال ابن عباس-رضى الله عنه-: "ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء أمر الله خلوا عنه"^(١).

وقال رجل لعلي بن أبي طالب -رضى الله عنه-: "إن نفرًا من مراد يريدون قتلك، فقال أي علي-رضى الله عنه-: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه، إن الأجل جنة حصينة"^(٢).

وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى ذلك عند تفسيره للآية بقوله: "﴿لَهُ﴾^(٣)، أي: للإنسان ﴿مُعَقَّبَتٌ﴾^(٤)، من الملائكة يتعاقبون في الليل والنهار، ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ يحفظونه، من أمر الله^(٥)، أي: يحفظون بدنه وروحه من كل من يريد به سوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائما، فكما أن علم الله محيط به، فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد، بحيث لا تخفى أحوالهم ولا أعمالهم، ولا ينسى منها شيء"^(٦).

والمعقبات المذكورة في الآية السابقة هي المرادة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾^(٧)، ويبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- هذه الوظيفة لهم فيقول: "فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة، يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾^(٨) كرامًا

^١ انظر: السيوطي، الدر المنثور، د.ط، (٤ / ٦١٣).

(٢) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، البداية والنهاية، ط ١، (١/٥٤).

(٣) سورة الرعد: جزء من آية ١١

(٤) سورة الرعد: جزء من آية ١١

(٥) سورة الرعد: جزء من آية ١١

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤١٤).

(٧) سورة الأنعام: جزء من آية ٦١.

كثِيرٌ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾ ، فهذا حفظه لهم في حال الحياة ، ... فلا يزيدون ساعة مما قدره الله وقضاه ولا ينقصون ولا ينفذون من ذلك إلا بحسب المراسيم الإلهية و التقادير الربانية" (٢)، فالحفظة الذين يرسلهم الله يحفظون العبد حتى يأتي أجله المقدر له.

الوظيفة العاشرة: علاقة الملائكة بالمؤمنين، وآثار ذلك في حياتهم:

من رحمة الله الرحيم بعباده المؤمنين، وأولياؤه المقربين، أن سخر لهم جنوده من العالم العلوي للقيام بأعمال تسعدهم في الدارين ومن ذلك:

أولاً: محبتهم للمؤمنين؛ فإذا أحب الله ﷻ العبد المؤمن أحبته ملائكته.

ثانياً: الاستغفار والدعاء للمؤمنين.

ثالثاً: حضور مجالس الذكر والقرآن معهم، وحف أهلها بأجنتهم.

رابعاً: حمايتهم ونصرتهم لصالح المؤمنين، وتفريج كربهم.

خامساً: يقاتلون مع المؤمنين، ويشبثونهم في حروبهم.

سادساً: تبشير المؤمنين وتثبيتهم عند نزع الروح، واقتراب الأجل.

وقد أكد ذلك الإمام ابن القيم — رحمه الله تعالى — (ت ٧٥١هـ) ، وبَيَّن أعمال الملائكة مع المؤمنين بقوله: " وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه ، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة ، وهم الذين يرونه في منامه ما يخافه ليحذره ، وما يحبه ليقوى قلبه ، ويزداد شكراً ، وهم الذين يعدونه بالخير ويدعونهم إليه ، وينهونهم عن الشر ويحذرونهم منه .

(١) سورة الانفطار: الآيات ١٠-١٢ .

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢٥٩).

فهم أولياؤه وأنصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه والداعون له والمستغفرون له ، وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ، ويصلون عليه ما دام يعلم الناس الخير ، ويبشرونه بكرامة الله تعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه ، وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة ، وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ويثبتونه إذا جزع ، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته ، فهم رسل الله في خلفه وأمره وسفراؤه بينه وبين عبادته ، تنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم ، وتصعد إليه بالأمر قد أظمت بهم السماء ، وحق لها أن تنط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راقع أو ساجد ، ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم^(١).

فإذا أيقن المؤمن بمساندة الملائكة له في فترات حياته؛ أثر ذلك في سلوكه، وفي علاقته بربه آثار طيبة للاقتداء بهم ، وهي كالتالي:

أولاً: بذل العبد المؤمن جهده في طاعة ربه ﷻ، اقتداء بالملائكة الكرام، الذين يتفانون في طاعته مع عصمتهم من الذنوب، وقربهم من ربهم جلا وعلا.

ثانياً: دفع الغرور عن النفس، والافتخار بالعمل، فالملائكة على دوام طاعتهم خاضعين له سبحانه، العبد المؤمن مهما بلغ في عبادته، فلن يبلغ مقدار عبادة الملائكة، فهو أولى بنبذ الكبر و الاغترار بالعمل.

ثالثاً: الاجتهاد في البعد عما حرمه الله، خوفاً من الله أولاً، ثم حياء من الملائكة الذين لا يفارقون بني آدم، ويكتبون ويسجلون أعمالهم، ولا سيما أن الله وصفهم بأنهم كرام، فإن العبد قد تستولي عليه ضعف نفسه، ويغفل عن مراقبة الله له، فإذا علم أن معه من لا يفارقه من الملائكة الكرام، كان ذلك باعثاً له على الحياء، والانكفاف عما هو مقدم عليه من معصية الله تعالى.

(١) ابن القيم ، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ط ٢، (١٣٠/٢ - ١٣١).

رابعاً: الاقتداء بهم في حسن نظامهم، عند وقوفهم بين يدي ربهم، وإتقان أعمالهم: فقد روى مسلم: عن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال: يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف)^(١)، فحث النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابة على الاصطفاف في الصلاة، كما تصف الملائكة عند ربها، وذلك لحسن نظامهم، عند وقوفهم بين يدي ربهم .

مما تقدم يبين لنا الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أن الملائكة جند من جنود الله، مدبرات أمر ربها في العالم العلوي والسفلي، وإن الملائكة مع عظيم خلقهم، وشدة بأسهم، ما هم إلا خلق من خلق الله، وإن هذا الكون بإبداعه، وإبداع من فيه، هو أعظم دليل على وحدانية الله تعالى، واستحقاقه مطلق العبادة، وهذا وافق فيه الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - علماء أهل السنة.

المبحث الرابع: الملائكة والكفار والملاحدة

المطلب الأول: الملائكة والكفار

ضلّ مشركو العرب في هذا الأصل العظيم، الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناثاً، واختلطت هذه العقيدة الفاسدة للحق فيهم، بخرافة أعظم وأشد كفراً إذ زعموا أن هؤلاء الإناث بنات الله تعالى. وقد ناقشهم القرآن في هاتين المسألتين، فبيّن أن قولهم في الملائكة قول باطل ومن ذلك أنهم ينسبون لله البنات وهم يكرهون البنات، وعندما يبشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، بل يدفنها خوفاً من العار، ومع ذلك ينسون لله الولد، ويزعمون أنهم إناث وهكذا تنشأ الخرافة في عقول من هم أضل سبيلاً.

ويبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أن المشركين بالله المكذبين لرسله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وبسبب عدم إيمانهم بالآخرة تجرأوا على ما تجرأوا عليه، من الأقوال، والأفعال المحادة لله ولرسوله، من قولهم: الملائكة بنات الله ، فلم ينزهوا ربهم عن الولادة، ولم يكرموا الملائكة ويجلوهم عن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: الأمر بالسُّكُونِ في الصَّلَاةِ، (٢/ ٢٩)، رقم الحديث: ٩٩٦.

تسميتهم إياهم إناثا، والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله، ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك الفطر والعقول، بل العلم كله دال على نقيض قولهم، وأن الله منزّه عن الأولاد والصاحبة^(١)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَخْلَعُونَ إِلَّا الْأُظْلَى وَإِنَّ الْأُنْثَى لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢٨) ، وقد رد - رحمه الله تعالى - على بطلان قولهم من عدة أوجه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْنَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩) ،^(٣) "يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولدا، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه:

أولاً: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ثانياً: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

ثالثاً: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهن بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

رابعاً: أن الصنف الذي نسبه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرهما لهم، حتى إنهم من

كراحتهم لذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ (٤) من كراحتهم وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

خامساً: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقتها وبيائها، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْمَن يُنْسَوْنَ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (١٨) ^(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْمَن يُنْسَوْنَ فِي الْحِلْيَةِ﴾ (٢) أي: يَجْمَلُ فِيهَا، لنقص جماله،

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٢٠).

(٢) سورة النجم: الآيتان ٢٧، ٢٨.

(٣) سورة الزخرف: آية ١٩.

(٤) سورة الزخرف: آية ١٧.

فيجمل بأمر خارج عنه؟ ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾^(٣) أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(٤) أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهم لله تعالى؟

سادساً: أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناثاً، فتجراًوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

سابعاً: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾^(٥) فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة، وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلاً وشرعاً. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت عليها قدمه.

وأما شرعاً، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلاً ولهذا قال هنا: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٦) أي: يتخرصون تحرصاً لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء"^(٧).

المطلب الثاني: الملائكة والملاحدة

(١) سورة الزخرف: آية ١٨.

(٢) سورة الزخرف: جزء من آية ١٨.

(٣) سورة الزخرف: جزء من آية ١٨.

(٤) سورة الزخرف: جزء من آية ١٨.

(٥) سورة الزخرف: جزء من آية ٢٠.

(٦) سورة الزخرف: جزء من آية ٢٠.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٦٣).

بيّن الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) عقيدة الملائكة بعد أن ذكر عقيدتهم في الإيمان بالله -تعالى الله عن قولهم- بأنه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به ولا يفعل شيئاً باختياره البتة ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلاً لا يعلم عدد الأفلاك ولا شيئاً من المغيبات ولا له كلام يقوم به ولا صفة ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدر في الذهن لا حقيقة له^(١).

، فقال: "وأما الإيمان بالملائكة فهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم وإنما الملائكة عندهم ما يتصوره النبي بزعمهم في نفسه من أشكال نورانية هي العقول عندهم وهي مجردات ليست داخل العالم ولا خارجه ولا فوق السموات ولا تحتها ولا هي أشخاص تتحرك ولا تصعد ولا تنزل ولا تدبر شيئاً ولا تتكلم ولا تكتب أعمال العبد ولا لها إحساس ولا حركة البتة ولا تنتقل من مكان إلى مكان ولا تصف عند ربها ولا تصلي ولا لها تصرف في أمر العالم البتة فلا تقبض نفس العبد ولا تكتب رزقه وأجله وعمله ولا عن اليمين ولا عن الشمال قعيد كل هذا لا حقيقة له عندهم البتة وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام فقال : الملائكة هي القوى الخيرة الفاضلة التي في العبد والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة هذا إذا تقربوا إلى الإسلام وإلى الرسل".^(٢).

وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى عقيدة هؤلاء الملائكة وذكر تعريفهم للملائكة وبيّن ضلالهم في هذا بقوله: "فيجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً ، وكثير من سور القرآن فيها ذكر الملائكة والخبر عنهم ، فعلياً أن نؤمن بذلك كله ، ولا تكاد تجد أحداً ينكر وجود الملائكة إلا الزنادقة"^(٣).

(١) ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ط ٢ ، (٢ / ٢٦٠).

(٢) ابن القيم ، مرجع سابق ، (٢ / ٢٦١).

(٣) الزِّنْدِيقُ: القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب، وهو بالفارسية: زَنْدِ كِرَائِي، يقول بدوام بقاء الدهر. وجمعه زَنَادِقَةٌ، والزَّنْدَقَةُ: الضَّيِّقُ، وقيل: الزِّنْدِيقُ منه لأنه ضَيِّقٌ على نفسه، الزِّنْدِيقُ معروف، وهو من يضمّر الكفر ويخفيه ويظهر الإيمان، وزَنْدَقْتُهُ أنه لا

المنكرين لوجود ربهم ، ومن تستر بالإسلام منهم فإنه ينكر الملائكة حقيقة ، وينكر خبر الله ورسوله عنهم ، ويفسر الملائكة تفسيراً وتحريفاً خبيثاً ، فيزعم أن الملائكة هي القوى الخيرية والصفات الحسنة الموجودة في الإنسان ، وأن الشياطين هي القوى الشريرة فيه ، وغرضهم من هذا التحريف دفع الشنعة عنهم ، وقد ازدادوا بهذا التحريف شراً إلى شرهم ، وراج هذا التحريف الخبيث على بعض الذين يحسنون الظن بهؤلاء الزنادقة ، وليس عندهم بصيرة في أديان الرسل وإن أظهروا تعظيمهم ، فإن زنادقة الفلاسفة أعظم في قلوبهم من الرسل ، وكفى بالعبد ضلالاً وغياً أن يصل إلى هذه الحال ، ونعوذ بالله من مضلات الفتن" (١).

وقال -رحمه الله تعالى- في كتابه: "تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله" وهو يرد على كتاب "الأغلال" الذي كتبه الملحد القصيمي^٢، ويبيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- فيه ضلال هذا الرجل ، وعقيدته الفاسدة في أصول الإيمان ، وخاصة الإيمان بالملائكة بقوله: "وصار ينادي ويدعو إلى الإلحاد بعد ما كان يدعو إلى دين رب العباد ،...، ومن فروع نبذه - القصيمي - الإيمان بالله، وبما أخبر على السنة رسله إنكار الملائكة والجن والأرواح، وسياقه لهذا الإنكار بأساليب تحكّمية

يؤمن بالآخرة ووحدانيّة الخالق. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "زندق"، (١٢/٧٦٨)، ، الرّازي، مختار الصحاح، ط ١، مادة: "زندق"، ص ٧٨٩.

(١) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٧٩). وانظر: عبد الرزاق العبّاد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص (٢٣٩).

^٢ عبد الله القصيمي: ولد سنة (١٩٠٧ م)، مفكر سعودي يُعتبر من أكثر المفكرين العرب، إثارة للجدل بسبب انقلابه من موقع النصير والمدافع عن السلفية إلى الإلحاد، وبسبب مؤلفاته المثيرة للجدل ومن أشهرها العرب ظاهرة صوتية ، و من مؤلفاته: (البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية)، (شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام)، (الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم)، (الصراع بين الإسلام والوثنية). توفي سنة (١٩٩٦ م). * انظر في ترجمته: جورج طرايشي، المرض بالغرب، التحليل النفسي لعصاب جماعي عربي، دار بترا ورابطة العقلايين العرب، ٢٠٠٥ م، ص ٦٩. عبد الله القصيمي، من الوهابية إلى الإلحاد ، الألوان، تاريخ الولوج ٢١ فبراير ٢٠١٢ .

وعبارات سخرية بما أخبر الله به و أخبرت به رسله، ونطقت به الكتب واعترف به عليه الخلق وسائر أهل الأديان السماوية وجاءت به نصوص الكتاب والسنة في نصوص كثيرة زادت على التواتر، فأقر بها المسلمون واعترفوا بها وبكل ما أخبر الله به ورسوله عن الملائكة والجن ، وعن أحوال الروح في البرزخ وغيره، ولم ينكر ذلك إلا جاحد ملحد مكذّب لله ورسوله؛ وقد تحاذق هذا الرجل حين نصر قول من كذّب بهذه الأصول العظيمة ، فجمع كل ما يقدر عليه في كتابه- الأغلال- من خرافات الخرافيين عن الجن والأرواح ونسب ذلك إلى المسلمين؛ ليتوسل به إلى القدح في الدين ظناً منه أنه يروج على الناس، ثم لما قرر هذا التكذيب بعبارات كثيرة في صفحة (٢٠٠) وما بعدها شعر أن الناس لابد أن يقولوا هذا كلام مكذب بالملائكة والجن والأرواح فقال نفاقاً: ليعلم بعد هذا أنا ممن يؤمنون بالأرواح والملائكة والجان وبما أخبر به الله به إلى آخر ما قال. فانظر إلى هذا التناقض والهرجة التي لا تخفى على من له أدنى عقل، ولكن من غروره بنفسه يحسب أن الناس كالبهائم. ومن كذب بالمدبرات أمراً وتهكم بما يذكر في الكتاب والسنة، ويذكره أهل العلم من أنواع التدبيرات في العالم العلوي والسفلي التي تتولاها الملائكة بأمر الله" (١).

مما تقدم تبين أن الآيات القرآنية وما طرحه العلماء، ومنهم الشيخ السعدي-رحمهم الله تعالى-من حقائق عن هذا الأصل العظيم، لها تأثير كبير في نفي الخرافة والزيف من العقول عن الإيمان بالملائكة، فقد انتشر منذ القديم القول بأنوثة الملائكة، أو أن الملائكة بنات الله، ويرى الملاحدة أن الملائكة: هي القوى الخيرية والصفات الحسنة الموجودة في الإنسان، وهذه الحقائق جاءت لتعمق في نفوس المسلمين الإيمان بالمعبود الحق على هذا الوجود، الذي وضع جنوده من الملائكة للقيام على مختلف العالم العلوي والسفلي.

وأخيراً نقول إن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد، لا يتم الإيمان إلا به، والملائكة عالم من عوالم الغيب التي امتدح الله عباده المؤمنين بها، ولإيمان بهم ثمرات جليلة منها:

أولاً: العلم بعظمة الخالق الجليل وكمال قدرته وسلطانه.

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الثاني)، ط١، (١٤/٤٦٥-٤٦٦). وانظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط٢، ص(٢٤٠).

ثانياً: شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل ونصرتهم للمؤمنين واستغفارهم لهم.

وبهذا نصل إلى نهاية الفصل الأول: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالملائكة، ويليه الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب الإلهية. والله ولي الاحسان.

الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب الإلهية.

الكتب الإلهية: هي الكتب التي أنزلها الله على رسله وحياً عن طريق جبريل - عليه السلام - متضمنة أوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكام دينه وهي كثيرة نزلت في أماكن متعددة وبلغات مختلفة، وقد حوت هذه الكتب شرائع الأمم التي توافقت أحوالهم وأزمنتهم، وأهل السنة يقررون وجوب الإيمان بجميع الكتب الإلهية التي أنزلت على الرسل - عليهم السلام - سواء ما ذكر في القرآن أو لم يذكر وأنها كلام الله سبحانه باعتبار ذلك ركناً من أركان الإيمان لا يتم إيمان العبد إلا به، وقد تحدث الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عن الإيمان بالكتب المنزلة على الرسل - عليهم السلام - في كتبه، فبين - رحمه الله

تعالى -وجوب الإيمان بالكتب المنزلة على الأنبياء والرسل -عليهم السلام -،و أن ذلك من تمام الإيمان بهم .ولمعرفة بيانه عن ذلك نقف مع المباحث التالية:

المبحث الأول: الإيمان بالكتب الإلهية المنزلة.

المبحث الثاني: تحريف بعض الكتب الإلهية.

المبحث الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم وخصائصه.

المبحث الرابع: الكتب الإلهية والملاحدة.

المبحث الأول: الإيمان بالكتب الإلهية المنزلة.

المطلب الأول: حكم الإيمان بالكتب وأدلته.

أولاً: حكم الإيمان بالكتب.

الإيمان بكتب الله التي أنزلت على رسله كلها ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين، لا يتحقق الإيمان إلا به.

وقد أبان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) حكم الإيمان بالكتب بقوله: "فتضمنت هذه السورة الواحدة - سورة البقرة- جميع ما يحتاج الناس إليه في الدين وأصوله وفروعه وافتتحها بالإيمان بالكتب والرسول ووسطها بالإيمان بالكتب والرسول وختمها بالإيمان بالكتب والرسول فإن الإيمان بالكتب والرسول هو عمود الإيمان وقاعدته وجماعه" (١).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "فالإيمان بما أنزل إليه وما أنزل من قبله يتضمن الإيمان بالكتب والرسول والملائكة، والإيمان بالله يدخل في الإيمان بالغيب وفي الإيمان بالكتب والرسول فتضمنت الإيمان بالقواعد الخمس" (٢).

وأوضح الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) حكم الإيمان بالكتب ومن لم يؤمن بها فليس بمؤمن: "والإيمان بالله واليوم الآخر داخل في الإيمان بالكتب والرسول، فهذه الأصول الخمس -مع الإيمان بالملائكة- من لم يؤمن بها فليس بمؤمن واليقين: أن يقوم الإيمان بها حتى تصير كأنها معاناة للقلب مشاهدة له نسبتها إلى البصيرة كنسبة الشمس" (٣).

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط ١، (٥ / ٦٤).

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٤ / ١٣٥).

(٣) ابن القيم، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ط ١، ص ١٩. "بتصرف".

ثانياً: أدلة الإيمان بالكتب الإلهية وحديث السعدي عن حكمها.

الدليل الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾^(١)

وقد بيّن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- عند تفسيره للآية السابقة بوجوب الإيمان بكل ما ذكر فيها إجمالاً وتفصيلاً على حسب وروده، وأن الكفر بركن منها كفر بجميعها فقال: "وأمر الله تعالى هنا بالإيمان به وبرسوله، وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من الإيمان الواجب الذي لا يكون العبد مؤمناً إلا به، إجمالاً فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلاً فيما علم من ذلك بالتفصيل، فمن آمن هذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى وأنجح. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾^(٢) وأي ضلال أبعد من ضلال من ترك طريق الهدى المستقيم، وسلك الطريق الموصلة له إلى العذاب الأليم؟ واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض"^(٣).

الدليل الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ءَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾^(٤)، يقول الشيخ السعدي- رحمه الله تعالى- عند تفسيره للآية: "﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾^(٥) يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ ءَالْكِتَابَ ءَالْحِكْمَةَ﴾^(٦) فيدخل فيه الإيمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

(١) سورة النساء: آية ١٣٦.

(٢) سورة النساء: جزء من آية ١٣٦.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٠٩).

(٤) سورة البقرة: آية ١٣٦.

(٥) سورة البقرة: جزء من آية ١٣٦.

(٦) سورة النساء: جزء من آية ١١٣.

من صفات الباري، وصفات رسله، واليوم الآخر، والغيوب الماضية والمستقبلية، والإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمرية، وأحكام الجزاء وغير ذلك.

﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِلَّا رِجْءٌ مِّمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(١) إلى آخر الآية، فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموماً وخصوصاً، ما نص عليه في الآية، لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع الكبار. فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب، أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلاً. وقوله تعالى: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾^(٢) أي: بل تؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين، التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه على دين.

فاليهود والنصارى والصابئون وغيرهم - وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به من الرسل والكتب - فإنهم يكفرون بغيره، فيفرون بين الرسل والكتب، بعضها يؤمنون به وبعضها يكفرون به، وينقض تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا، أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل وخصوصاً محمد ﷺ، فإذا كذبوا محمدًا، فقد كذبوا رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرا برسولهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٣) دلالة على أن عطية الدين، هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع. وفيه أن الأنبياء مبلغون عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء^(٤).

الدليل الثالث:

(١) سورة البقرة: جزء من آية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: جزء من آية ١٣٦.

(٣) سورة البقرة: جزء من آية ١٣٦.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٧). و انظر لنفس المؤلف: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٢١).

قوله تعالى: ﴿إِذْ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝﴾^(١)، يبين الشيخ السعدي - رحمه الله - عند هذه الآية بوجوب الايمان بالكتب وما تضمنته من الأخبار والأوامر والنواهي بقوله: "يخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين معه، وانقيادهم وطاعتهم وسؤالهم مع ذلك المغفرة، فأخبر أنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله ونعوت جلاله على وجه الإجمال والتفصيل، وتنزيهه عن التمثيل والتعطيل وعن جميع صفات النقص، ويتضمن الإيمان بالملائكة الذين نصت عليهم الشرائع جملة وتفصيلاً وعلى الإيمان بجميع الرسل والكتب، أي: بكل ما أخبرت به الرسل وتضمنته الكتب من الأخبار والأوامر والنواهي، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله، بل يؤمنون بجميعهم، لأنهم وسائط بين الله وبين عباده، فالكفر ببعضهم كفر بجميعهم بل كفر بالله"^(٢).

لذا يتضح لنا مما سبق ووضحه الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - من أصول الإيمان التصديق الجازم بالكتب الإلهية التي أنزلها الله إلى عباده، بواسطة رسله وأنبيائه، والتصديق بأنهم بلغوها للناس، والإيمان بها جملة وتفصيلاً، ونوقن بأنها نبراس هداية للبشرية، ونؤمن تفصيلاً بما ورد ذكره في القرآن الكريم من هذه الكتب ونؤمن بالقرآن الكريم؛ الذي هو أجل الكتب وأعظمها المشتمل على الحق في إخباره وأوامره ونواهي، وبه الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة.

المطلب الثاني: كيفية الإيمان بالكتب الإلهية.

الإيمان بكتب الله يشتمل على عدة جوانب دلت النصوص على وجوب اعتقادها وتقريرها لتحقيق هذا الركن العظيم من أركان الإيمان. نذكرها مع طرح كلام السعدي - رحمه الله تعالى - عنها، وهي:

أولاً: التصديق الجازم

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٥.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ١٢٠).

بأنها كلها منزلة من الله ﷻ، وأنها كلام الله تعالى لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿١﴾، وقد بين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أن الكتب الإلهية منزلة من عند الله تعالى فقال عند تفسيره لهذه الآية: "الله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة و القيومية، ف﴿الْحَيُّ﴾ (٢) الحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام ﴿الْقَيُّومُ﴾ (٣) الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح.

ومن قيامه تعالى بعباده ورحمته بهم أن نزل على رسوله ﷺ الكتاب، الذي هو أجل الكتب وأعظمها المشتمل على الحق في إخباره وأوامره ونواهيها، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٤) من الكتب السابقة، فهو المزكي لها، فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، وهي شهادة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به، فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتبهم، ثم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ﴾ (٥) أي: على موسى ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٦) على عيسى.

(١) سورة آل عمران: الآيات ٢-٤.

(٢) سورة آل عمران: جزء من آية ٢.

(٣) سورة آل عمران: جزء من آية ٢.

(٤) سورة آل عمران: جزء من آية ٣.

(٥) سورة آل عمران: جزء من آية ٣.

(٦) سورة آل عمران: جزء من آية ٣.

﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(١) إنزال القرآن ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ ^(٢) الظاهر أن هذا راجع لكل ما تقدم، أي: أنزل الله القرآن والتوراة والإنجيل هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله ﴿ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ ^(٣) أي: الحجج و البينات والبراهين القاطعات الدالة على جميع المقاصد والمطالب، وكذلك فصل وفسر ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت الأحكام جليلة ظاهرة، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة لمن لم يؤمن به وبآياته ^(٤).

ثانياً: الدعوة إلى عبادة الله وحده .

وقد جاءت بالخير والهدى والنور والضياء ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ^(٥) ، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - حول هذا المفهوم : "وهذه الآية نزلت رداً لمن قال من أهل الكتاب للنبي ﷺ لما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد أن نعبدك مع الله، فقله ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ ^(٦) أي: يمتنع ويستحيل على بشر من الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(٧) فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لأن هذا أقبح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أكمل الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرهم إلا بمعالى الأمور وهم أعظم الناس نهيًا عن الأمور القبيحة" ^(٨).

(١) سورة آل عمران: جزء من آية ٤.

(٢) سورة آل عمران: جزء من آية ٤.

(٣) سورة آل عمران: جزء من آية ٤.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٢١).

(٥) سورة آل عمران: آية ٧٩.

(٦) سورة آل عمران: جزء من آية ٧٩.

(٧) سورة آل عمران: جزء من آية ٧٩.

(٨) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ١٣٦).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(١)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - مبيناً أن القرآن كتاب الهداية والحق: "شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة"^(٢).

ثالثاً: الإيمان بأن كتب الله يصدق بعضها بعضاً.

فلا تناقض بينها ولا تعارض، وقد بين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٣): "﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾^(٤) الذي هو القرآن العظيم، أفضل الكتب وأجلها. ﴿بِالْحَقِّ﴾^(٥) أي: إنزالاً بالحق، ومشتملاً على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٦) لأنه شهد لها لها و وافقها، وطابقت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقاً لخبرها. ﴿وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٧) أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

(١) سورة البقرة: جزء من آية ١٨٥.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٨٦).

(٣) سورة المائدة: جزء من آية ٤٨.

(٤) سورة المائدة: جزء من آية ٤٨.

(٥) سورة المائدة: جزء من آية ٤٨.

(٦) سورة المائدة: جزء من آية ٤٨.

(٧) سورة المائدة: جزء من آية ٤٨.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه" (١).

فيجب الإيمان بهذا واعتقاد سلامة كتب الله تعالى من كل تناقض أو تعارض، وهذا من أعظم خصائص كتب الله عن كتب الخلق، وكلام الله عن كلام الخلق فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض، وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله- إلى وصف القرآن بذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) (٢)، "يا أمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب.

وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلْوَالِ الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩) (٣)، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٤٤) (٤).

ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٣٤).

(٢) سورة النساء: آية ٨٢.

(٣) سورة ص: آية ٢٩.

(٤) سورة محمد: آية ٢٤.

عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوُجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١) أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً^(٢).

رابعاً: الاعتقاد الجازم بنسخ جميع الكتب والصحف.

التي أنزلها الله على رسله، بالقرآن الكريم، وأنه لا يسع أحداً من الإنس أو الجن، لا من أصحاب الكتب السابقة، ولا من غيرهم، أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغير ما جاء فيه أو يتحاكموا إلى غيره . وقد بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٣)، فيقول -رحمه الله تعالى-: "لما ذكر تعالى ما أخذه الله على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وأنهم نقضوا ذلك إلا قليلاً منهم، أمرهم جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، واحتج عليهم بآية قاطعة دالة على صحة نبوته، وهي: أنه بين لهم كثيراً مما يُخْفُونَ عن الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم، فإذا كانوا هم المشار إليهم في العلم ولا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا ما عندهم، فالحرص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم، فإتيان الرسول ﷺ بهذا القرآن العظيم الذي بيّن به ما كانوا يتكاثفونه بينهم، وهو أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب - من أدل الدلائل على القطع برسالته، وذلك مثل صفة مُحَمَّد ﷺ في كتبهم، ووجود البشائر به في كتبهم، وبيان آية الرجم ونحو ذلك.

﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٤) أي: يترك بيان ما لا تقتضيه الحكمة. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾^(٥) وهو القرآن، يستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة.

(١) سورة النساء: جزء من آية ٨٢.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٨٩).

(٣) سورة المائدة: جزء من آية ١٥.

(٤) سورة المائدة: جزء من آية ١٥.

(٥) سورة المائدة: جزء من آية ١٥.

﴿وَكُتِبَ مُبِينٌ﴾^(١) لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم. من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية"^(٢).

خامساً: الإيمان بما سمي الله ﷻ من كتبه على وجه الخصوص.

والتصديق بها ، وبإخبار الله ورسوله عنها، يقول الشيخ السعدي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣)، "يشمل الإيمان بالكتب السابقة، ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسول وبما اشتملت عليه، خصوصاً التوراة والإنجيل والزبور، وهذه خاصة المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل فلا يفرقون بين أحد منهم"^(٤).

فكان جزاؤهم عند ربهم كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٥) لأنهم جمعوا بين العلم والإيمان والعمل الصالح، والإيمان بالكتب والرسول السابقة واللاحقة"^(٦).

المطلب الثالث: الكتب الإلهية السابقة.

الكتب الإلهية السابقة هي:

أولاً: التوراة: وهي كتاب الله الذي آتاه موسى ﷺ. وقد بين الشيخ السعدي — رحمه الله تعالى — ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٧)، فقال: "﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾^(٨) وهو التوراة ﴿مِنْ

(١) سورة المائدة: جزء من آية ١٥.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٢٦).

(٣) سورة البقرة: آية ٤.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٠).

(٥) سورة النساء: جزء من آية ١٦٢.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢١٤).

(٧) سورة القصص: آية ٤٣.

(٨) سورة القصص: جزء من آية ٤٣.

بَعْدَ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى ﴿١﴾، الذين كان خاتمهم في الإهلاك العام، فرعون وجنوده. وهذا دليل على أنه بعد نزول التوراة، انقطع الهلاك العام، وشرع جهاد الكفار بالسيف.

﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ ^(٢) أي: كتاب الله، الذي أنزله على موسى ﷺ، فيه بصائر للناس، أي: أمور يصرون بها ما ينفعهم، وما يضرهم، فتقوم الحجة على العاصي، وينتفع بها المؤمن، فتكون رحمة في حقه، وهداية له إلى الصراط المستقيم ^(٣).

وقد قال الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في وصف التوراة، وبيان ما اشتملت عليه من النور و الهداية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِحَاجَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ^(٤)، قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ﴾ ^(٥) على موسى بن عمران ﷺ. ﴿فِيهَا هُدًى﴾ ^(٦) يهدي إلى الإيمان والحق، و يعصم من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ ^(٧) يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ ^(٨) يَحْكُمُ بِهَا ^(٩) بين الذين هادوا، هادوا، أي: اليهود في القضايا والفتاوى ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ ^(١٠) الله وانقادوا لأوامره، الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم، وهم صفوة الله من العباد. فإذا كان هؤلاء النبيون الكرام والسادة للأنام قد اقتدوا بها و ائتموا ومشوا خلفها، فما الذي منع هؤلاء الأراذل من اليهود

(١) سورة القصص: جزء من آية ٤٣.

(٢) سورة القصص: جزء من آية ٤٣.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٦١٦).

(٤) سورة المائدة: آية ٤٤.

(٥) سورة المائدة: جزء من آية ٤٤.

(٦) سورة المائدة: جزء من آية ٤٤.

(٧) سورة المائدة: جزء من آية ٤٤.

(٨) سورة الأنبياء: آية ٤٨.

(٩) سورة المائدة: جزء من آية ٤٤.

(١٠) سورة المائدة: جزء من آية ٤٤.

من الاقتداء بها؟ وما الذي أوجب لهم أن ينبذوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمد ﷺ ، الذي لا يقبل عمل ظاهر وباطن، إلا بتلك العقيدة؟ هل لهم إمام في ذلك؟ نعم لهم أئمة دأبهم التحريف، وإقامة رياستهم ومناصبهم بين الناس، و التآكل بكتمان الحق، وإظهار الباطل، أولئك أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار.

وقوله تعالى: ﴿وَالرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾^(١) أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من الربانيين، أي: العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين. والأحبار أي: العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترمق آثارهم، ولهم لسان الصدق بين أممهم^(٢).

وكثيراً ما يقرن سبحانه بين القرآن والتوراة؛ وذلك لأهمهما أفضل كتابين أنزلهما الله تعالى على خلقه ، وقد بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى - ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) ، كثيراً ما يجمع تعالى، بين هذين الكتابين الجليلين، اللذين لم يطرُق العالم أفضل منهما، ولا أعظم ذكراً، ولا أبرك، ولا أعظم هدى وبياناً، وهما: التوراة والقرآن فأخبر أنه أتى موسى أصلاً وهارون تبعاً ﴿الْفُرْقَانَ﴾^(٤) وهي التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأنها ﴿وَضِيَاءٌ﴾^(٥) أي: نور يهتدي به المهتدون، و يأتى به السالكون، وتعرف به الأحكام، ويميز به بين الحلال والحرام، وينير في ظلمة الجهل والبدع والغواية، ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾

(١) سورة المائدة: جزء من آية ٤٤.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٣٢).

(٣) سورة الأنبياء: الآيات ٤٨ - ٥٠.

(٤) سورة الأنبياء: جزء من آية ٤٨.

(٥) سورة الأنبياء: جزء من آية ٤٨.

(١) يتذكرون به، ما ينفعهم، وما يضرهم، ويتذكر به الخير والشر، وخص المتقين بالذكر، لأنهم المنتفعون بذلك، علما وعملا" (٢).

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "كثيرا ما يقرن الباري بين نبوة محمد ﷺ ونبوة موسى عليه السلام وبين كتابيهما و شريعتيهما؛ لأن كتابيهما أفضل الكتب وشريعتيهما أكمل الشرائع ونبوتيهما أعلى النبوات وأتباعهما أكثر المؤمنين" (٣).

ثانياً: الإنجيل: وهو كتاب الله تعالى الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام.

كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسيره للآية: "أي: وأتبعنا هؤلاء الأنبياء والمرسلين، الذين يحكمون بالتوراة، بعبدنا ورسولنا عيسى ابن مريم -عليهما السلام-، روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم -عليها السلام-".

بعثه الله مصدقا لما بين يديه من التوراة، فهو شاهد لموسى -عليه السلام- ولما جاء به من التوراة بالحق والصدق، ومؤيد لدعوته، وحاكم بشريعته، وموافق له في أكثر الأمور الشرعية.

وقد يكون عيسى عليه السلام أخف في بعض الأحكام، كما قال تعالى عنه أنه قال لبني إسرائيل: كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا جُنْدَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (٥).

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ (١) الكتاب العظيم المتمم للتوراة. ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ (٢) يهدي إلى الصراط المستقيم، المستقيم، ويبين الحق من الباطل. ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ (٣) بتبتيها والشهادة لها والموافقة.

(١) سورة الأنبياء: جزء من آية ٤٨.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٥٢٥).

(٣) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٤٥٣).

(٤) سورة المائدة: آية ٤٦.

(٥) سورة آل عمران: جزء من آية ٥٠.

﴿وَهَدَىٰ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) فإنهم الذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بالمواعظ، ويرتدعون عما لا يليق. كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾^(٥) أي: يلزمهم التقيد بكتابتهم، ولا يجوز لهم العدول عنه"^(٦). وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم أن التوراة والإنجيل نصا على البشارة بنبينا محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ﴾^(٧) وقد لحق الإنجيل من التحريف ما لحق التوراة، كما سيأتي بيانه في المطلب القادم.

ثالثاً: الزبور : وهو كتاب الله تعالى الذي أنزله على داود ﷺ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٨)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لهذه الآية: "أنه أتى داود الزبور وهو: الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود ﷺ لفضله وشرفه"^(٩).

رابعاً: صحف إبراهيم وموسى:

الصحف: جمع صحيفة، وإنما غني بها: كتب إبراهيم ﷺ وموسى ﷺ^(١٠)، وكانت صحف إبراهيم ﷺ عشرة، وكذا صحف موسى ﷺ، والمراد بها: ما عدا التوراة^(١١).

وقد جاء ذكرها في موضعين من كتاب الله ﷻ:

(١) سورة المائدة: جزء من آية ٤٦.

(٢) سورة المائدة: جزء من آية ٤٦.

(٣) سورة المائدة: جزء من آية ٤٦.

(٤) سورة المائدة: جزء من آية ٤٦.

(٥) سورة المائدة: جزء من آية ٤٧.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٣٣).

(٧) سورة الأعراف: آية ١٥٧.

(٨) سورة النساء: آية ١٦٣.

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢١٤).

(١٠) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (٢٤ / ٣٧٧).

(١١) انظر: الألوسي، روح المعاني، ط ١، (٢٢ / ٣٨١).

الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ يَمَّا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ ^(١)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لهذه الآية: "أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به من الشرائع وأصول الدين وفروعه، وفي تلك الصحف أحكام كثيرة" ^(٢).

والموضع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ ^(٣)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسيره لهذه الآية "﴿إِنَّ هَذَا﴾" ^(٤) المذكور لكم في هذه السورة المباركة-سورة الأعلى-، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ^(٥)، ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ^(٦) ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ ^(٧) اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد ﷺ فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان" ^(٨).

وقد ذكر الإمام القرطبي-رحمه الله تعالى-المقصود بهذه الصحف عند تفسير هذه الآية بقوله: "إن هذا القرآن لفي الصحف الأولى؛ أي الكتب الأولى، قَالَ تَعَالَى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾" ^(٩)، يعني الكتب المنزلة عليهما، ولم يرد أن هذه الألفاظ يعينهما في تلك الصحف، وإنما هو على المعنى، أي معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف.

لحديث أبي ذر-رضي الله عنه-قال: قلت يا رسول الله ﷺ: فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟ قال: كانت أمثالا كلها: أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها ولو كانت من فم كافر،...، قال: قلت: يا رسول

(١) سورة النجم: الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٨٢١).

(٣) سورة الأعلى: الآيتان ١٨، ١٩.

(٤) سورة الأعلى: جزء من آية ١٨.

(٥) سورة الأعلى: جزء من آية ١٨.

(٦) سورة الأعلى: الآيتان ١٨، ١٩.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٩٢١).

(٨) سورة الأعلى: آية ١٩.

الله ﷻ: فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: كانت عبراً كلها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل! قال: قلت يا رسول الله ﷺ، فهل في أيدينا شيء مما كان في يديه إبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام، مما أنزل الله عليك؟ قال: نعم اقرأ يا أبا ذر^(١): قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝١٩﴾ (٢) ۝ (٣).

مما تقدم بين لنا الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - بأن نؤمن بأن الكتب الإلهية يصدق بعضها بعضاً، ولا يكذب بعضها بعضاً، فالإنجيل مصدق للتوراة، ونصدق بنسخ الشريعة اللاحقة للشريعة السابقة، وأن الكتب الإلهية كلها أنزلت لغاية واحدة وهدف واحد، أنزلت لتكون منهج حياة لخليفة الأرض. تقودهم بما فيها من تعاليم وأحكام وهداية، إلى الصراط المستقيم، أنزلت لتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم وتنيرها من ظلمات الحياة.

المبحث الثاني: تحريف بعض الكتب الإلهية.

المطلب الأول: تحريف أهل الكتاب لكلام الله ﷻ:

أخبر الله ﷻ في القرآن الكريم عن تحريف أهل الكتاب لكتب الله المنزلة عليهم وتغييرها وتبديلها. قال تعالى في حق اليهود: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾^(٤)، يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - هذا التحريف عند

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب البر والإحسان، باب، ما جاء في الطاعات وثوابها، (٢ / ٧٦)، رقم الحديث: ٣٦١،

قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً.

(٢) سورة الأعلى: الآيات ١٤ - ١٩

(٣) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، (٢٠ / ٢٥).

(٤) سورة البقرة: آية ٧٥.

عند اليهود فيقول عند تفسير الآية: " هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء" ^(١). ويقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ^(٢)،: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ ^(٣) أي: اليهود وهم علماء الضلال منهم.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ ^(٤) إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعا. فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد ﷺ على أنه غير مراد بها، ولا مقصود بها بل أريد بها غيره، وكتماهم ذلك" ^(٥).

وقال تعالى مخبرا عن النصارى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ^(٦)، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- مبينا نسيان النصارى للتمسك بالعهد عند تفسيره للآية: "أي: وكما أخذنا على اليهود العهد والميثاق، فكذلك أخذنا على ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى﴾ ^(٧) لعيسى ابن مريم عليهما السلام، وزكوا أنفسهم بالإيمان بالله ورسله وما وما جاءوا به، فنقضوا العهد، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ^(٨) نسيانا علميا، ونسيانا عمليا. ﴿

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٦).

(٢) سورة النساء: آية ٤٦.

(٣) سورة النساء: جزء من آية ٤٦.

(٤) سورة النساء: جزء من آية ٤٦.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٨٠).

(٦) سورة المائدة: آية ١٤.

(٧) سورة المائدة: جزء من آية ١٤.

(٨) سورة المائدة: جزء من آية ١٤.

فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ أي: سلطنا بعضهم على بعض، وصار بينهم من الشرور ما يقتضي بغض بعضهم بعضا ومعاداة بعضهم بعضا إلى يوم القيامة، وهذا أمر مشاهد، فإن النصارى لم يزالوا ولا يزالون في بغض وعداوة وشقاق. ﴿٢﴾ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٣﴾ فيعاقبهم عليه" (٣).

فدلت الآيات على تحريف اليهود والنصارى كتب الله المنزلة عليهم، وقد كان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى.

فدليل الزيادة: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (٤)، يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - هذا التحريف بالزيادة فيقول عند تفسير الآية: "توعد تعالى المحرفين للكتاب، الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون: ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾" (٥)، وهذا فيه إظهار الباطل وكنم الحق، وإنما فعلوا ذلك مع علمهم ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٦)، والدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل، فجعلوا باطلهم باطلهم شركا يصطادون به ما في أيدي الناس، فظلموهم من وجهين: من جهة تلبيس دينهم عليهم، ومن جهة أخذ أموالهم بغير حق، بل بأبطل الباطل، وذلك أعظم ممن يأخذها غصبا وسرقة ونحوهما، ولهذا توعدهم بهذين الأمرين فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (٧)، أي: من التحريف

(١) سورة المائدة: جزء من آية ١٤.

(٢) سورة المائدة: جزء من آية ١٤.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢٢٦).

(٤) سورة البقرة: آية ٧٩.

(٥) سورة البقرة: جزء من آية ٧٩.

(٦) سورة البقرة: جزء من آية ٧٩.

(٧) سورة البقرة: جزء من آية ٧٩.

والباطل ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، من الأموال، والويل: شدة العذاب والحسرة، وفي ضمنها الوعيد الشديد^(٢).

ودليل النقص: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾^(٣)، يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - هذا التحريف بالنقص فيقول عند تفسير الآية: "﴿قُلْ﴾^(٤)، لهم - ملزماً بفساد قولهم، وقرّرهم، بما به يقرون -: ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾^(٥)، وهو التوراة العظيمة ﴿نُورًا﴾^(٦) في ظلمات الجهل ﴿وَهُدًى﴾^(٧) من الضلالة، وهاديا وهاديا إلى الصراط المستقيم علما وعملا وهو الكتاب الذي شاع وذاع، وملاً ذكره القلوب والأسماع. حتى أنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس، ويتصرفون فيه بما شاءوا، فما وافق أهواءهم منه، أبدوه وأظهروه، وما خالف ذلك، أخفوه وكنموه، وذلك كثير"^(٨).

مما تقدم دلت هذه الآيات على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل، ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحريف والتغيير، وهذا ما وافق عليه الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - علماء المسلمين.

المطلب الثاني: سلامة القرآن من التحريف وحفظه.

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريف والتبديل وهو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانتة إياه كما أخبر الله ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٩)

(١) سورة البقرة: جزء من آية ٧٩.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٦).

(٣) سورة الأنعام: جزء من آية ٩١.

(٤) سورة الأنعام: جزء من آية ٩١.

(٥) سورة الأنعام: جزء من آية ٩١.

(٦) سورة الأنعام: جزء من آية ٩١.

(٧) سورة الأنعام: جزء من آية ٩١.

(٨) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٦٤).

﴿^(١)، يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حفظ الله تعالى للقرآن في حال إنزاله وبعد إنزاله فيقول: "﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾^(٢)، أي: القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣)، أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه فيها ثم في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلط عليهم عدوا يحتاجهم"^(٤).
يحتاجهم"^(٤).

وقال-رحمه الله تعالى-في موضع آخر: "وهذا شامل لتكفله تعالى بحفظ ألفاظ القرآن ومعانيه؛ وهذا من أعظم براهين الدين الإسلامي، فإن هذا الحفظ الذي تكفل الله به قد تقرر عند الخلق لهذا الكتاب العظيم ولمعانيه ولأحكامه الكلية، فالقرآن نقله المسلمون، نقلوا ألفاظه ومعانيه نقلاً متواتراً، قرناً بعد قرن، يحفظه المسلمون حفظاً يستغنون به عن المصاحف"^(٥). فدلّت هذه الآية على كمال حفظ الله للقرآن لفظاً ومعنى بدءاً بنزوله إلى أن يأذن الله برفعه إليه سليماً من كل تغيير أو تبديل.

مما تقدم بيّن لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى-وجوب الإيمان بالكتب الإلهية السابقة، والتصديق الجازم بها، ومجرد التصديق لا يكفي في القرآن، فلا بدّ مع التصديق من الأخذ به والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه؛ لأنه الكتاب الوحيد المحفوظ من لدن حكيمٍ حميدٌ.

(١) سورة الحجر: آية ٩.

(٢) سورة الحجر: جزء من آية ٩.

(٣) سورة الحجر: جزء من آية ٩.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٢٩).

(٥) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الأول)، ط١، (١٣/٢٤٩).

المبحث الثالث: الإيمان بالقرآن الكريم وخصائصه.

المطلب الأول: الإيمان بالقرآن الكريم.

*القرآن الكريم: هو معجزة^١ الإسلام الخالدة التي لا يزيد لها التقدم العلمي إلا رسوخاً في الإعجاز، و هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله ﷺ وحيّاً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، وهو اللفظ المنزل به جبريل عليه السلام على محمد - ﷺ - ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، المتعبد بتلاوته^(٢).

وهو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، وهو آخر كتب الله نزولاً وأشرفها وأكملها، يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - (ت ٧٧٤هـ): "جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع

^١ المعجزة هي: ما يجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد ويختبرون بها ويخبرون بها عن الله لتصديق ما بعثهم به، انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٩٧.

(٢) انظر: الطحاوي، العقيدة الطحاوية، ط ١، (١ / ٢٤)، وانظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ط ٣، (١ / ١٧)، (١ / ٥)، القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ط ١، (١ / ٢٢).

فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها" (١).

ويبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - هيمنة القرآن على غيره من الكتب الإلهية بقوله:
"السلف متفقون على أن القرآن هو: المهيمن المؤمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب وهو أعلى منها درجة، فإنه قرر ما فيها من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً وبين الأدلة والبراهين على ذلك" (٢).

والقرآن كتاب ناسخ لما قبله من الكتب، وقد كانت دعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن.
قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٣)، وقد بين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - بأن القرآن الكريم كتابٌ كثر خيره، وتعاضمت أوصافه فقال: "﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾" (٤)
أي: تعاضمت أوصافه وكثرت خيراته الذي من أعظم خيراته ونعمه أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام والهدى والضلال وأهل السعادة من أهل الشقاوة، ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ (٥) مُحَمَّدٌ ﷺ الذي كمل مراتب العبودية وفاق جميع المرسلين، ﴿لِيَكُونَ﴾ (٦) ذلك الإنزال للفرقان على عبده ﴿لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٧) ينذرهم بأس الله ونقمه ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدى، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته" (٨)، فهذا ما

^١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٥٨٧/٢).

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٢٢.

(٣) سورة الفرقان: آية ١.

(٤) سورة الفرقان: جزء من آية ١.

(٥) سورة الفرقان: جزء من آية ١.

(٦) سورة الفرقان: جزء من آية ١.

(٧) سورة الفرقان: جزء من آية ١.

(٨) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٧٧).

ما يجب اعتقاده في كتب الله على سبيل الإجمال ، وسيأتي تفصيل ما يجب اعتقاده في خصائص القرآن الكريم على وجه الخصوص في المطلب التالي .

المطلب الثاني: خصائص الإيمان بالقرآن الكريم:

الإيمان بكتب الله ركن عظيم من أركان الإيمان على ما تقدم تقريره، ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الناسخ للكتب السابقة والمهيمن عليها والمتعبد به لعامة الثقلين بعد بعثة نبينا محمد ﷺ، اختص الإيمان به بخصائص ومميزات لا بد من تحقيقها للإيمان به بالإضافة إلى ما تم تقريره من مسائل في تحقيق الإيمان بالكتب إجمالاً، نوضحها مع كلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عنها، وهذه الخصائص هي:

أولاً: اعتقاد عموم دعوته وشمول الشريعة

لقد جمعت الشريعة الخاتمة محاسن الكتب الإلهية السابقة، وفاقتها كمالاً وجلالاً، و التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس لا يسع أحداً منهم إلا الإيمان به، ولا يعبدوا الله إلا بما شرع فيه، يقول الحسن البصري -رحمه الله- (ت ١١٠هـ): " أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة: التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان (القرآن) ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان " (١) .

و قد أشار الشيخ السعدي لذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۖ ﴾ (٢)، فقال: "﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۖ ﴾" أي: وأوحى الله إلي هذا القرآن الكريم لمنفعتكم ومصلحتكم لأنذركم به من العقاب الأليم و النذارة إنما تكون بذكر ما ينذرهم به من الترغيب والترهيب وبيان الأعمال والأقوال الظاهرة و الباطنة التي من قام بها فقد قبل النذارة فهذا

(١) أخرجه البيهقي، شعب الإيمان، كتاب التاسع عشر من شعب الإيمان هو باب: في تعظيم القرآن، ذكر فاتحة الكتاب، (٢) / (٤٥٠)، رقم الحديث: ٢٣٧١. وأورده السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل، د. ط، (٣ / ٣٣٦)، وأورده السيوطي، في الإكليل في استنباط التنزيل، د. ط، (٣ / ٣٣٦) .

(٢) سورة الأنعام: جزء من آية ١٩ .

(٣) سورة الأنعام: جزء من آية ١٩ .

القرآن فيه النذارة لكم أيها المخاطبون وكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية" (١).

ثانياً: اعتقاد نسخه لجميع الكتب السابقة

فلا يجوز لأهل الكتاب ولا لغيرهم أن يعبدوا الله بعد نزول القرآن بغيره ، فلا دين إلا ما جاء به، و لا عبادة إلا ما شرع الله فيه، وقد بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بأن دين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢)، فقال: "أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول، لأن دين الإسلام هو المتضمن للاستسلام لله، إخلاصاً وانقياداً لرسله فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكل دين سواه فباطل" (٣).

ثالثاً: سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن ويسرها.

ومن خصائص القرآن أنه كتاب سهل سمح ميسر، لا إصر فيه، ولا أغلال، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤) . يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إن القرآن جاء باليسير والسماحة، عند هذه الآية بقوله: "فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله، ما دعا إليه وأمر به، ونهى عنه، وأحله وحرمه، فإنه ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٥٢).

(٢) سورة آل عمران: جزء من آية ٨٥.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ١٣٧).

(٤) سورة الأعراف: آية ١٥٧.

الطَّيِّبَتِ ﴿١﴾ من المطاعم والمشارب، والمناكح، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَ﴾ (٢) من المطاعم والمشارب والمناكح، والأقوال والأفعال.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (٣) أي: ومن وصفه أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه، ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال (٤).

يقول الإمام الطبري-رحمه الله تعالى- عند هذه الآية مبيناً معنى إصرهم والأغلال: "يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التي أخذت عليهم في التوراة والإنجيل" (٥).

ويقول الإمام الألوسي-رحمه الله تعالى- عند هذه الآية مبيناً معنى إصرهم والأغلال: "أي: يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب أو منه ومن البدن، واحراق الغنائم، وتحريم السبت، وقطع الأعضاء الخاطئة، وتعين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية؛ فإنه وإن لم يكن مأموراً به في الألواح إلا أنه شرع بعد تشديداً عليهم على ما قيل، وأصل الأصر الثقل الذي يأصر صاحبه عن الحراك، والأغلال: جمع غل بضم الغين وهي في الأصل: الحديد التي تجمع يد الأسير إلى عنقه" (٦).

رابعاً: أن القرآن هو الكتاب الوحيد المحفوظ.

من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي. وقد أشار الشيخ السعدي إلى حفظه من التحريف عند تفسيره لقوله عز شأنه: ﴿وَلِئَلَّا

(١) سورة الأعراف: جزء من آية ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف: جزء من آية ١٥٧.

(٣) سورة الأعراف: جزء من آية ١٥٧.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٥٢).

(٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (١٣ / ١٦٦).

(٦) انظر: الألوسي، روح المعاني، ط ١، (٦ / ٣٩١).

لَكِنَّتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴿١﴾، فقال: ﴿وَلَئِنَّهُ لَكِنْتُ﴾^(٢)، جامع لأوصاف الكمال ﴿عَزِيزٌ﴾^(٣)، أي: منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء، ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(٤) أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٥) ﴿٦﴾.

خامساً: شمولية القرآن لوجوه كثيرة من الإعجاز.

تعجز البشرية من الأولين والآخرين أن يطفؤوا نور الله تعالى، بل أن يأتوا بآية منه، ومن وقت نزول القرآن وإلى أن تقوم الساعة والتحدّي قائم، والبشر عاجز وفي غاية العجز عن ذلك؛ وقد بيّن الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - التحدي بالقرآن الكريم فقال: "ومن ذلك تحديه للخلق كلهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سور منه أو سورة واحدة، وأنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؛ فلم يقدر ولن يقدر أحد من الأولين والآخرين على شيء من ذلك، مع كثرة الأعداء، وجدهم البليغ في إطفاء نور الله، وردّ ما جاء به الرسول ﷺ، ومن نزول القرآن وإلى أن تقوم الساعة والتحدّي قائم، والبشر عاجز وفي غاية العجز عن ذلك؛ ومن طفق من بعض المكابرين أن يجاريه أو يعارضه أو يأتي بمثله ظهر عيئه وصار ضحكة لأولي البصائر والألباب" ^(٧).

سادساً: القرآن فيه التبيان لكل شيء:

(١) سورة فصلت: الآيتان ٤١، ٤٢.

(٢) سورة فصلت: جزء من آية ٤١.

(٣) سورة فصلت: جزء من آية ٤١.

(٤) سورة فصلت: جزء من آية ٤٢.

(٥) سورة الحجر: آية ٩.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٥٠).

(٧) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية - المجلد الأول)، ط ١، (٢٢٢ / ١٣).

مما يحتاج له الناس في أمر دينهم، ودنياهم، ومعاشهم، ومعادهم. وقد أبرز شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - (ت ٧٢٨ هـ) ذلك بقوله: "مُحَمَّدٌ ﷺ لم يكن في نبوته محتاجاً إلى غيره ؛ فلم تحتج شريعته إلى سابق ولا إلى لاحق ؛ بخلاف المسيح أحلهم في أكثر الشريعة على التوراة وجاء المسيح فكمّلها ؛ ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح : كالتوراة والزبور، ... والأُمم قبلنا محتاجين إلى محدثين ؛ بخلاف أمة مُحَمَّدٍ ﷺ فإن الله أغناهم به فلم يحتاجوا معه إلى نبي ولا إلى محدث ؛ بل جمع له من الفضائل والمعارف" (١).

وقد أبان الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - تبيان القرآن لكل شيء في الحياة ؛ وبالتالي صار حجة عليهم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨٩) ، فقال: " ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٢) ، في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمروها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبيدها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتشمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصى، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح.

والرحمة ما ترتب على ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١١ / ٢٢٤).

(٢) سورة النحل: آية ٨٩.

(٣) سورة النحل: جزء من آية ٨٩.

الفاضلة، والرزق الواسع والنصر على الأعداء بالقول والفعل ونيل رضا الله تعالى وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم" (١).

سابعاً: كمال هداية القرآن للتي هي أقوم.

قَعَدَ الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - القاعدة التاسعة والخمسون قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^٢ في بيان ما احتوى هذا الكتاب المجيد من عقائد وأخلاق وسياسات دينية ودنيوية بقوله: "ما أعظم هذه القاعدة، وما أحكم هذا الأصل العظيم الذي نص الله نصاً صريحاً على عموم ذلك، وعدم تقييد هذا الهدى بحالة من الأحوال فكل حالة هي أقوم، في العقائد والأخلاق والأعمال والسياسات الكبار والصغار والصناعات والأعمال الدينية والدنيوية فإن القرآن يهدي إليها ويرشد إليها، ويأمر بها ويحث عليها. معنى ﴿أَقْوَمُ﴾^٣ أي أكرم وأنفس وأصلح وأكمل استقامة، وأعظم قياماً وصالحاً للأمر.

فأما **العقائد** فإن عقائد القرآن هي العقائد النافعة التي فيها لصلاح القلوب وحياتها وكمالها، فإنها تملأ القلوب عزة وكرامة بشعورها بالتجرد من الذل لمخلوق مثلها، وشرفها بتخصصها لمحبة الله تعظيماً له وتألهاً وتعبداً وإنابة، وهذا المعنى هو الذي أوجد الله الخلق لأجله.

وأما **أخلاقه** التي يدعو إليها فإنه يدعو إلى التحلي بكل خلق جميل، من الصبر والحلم والعفو والأدب وحسن الخلق وجميع مكارم الأخلاق، ويحث عليها بكل طريق ويرشد إليها بكل وسيلة. وأما الأعمال الدينية التي يهدي إليها: فهي أحسن الأعمال التي فيها القيام بحقوق الله وحقوق العباد على أكمل الحالات وأجلها وأسهلها وأوصلها إلى المقاصد.

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٤٦).

^٢ سورة الإسراء: جزء من آية ٩

^٣ سورة الإسراء: جزء من آية ٩

وأما السياسات الدينية والدنيوية: فهو يرشد إلى سلوك الطرق النافعة في تحصيل المقاصد والمصالح الكلية، وفي دفع المفاسد، ويأمر بالتشاور على ما لم تتضح مصلحته والعمل بما تقتضيه المصلحة في كل وقت بما يناسب ذلك الوقت والحال. حتى في سياسة الوالد مع أولاده وزوجه وأهله وخادمه وأصحابه و معامليه، فلا يمكن أنه وجد أو يوجد حالة يتفق العقلاء أنها أقوم وأصلح من غيرها، إلا القرآن يرشد إليها نصاً وظاهراً، أو دخولاً تحت قاعدة من قواعده الكلية.

وتفصيل هذا الأصل لا يمكن استيفاءه في هذه القواعد الإجمالية، فكل التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة، وما تقتضيه المصالح تفصيلاً لهذا الأصل المحيط. وبهذا وغيره تبين لك أنه لا يمكن أن يرد علم صحيح أو معنى نافع أو طريق صلاح ينافي القرآن^(١).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: "وقد أخبر الله في عدة آيات أن القرآن هدي للناس، وأنه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، ويهدي للتي هي أقوم، فكل أمر فيه خير وصلاح ونفع فالقرآن يهدي إليه، ويرشد العباد إليه"^(٢).

ومع هداية القرآن الكريم البشرية للتي هي أقوم؛ بما احتوى من عقائد وأخلاق؛ لصلاح القلوب وحياتها وكماها، لا يعني ذلك أن الكتب الإلهية السابقة ليس فيها هداية؛ بل احتوت على هداية البشرية؛ لكن القرآن الكريم تميّز بكمال الهداية.

ثامناً: خلود معجزة القرآن :

القرآن هو: المعجزة العظمى ، وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ﷺ وأتباعه إلى قيام الساعة، والإنسان حالياً لا يستطيع أن يرى معجزة موسى عليه السلام، أو معجزة عيسى عليه السلام؛ لأنها كانت معجزات وقتية أظهرها كل نبي لقومه في زمانه، ولا يمكن رؤيتها حالياً، ولكن نؤمن بها من خلال إيماننا بالقرآن الكريم الذي يذكرها، أمّا بالنسبة إلى معجزة القرآن الكريم فإنها تختلف عن سائر معجزات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بأنها معجزة خالدة مستمرة طوال الدهور والعصور،

^١ انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، ط ١، ص ١٤٦.

^(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الأول)، ط ١، (٢٨٠/١٣).

ويمكن أن يطلع على هذه المعجزة أيّ إنسان في كلّ زمان ومكان، والسبب في ذلك هو أنّ نبيّنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا يوجد نبي بعده، وأن رسالته مستمرة إلى يوم القيامة، ولذلك فقد جعل الله معجزة القرآن مستمرة وخالدة إلى يوم القيامة، وتكون حجة على الناس ليؤمنوا بالإسلام ويتبعوه ولا يعتدروا بأنهم لم يستطيعوا معرفة الحق من الباطل، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٦٥) ﴿١﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦٩) ﴿٢﴾، يبين الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-قوة هذه الحجة التي لم يبق معها عذر لمبطل، عند هذه الآية بقوله: "أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا" (٣). فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الإلهية الأخرى، ما لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علماً وعملاً.

مما تقدم بيّن لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-خصائص الشريعة الخاتمة: هو الكتاب الإلهي الوحيد الذي يصلنا بالله بعد بعثة الرسول ﷺ، فالقرآن هو العصمة من الضلال والهلاك لمن تمسك به، والفتن التي تمرّ بالمسلم وتعصف بالأمة لا سبيل للخلاص منها إلا بالأخذ بهذا الكتاب الإلهي، وقد تكفل هو بحفظها، ولم يكل حفظها إلى البشر، وهي: الشريعة الإلهية الخاتمة التي لا تحتاج إلى شريعة سابقة عليها، ولا إلى شريعة لاحقة لها.

المبحث الرابع: الكتب الإلهية والملاحدة.

(١) سورة النساء : آية ١٦٥

(٢) سورة الأنعام: آية ١٤٩

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٧٨) (١ / ٢١٤).

إن الإيمان الذي يميز به المؤمن من الملحد، أن المؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله ﷺ، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه. بخلاف الزنادقة والمكذابين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم. وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله^(١)، وهذا ما أبرز فيه الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- عقيدة هؤلاء المنحرفين.

وقد بيّن الإمام ابن القيم-رحمه الله تعالى-(ت ٧٥١هـ) عقيدة الملاحدة في الكتب بعد أن ذكر عقيدتهم في الإيمان بالملائكة بقوله: "وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك فإنه ما قال شيئاً ولا يقول ولا يجوز عليه الكلام ومن تقرب منهم إلى المسلمين يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في نفسه بحيث توهمها أصواتا تخاطبه وربما قوي الوهم حتى يراها أشكالا نورانية تخاطبه وربما قوي ذلك حتى يخيلها لبعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج"^(٢).

ويدعو الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- هؤلاء الملاحدة إلى تفسير بطلان معتقداتهم الزائفة عن الحق بقوله: "وندعوهم أيضاً بشرح ما في أديانهم الباطلة، وما احتوت عليه من القبح، ويقارن بينها وبين دين الإسلام، ليتبين ويتضح ما يجب إثارة، وما يتعين اختياره، ويدعوهم بالتي هي أحسن. فإذا وصلت بهم الحال إلى العناد والمكابرة الظاهرة توعدهم بالعقوبات الصواري، وبين للناس طريقتهم التي

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٤٠). "بتصرف".

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط ٢، (٢/ ٢٦٢).

كانوا عليها، وأنهم لم يخالفوا الدين جهلاً وضلالاً أو لقيام شبهة أوجبت لهم التوقف، وإنما ذلك جحود ومكابرة وعناد"^١.

ومن سار على ركاب هؤلاء الملاحدة، واقتفى آثارهم الملحد القصيمي ، وبَيَّن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى - في كتابه: "تنزيه الدين وحملته " ضلال هذا الرجل ،وعقيدته الفاسدة في أصول الإيمان ، وخاصة الإيمان بالكتب بقوله: " ثم إن هؤلاء المنحرفين الملحدون الذين انخدع هذا الكاتب بدعايتهم الخبيثة يدعون إلى نبذ كل قديم واعتناق كل جديد، وقد أبدى هذا الكاتب في هذا وأعاد وكرر ذلك مردياً بهدم القديم هدم أصول الدين وقواعده... وهذه الدعاية الخبيثة مقصودها الأعظم وأساسها الذي بنيت عليه رفض الشرائع والأديان والانحلال من قيود الدين وحله وتحريمه وجميع أحكامه والانخراط في سلك المعطلين لرب العالمين المنحليين لجميع الشرائع الدين وأول ما يدخلون في هذا الأصل الباطل رفض ما جاء به الرسول ﷺ من أصول وأخلاق وأعمال وغيرها وتواصلوا بهذا إلى الطعن في خير القرون و إهدار أقوالهم وعقائدهم وعلومهم بل وجميع محاسنهم و الحمل على حَمَلَة الشريعة و أئمة الهدى ومصابيح الدجى"^٢.

مما تقدم تبين أن الآيات القرآنية وما طرحه العلماء، ومنهم الشيخ السعدي-رحمهم الله تعالى - من بَيِّنات عن هذا الأصل العظيم، يقتضي أن يجعل هذا الكتاب الإلهي هو المرجع الأول والأخير في التعرف على الدين الذي يريده الله تعالى، ولا يجوز أن نستبدل النور إلى ظلمات هؤلاء الملاحدة الضالين عن الصراط المستقيم.

وأخيراً يجب علينا الإيمان بالكتب الإلهية، وخاصة الرسالة الإلهية الخاتمة لهم، إيماناً حقيقياً يثمر الثمرات اليانعة التالية:

^١ انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، ط ١، ص ١٠١.

^٢ انظر: السعدي، تنزيه الدين وحملته، د.ط، ص ٢٠-٢١.

أولاً: العلم برحمة الرحمن بخلقه؛ حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

ثانياً: العلم بحكمة الحكيم سبحانه؛ حيث شرع لكل قوم ما يناسبهم، ويلائم أحوالهم.

ثالثاً: السير على طرقٍ مستقيمةٍ واضحةٍ منيرةٍ لا اضطراب فيها ولا اعوجاج.

رابعاً: الفرح الإيجابي بفضل الله الكريم المنان، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^١، وشكر المنعم عليها.

خامساً: التحرر من التخبط الديني والفكري والعقدي، من خرافات أفكار البشر بالهدى الإلهي.

وهذا ما تم بيانه عن الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالكتب الإلهية، والإيمان بالكتب الإلهية يتضمن الإيمان بالرسل، وهذا ما سيتم توضيحه في الفصل الثالث: الذي هو بعنوان: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسل. والله ولي الإحسان.

^١ سورة يونس: آية ٥٨

الفصل الثالث: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسول.

إن الإيمان بالرسول من أهم مسائل الاعتقاد؛ وذلك لكونه أحد أصول وأركانها، التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، ولكون الرسول هم الواسطة بين الله والمكلفين، فهم الذين يبلغون كلام الله سبحانه، ووحيه، وتنزيله.

والله سبحانه قد أرسل الرسول فقطع بهم العذر، وأقام بهم الحجة، فما من خير يعلمونه لأئمتهم إلا ودلوهم عليه، وما من شر يعلمونه لأئمتهم إلا وحذروهم منه، فما ماتوا إلا وقد تركوهم على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد اهتم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ببيان هذا الأصل العظيم وتوضيحه في كتبه، وهذا ما سنقف عنده مع المباحث التالية:

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسول.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفارق بينهما.

المبحث الثالث: صفات الرسول وشروطه.

المبحث الرابع: دلائل النبوة.

المبحث الخامس: عصمة الأنبياء.

المبحث السادس: مميزات نبوة محمد ﷺ.

المبحث السابع: نبوة محمد ﷺ والملاحدة.

المبحث الثامن: ثمرات الإيمان بالرسول.

المبحث الأول: حكم الإيمان بالرسول.

المطلب الأول: حكم الإيمان بالرسول إجمالاً.

الإيمان برسول الله تعالى واجب من واجبات هذا الدين ، وركن عظيم من أركان الإيمان. وقد برزت عناية الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- ببيان هذا الركن الإيماني العظيم، من خلال ما طرحه في كتبه؛ فتناول الإيمان بالرسول جملة وتفصيلاً وخص بالذكر خاتمهم وسيدهم محمد ﷺ.

وضَّح الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- حكم الإيمان بالرسول إجمالاً بقوله عند تفسيره

لقوله تعالى: ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلُّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ۝﴾^(١)، "يخبر تعالى عن إيمان الرسول ﷺ والمؤمنين معه، وانقيادهم وطاعتهم وسؤالهم مع ذلك المغفرة، فأخبر أنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله، وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله على وجه الإجمال والتفصيل، وتنزيهه عن التمثيل والتعطيل وعن جميع صفات النقص، ويتضمن الإيمان بالملائكة الذين نصت عليهم الشرائع جملة وتفصيلاً، وعلى الإيمان بجميع الرسل والكتب، أي: بكل ما أخبرت به الرسل وتضمنته الكتب من الأخبار والأوامر والنواهي، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله، بل يؤمنون بجميعهم، لأنهم وسائط بين الله وبين عباده، فالكفر ببعضهم كفر بجميعهم بل كفر بالله"^(٢).

وقال-رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحداً من رسله فقد عادى الله وعادى جميع رسله، وكذلك مَنْ كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٥.

(٢) انظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٢٠).

حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ ^(١) ، وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر ^(٢) .

وبين - رحمه الله تعالى - لا إيمان مع تكذيب الرسول ﷺ بقوله: " فلا إيمان مع تكذيب الرسول ﷺ و معاداته، ولا كفر مع تصديقه وطاعته " ^(٣) . قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ^(٤) ، يوضح الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أن الإيمان الحقيقي هو الإيمان بكل ما جاءوا به بقوله عند تفسيره للآية: " ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ^(٥) وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه وبكل ما جاءت به الرسل من الأخبار والأحكام. ﴿ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ ﴾ ^(٦) من رسله، بل آمنوا بهم كلهم، فهذا هو الإيمان الحقيقي، واليقين المبني على البرهان.

﴿ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ ﴾ ^(٧) أي: جزاء إيمانهم وما ترتب عليه من عمل صالح، وقول حسن، وخلق جميل، كلٌّ على حسب حاله. ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم، ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ^(٨) يغفر السيئات ويتقبل الحسنات ^(٩) .

(١) سورة النساء: جزء من آية ١٥١.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢١٢).

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٤٥.

(٤) سورة النساء: آية ١٥٢.

(٥) سورة النساء: جزء من آية ١٥٢.

(٦) سورة النساء: جزء من آية ١٥٢.

(٧) سورة النساء: جزء من آية ١٥٢.

(٨) سورة النساء: جزء من آية ١٥٢.

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢١٢).

و يبين شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-(ت٧٢٨هـ) -حكم الإيمان بالرسل بقوله : "بأن يؤمن بجميع الرسل وبجميع ما أنزل إليهم؛ فمن آمن ببعض الرسل وكفر ببعض أو آمن ببعض ما أنزل الله وكفر ببعض فهو كافر " ،"فأخبر أن المؤمنين بجميع الرسل هم أهل السعادة وأن المفرقين بينهم بالإيمان ببعضهم دون بعض هم الكافرون حقاً"^(١) .

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالرسل تفصيلاً.

كما بيّن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-حكم الإيمان بالرسل تفصيلاً عندما سُئل ما صفة الإيمان بالأنبياء على وجه التفصيل؟ فقال في جوابه: "علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل الذين ثبتت نبوتهم ورسالتهم على وجه الإجمال والتفصيل.

* - ونعتقد أن الله تعالى اختصهم بوحيه ، وإرساله .

* - وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه وشرعه .

* - وأيدهم بالآيات الدالة على صدقهم ، وصحة ما جاؤا به .

* - وأنهم أكمل الخلق علماً ، وعملاً ، وأصدقهم ، وأبرهم ، وأكملهم أخلاقاً ، وأعمالاً .

* - وأن الله خصهم بفضائل ؛ لا يلحقهم فيها أحد ، وبرأهم من كل خلق رذيل .

* - وأنهم معصومون في كل ما يبلغونه عن الله .

* - وأنه لا يستقر في خبرهم وتبليغهم إلا الحق والصواب .

* - وأنه يجب الإيمان بهم كلهم وبكل ما أتوه من الله ، ومحبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم .

* - ونؤمن أن هذه الأمور واجبه علينا لنبينا مُحَمَّد ﷺ على أكمل الوجوه وأعلاها .

^١ انظر: ابن تيمية ،مجموع الفتاوى، (١٢ / ١١) ، (٩ / ٣٢).

*-وأنه يجب معرفته، ومعرفة ما جاء به من الشرع جملة وتفصيلاً بحسب الاستطاعة، والإيمان بذلك، والتزامه، والتزام طاعته في كل شيء بتصديق خبره، وامتنال أمره، واجتناب نهيّه.

*-وأنه خاتم النبيين لا نبي بعده قد نسخت شريعته جميع الشرائع وهي باقية إلى قيام الساعة.

*-ولا يتم الإيمان به حتى يعلم العبد أن جميع ما جاء به حق.

*-وأنه يستحيل أن يقوم دليل عقلي وحسي أو غيرهما على خلاف ما جاء به، بل العقل الصحيح، والأمور الحسية والواقعة؛ تشهد للرسول بالصدق والحق^(١).

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد وافق عقيدة أهل السنة في حكمه على الإيمان بالرسول؛ بأن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل الذين ثبتت نبوتهم ورسالتهم على وجه الإجمال والتفصيل.

(١) انظر: السعدي، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط١، ص ١٩-٢٠.

المبحث الثاني: تعريف النبي والرسول والفارق بينهما.

المطلب الأول: تعريف النبي والرسول.

النبي لغةً: مشتق من النبأ، وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ (١)، وسمي النبي نبياً لأنه مخبرٌ من الله ، ويخبر عن الله فهو مُخْبِرٌ ومُخْبَرٌ.

وقيل: النبوة مشتقة من النبوة، وهي ما ارتفع من الأرض، وسمي النبي نبياً على هذا المعنى: رفعة محله على سائر الناس. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧) (٢). ولأنَّ النبيَّ ذو رفعة وقدر عظيم في الدارين: الدنيا والآخرة ، فالأنبياء هم أشرف الخلق ، وهم الأعلام التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم (٤).

والرسول لغةً: مشتق من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخبراً عن ملكة سبأ: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥) (٥)، فيقال: وَأَرْسَلْتُ فلاناً في رسالةٍ، فهو مُرْسَلٌ ورسولٌ، والجمع

(١) سورة النبأ: الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة مريم: آية ٥٧.

(٣) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، د.ط، مادة: "نبي"، (١/٧٤)، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د.ط، مادة: "نبي"، (٥/٣٨٥).

٤ انظر: عمر الأشقر، الرسل والرسالات، ط ٤، ص ١٤.

(٥) سورة النمل: آية ٣٥.

رُسِّلَ ورُسِّلَ^(١). وعلى ذلك فالرُّسل إنما سَمَّوا بذلك؛ لأنَّهم وُجِّهوا من قبل الله تعالى، وهم مبعوثون برسالة معينة مُكَلَّفون بحملها وتبليغها ومتابعتها^(٢).

وقد بيَّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تعريف كل من النبي والرسول بقوله: "نفس النبوة: تتضمن الخبر؛ فإن النبوة مشتقة من الإنباء، وهو الإخبار بالمغيب، فالنبي يخبر بالغيب و يمتنع أن يقوم دليل صحيح على أن كل ما أخبر به الأنبياء يمكن معرفته بدون...، خبرهم، ولهذا كان أكمل الأمم علماً المقرون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية"^(٣)، و"الرسول: هو المخبر عن المرسل بما أمره أن يخبر به؛ علم بذلك أنه صادق -أي مُحَمَّد ﷺ- فيما يخبر به عن الله تعالى"^(٤).

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أرجحها:

أن النبي: هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.

والرسول: هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمر الله ليبليغ رسالة الله.

المطلب الثاني: الفرق بين الرسول والنبي.

أن النبي هو: من نبأه الله بأمره ونهيه ليخاطب المؤمنين ويأمرهم بذلك ولا يخاطب الكفار ولا يرسل إليهم. وأما الرسول فهو: من أُرسل إلى الكفار والمؤمنين ليبليغهم رسالة الله ويدعوهم إلى عبادته.

(١) الجوهرى، مرجع سابق، (١ / ٢٥٣)، ابن فارس، مرجع سابق، (٢ / ٣٩٢).

^٢ انظر: عمر الأشقر، مرجع سابق، ص ١٥.

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٤٦ "باختصار".

(٤) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٣٥.

لا يصح قول من ذهب إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبي؛ لأن هناك أمور تدل على الفرق بين النبي والرسول^(١)؛ وهي:

أولاً: عطف النبي على الرسول، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

ثانياً: وصف بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله في حق موسى عليه السلام: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٣).

ثالثاً: التعريف الشائع عند العلماء أن النبي أعم من الرسول، فالرسول: هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي: من أوحى إليه ولم يؤمر بالبلاغ، وعلى ذلك فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً^(٤).

رابعاً: أما رأى الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في هذه المسألة فهو واضح مبين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٥)، حيث يقول: "أي: واذكر في هذا القرآن العظيم موسى بن عمران، على وجه التبجيل له والتعظيم، والتعريف بمقامه الكريم، وأخلاقه الكاملة، ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾^(٦) قرئ بفتح اللام، على معنى أن الله تعالى اختاره واستخلصه، واصطفاه على العالمين. وقرئ بكسرها، على معنى أنه كان مخلص لله تعالى، في جميع أعماله، وأقواله، ونياته، فوصفه بالإخلاص في جميع أحواله، والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه، موجب لاستخلاصه، وأجل حالة يوصف بها العبد، الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾

^١ انظر: الآلوسي، روح المعاني، ط ١، (١٥٧/٧)، انظر: عمر الأشقر، الرسل والرسالات، ط ٤، ص ١٤ "بتصرف".

^٢ سورة الحج: آية ٥٢

(٣) سورة مريم: آية ٥١.

(٤) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص (١٦٧)، السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط ٢، (٤٩/١)، وانظر كلام الشيخ ناصر الدين الألباني على أسانيده في سلسلة الصحيحة، ص ٢٦٦٨.

(٥) سورة مريم: آية ٥١.

(٦) سورة مريم: جزء من آية ٥١.

﴿١﴾ أي: جمع الله له بين الرسالة والنبوة، فالرسالة تقتضي تبليغ كلام المرسل، وتبليغ جميع ما جاء به من الشرع، دقه وجله. والنبوة تقتضي إحياء الله إليه وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق، بل خصه الله من أنواع الوحي، بأجل أنواعه وأفضلها، وهو: تكليمه تعالى وتقريبه مناجيا لله تعالى، وبهذا اختص من بين الأنبياء، بأنه كليم الرحمن " (٢).

خامساً: وهذا الذي ذكره العلماء والشيخ السعدي -رحمهم الله تعالى- بعيد لأمر :

الأول : أن الله نصَّ على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢) ، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ فالإرسال يقتضي من النبيّ البلاغ .
الثاني : أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى ، والله لا ينزل وحيه ليكنتم ويدفن في صدر واحد من الناس ، ثم يموت هذا العلم بموته . فدلّ هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم .

سادساً: التعريف الراجح: الرسول مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد ، والنبيّ هو المبعوث لتقرير شرع من قبله.

مما سبق نقول إن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-عرّف الرسالة والنبوة، بأن الرسالة تقتضي تبليغ كلام المرسل، وتبليغ جميع ما جاء به من الشرع، دقه وجله، والنبوة تقتضي إحياء الله إليه وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق.

المبحث الثالث: صفات الرسول وشروطه.

المطلب الأول: صفات الرسول ﷺ ودينه:

(١) سورة مريم: جزء من آية ٥١ .

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٩٥).

٢ سورة الحج: آية ٥٢

لقد خصّ الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ - بأجمل الصفات وأحسنها وأتمّها من الظاهر والباطن، وإنّ أهمّ ما خصّه به من الوصف العظيم: تقوى الله وحسن الخلق، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وغيرها من الصفات الجميلة، وقد ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في عدة مواطن من كتابه (طريق الوصول إلى العلم المأمول) صفات لرسول ﷺ ولدينه ومنها:

أولاً: جمع الله فيه أكمل الصفات.

"وتمجّد ﷺ قد جمع الله فيه أكمل الصفات وأفضلها التي يوصف بها الأنبياء في نفسه وأخلاقه، وفي دينه وشريعته وما جاء به، وفي آياته وبراهينه المتنوعة التي هي أكثر وأقوى وأوضح من جميع البراهين اليقينية الدالة على صدقه وصحة ما جاء به، فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله؛ علم علماً يقيناً أنه ليس بشاعر ولا كاهن ولا كاذب" (١).

ثانياً: علاقته بربه، وبالخلق.

"جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته، وجمع ﷺ بين الاستعاذة من المأثم والمغرم؛ لأن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا...، فإن من اتقى الله أدرك نعيم الآخرة، ومن أجمل في الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها" (٢).

ثالثاً: الرسول أعلم الخلق بالحق.

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٣٤ "بتصرف".

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

"الرسول أعلم الخلق بالحق، وأقدر الناس على بيان الحق، وأنصح الخلق للخلق، وهذا يوجب أن يكون بيانه للحق أكمل من بيان كل أحد" (١).

رابعاً: وصفه بعلوم وأعمال النبوة.

"والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها وهي: أشرف العلوم وأشرف الأعمال، فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب والعالم لا يخلو من آثار النبوة والرسالة، ومحمد ﷺ، قد جمع الله فيه أكمل الصفات وأفضلها التي يوصف بها الأنبياء في نفسه وأخلاقه، وفي دينه وشريعته وما جاء به، وفي آياته وبراهينه المتنوعة التي هي أكثر وأقوى وأوضح من جميع البراهين اليقينية الدالة على صدقه وصحة ما جاء به" (٢).

خامساً: بيان الدين باطناً وظاهراً.

"الرسول ﷺ بين الدين أصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله، وهذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الأصل كان أولى بالحق علماً وعملاً" (٣).

سادساً: دلالة الخلق بالأدلة العقلية والبراهين اليقينية.

"وقد دلَّ الرسول ﷺ الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، التي بها يعلمون المطالب الإلهية، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله، و وحدانيته وصفاته...، فالرسول بين الأدلة العقلية الدالة عليها

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٣٧.

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٣٤.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٢٦.

—على الأمور المعلومة بالخبر الصادق— فجمع بين الطريقين : السمعي والعقلي، ودلالة الكتاب والسنة ليس بمجرد الخبر بل ولا الخلق، وهديهم إلى الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين^(١).

سابعاً: إقامة العدل.

"فإن الله أرسل رسوله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات العدل وتبين وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه، ولم يحصر الله ورسوله طرق العدل في أمور معينة فأبي طريق استخرج بها العدل والقسط فهو من الدين"^(٢).

ثامناً: وإنه لعلی خلقٍ عظيم.

"الخلق العظيم الذي وصف به مُحَمَّد ﷺ، فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقاً، وحقيقته المبادرة إلى امتثال ما يحبه الله بطيب نفس، وانشرح صدر"^٣.

ومع هذه الصفات النبيلة التي يكرم الله بها من يشاء من عباده، فالنبوة بذاتها فضل من على عبده؛ كما أشار إلى ذلك الإمام السفاريني —رحمه الله تعالى— بقوله: "النبوة فضل من الله ونعمة يمن بها الرب الحكيم، والعلیم الكريم على من يشاء، ويريد إكرامه بها"^٤.

المطلب الثاني: شروط الرسول:

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٢٦.

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٩٧.

^٣ انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ١٣٧.

^٤ السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط ٢، (٢ / ٢٦٨).

أولاً: ألا يكون المرسل ملكاً.

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في ذلك عند قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾^(١): "﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾^(٢) أي: وأما أنتم فبشر مثلنا ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٣)، وهذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين، من الأمم وهي من أوهى الشُّبُه، فإنه ليس من شرط الإرسال، أن يكون المرسل ملكاً، وإنما شرط الرسالة، أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه، فليَقْدَحُوا، إن استطاعوا بصدقهم، بقادح عقلي أو شرعي، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً"^(٤)

ثانياً: نفي علم الغيب عنه.

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في ذلك عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾^(٥): "﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾^(٦)؛ فإني فقير مدبر، لا يأتيني خير إلا من الله، ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني الله تعالى.

﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾^(٧) أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع، و لحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، لعلمي بالأشياء قبل كونها،

(١) سورة فصلت : آية ١٤

(٢) سورة فصلت : جزء آية ١٤

(٣) سورة فصلت : جزء آية ١٤

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٤٦).

(٥) سورة الأعراف: آية ١٨٨

(٦) سورة الأعراف: جزء من آية ١٨٨

(٧) سورة الأعراف: جزء من آية ١٨٨

وعلمي بما تفضي إليه، ولكني -لعدم علمي -قد ينالني ما ينالني من السوء، وقد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، فهذا أدل دليل على أنني لا علم لي بالغيب.

﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾^(١)، أنذر العقوبات الدينية والدينية والأخروية، وأبين الأعمال المفضية إلى ذلك، وأحذر منها.

﴿وَبَشِيرٌ﴾^(٢)، بالثواب العاجل والآجل، ببيان الأعمال الموصلة إليه والترغيب فيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هذه البشارة والندارة، وإنما ينتفع بذلك ويقبله المؤمنون، وهذه الآيات الكريمات، مبينة جهل من يقصد النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضرر.

فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله، ولا يدفع الضرر عن من لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والندارة، وعمل بذلك، فهذا نفعه صلى الله عليه وسلم، الذي فاق نفع الآباء والأمهات، والأخلاء والإخوان بما حث العباد على كل خير، وحذرهم عن كل شر، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح"^(٣)

يقول الامام ابن تيمية -رحمه الله تعالى - معلقاً على قوله تعالى : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِن أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٤)، " يقول-أي محمد ﷺ - لست أول من أرسل أو ادعى الرسالة بل قد تقدم قبلي رسل ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين ، يقول-أي محمد ﷺ - لا أدعي علم الغيب ﴿إِن أَنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾

(١) سورة الأعراف: جزء من آية ١٨٨

(٢) سورة الأعراف: جزء من آية ١٨٨

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣١١).

(٤) سورة الأحقاف: آية ٩

وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾^(١)، أنذركم بما أمرني الله أن أنذركم به لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك وهذا من كمال صدقه وعدله وعبوديته لله وطاعته وتمييز ما يستحقه الخالق وحده مما يستحقه العبد فإن العلم بعواقب الأمور على وجه التفصيل مما استأثر الله بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وليس من شرط الرسول أن يعلم كل ما يكون وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(٢)، نفي لعلمه بجميع ما يفعل به وبهم وهذا لا يعلمه إلا الله^(٣) .

ثالثاً: ليس شرط أن يأتي بشريعة جديدة.

يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-في ذلك: " أن مُحَمَّدًا ﷺ ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد، وأنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضاً ويوافق بعضهم بعضاً، أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين، وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على رسوله ومنهم من لم يقصصه عليه وهذا يدل على كثرتهم^(٤) .

يقول الامام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-في ذلك: "وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فان يوسف عليه السلام كان رسولا وكان على ملة ابراهيم عليه السلام وداود عليه السلام وسليمان عليه السلام كانا رسولين^٥، وكانا على شريعة التوراة"^(١) .

(١) سورة الأحقاف: جزء من آية ٩

(٢) سورة الأحقاف: جزء من آية ٩

(٣) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ط ١، (٣ / ١٥٩).

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢١٤) "باختصار".

^٥ داود عليه السلام وسليمان عليه السلام كانا من أعظم أنبياء بني إسرائيل ، وجمع الله لهما بين النبوة والحكمة ، والملك العظيم القوي؛ لذا

فالأفضل أن نطلق عليهما أهما نبيان وليس رسولين-عليهما السلام. انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة

تفسير القرآن، ط ١، ص ١٩٠.

المبحث الرابع: دلائل النبوة.

المطلب الأول: المقصود من الدلائل.

الأنبياء اختصهم الله تعالى بوحيه، وإرساله، وتبليغ أمره ونهيهِ ووعدهِ ووعدهِ؛ ولذلك لا بد أن يقيم الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة صدق الرسل في دعواهم أنهم رسل الله كي تقوم الحجة على الناس، ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ^٢ أي : بالدلائل والآيات البينات التي تدلُّ على صدقهم .

وبيِّن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-المقصود من الدلائل بقوله: " إذا انتقض الدليل بطلت دلالاته، فإنه إنما يدل إذا كان مستلزماً للمدلول، فإذا كان تارة يوجد مع المدلول وتارة لا يوجد لم يكن مستلزماً فلا يكون دليلاً " ^(٣).

وقد أشار الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- أن دليل إثبات النبوة للرسل تأييدهم بالآيات والدلائل النبوية الدالة على صدقهم فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ ^(٤)، فقال: " ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ " ^(٥) أي: من بعد نوح ﷺ ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ ^(٦) المكذبين، يدعونهم إلى الهدى، ويحذرونهم من

(١) انظر: ابن تيمية، النبوات، د.ط، (١ / ١٨٥).

^٢ سورة الحديد: آية ٢٥

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٧٥.

(٤) سورة يونس: جزء من آية: ٧٤.

(٥) سورة يونس: جزء من آية: ٧٤.

(٦) سورة يونس: جزء من آية: ٧٤.

أسباب الردى. ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(١) أي: كل نبي أيد دعوته، بالآيات الدالة على صحة ما جاء به. ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢) يعني: أن الله تعالى عاقبهم حيث جاءهم الرسول، فبادروا بتكذيبه، طبع الله على قلوبهم، وحال بينهم وبين الإيمان بعد أن كانوا متمكنين منه^(٣).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: " الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل، وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق، وأنهم معصومون فيما يبلغون عن الله من الخبر والطلب لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ، كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسل من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم^(٤) .

ويوضح الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إقامة الحجة على الناس إذا جاءتهم الآيات والدلائل النبوية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾^(٥)، "﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾^(٦)، التي لا يبقى معها حجة لأحد. ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾^(٧) أي: من الناس ﴿بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٨) البيان القاطع للحجة،

(١) سورة يونس: جزء من آية: ٧٤.

(٢) سورة يونس: جزء من آية: ٧٤.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٣٧٠).

(٤) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٤٥.

(٥) سورة المائدة: جزء من آية ٣٢.

(٦) سورة المائدة: جزء من آية ٣٢.

(٧) سورة المائدة: جزء من آية ٣٢.

(٨) سورة المائدة: جزء من آية ٣٢.

الموجب للاستقامة في الأرض ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾^(١) في العمل بالمعاصي، ومخالفة الرسل الذين جاءوا بالبينات والحجج"^(٢).

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) المقصود من الدلائل بقوله:
"الدلائل: جمع دليل، والدليل لا يكون دليلاً إلا إذا كان مستلزماً للمدلول عليه مختصاً به، فلا يصح أن يكون مشتركاً بين المدلول وبين غيره؛ فإنه يلزم من تحقق الدليل تحقق المدلول؛ لاختصاصه به، وإذا انتفى المدلول انتفى الدليل. وعلى هذا فما وجد مع النبوة تارة، ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلاً على النبوة، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها"^(٣).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "وأما النبوة فحقيقتها تشتمل أمرين: وحي الله، وأمره بتبليغ ذلك الوحي إلى الناس، وقد دلت نصوص شرعية، واتفق أئمة السلف أن النبوة يختص الله بها من يشاء من عباده، فالله يصطفي الرسل ويختارهم. والنبي ميزه الله بصفات، وخصه بخصائص استعد بها لأن يخصصه الله بفضله. فالنبوة تتضمن خطاب الرب، وتتضمن صفة قائمة بالنبي أيضاً"^(٤).

المطلب الثاني: تنوع دلائل نبوة محمد ﷺ.

أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- الدلائل الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ بقوله: "الدلائل الدالة على صدق محمد ﷺ أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى -عليهم السلام- ومعجزاته أعظم من معجزات غيره، والكتاب الذي أرسل به أشرف من الكتاب الذي بعث به غيره، والشرعة التي جاء بها أكمل من شريعة موسى وعيسى -عليهما السلام-، وأتمه أكمل في جميع

(١) سورة المائدة: جزء من آية ٣٢.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٢٩).

(٣) انظر: ابن تيمية، النبوات، د. ط، (١ / ٦٣٥).

(٤) انظر: ابن تيمية، العقيدة الأصفهانية، ط ١، (١ / ١٦١)، وانظر: أحمد بن محمد النجار، المباحث العقيدية المتعلقة بالإيمان بالإيمان بالرسول، د. ط، ص ٦٩.

الفضائل من أمة هذا وهذا، ولا يوجد في التوراة والإنجيل علم نافع وعمل صالح إلا وهو في القرآن أو مثله أو أكمل منه ^(١).

وقد ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن معجزاته ﷺ تزيد على ألف معجزة، ثم عددها بالتفصيل ^(٢)، وهذا مصداقاً لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال النبي ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) ^(٣).

ومن براهين رسالته قصص أنبياء الله ورسله وغيرها، فبعد أن يقصّ الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قصص الأنبياء يذكر فوائدها وثمراتها ودلالاتها الجليلة، ومن ذلك:

أولاً: براهين رسالة محمد -ﷺ- من خلال قصة موسى عليه السلام :

وبيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك عند ذكره للفوائد المستنبطة من قصة موسى عليه السلام بقوله: "ما في هذه القصة من الدلالة على رسالة محمد ﷺ إذ أخبر بهذه القصة وغيرها، خبراً مفصلاً مطابقاً وتأصيلاً موافقاً، قصه قصّاً صدق به المرسلين، وأيد به الحق المبين، وهو لم يحضر في شيء من تلك المواضع، ولا درس شيئاً عرف به أحوال هذه التفصيلات، ولا جالس وأخذ عن أحد من أهل العلم، إن هو إلا رسالة الرحمن الرحيم، ووحى أنزله عليه الكريم المنان ينذر به العباد أجمعين، ولهذا يقول في آخر هذه القصة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٢٥.

(٢) من أراد معرفتها فليرجع إلى كتاب الشيخ السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، (٤/١٩٠٥)، رقم الحديث: ٤٦٩٦، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم ١٥٢.

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴿١﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٢﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٣﴾، وهذا نوع من أنواع براهين رسالته "﴿٤﴾".

ثانياً: براهين رسالة محمد ﷺ - من خلال قصة عيسى عليه السلام :

ويبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ذلك عند ذكره للفوائد المستنبطة من قصة عيسى عليه السلام بقوله: " أن إخبار الله للنبي ﷺ بهذه القصة وغيرها مفصلة مطابقة للحقيقة من أدلة رسالته وآيات نبوته لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٥﴾ "﴿٦﴾".

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "ولما كانت هذه القصة وغيرها من أكبر الأدلة على رسالة محمد ﷺ، حيث أخبر بها مفصلة محققة، لا زيادة فيها ولا نقص، وما ذاك إلا لأنه وحي من الله العزيز الحكيم، لا يتعلم من الناس،...، فأنت - يا أيها الرسول - لم تحضر تلك الحالة لتعرفها، فتقصها على الناس، وإنما الله نبأك بها، وهذا هو المقصود الأعظم من سياق القصص أنه يحصل بها العبرة، وأعظم العبر، الاستدلال بها على التوحيد والرسالة، والبعث وغيرها من الأصول الكبار" ﴿٧﴾.

(١) سورة القصص: آية ٤٦.

(٢) سورة القصص: آية ٤٤.

(٣) سورة القصص: جزء من آية ٤٥.

(٤) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ١٨٤.

(٥) سورة آل عمران: آية ٤٤.

(٦) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٢١٤.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ١٠٦، ١٠٧).

ثالثاً: براهين رسالة محمد - ﷺ - من خلال قصة يوسف عليه السلام :

وبيّن الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ذلك عند ذكره للفوائد المستنبطة من قصة يوسف عليه السلام بقوله: " ما فيها من الأدلة والبراهين على نبوة نبينا محمد ﷺ ، حيث قص عليه هذه القصة المفصلة المبسوطة الموافقة للواقع التي أتت بالمقصود كله، وهو لم يقرأ كتب الأولين، ولا دارس أحدا كما هو معلوم لقومه، وهو بنفسه أُمي لا يقرأ ولا يكتب، ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (١٠٢) " (١) .

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: " ما في هذه القصة العظيمة من البراهين على رسالة محمد ﷺ حيث قصها على الوجه المطابق، وهو لم يقرأ من الكتب السابقة شيئاً، ولا جالس من له معرفة بها ، ولا تعلم من أحد ، إن هو إلا وحي أوحاه الله إليه . ولهذا قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ (٤٩) " (٢) ، كما ذكر الله هذا المعنى في قصته وغيره من الأنبياء ؛ لأن الغيوب نوعان : أمور سابقة قد اندرس علمها نبأه الله بها، وأمور مستقبلية قد نبأه الله بها قبل أن تقع ، فوقعت ، ولا تزال تقع شيئاً بعد شيء مطابق لما أخبر به ﷺ في كتاب الله وفي سنة رسوله ، وكلها براهين على رسالته " (٣) .

رابعاً: ومن دلائل نبوة محمد ﷺ : قصة هرقل مع أبي سفيان:

(١) سورة يوسف: آية ١٠٢

(٢) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٢١٧.

(٣) سورة هود: آية ٤٩

٤ انظر: السعدي، فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، د. ط، ص ١٥.

ومن دلائل نبوة محمد ﷺ من سيرته النبوية ما جاء في قصة هرقل مع أبي سفيان ، وهو يسأل عن دلائل النبوة. فقد سألهم هرقل عن أسباب الكذب وعلاماته فوجدوها منفية، وسألهم عن علامات الصدق فوجدوها ثابتة.

وإليك الحوار الذي دار بينهما يحكيه أبو سفيان -رضي الله عنه-: "عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله -ﷺ- قال: فبينما أنا بالشأم إذ جيء بكتاب من رسول الله -ﷺ- إلى هرقل يعني عظيم الروم - قال -: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل فقال: هرقل هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم ، قال: فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال: أبو سفيان فقلت: أنا. فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي ثم دعا بترجمانه فقال: له قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبتني فكذبوه. قال: فقال: أبو سفيان وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر على الكذب لكذبت. ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم قال قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: ومن يتبعه أشرف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت لا، بل يزيدون. قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطه له؟ قال قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت تكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا. ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو صانع فيها. قال: فو الله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه. قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قال: قلت لا. قال لترجمانه: قل له إني سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها. وسألتك هل كان في آبائه ملك فزعمت أن لا. فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه. وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرفهم فقلت: بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا. فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله. وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله

سخطة له فزعمت أن لا. وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب. وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم. وسألتك هل قاتلتموه فزعمت أنكم قد قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه. وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر. وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فزعمت أن لا.

فقلت لو قال: هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله. قال ثم قال بم يأمركم قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف قال: إن يكن ما تقول فيه حقا فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي^(١).

ولهذا استدل ملك الروم هرقل -لما وصف له ما جاء به الرسول ﷺ، وما كان يأمر به، وما ينهى عنه- استدل بذلك: أنه من أعظم الرسل؛ واعترف بذلك اعترافاً جلياً. ولكن منعت الرئاسة وخشية زوال ملكه من إتباعه؛ كما منع كثيراً ممن اتضح له: أنه رسول الله حقاً. وهذا من أكبر موانع الإيمان في حق أمثال هؤلاء^(٢).

مما سبق بيّن لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- وفق منهج أهل السنة والجماعة أن دلائل وحجج وبراهين رسالته، أكبر دليل على صدق نبوة الرسل في دعوتهم أنهم رسل الله، وبها تقوم الحجة على الناس.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل ﷺ النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (١ / ٢٨)، رقم الحديث: ٥١. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد واليسر، (٥ / ١٦٣)، باب كتاب النبي ﷺ -ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم الحديث: ٤٧٠٧.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (١١٢).

المبحث الخامس: عصمة الأنبياء.

أن الأنبياء والرسل -صلوات الله وسلامه- عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وبذلك يصل الوحي الذي أنزله الله إلى الذين أرسلوا إليهم كاملاً وافياً، كما أراده الله جلّ وعلا، ولكن قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة البشرية من المعاصي والمخالفات الصغيرة، ولكن الله يتداركهم ويبارئهم بلطفه ويتداركهم بالتوبة والإنابة إليه، فهل الرسل معصومون عن الخطأ والمعصية، وهل هي عصمة عامة شاملة؟ هذا ما سنبيّنه وبَيِّنه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف العصمة.

● العصمة لغةً: لها عدة معاني^١ منها:

أولاً: المنع، وعِصْمَةُ اللَّهِ عَبْدَهُ: أن يعصمه ممّا يُوْبِقُهُ، يقال: عصمه يعصمه عَصْمًا: منعه و وقاه، وجمع العصمة: الأعصمة.

١ المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، مادة: "عصم"، (٧٨١٩/١). ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "عصم"، (٤٠٣/١٢).

ثانياً: الحفظ، يقال: عصمه فانعصم، واعتصمْتُ بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية".

ثالثاً: الحبل: أصل العِصْمة الحبل، وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه.

وكل هذه المعاني ترجع إلى المعنى الأول: المنع وإن تعددت، فالحفظ منع للشيء من الوقوع في المكروه، والحبل يمنع من السقوط والتردي.

وقد رجَّح الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في تعريفه للعصمة بمعنى المنع، وذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْنِي مِنْ الْمَاءِ﴾ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾^(١)، ﴿قَالَ سَآوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَّعِصْنِي مِنْ الْمَاءِ﴾^(٢)، أي: سأرتقي جبلاً أمتنع به من الماء، ف﴿قَالَ﴾^(٣) نوح عليه السلام: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾^(٤)، فلا يعصم أحداً، جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب، لما نجا إن لم ينجه الله^(٥).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾^(٦)، أي: امتنع وهي مقيمة على مرادوته، لم تزدها مرور الأوقات إلا قلقاً ومحبة وشوقاً لوصاله وتوقاً^(٧).

العصمة شرعاً: الحفظ من صدور الذنب، وهي: ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها^(١)، وقد عرّفها الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- بقوله: "وعصمة الأنبياء -على نبينا وعليهم الصلاة والسلام

(١) سورة هود: آية ٤٣

(٢) سورة هود: جزء من آية ٤٣

(٣) سورة هود: جزء من آية ٤٣

(٤) سورة هود: جزء من آية ٤٣

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٨٢).

(٦) سورة يوسف: جزء من آية ٣٢

(٧) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٣٩٧).

-: حِفْظُهُم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفيسة، والنصرة والتبّات في الأمور، وإنزال السكينة، والفرق بينهم وبين غيرهم أنّ العصمة في حقّهم بطريق الوجوب، وفي حقّ غيرهم بطريق الجواز" (٢).

المطلب الثاني: عصمة الأنبياء في التبليغ.

والرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى، وإن الله أرسل رسله يبلغون الناس شرعه ووحيه، فلا معرفة للناس بشرع الله إلا عن طريق الرسل، فلو لم يكونوا معصومين فيما يبلغونه عن الله لما عرف شرع الله، ولما استقام للدين أمره، وقد وضّح الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-عصمة الرسل في حمل وتبليغ الرسالة بقوله: "أهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة، ولا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين" (٣).

ويقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٤)،: "يخبر تعالى خبراً في ضمنه الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له. وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع. وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما

(١) انظر: الآلوسي، روح المعاني، ط ١، (١٩٩/٦)، المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د. ط، مادة: "عصم"، (٧٨١٩/١).

(٢) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د. ط، (٤٥٤/١٨).

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٥٩.

(٤) سورة النساء: آية ٦٤.

يأمرون به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقاً، فلولا أنهم معصومون لا يشرعون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقاً" (١).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر عند ذكره للفوائد والحكم في قصة أنبياء الله داود وسليمان -عليهما السلام-: "أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبارهم بلطفه ويتداركهم بالتوبة والإنابة" (٢).

وأما عن عصمة نبينا محمد -ﷺ- فقد بيّنها الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- رحمه الله تعالى -عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (٨٠) (٣)، قال: "أي: كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾" (٤) تعالى لكونه لا لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول ﷺ؛ لأن الله أمر بطاعته مطلقاً، فلولا أنه معصوم في كل ما يُبَلِّغ عن الله لم يأمر بطاعته مطلقاً، ويمدح على ذلك" (٥).

ومما يدلنا على عصمة الرسول ﷺ وما يتكلم بشيء إلا عن وحي من الله سبحانه ، فقد عصمه الله في تبليغ الرسالة ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) (٦)، وقد أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك فقال عن هذه الآية: "﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٨٤).

(٢) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ١٩٧)، انظر لنفس المؤلف: تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧١٢).

(٣) سورة النساء: آية ٨٠.

(٤) سورة النساء: جزء من آية ٨٠.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٨٩).

(٦) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.

(١) أي: ليس نطقه صادرا عن هوى نفسه، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢) أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره. ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٣) وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى (٤)، "وفي هذا دليل على على عصمته ﷺ، فيما يبلغ عن الله من جميع الأحكام وغيرها" (٥).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) -عصمة الرسل والأنبياء في حمل وتبليغ رسالات ربهم بقوله: "وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين بحيث لا يجوز أن يستقر في ذلك شيء من الخطأ" (٦).

المطلب الثالث: العصمة من الصغائر.

عندما عصم الله أنبيائه من الذنوب والمعاصي؛ و لكن ليس معنى ذلك أن الأنبياء لا يقعون في الصغائر، فقد ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين من الصغائر، ويوضح الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن الرسل ليسوا معصومين من الصغائر بعد ذكره لقصة أبانا آدم عليه السلام، و معصيته بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها بقوله: "هذا وإبليس مستمر على طغيانه غير مقلع عن عصيانه فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتباه ربه وهداه، ومن أشبه إبليس - إذا صدر منه الذنب لا يزال يزداد من المعاصي - فإنه لا يزداد من الله إلا بُعْداً" (٧).

(١) سورة النجم: آية ٣.

(٢) سورة النجم: آية ٣.

(٣) سورة النساء: جزء من آية ١١٣.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨١٨).

(٥) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ١٦٣).

(٦) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ط ١، (١ / ٣٣٨).

(٧) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٢٨٥).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر بعد بيان عصمة الرسل عليهم السلام: " وكل ما يبلغونه عن الله ، من الأمر والنهي فهم مطاعون فيه باتفاق المسلمين ، وما أخبروا به وجب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين ، وما أمروهم به ونهواهم عنه فهم مطاعون فيه عند جميع فرق الأمة ، والجمهور الذي يجوزون عليهم الصغائر ، ... ، بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة أعظم مما كان قبل ذلك " (١) .

كما قد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) ذلك بقوله: " فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف " (٢) .

يتّضح مما سبق أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بيّن أن الله سبحانه ميّز الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- بأن عصمتهم عن اقتتراف المنكرات، وإتيان المعاصي دون الصغائر، مع كونهم من البشر.

المطلب الرابع: العصمة من الكبائر.

فالأنبياء والرسل معصومون من كل ما يقدر في نبوتهم: من الكذب، والخيانة، ومن الكفر والشرك والكبائر. والأدلة على ذلك كثيرة نذكرها مع كلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عنها في ضوء تفسيره للأدلة التالية:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّابِعُهَا الْكَافِرُونَ ﴾ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴿ (٣)

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٥٩.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٤ / ٣١٩).

(٣) سورة الكافرون: الآيات ١-٦.

فهذه السورة جاءت بنفي عبادة النبي ﷺ للأصنام والشرك بالله في الماضي ، والحال ، والمستقبل ، يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك عند تفسيره للسورة فقال : " أي: قل للكافرين معلنا ومصرحاً ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ^(١) أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهراً وباطناً. ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ^(٢) لعدم إخلاصكم في عبادته ، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفاً لازماً. ولهذا ميز بين الفريقين، وفصل بين الطائفتين، فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ^{(٣)»(٤)}.

الدليل الثاني: ومما يدلنا على عصمتهم من الشرك قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٥) وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى أن هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا -وحاشاهم- لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى فقال: " ﴿ذَلِكَ﴾ ^(٦) الهدى المذكور ^(٧) ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ ^(٨) الذي لا هدى إلا هداة. ﴿يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِۦ﴾ ^(٩) فاطلبوا ^(٩) فاطلبوا منه الهدى فإنه إن لم يهدكم فلا هادي لكم غيره، ومن شاء هدايته هؤلاء المذكورون. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ ^(١٠) على الفرض والتقدير ﴿لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ^(١١) فإن الشرك محبط للعمل،

(١) سورة الكافرون: آية ٢.

(٢) سورة الكافرون: آية ٣.

(٣) سورة الكافرون: آية ٣.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٩٣٦).

(٥) سورة الأنعام: الآية ٨٨.

(٦) سورة الأنعام: جزء من الآية ٨٨.

(٧) وهي: الهداية إلى الصراط المستقيم.

(٨) سورة الأنعام: جزء من الآية ٩٠.

(٩) سورة الأنعام: جزء من الآية ٩٠.

(١٠) سورة الأنعام: جزء من الآية ٨٨.

(١١) سورة الأنعام: جزء من الآية ٨٨.

موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا -وحاشاهم- لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) ^(١)، يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن في نبوة الأنبياء الحذر من الشرك فقال عند تفسيره للآية: "﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾" ^(٢) من جميع الأنبياء. ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ^(٣) هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام - لما عدد كثيرا من أنبيائه ورسله - قال عنهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨) ^(٤)، ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ^(٥) دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال" ^(٦).

يتضح مما سبق أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أبان مع هذه الأدلة أن الكبائر والشرك ممتنع صدورهم من صفوة الخلق وهم الأنبياء، لكن إذا قدر وجود الشرك كان مستلزماً لحبط عمل المشرك ولو كان من أفضل الخلق وهذا يدلنا على عظم الشرك وخطورته.

المبحث السادس: مميزات نبوة محمد ﷺ .

المطلب الأول: عموم بعثة محمد ﷺ .

وعموم رسالته بيّنها الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في عدة مواطن من كتابه (طريق الوصول إلى العلم المأمول) وهي تتضمن عدة أمور، ومنها:

(١) سورة الزمر: آية ٦٥.

(٢) سورة الزمر: جزء من آية ٦٥.

(٣) سورة الزمر: جزء من آية ٦٥.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٨٨.

(٥) سورة الزمر: جزء من آية ٦٥.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٢٩).

أولاً: أنه مرسل لجميع الخلق.

مُحَمَّد ﷺ فهو الذي أرسل إلينا وإلى جميع الخلق، وقد ختم الله به الأنبياء وأتاه من الفضائل ما فضله به على غيره^(١).

ثانياً: براهين رسالته معلومة.

ولما كان مُحَمَّد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين، إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم، وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده، كان من نعمة الله على عباده ومن تمام حجته على خلقه أن تكون آيات نبوته وبراهين رسالته معلومة لكل الخلق الذي بعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ما ليس عند هؤلاء، وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية ما يبين به أن القرآن حق^(٢).

ثالثاً: عام الرسالة، ورسالته عامة.

وكما أن مُحَمَّدًا ﷺ عام الرسالة إلى كل مكلف، فرسالته عامة في كل شيء من الدين، أصوله وفروعه، دقيقه وجليله، فكما لا يخرج أحد عن رسالته، فكذلك لا يخرج حكم تحتاج إليه الأمة عنها وعن بيانه لها^(٣).

رابعاً: طاعته مناط السعادة والنجاة.

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص١١٦.

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص١٨٠، ١٢٤.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص٢٠٥.

ولما كانت حاجة الناس إلى الرسول ﷺ والإيمان به وطاعته ومحبته وموالاته وتعظيمه وتعزيزه وتوقيره عامة في كل زمان ومكان، كان ما يؤمر به من حقوقه عاماً لا يختص بغيره،...، ومن اشتغل بالبدع المنهي عنها ترك ما أمر به الرسول ﷺ من حقه فطاعته هي مناط السعادة والنجاة (١).

خامساً: دعوته لأهل الكتاب .

معلوم بالضرورة أن مُحمّداً ﷺ هو نفسه دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإيمان به وبما جاء به، كما دعا من لا كتاب لهم من العرب وسائر الأمم ، وهو الذي أخبر عن الله بكفر من لم يؤمن من أهل الكتاب وغيرهم، وبأنهم يصلون جهنم وساءت مصيراً، وهو الذي أمر بجهادهم ودعاهم بنفسه ونوابه، فمن قال غير ذلك فهو مبطل كذاب (٢).

سادساً: نبوته ﷺ حجة على غير المسلمين.

شهادة الكتب لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله، وهو حجة على أهل الكتاب، وعلى غيرهم من المشركين والملحدين (٣).

سابعاً: مراتب دعوة النبي ﷺ.

مراتب دعوة النبي ﷺ خمس : النبوة ثم إنذار عشيرته الأقربين، ثم إنذار قومه، ثم إنذار العرب، ثم إنذار الخلق كلهم، وهذه الأربع من آثار الرسالة (٤).

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ١١٦-١١٥.

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٨٠، ١٢٤.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص ٢٢٢.

المطلب الثاني: فضل نبينا محمد ﷺ، وبه ختم النبوة.

فضل نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء بفضائل كثيرة فاق بها جميع الأنبياء، وبه خُتِمت النبوة نذكرها مع بيان الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- لها:
أولاً: ﷺ سيد ولد آدم ﷺ.

عندما يبعث الله الأولين والآخرين في يوم الجمع يكون نبينا محمد ﷺ سيد ولد آدم ﷺ، بيده لواء الحمد، والأنبياء والمرسلون في ذلك اليوم تحت لوائه، وأعظم بيان لذلك قوله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) (١).

ويبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك بقوله: "وأما محمد ﷺ فهو الذي أرسل إلينا وإلى جميع الخلق، وقد ختم الله به الأنبياء وأتاه من الفضائل ما فضله به على غيره، وجعله سيد ولد آدم ﷺ. وخصائصه وفضائله كثيرة وعظيمة لا يسعها هذا الموضع، وهو مع هذا قد نُهانا عن الشرك بهم والغلو فيهم، وميز بين حقه وحققهم" (٢).

ثانياً: ﷺ أفضل أولو العزم من الرسل.

ويبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك بقوله: "وأفضل أولياء الله هم أنبياءه، وأفضل أنبيائه المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -صلوات الله وسلامه عليهم- وأفضل أولو العزم محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد ولد آدم وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وخطبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد والحوض المورود وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه الله بأفضل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا -ﷺ- عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ. (٧ / ٥٩)، رقم الحديث: ٦٠٧٩. عن أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١١٦.

كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمة خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأئمة من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم وهم آخر الأمم خلقاً وأولهم بعثاً، ومن حين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به، وبما جاء به واتبعه ظاهراً وباطناً، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أوليائه، ومن خالفه كان من أعدائه وأولياء الشيطان" (١).

ثالثاً: فضائله ﷺ فاق بها جميع الأنبياء.

ويبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - فضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء بقوله: "فضل نبينا محمد ﷺ بفضائل كثيرة فاق بها جميع الأنبياء، فكل خصلة حميدة ترجع إلى العلوم النافعة والمعارف الصحيحة، والعمل الصالح فلنبينا منها أعلاها وأفضلها وأكملها.

ولهذا لما ذكر الله سبحانه أعيان الأنبياء الكرام قال لنبيه ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُدْنَهُمْ أَقْتَدَ﴾ (٢)، وهداهم هو ما كانوا عليه من الفضائل الظاهرة و الباطنة، وقد تم ما أمر به وفاق جميع الخلق؛ ولذلك خص الله نبينا بخصائص لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء منها: هذه الخمسة (٣) التي عادت على أئمة بكل خير وبركة ونفع" (٤).

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ١١٦.

(٢) سورة الأنعام: جزء من الآية ٩٠.

(٣) يقصد بالخمسة هي: الخصائص الخمس الواردة في حديث عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -: "أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فإيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغنم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم ، باب: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ سورة المائدة: آية ٦، (١ / ١٢٨) ، رقم الحديث: ٣٢٨.

(٤) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الحديث)، ط ١، ص ٨٤.

وقال-رحمه الله تعالى- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَةً﴾^(١) ، "أي: امش -أيها الرسول الكريم- خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امتثل ﷺ، فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا الملحظ، استدل بهذه من استدل من الصحابة، أن رسول الله ﷺ، أفضل الرسل كلهم"^(٢).

رابعاً: النبي ﷺ سبب السعادة الأبدية.

ويجلي لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك بقوله: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فهو الأب الروحاني، والوالد الأب الجثماني، وهو ﷺ سبب السعادة الأبدية للمؤمن في الدنيا والآخرة"^(٣).

خامساً: صلاة الله وملائكته عليه ﷺ.

ويبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك بقوله: "ومحمد ﷺ قد أخبر الله عنه أنه يصلي عليه هو وملائكته، فلم تكن فضيلته بمجرد كون الأمة يصلون عليه، بل إن الله وملائكته يصلون عليه بخصوصه، وإن كان الله وملائكته يصلون على المؤمنين عموماً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤)، و يصلون على معلم الناس الخير كما في الحديث : عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير)^(٥).

(١) سورة الأنعام: جزء من الآية ٩٠.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٦٣)، وانظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص (٢٣٩).

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١١٦.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٥٦

(٥) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٥ / ٥٠)، رقم الحديث: ٢٦٨٥. قال الشيخ الألباني: صحيح.

وَمُحَمَّدٌ ﷺ لما كان أكمل الناس فيما يستحق به الصلاة من الإيمان وتعليم الخير ، وغير ذلك كان له من الصلاة عليه خيراً وأمرأً خاصة لا يوجد مثلها لغيره ﷺ " (١).

ونحن علينا بكثرة الصلاة عليه ﷺ و لها فوائد جليلة ؛يبينها الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى بقوله: "وأما فوائد الصلاة على النبي ﷺ فكثيرة: امثال أمر الله وموافقة الله ،وموافقة ملائكته وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفع الدرجات ،وكونه سبباً لإجابة الدعاء ولشفاعة محمد ﷺ والقرب منه،... " (٢).

سادساً: طاعته ﷺ من طاعة الله ﷻ.

يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى-واجبنا نحو نبينا ﷺ كون طاعته ﷺ من طاعة الله ﷻ بقوله: " وسائر الأنبياء علينا أن نؤمن بهم مجملأً، وأما محمد ﷺ فعلياً أن نطيعه في كل ما أوجبه وأمر به، وأن نصدق في كل ما أخبر به " (٣)، " وقد أمر ﷺ المسلمين باتباعه ،وأن يعتقد وجوب ما أوجبه واستحباب ما أحبه ،وأنه لا أفضل من ذلك ، فمن لم يعتقد هذا فقد عصي أمره " (٤) .

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "تجب طاعة النبي ﷺ لكونه رسول الله في حياته وبعد مماته فكما يجب على الغائب عنه في حياته طاعة أمره ونهيه ؛يجب ذلك على من يكون بعد موته،

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص(١٨٩،١٨٨). عدد الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى فوائد عديدة لصلاة على النبي ﷺ للفائدة يرجع لنفس المرجع .

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص١٥٠.

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص١٣٧.

وهو ﷺ أمره شامل عام لكل مؤمن شاهده أو غاب عنه في حياته وبعد مماته ، ... ، فطاعته شاملة لجميع العباد شمولاً واحداً ، وإن تنوعت طرقهم في البلاغ والسماع والفهم" (١).

ومع كثرة فضائله ﷺ التي فاق بها جميع الأنبياء ، هناك فضيلة تميّز بها وهي : قسم رب العزة جلّاله بحياته ﷺ ، كما أشار إلى ذلك الإمام السفاريني - رحمه الله تعالى - بقوله : "ومن عظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - أجمعين - أن الله - سبحانه وتعالى - أقسم بحياته ، وفي شرعه إنما تتعقد الأيمان بأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا بدون ذلك" (٢).

المطلب الثالث: فوائد بعثة محمد ﷺ بشرع جديد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ ﴾ (١٦٤) ، ذكر الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية فوائد فيها دلالة على فوائد بعثة محمد ﷺ بشرع جديد فقال: "يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا أربعة فوائد:

الفائدة الأولى: أن محمدًا ﷺ ليس ببدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد.

الفائدة الثانية: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا.

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، ص (١٥٧، ١٥٦).

(٢) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط ٢، (٢ / ٢٩٥).

(٣) سورة النساء: الآيتان ١٦٤، ١٦٣.

الفائدة الثالثة: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين.

الفائدة الرابعة: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيماناً بهم ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستئناساً بسنتهم ومعرفة بحقوقهم، ويكون ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (١)، ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢)، ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٣)، ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ عَلَى إِيْلَ يَاسِينَ﴾ (٤)، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥)، فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه والرسل - خصوصاً هؤلاء المسمون - في المرتبة العليا من الإحسان.

ولما ذكر اشتراكهم بوحية ذكر تخصيص بعضهم فذكر أنه آتى داود الزبور وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه وأنه كلم موسى تكليماً أي مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال: موسى عليه السلام كلمه الرحمن. وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على رسوله ومنهم من لم يقصصه عليه وهذا يدل على كثرتهم (٥).

يتضح مما سبق أن الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أبان أن من مميزات رسالة محمد ﷺ بأنه رسولاً إلى جميع الثقليين، وأنه ﷺ امتاز بفضائل كثيرة وجليلة فاق بها جميع الأنبياء، وأنه ﷺ مع أن الله بعثه بشرع جديد إلا أنه ليس بيدع من الرسل، بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم.

(١) سورة الصافات: آية ٧٩.

(٢) سورة الصافات: آية ١٠٩.

(٣) سورة الصافات: آية ١٢٠.

(٤) سورة الصافات: الآيتان ١٣٠-١٣١.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢١٤).

المبحث السابع: نبوة محمد ﷺ والملاحدة.

بيّن الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) عقيدة الملاحدة في النبوة بعد أن ذكر عقيدتهم في الإيمان بالكتب بقوله: "وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص من استكملها فهو نبي : أحدها: قوة الحدس بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة.

الثانية: قوة التخيل والتخييل بحيث يتخيل في نفسه أشكالا نورانية تخاطبه ويسمع الخطاب منها ويخيلها إلى غيره .

الثالثة: قوة التأثير بالتصرف في هيولي العالم وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة وهذه الخصائص تحصل بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كابن سبعين^١، وابن هود^٢، وأضرابهما والنبوة عند هؤلاء صنعة من

^١ ابن سبعين هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الاشيلي المرسى الرقوتي، قطب الدين أبو محمد: من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود، ولد سنة: ٦١٣هـ، وصنف كتاب (الحروف الوضعية في الصور الفلكية) و (شرح كتاب إدريس عليه السلام الذي وضعه في علم الحرف) ؟ وكتاب (البدو) وكتاب (اللهو) و كفره كثير من الناس، له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية، قال عنه الذهبي: اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبي بعدي، توفي سنة ٦٦٩ هـ. *انظر في ترجمته الزركلي، الأعلام، ط ١٥٥، (٣ / ٢٨٠).

^٢ ابن هود المرسى هو: الحسن بن عضد الدولة علي أخي المتوكل على الله ملك الاندلس ابن يوسف ابن هود الجذامي المرسى، أبو علي: فيلسوف متصوف، من بيت مجد، مولده في مرسية سنة ٦٣٣ هـ، وكان يصيبه ذهول، ويقرأ اليهود كتاب (دلالة الحائرين) لموسى بن ميمون، وصفه الذهبي: بالاتحاد والضلالة، وتوفي في دمشق سنة ٦٩٩ هـ. انظر في ترجمته الزركلي، مرجع سابق، (٢ / ٢٠٣).

الصنائع بل من أشرف الصنائع كالسياسة بل هي سياسة العامة وكثير منهم لا يرضى بها ويقول:
الفلسفة نبوة الخاصة والنبوة: فلسفة العامة" (١).

وبيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- موقف الفلسفة مما جاءت به الرسل: "ما جاءت به الرسل -صلوات الله عليهم- لا يعرفه هؤلاء الفلاسفة وليسوا قريين منه ، بل كفار اليهود والنصارى أعلم منهم بالأمور الإلهية لا فرق بين العلوم النقلية ولا العقلية الصحيحة التي جاءت بها الرسل ، فهذه العقليات الدينية الشرعية الإلهية هي التي لم يشموا رائحتها ولا في علومهم ما يدل عليها ، وأما ما اختصت الرسل بمعرفته وأخبرت به من الغيب فذاك أمر أعظم من أن يذكر في ترجيحه على الفلسفة" (٢).

ومن سار على ركاب هؤلاء الملاحدة، واقتفى آثارهم، وترسم خطاهم الملحد القصيمي، وبَيَّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ضلال هذا الرجل، وعقيدته الفاسدة في نبوة الرسل وخاصة نبوة مُحَمَّد ﷺ بقوله: "ولهذا ارتكب العظام في تحليله لحياة النبي ﷺ وشخصيته الكريمة بكلام طويل مردد كقوله: كان يعبد الطبيعة وأنها قد أخذت بقلبه وقلبه ولَّبه وأنه كان يناجي الليل والنهار والضياء والظلمة والنسيم ونحوها ومما يشاهد، وأنه افتتح رسالته بمناجاة الطبيعة والخلوة في غار حراء، وختم رسالته وحياته بشدة النزوع إليها وقت السباق حيث كان يقول في الرفيق الأعلى.

(١) ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط ٢، (٢ / ٢٦٢).

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٢١.

وهذا بعينه قد أخذه من دعاه النصارى المفتزين الذين لما بهرهم ما جاءهم به مُحَمَّد ﷺ من الدين الحق والتعاليم العالية والرقى الكاملة والفتوح الباهرة والآثار التي لم يحصل عشر معشارها لأحد من الخلق طفقوا يموهون على الناس ويحللون حياته ﷺ تحليل أحد رجال الطبيعة يعني: الذين لا يؤمن بالله وملائكته وعالم الغيب من الأرواح والجن بلى الدار الآخرة ، وما وراء المحسوسات والملموسات فأخذ عنهم هذا المأخذ الخبيث وأنكر الوحي والرسالة بهذا التحليل. ورمى النبي ﷺ ، بأنه طبعي لا يعرف الله ولا يعرف الوحي فلم ينزل عليه جبريل ﷺ من عند الله ولا كان يناجي الله ولا يعبد، ولا كان عند السباق الا مشتاقاً إلى الطبيعة فقط لأنه لا يعرف الله ولا يريد ولا يحبه ولا يطلبه عند هذا الكاتب الذي تجرأ على ما لم يتجرأ عليه من يتسمى بالإسلام من الملحدين... ولا تستغرب هذا عليه فإنه صرح تصريحاً لا تردد فيه بالكفر بالأنبياء والرسل كلهم وصرح أنهم لم ينفعوا الخلق بوجه من الوجوه"^١.

ولكن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-ردّ عليه بأن طريقته في نبذ الدين وأصوله معروفة عند الناس وأن الفضل الحقيقي هو السعي في طرق الكمال، والتخلق بكل خلق جميل، والتمسك بالشرائع الظاهر والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

مما تقدم تبين أن الآيات القرآنية وما طرحه العلماء، ومنهم الشيخ السعدي-رحمهم الله تعالى-من بينات عن هذا الأصل العظيم، يقتضي أن يجعل منهج الأنبياء والرسل هو المرجع الذي نستقي منه حياتنا ومعتقداتنا، وأنهم القدوة والأسوة الحسنة للبشرية أجمعين، ولا يجوز أن نستبدل النور إلى ظلمات هؤلاء الملاحدة الضالين عن الصراط المستقيم.

^١ انظر: السعدي، تنزيه الدين وحملته، د.ط، ص ١٩، ١٨.

المبحث الثامن: ثمرات الايمان بالرسول.

قطف لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- ثمرات إيمانية يانعة لمن عرف الأنبياء والمرسلين، وما أرسلوا به، وما جرى لهم مع أممهم وآمن بهم، وفي ذلك عدة ثمار وفوائد منها:

أولاً: أن من تمام الإيمان بهم معرفتهم بصفاتهم وسيرهم وأحوالهم. وكلما كان المؤمن بذلك أعرف، كان أعظم إيمانا بهم، ومحبة لهم، وتعظيماً لهم، وتعزيزاً وتوقيراً.

ثانياً: أن من بعض حقوقهم علينا -خصوصاً النبي ﷺ- معرفتهم ومحبتهم محبة صادقة، ولا سبيل لذلك إلا بمعرفة أحوالهم.

ثالثاً: أن معرفة الأنبياء موجبة لشكر الله تعالى على ما من به على المؤمنين، إذ بعث فيهم رسولاً منهم يزيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، بعد أن كانوا في ضلال مبين.

رابعاً: أن الرسل هم المربون للمؤمنين، الذين ما نال المؤمنون مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على أيديهم وبسببهم، فقبيح بالمؤمن أن يجهل حالة مربيه ومزكيه ومعلمه. وإذا كان من المستنكر جهل الإنسان بحال أبويه ومباعدته لذلك، فكيف بحالة الرسول، الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو أبوهم الحقيقي، الذي حقه مقدم على سائر الحقوق بعد حق الله تعالى!!؟

خامساً: أن في معرفة ما جرى لهم وجرى عليهم، تحصل للمؤمن الأسوة والقُدوة، وتخف عنه كثير من المقلقات والمزعجات، لأنها مهما بلغت من الثقل والشدة، فلا تصل إلى بعض ما جرى

على الأنبياء. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١)، ومن أعظم الاقتداء بهم، الاقتداء بتعليماتهم، وكيفية إلقاء العلم على حسب مراتب الخلق، والصبر على التعليم، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وبهذا وأمثاله كان العلماء ورثة الأنبياء.

سادساً: ومن فوائد معرفة الرسول ﷺ، معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه وفهم المعنى. والمراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول، وسيرته مع قومه وأصحابه وغيرهم من الناس، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص تختلف اختلافاً كثيراً.

فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك، لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله ﷺ، وعلى مراد الله من كلامه، شيء كثير. وهذا إنما يعرفه من عرف ما في أكثر التفاسير من الأغلاط القبيحة التي ينزه عنها كلام الله ﷻ، وغير ذلك من الفوائد المفيدة والثمار الطيبة المباركة " (٢).

من خلال ما قطفه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من ثمار إيمانية بالرسول، يجب على المسلم أن يؤمن بكل ما ورد في الكتاب والسنة من غير مرية ولا شبهة، وأن يؤمن بأن الإيمان بالرسول أحد أركان الإيمان الستة، وإذا تحقق الإيمان بالرسول ترك آثاره الطيبة على المؤمن فمن ذلك:

أولاً: العلم بعظمة الخالق الجليل وكمال قدرته وسلطانه، ورحمته بعباده حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد، من أنفسهم يبينون لهم آياته وشريعته ويبشرونهم بجزيل الثواب لمن آمن بهم، وينذرون من كفر بهم سوء العقاب.

ثانياً: معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة عن طريق ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ثالثاً: محبة رسل الله -عليهم الصلاة والسلام- لما يعلم من حب الله تعالى إياهم واصطفائهم لرسالاته لما فيهم من اتباع الحق والرحمة والنصح للخلق.

(١) سورة الأحزاب: جزء من آية ٢١.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٦، ٣٧). "بتصرف".

رابعاً: عبادة الله ﷻ على بصيرة عملاً بالكتاب المنزل، وتأسيًا بالنبي المرسل.

خامساً: التأسي بهم في الدعوة إلى الله تعالى في حسن بَيَانهم وعظم حِلْمهم وكمال صَبْرهم على أذى قومهم ونُصَحهم لهم في سائر الأحوال.

سادساً: اليقين بحُسن العاقبة للمتقين، وجزيل المثوبة للصابرين المحسنين، كما تبَيَّن ذلك من قصص دَعَوَتهم وما آلَ إليه أمرهم وأتباعهم وأمر حُصومهم.

سابعاً: ما يورث الإيمان بهم من رفع الدرجات ومحو السيئات، وأن التمسك بما جاءوا به هو الطريق الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.

ثامناً: أن رسولنا مُحَمَّد - ﷺ - أفضل الرسل كلهم، وأن متابعتَه شرط محبة الله تعالى.

تاسعاً: الاغتراب بأنَّ خصَّ الله ﷻ هذه الأمة بأشرف رسله وخاتمهم وسيِّدِهم، وأنَّ هدى الله المسلم للدُّخول في دينه على شريعته، فجعلَه بذلك من خير أُمَّة أُخْرِجَتْ للناس.

وبهذا نصل إلى نهاية الفصل الثالث: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسول، ويليه الفصل الرابع بعنوان: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر، والله ولي الاحسان.

الفصل الرابع: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر.

إن الإيمان باليوم الآخر شأنه كشأن الإيمان بالملائكة والرسل، أحد أصول الإيمان الستة، ولا يصح إيمان أحد أن لم يؤمن باليوم الآخر، وقد حكم الله بكفر من لم يؤمن به، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١).

وإن المتأمل في كتاب الله تعالى، يكاد لا يجد صفحة من صفحاته إلا وفيها ذكر اليوم الآخر، وما سيكون فيه من الأهوال والأحداث، مما يبين الاهتمام البالغ بهذا اليوم، وكذلك نجد أن الله تعالى كثيراً ما يربط بين الإيمان به والإيمان باليوم الآخر، ومن أمثلة ذلك قوله عز شأنه: ﴿وَمَا ذَاعَ عَنْهُمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٣).

ومن اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر أيضاً أنه قد سمي هذا اليوم بأسماء كثيرة ومتعددة؛ منها الحاقة، والواقعة، والقيامة، والغاشية، والطامة و الصاخة والقارعة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد، واليوم الموعود وغيرها من الأسماء، قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - (ت ٦٧١هـ) - : "و كل ما عظم شأنه تعددت صفاته و كثرت أسماؤه... فالقيامة لما عظم أمرها و كثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة و وصفها بأوصاف كثيرة" (٤).
وقد كتب علماء أهل الإسلام من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة فيما يتعلق باليوم الآخر، وبالجنة والنار وتفاصيل ذلك الكثير، وصنفوا المصنفات المطولة والمبسوطة، ومنهم الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ولمعرفه بيانه نقف مع المباحث التالية:

(١) سورة النساء: جزء من آية ١٣٦.

(٢) سورة النساء: آية ٣٩.

(٣) سورة التوبة، جزء من آية ٩٩.

(٤) انظر: القرطبي، التذكرة، ط ١، (١ / ٢٤٠).

- المبحث الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر.
- المبحث الثاني: مسائل الإيمان بأشراط الساعة.
- المبحث الثالث: مسائل الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه.
- المبحث الرابع: أهوال يوم القيامة.
- المبحث الخامس: مسائل الإيمان بالنفخ بالصور.
- المبحث السادس: مسائل الإيمان بالبعث.

المبحث الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر وثمراته.

المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر.

بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) ضابط جامع لكل الأمور الداخلة في تعريف اليوم الآخر بقوله: "ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمن بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه" (١).

وقد بيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تعريف اليوم الآخر بقوله: "فكل ما جاء به الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت، فإنه من الإيمان باليوم الآخر، كأحوال القبر، والبرزخ، ونعيمه، وعذابه، وأحوال يوم القيامة، وما فيها: من الحساب والثواب والعقاب والشفاعة والميزان والصحف المأخوذة باليمين والشمال، وأحوال الجنة والنار، وصفات أهلها، وأنواع ما أعدّه الله فيها لأهلها، إجمالاً وتفصيلاً، وكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر" (٢).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "أن من علوم القرآن أحوال اليوم الآخر، وهو: ما يكون بعد الموت مما أخبر به الله في كتابه، أو أخبر به رسوله ﷺ من أهوال الموت، والقبر والموقف، والجنة والنار" (٣).

المطلب الثاني: ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

أبرز أ الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ثمرات وفوائد الإيمان باليوم الآخر وهي كثيرة ومنها:

أولاً: أنه أحد أركان الإيمان الستة.

أن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله، ازداد إيمانه.

(١) انظر: ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ط ٢، ص ٢٠، انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٦٩.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، (١٣/١٦).

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٣٧/١).

ثانياً: مفتاح باب الخوف والرجاء.

أن العلم بذلك حقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، الرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر؛ كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفضعة. وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والخبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحسوب المطلوب، بكل ما يقدر عليه.

ثالثاً: معرفة فضل الله وعدله.

في المجازاة على الأعمال الصالحة، والسيئة، الموجب لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله. وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته^(١). من خلال ما قطفه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من ثمار إيمانية باليوم الآخر، يجب على المسلم أن يؤمن بأن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، وإذا تحقق الإيمان به ترك آثاره الطيبة على المؤمن، ومنها:

أولاً: عِظَمُ الأجر وجزالة المثوبة، فإنَّ الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي وعدَّ الله أهله بالاهتداء وعظم الأجر والرِّزق الكريم والفلاح؛ وهو الفوز بكلِّ محبوبٍ والنجاةُ من كلِّ مرهوبٍ في الدُّنيا والآخرة.

ثانياً: الاجتهاد في كثرة العمل الصالح والاستزادة منه وفق الشرع، رجاء ثقله في الموازين وعظم المثوبة عليه ورفعة الدرجات وحطِّ الخطيئات بسببه.

ثالثاً: الحذر من المعاصي والسيئات، ومُلازمة التوبة النَّصُوح من الخطيئات؛ حذراً من عُقوباتها في الآخرة.

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٣٧/١).

رابعاً: الأخذ بأسباب حُسن الخاتمة من مُلَازمة ما يفتح الله تعالى من أبواب العمل الصالح؛ فإنَّه يُبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه، والدعاء بِحُسن الخاتمة.

خامساً: الاهتمام بِأمر القبر وأحوال البرزخ، بِالأخذ بِأسباب الثَّبات عندَ الفتنَةِ وما يترتَّب عليها؛ من الإخلاص لله في التوحيد، والاستقامة على الشريعة، والاتباع للنبيِّ - ﷺ - في ذلك كُلِّه.

سادساً: محبة ما يحبُّه الله تعالى من الأشخاص والأماكن والأقوال والأعمال والأحوال؛ لكَون ذلك عَوْنًا على الأعمال الصالحة وممَّا يُثاب عليه المرءُ في الآخرة، وكراهة ما يكرهه الله تعالى من هذه الأمور والبُعد عنها؛ لكونها من أسباب المخالفة وممَّا يُعاقب عليه المرءُ في الآخرة.

سابعاً: تسليّة المؤمن عمّا يفوتُه من نعيم الدُّنيا و مَحايِّها ومَتاعها بما يَرْجوه عند الله تعالى من عظيم نعيم الآخرة وكثرة ثوابها، فهو نعيمٌ متجدِّد أبديٌّ لا ينقطع ولا ينقص ولا يتغيَّر بضدِّه.

وهذا ما أبرزهُ الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عن اليوم الآخر جملةً من أنه يتضمَّن كأحوال القبر، وأحوال يوم القيامة، وأحوال الجنة والنار، ولتفاصيل هذه الأحوال تتضح من خلال المباحث القادمة.

المبحث الثاني: مسائل الإيمان بأشراط الساعة.

المطلب الأول: الساعة قريبة.

موعد الساعة أعلنه -رب العزة والجلال- لعباده في محكم كتابه منذ أربعة عشر قرناً بأنه قد اقتربت،
، ومحققاً وقوعها قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾^١.

يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن انشقاق القمر إحدى الأمارات الدالة على قرب وقوعها عند تفسيره للآية بقوله: "يخبر تعالى أن الساعة وهي القيامة اقتربت وأن أوانها، وحان وقت مجيئها، ومع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزلوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها، ويريه الله من الآيات

^١ سورة القمر: آية ١.

العظيمة الدالة على وقوعها ما يؤمن على مثله البشر، فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به
مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ^(١).

ولما كانت الساعة قد اقتربت قرباً عظيماً؛ فإن كتاب ربنا يصورها لنا بأنها قد أتت وحضرت،
وقد أبان الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-أن كل ما هو آت فهو قريب بقوله: "يقول تعالى -مقرباً
لما وعد به محققا لوقوعه- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِّي أَمُرُّ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢) فإنه آت،
وما هو آت، فإنه قريب"^(٣).

ولا يعلم أحد وقت الساعة المعين، لحديث جبريل ﷺ: قال متى الساعة؟ قال: (ما
المسؤول عنها بأعلم من السائل)^(٤). وكان السائل جبريل متمثلاً في صورة بشر، فإذا كان أعلى
الملائكة منزلة، وهو جبريل ﷺ، وأعلى البشر منزلة وهو مُحَمَّد ﷺ لا يعلمان متى تكون - فحري
بأن لا يعرف أحد غيرهما وقت وقوعها °.

المطلب الثاني: حكمة إخفاء وقت الساعة.

يبين الإمام القرطبي-رحمه الله تعالى-(ت ٦٧١هـ): حكمة إخفاء وقت الساعة بقوله: "و الحكمة
في تقديم الأشرار، ودلالة الناس عليها؛ تنبيه الناس من رقدتهم، و حثهم على الاحتياط لأنفسهم
بالتوبة و الإنابة؛ كي لا يباغتوا بالحول بينهم و بين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا
بعد ظهور أشرار الساعة قد نظروا لأنفسهم و انقطعوا عن الدنيا، و استعدوا للساعة الموعود بها، و
تلك الأشرار علامة لانتهاء الدنيا و انقضائها فمنها: خروج الدجال، و نزول عيسى ﷺ و قتله

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٨٢٣).

^٢ سورة النحل: آية ١.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/٤٣٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ -عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة،

(١ / ٢٧)، رقم الحديث: ٥٠. عن أبي هريرة-رضي الله عنه-.

٥ عمر الأشقر، القيامة الصغرى، ط ٤، ص ١١٨.

الدجال و منها خروج يأجوج و مأجوج و دابة الأرض ، و منها طلوع الشمس من مغربها، هذه هي الآيات هذه هي الآيات العظام "(١).

ولذا فإنه قد تعددت الآيات القرآنية في تحذير العباد من الساعة، والأمر بالاستعداد لها ، وعبر عنها بالغد ؛ وهو اليوم التالي لليوم الذي تعيش فيه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْتَوُا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنْتَوُا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^٢

يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- لابد من محاسبة العبد لنفسه و الجد والاجتهاد استعدادا لهذا اليوم عند هذه الآية بقوله : "يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان و يقتضيه من لزوم تقواه، سرا وعلانية، في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم الله ﷻ من أوامره وشرائعه وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة قلوبهم، واهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيتها من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا أيضا، أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضيع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد، وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدوها، فإن رأى زللا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر الله ﷻ، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين ممن الله ﷻ عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة. والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر"^٣.

المطلب الثالث: تعريف أشراط الساعة.

(١) انظر: القرطبي، التذكرة، ط ١، (١ / ٧٠٩).

٢ سورة الحشر: ١٨

٣ انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٨٥٣).

إذا كان الله قد أخفى وقت وقوع الساعة عن خلقه؛ فإنه أعلمهم بأمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها. وقد سمى القرآن هذه الأمارات بأشراط الساعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ (١).

الأشراط : جمع شرط وهو :العلامة. وقيل أشراط الشيء: أوائله. والاشتقاقان مُتَقَارِبَانِ لِأَنَّ علامة الشيء أَوَّلُهُ (٢).

والساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣)، والساعة من أشهر أسماء يوم القيامة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسمي ذلك اليوم بالساعة :لأنه يأتي بغتة فيفاجأ الناس في ساعة .

وأشراط الساعة: علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامها. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ (٤)، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لهذه الآية: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ (٥) أي: "علاماتها الدالة على قربها،.. وفي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت، فإن موت الإنسان قيام ساعته" (٦).

والآيات: إمارات للساعة، إما على قربها، وإما على حصولها. فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس ^٧.

(١) سورة محمد: آية ١٨.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د.ط، مادة: " شرط "، (٢٦٠/٣)، وانظر: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُجَدِّدُ النَجَّار، المعجم الوسيط، د.ط، مادة: " شرط "، (٤٧٩/١)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: " شرط "، (٣٢٩/٧).

(٣) سورة الزخرف: جزء من آية ٨٥.

(٤) سورة محمد: آية ١٨.

(٥) سورة محمد: جزء من آية ١٨.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٧٨٧ / ١).

^٧ انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري د.ط، (٣٥٢/١١).

وعلامات الساعة قسمها أهل العلم إلى قسمين :

القسم الأول: علامات صغرى .

والقسم الثاني: علامات كبرى.

والعلامات الصغرى يمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم وقع، وقسم لم يقع بعد. والذي وقع قد يكون مضى وانقضى، وقد يكون ظهوره ليس مرة واحدة، بل يبدو شيئاً فشيئاً، وقد يتكرر وقوعه وحصوله، وقد يقع منه في المستقبل أكثر مما وقع في الماضي. ولذلك فإن لعلامات الساعة أربعة أقسام :

الأول : العلامات الصغرى التي وقعت وانقضت ،هي كثيرة ومنها:

*بعثة الرسول ﷺ ووفاته، * انشقاق القمر، * توقف الجزية والخراج.

الثاني: العلامات الصغرى التي وقعت ، ولا تزال مستمرة ، وقد يتكرر وقوعها، ومنها:

* خروج الدجالين، أدعياء النبوة، * الفتن، * فساد المسلمين.

الثالث : العلامات الصغرى التي لم تقع بعد ،ومنها:

* عودة جزيرة العرب جنات و أنهاراً، * انتفاخ الأهلة، * خروج المهدي.

الرابع: العلامات الكبرى^(١)، وهذه ما سنفصل الحديث عنها مع كلام الشيخ السعدي-رحمه تعالى-

في المطلب القادم.

المطلب الرابع: العلامات الكبرى للساعة.

هناك علامات تدل على قرب قيام الساعة، فإذا ظهرت كانت الساعة على أثرها، وقد أبرز الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-بيان علامات الساعة الكبرى في كتبه ، ولا سيما في كتابه التفسير في معرض النصوص الواردة في الحديث عنها، وسنذكر بعض هذه العلامات، وكلامه -رحمه الله تعالى-عنها:

(١) عمر الأشقر، القيامة الصغرى، ط ٤، ص ٧٩.

العلامة الأولى: الدخان.

من الآيات الكبرى التي تقع قبيل الساعة الدخان، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠﴾^(١) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَامَّرُ مَجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ۝١٦﴾^(٢)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عن إمارة الساعة الكبرى (الدخان)، مع ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآيات: "﴿فَارْتَقِبْ﴾^(٣)، أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب وأن أوانه، ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾^(٤)، أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥)، واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقليل: إنه الدخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة، وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه ﷺ أن ينتظر بهم ذلك اليوم. ويؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسلية الرسول ﷺ والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم.

ويؤيده أيضا أنه قال في هذه الآية: ﴿أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾^(٦) وهذا يقال: يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

وقيل: إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان، واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: (اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف عليه السلام)^(٧)، فأرسل الله عليهم الجوع

(١) سورة الدخان: الآيات ١٠-١٦.

(٢) سورة الدخان: جزء من آية ١٠

(٣) سورة الدخان: جزء من آية ١٠

(٤) سورة الدخان: جزء من آية ١١

(٥) سورة الدخان: آية ١٣

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: الدعاء على المشركين، (٥ / ٢٣٤٨)، ٦٠٣٠، وأخرجه مسلم في

صحيحه، كتاب المساجد، باب: استِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةً، (٢ / ١٣٥)، رقم الحديث:

العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام، وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع.

فيكون -على هذا- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾^(١)، أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة. ولم يزلوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ﷺ، وسألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوكَ الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾^(٢)، إخبار بأن الله سيصرفه عنكم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوق وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر. وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾^(٣) أن هذا كله يكون يوم القيامة^(٤).

ويؤكد هذا الاختلاف الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- بقوله: "اختلف أهل التأويل في هذا الذي أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يرتقبه، وأخبره أن السماء تأتي فيه بدخان مبين: أي يوم هو، ومتى هو؟ وفي معنى الدخان الذي ذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسني يوسف، فأخذوا بالمجاعة، قالوا: وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ في أبصارهم من شدة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان"^(٥)، ومما يدل دلالة صريحة على

(١) سورة الدخان : جزء من آية ١٠

(٢) سورة الدخان : آية ١٥

(٣) سورة الدخان : آية ١٠

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٧١).

(٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (٢٢ / ١٣).

أن الدخان من العلامات الكبرى^(١)، حديث عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذكرون؟ قلنا : نذكر الساعة ، قال : (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ، فذكر الدخان، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم)^(٢).

العلامة الثانية: فتنة الدجال.

فتنة الدجال تقع في آخر الزمان، وهي إحدى اشراط الساعة الكبرى، وفتنته من أعظم الفتن في تاريخ البشرية، و"سمي الدجال مسيحاً، لأن عينه الواحدة ممسوحة، والمسيح: الذي أحد شقي وجهه ممسوح، لا عين له ولا حاجب، فهو فعيل بمعنى مفعول، بخلاف المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنه فعيل بمعنى فاعل ، سمي به ، لأنه كان يمسخ المريض فيبرأ بإذن الله جل جلاله، والدجال : الكذاب " (٣) وسمي دجالاً: لأنه يغطي الحق بباطله^(٤).

وقد وردت أحاديث تبين هذه العلامة الدالة على قرب الساعة و منها: حديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)^(٥).

(١) عمر الأشقر، القيامة الصغرى، ط ٤، ص ٢٢١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٨ / ١٧٨)، رقم الحديث: ٧٤٦٧، ورواه الترمذي، في السنن، كتاب الفتن باب: ما جاء في الخسف رقم: ٢١٨٤ (٣٤٥/٦) عن فرات القزار به بنحوه، ورواه ابن ماجة في سننه ، كتاب الفتن، باب :الآيات ، رقم: ٤٠٥٥ (١٣٤٧/) عن فرات به بنحوه.

٣ انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، د.ط، " مسح "، (٢٠٤/٤) ، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: " مسح"، (٣٢٩/٧).

٤ انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، د.ط، (٩١/١١) .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بَيَانُ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ. (١ / ٩٥)، رقم الحديث: ٤١٧.

يبين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) أن الدجال يدعي الربوبية، ويأتي من الأعمال الخارقة ما يروج به باطله، حتى أن الرجل يأتيه ظانا أن أمره لن يخفى عليه، وأن باطله لن يروج عليه، فعندما يرى ما عنده من مخاريق يتبعه، وأن فتنة الدجال من أعظم الفتن بقوله: "ولما كانت دعوى الدجال الربوبية ممتنعة في نفسها لم يكن ما معه من الخوارق حجة على صدقه بل كانت محنة وفتنة يضل الله بها من يشاء ويهدي من يشاء؛ كالعجل وغيره، لكنه أعظم فتنة وفتنته لا تختص بالموجودين في زمانه، بل حقيقة فتنته الباطل المخالف للشرعية المقرون بالخوارق، فمن أقر بما يخالف الشرعية لخارق؛ فقد أصابه نوع من هذه الفتنة، وهذا كثير في كل زمان ومكان، لكن هذا المعين فتنته أعظم الفتن، فإذا عصم الله ﷻ عبده منها، سواء أدركه أو لم يدركه؛ كان معصوماً مما دون هذه الفتنة" (١).

يلقب الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- على كلام الشيخ ابن تيمية -رحمه الله تعالى- مبيناً الاستعاذة من هذه الفتنة بقوله: "وهذه الفائدة التي ذكرها الشيخ -ابن تيمية رحمه الله تعالى- تبين غاية البيان أن النبي ﷺ يأمر أمته أن يستعينوا بالله من فتنة المسيح الدجال؛ إلا لأن كل أحد يحتاج إلى هذا كما يحتاج أن يعيذه الله من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة الحيا والممات.

فتنة المسيح الدجال اسم جنس، فيعوذ العبد بالله من كل فتنة تكون من جنس فتنته، وهي فتن الباطل والشبه المقرونة بالشبهات و الخوارق التي يحصل بها الضلال الكثير من الخلق؛ كفتنة الإلحاد والماديين الذين اغتر بهم خلق كثير لما شاهدوه من صناعاتهم القوية واختراعاتهم الهائلة، وتوابع ذلك حتى ظنوههم على الحق، وبهرتهم هذه المدنية الزائفة التي ظاهرها مزوق وباطنها خراب؛ فالاستعاذة بالله من فتنة الدجال يدخل فيها أنواع هذه الفتن وما يشبهها.

^١ انظر: ابن تيمية، السبعينية، ط ١، ص ٤٨٣.

وبما ذكره الشيخ يندفع إيراد من أورد كيف يأمر النبي ﷺ أمته أن يدعوا بالوقاية من فتنة المسيح الدجال، وقد انطوت قرون عديدة لم يدركوا شخصه المعين، وجواب ذلك أن كل أحد محتاج إلى وقاية الله من فتنة المسيح الدجال في كل زمان ومكان^(١).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "إن كفره-المسيح الدجال-وكفر أتباعه أظهر كل شيء، ومع ذلك معه من أسباب الفتن ما أوجب أن يحذر النبي ﷺ منه أمته وينذرهم إياه ، ويأمره بالاستعاذة من فتنه في كل صلاة وخصها بعد التعميم فعمم بقوله : من فتنة المحيا والممات الشاملة لكل الفتن وخصص فتنة الدجال لعظمها وشدة ضررها. فهو مع عظم فتنته وقوة شبهته قد كشف الله حاله للمؤمنين فبين عينيه مكتوب "ك ف ر" يعرف ذلك منه"^(٢).

وهكذا يبين الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- ضرر هذه الفتنة، وأن لها علامة أعلم الله بها الدجال يعرفه بها المؤمنون دون غيرهم ممن طمس الله بصائرهم، وهذه العلامة كتابة بين عينيه نصها (ك ف ر) أو (كافر).

العلامة الثالثة: خروج الدابة:

وهذه الدابة آية من آيات الله ﷻ تخرج في آخر الزمان، عندما يكثر الشر، ويعم الفساد، ويكون الخير قلة في ذلك الزمان، وهي مخلوق عظيم قيل: إن طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر، وقيل: هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات، وقد دلّ الكتاب الحكيم والسنة النبوية على خروجها قبل قيام الساعة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢) ولحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ- : (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا

^١ انظر: السعدي، مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، د.ط، فائدة (١٣٩). ص ٢٤٤.

(٢) انظر: السعدي، الأجوبة السعدية عن المسائل القصصية، ط ١، ص ١٥١. و انظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص (٢٤٨).

(٣) سورة النمل: آية ٨٢.

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض^(١).

وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى هذه الآية -الأمانة- وأنه وردت فيها أحاديث نبوية كثيرة، وذلك عند تفسيره للآية المتقدمة فقال: "وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يأت دليل يدل على كقيمتها ولا من أي: نوع هي وإنما دلت الآية الكريمة على أن الله يخرجها للناس وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة على صدق ما أخبر الله به في كتابه"^(٢).

العلامة الرابعة: طلوع الشمس من مغربها.

من الآيات البينات الدالة على وقوع الساعة طلوع الشمس من مغربها، وقد دلت على هذه الآية نصوص في الكتاب الحكيم والسنة النبوية منها:

- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ (١٥٨) ^(٣).

- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض)^(٤).

- عن عبد الله بن عمرو قال حفظت من رسول الله -ﷺ- حديثا لم أنسه بعد ما سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها قريبا)^(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بَيَانُ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ. (١ / ٩٥)، رقم الحديث: ٤١٧.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦١٠).

(٣) سورة الأنعام: آية ١٥٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بَيَانُ الزَّمَنِ الَّذِي لَا يُقْبَلُ فِيهِ الْإِيمَانُ، (١ / ٩٥)، رقم الحديث: ٤١٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: فِي خُرُوجِ الدَّجَالِ وَمُكْنِهِ فِي الْأَرْضِ وَتُرُودِ عِيسَى وَفَتْلِهِ إِيَّاهُ، (٨ / ٢٠٢)، رقم الحديث: ٧٥٧٠.

وقد أشار الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسيره للآية المتقدمة إلى كثرة النصوص وتضافرها في طلوع الشمس من مغربها، وأن الإيمان لا ينفع عند طلوعها فقال:

"وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد ببعض آيات الله طلوع الشمس من مغربها، وأن الناس إذا رأوها آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم، ويُعلق حينئذ بابُ التوبة،...، وفي الكتاب والسنة من هذا شيء كثير، وفيه أن من جملة أشراط الساعة طلوع الشمس من مغربها وأن الله تعالى حكيم قد جرت عادته وسنته أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختيارياً لا اضطرارياً" (١).

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "فسر النبي - ﷺ - ذلك بطلوع الشمس من مغربها فالأحاديث الصحيحة دلت على أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها. والآية دلت على أن أي آية من آيات الله التي هي مقدمات الساعة وبها يكون الإيمان اضطرارياً أتت فإنه لا ينفع الإيمان؛ لأنه إنما ينفع إيمان الاختيار وإيمان الغيب، وإذا أتى بعض الآيات صار الإيمان بشهادة واضطرار فلا ينفع، فالآية دلت على التعليل والأحاديث دلت على الأولية" (٢).

العلامة الخامسة: نزول عيسى عليه السلام :

أخبرنا ربنا - ﷻ - في محكم كتابه أن عبده عيسى - ﷺ - لم يقتل ، ولكن الله القى شبهه على غيره، أما هو فقد رفعه الله إلى السماء قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨ ﴾ ٢ ، وأشار سبحانه في كتابه إلى أن عيسى عليه السلام سينزل في آخر الزمان ، من السماء إلى الأرض حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقضي على الدجال ، وأن نزوله سيكون علامة دالة على قرب وقوع الساعة ؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ١١ ﴾ ٤ ، "يعني: نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها" (٥)، وقد

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٨١).

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية - المجلد الأول)، ط ١، (٧ / ١٣).

٣ سورة النساء: الآيتان ١٥٧ - ١٥٨

(٤) سورة الزخرف: آية ٦١.

(٥) انظر: البغوي، معالم التنزيل، د. ط، (٧ / ٢١٩).

أبان الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ذلك بقوله : "أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة ﴿فَلَا تَمَتُّزْ بِهَا﴾^(١) أي: لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر. ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾^(٢) بامثال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^(٣) موصل إلى الله عز وجل"^(٤).

كما أشار القرآن أن أهل الكتاب في ذلك الزمان سيؤمنون به، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾^(٥) ، أي: قبل موت عيسى عليه السلام^(٦)، وبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ذلك بقوله: "ويحتمل أن الضمير في قوله تعالى : ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(٧) راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار.

فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليه السلام عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة لشرع الله أم لا؟"^(٨).

مما تقدم يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أن عيسى عليه السلام نازل لا محالة في آخر الزمان؛ ولذلك فإنه يكسر الصليب، وهو رمز النصرانية المحرفة، ويقتل الخنزير الذي حرمه الإسلام، ويضع الجزية، فلا يقبل من اليهود والنصارى الجزية، ولا يقبل منهم إلا الإسلام.

(١) سورة الزخرف: جزء من آية ٦١.

(٢) سورة الزخرف: جزء من آية ٦١.

(٣) سورة الزخرف: جزء من آية ٦١.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٦٨).

(٥) سورة النساء: آية ١٥٩.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٢ / ٤٥٣).

(٧) سورة النساء: جزء من آية ١٥٩.

(٨) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢١٣).

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد وافق عقيدة أهل السنة في طرحه لعلامات الساعة الكبرى إلا ما ورد سابقا من العلامة الكبرى (خروج يأجوج ومأجوج) حيث كان له -رحمه الله تعالى- رأي راجح على عقيدة السلف ورأي مرجوح.

العلامة السادسة: خروج يأجوج ومأجوج:

وهم خلق كثير لا يد لأحد بقتالهم، قيل إنهم من ولد يافث من ولد نوح عليه السلام، ورد ذكرهم في سورة الكهف أن ذا القرنين في تطوافه في الأرض بلغ بين السدين، فوجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، فاشتكوا له من الضر الذي يلحق بهم من يأجوج ومأجوج، وطلبوا منه أن يقيم بينهم وبينه سداً يمنع عنهم فسادهم، فاستجاب لطلبهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَنْدَا الْقَرْيَتَيْنِ أَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ ۝١٥ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ۚ ۝١٦ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۚ ۝١٧﴾ ^(١) قال المفسرون -رحمهم الله تعالى-: "ذهب متوجها من المشرق، قاصدا للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سدا بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوما، لا يكادون يفقهون قولاً لعجمة ألسنتهم، واستعجاب أذهانهم وقلوبهم، وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به السنة أولئك القوم وفقهم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم عليهم السلام" ^(٢).

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۚ ۝١٦﴾ ^(٣)، وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى التعريف بهذه العلامة الكبرى، فقال عند تفسيره للآية: "هذا تحذير من الله للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم عليهم السلام، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكى إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر

١ سورة الكهف: الآيات ٩٤ - ٩٧.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٤٨٦).

(٣) سورة الأنبياء: آية ٩٦.

الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف، الذي ذكره الله من كل من مكان مرتفع، وهو الحذب ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم^(١).

كما بين أيضا وصفهما عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يُجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ﴾^(٢)، فقال: "يأجوج ومأجوج، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك"^(٤).

وللشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-رسالة صغيرة بعنوان: "رسالة عن يأجوج ومأجوج" ذكر فيها حال يأجوج ومأجوج، وأنهم موجودون الآن، وجاء في مقدمتها: (اعلم أن من تأمل ما ذكره الله في كتابه عن يأجوج ومأجوج وما ثبت بسنة النبي ﷺ عنهم، وما اشتمل عليه الوحي من صفاتهم وعلم ما ذكره المؤرخون في قصة ذي القرنين، وعرف الواقع والمحسوس وما على وجه الأرض من أصناف بني آدم عليه السلام، فمن عرف ذلك تيقن يقيناً لا شك فيه أنهم هم الأمم الذين كانوا وراء البحار كالترك واليونان ودول البلقان والفرنسيين والألمان والطلليان والروس واليابان والإسبان ومن تبعهم من أنواع الأمم والأمريكان وتوابعهم...) ^(٥).

وهنا رأي الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في تفسير (يأجوج ومأجوج) مرجوح، فالواقع والمحسوس الذي استدل به أثبت أنهم غير (يأجوج ومأجوج) إذ أختلط العالم بعضه ببعض وأصبح بينهم علاقات وتعامل في شتى المجالات والنصوص تقضي أن يأجوج ومأجوج لا سلطان لهم ولا حول ولا قوة إلا إذا أذن الله بذلك في آخر الزمان، ثم أين السد على هذا الرأي المرجوح وأين خوارق

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٥٣١).

(٢) سورة الكهف: جزء من آية ٩٤.

(٣) سورة الكهف: جزء من آية ٩٤.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٨٦).

° انظر: السعدي، رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج، ط٢، ص٥٢. وانظر أيضاً: عبد الله بن محمد الطيار، سليمان بن

عبد الله أبا الخليل، فقه الشيخ ابن سعدي، ط١، (١/١٣٠).

العادات التي يجريها الله على أيديهم ، كل هذا يقتضى بأنه رأيٌ مرجوح ، والرأي الراجح والموافق لعقيدة أهل السنة :هو ما ذكره سابقا عند في تفسيره للآيات القرآنية الوارد فيها (يأجوج ومأجوج) و"هما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين"، ولعل رأيه المرجوح لم يشتهر؛ لأن كتابه التفسير: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " طبع بعد تأليف " رسالة يأجوج ومأجوج " بسبع عشر سنة، وفي هذا احتمال كبير لتراجعه عن الرأي المرجوح إذا لو كان باقياً عليه لأشار إليه عند تفسيره للآيات القرآنية المتعلقة به^(١).

العلامة السابعة: الخسوفات الثلاث.

الخسف: حَسَفَ الْمَكَانُ يَحْسِفُ حُسُوفًا: ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ ٢، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ٣ ﴾، وقد بيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- هذا المعنى بقوله: "فلما انتهت بقارون حالة البغي والفخر، وازيّنت الدنيا عنده، وكثر بها إعجابه، بغته العذاب ، ﴿ فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ٤ ﴾" (٤)، جزاء من جنس عمله، فكما رفع نفسه على عباد الله، أنزله الله أسفل سافلين، هو وما اغتر به، من داره وأثائه، ومتاعه" (٥).

و الخسوفات الثلاثة: من العلامات الكبرى التي أخبر الرسول ﷺ بحدوثها في آخر الزمان ،وقد دلت على هذا أحاديث نبوية ومنها:

(١) انظر: السعدي ، مرجع سابق، ص ٥٠ ، انظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ٢٥٥.

^٢ انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤ ، مادة: " خسف"، (١ / ١٠٣٩)، انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د. ط، مادة: " خسف"، (٢ / ١٨٠).

(٣) سورة القصص: جزء من آية ٨١

(٤) سورة القصص: جزء من آية ٨١

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٢٣).

أولاً: حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه -وقد سبق ذكره- وفيه أن رسول الله ﷺ قال: (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، وذكر منها ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب) ^(١).

ثانياً: ومنها حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيكون بعدي خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب، قلت: يا رسول الله أينخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال لها رسول الله ﷺ: إذا أكثر أهلها الخبث) ^(٢).

فهذه الخسوفات الثلاثة من الأشرطة الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان، وهي غير الخسوفات التي وقعت في الماضي وفي أماكن متعددة؛ لأن هذه من أشرطة الساعة الصغرى، أما هذه الخسوفات الثلاثة فهي خسوفات عظيمة ^٣.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في بيان ذلك: "وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد، كأن يكون أعظم منه مكاناً أو قدراً" ^(٤). ويؤيد هذا ما جاء في الحديث السابق أنها إنما تقع إذا كثُر الخبث في الناس، وفشت فيهم المعاصي. والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشرطة الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٨ / ١٧٨)، رقم الحديث: ٧٤٦٧، ورواه الترمذي، في السنن، كتاب الفتن باب: ما جاء في الخسف رقم: ٢١٨٤ (٦/٣٤٥) عن فرات القزار به بنحوه، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب: الآيات، رقم: ٤٠٥٥ (١٣٤٧/١) عن فرات به بنحوه.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الخسف، (٤ / ٤٧٩)، رقم الحديث: ٢١٨٥، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، (٤ / ٧٤)، وقال الهيثمي في المجمع، (٨ / ١١): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

٣ عبد الله بن سليمان الغفيلي، أشرطة الساعة، ط ١، (١ / ٢٢١).

(٤) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د. ط، (١٣ / ٨٤).

العلامة الثامنة: النار التي تحشر الناس.

وآخر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة نار تخرج من قعر عدن^١، تحشر الناس إلى محشرهم، وقد وردت أحاديث نبوية تبين ظهورها، ومكان خروجها، ومنها:

أولاً: سبق أن ذكرنا الحديث التي عدد فيها الرسول ﷺ أشرطة الساعة، وذكر أنها عشر، قال: " وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم " (٢).

ثانياً: حديث عن أنس - رضي الله عنه - أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة (أي مهاجراً) فأتاه يسأله عن أشياء، فقال: إني سائلك عن ثلاث: ما أول أشرطة الساعة؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أما أول أشرطة الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب) (٣).

ثالثاً: عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله ﷺ: (ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة تحشر الناس، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام) (٤).

والجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشرطة الساعة الكبرى، وما جاء أنها أول أشرطة الساعة: أن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة - رضي الله عنه -، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهاء هذه

^١ عدن: هي المدينة المعروفة في اليمن جنوب الجزيرة العربية، وهي واقعة على بحر حضرموت، ويسمى اليوم: البحر العربي، انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، د. ط، مادة: " عدن"، (٣ / ١٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشرطة الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، (٨ / ١٧٨)، رقم الحديث: ٧٤٦٧، ورواه الترمذي، في السنن، كتاب الفتن باب: ما جاء في الخسف رقم: ٢١٨٤ (٦ / ٣٤٥) عن فرات القزاري بنحوه، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب: الآيات، رقم: ٤٠٥٥ (١٣٤٧ / ١) عن فرات به بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: قول الله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾، (٤ / ١٦٢٨)، رقم الحديث: ٤٢١٠. فتح الباري: (٧ / ٢٧٢).

(٤) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز، (٤ / ٤٩٨)، رقم الحديث: ٢٢١٧. وانظر: جامع الأصول: (١٠ / ٣٦٨)، ورقم الحديث: (٧٨٨٨)، وانظر: صحيح الجامع الصغير، (٣ / ٢٠٣)، ورقم الحديث: (٣٦٠٣)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

الآيات النفخ في الصور؛ بخلاف ما ذُكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا" (١).

أما ما جاء في بعض الأحاديث بأن خروجها يكون من اليمن، وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب؛ فإنه يمكن الجمع بين هذه الأحاديث بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله ﷺ: (تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب (٢).

رابعاً: أما عن كيفية حشر النار للناس، قد حدثنا الرسول ﷺ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - ، قال: (يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، ويحشر بقيتهم النار ، تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا) (٣).

فالحديث بيّن أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج:

الفوج الأول: فوجٌ راغبون طاعمون كاسون راكبون.

الفوج الثاني: فوجٌ يمشون تارة ويركبون أخرى، يعتقبون على البعير الواحد؛ كما في الحديث

السابق: (اثنان على بعير، وثلاثة على بعير،...، إلى قال : وعشرة على بعير يتعقبونه)، وذلك من

قلة الظهر يومئذ.

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، د.ط، (١٣ / ٨٢) .

(٢) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، د.ط، (١١ / ٣٧٨) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق ، باب: كيف الحشر ، (٥ / ٢٣٩٠) ، رقم الحديث: ٦١٥٧ . و أخرجه مسلم

في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فَنَاءُ الدُّنْيَا وَبَيَانُ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . (٨ / ١٥٧) ، رقم الحديث: ٧٣٨١ .

الفوج الثالث: تحشرهم النار، فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف أكلته النار^(١).

هذا ما يتعلق بمبحث مسائل الإيمان بأشراط الساعة ويليهِ المبحث الثالث: وهو مسائل الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه. والله ولي الاحسان.

المبحث الثالث: مسائل الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه.

المطلب الأول: الإيمان بحياة البرزخ.

الإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وعذاب القبر لمن كان مستحقاً له من أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

ويبين الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) فترة البرزخ بقوله: "عذاب القبر ونعيمه اسمه لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٠٠) ^٢، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة" ^٣.

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله تعالى- (ت ٧٩٢ هـ) في هذه الحقيقة: "واعلم أن

عذاب القبر وعذاب البرزخ حق، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د.ط، (١١ / ٣٧٩)، انظر: ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، ط ١، (١ / ٩٧) بتصرف.

٢ سورة المؤمنون: آية ١٠٠

٣ انظر: ابن القيم، الروح، د.ط، ص ١٠٣.

روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور ، وما ورد من إجلالته ، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك ، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير ^(١).

وقد أبان الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أحوال القبر في كتبه ولا سيما كتابه التفسير حيث يقول: "ومن أنواع الإيمان بالغيب الإيمان باليوم الآخر، وبما وعد الله العباد من الجزاء فدخل في هذا الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت من فتنة القبر وأحواله ^(٢) .

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "ومذهب أهل السنة أن العذاب والنعيم لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأيضاً تتصل بالبدن أحياناً، فيحصل له معها النعيم أو العذاب، ولأهل السنة قول آخر: أن ذلك على البدن وحده ^(٣) .

المطلب الثاني: الأدلة على نعيم القبر وعذابه وكلام السعدي عنها.

ويظهر أيضاً عناية الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ببيان أحوال القبر من فنتته وعذابه ونعيمه في ضوء تفسيره للأدلة القرآنية التالية:

الدليل الأول: من الأدلة على نعيم القبر وعذابه قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ^(٤) ، يقول عند تفسير الآية: "يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح وثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس و مراداتها. وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين،

(١) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص (٤٥١) .

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الأول)، ط ١، (١٣/٨٩).

(٣) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٩٦.

(٤) سورة إبراهيم: آية ٢٧.

للجواب الصحيح، إذا قيل للميت " من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: " الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي "¹.

...وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺ في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه"².

الدليل الثاني: كما أشار عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ ٢، إلى أن دار البرزخ وما فيها من نعيم أو عذاب ليست دار الخلود والبقاء، وإنما هي دار فاصلة بين دار الدنيا ودار الآخرة، فقال: "أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية، أن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين. فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية"³.

الدليل الثالث: وعند قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ١١، يقول: "أي: و لنذيقن الفاسقين المكذبين، نموذجًا من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه، قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه،... وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالاتها ظاهرة، فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ ٦، أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار. ولما كانت الإذاعة من

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب: (سورة إبراهيم عليه السلام)، (٦ / ٣٧٢)، رقم الحديث: ١١٢٦٥، أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب: في المسألة في القبر وعذاب القبر، (٤ / ٣٨٣)، رقم الحديث: ٤٧٥٥، أخرجه الترمذي في السنن، كتاب تفسير القرآن، باب: سورة إبراهيم عليه السلام، (٥ / ٢٩٥)، رقم الحديث: ٣١٢٠، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٢٥).

(٣) سورة التكاثر: آية ٢.

(٤) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٩٣٣).

(٥) سورة السجدة: آية ٢١.

(٦) سورة السجدة: جزء من آية ٢١.

العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم" (١) .

الدليل الرابع: وعند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤) ، يقول: "وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب، جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر" (٣) .

الدليل الخامس: وعند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٢٣) (٤) قال: "وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبل الموت وبعده. وفيه دليل، على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، و يساكن الجسد، ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ" (٥) .

المطلب الثالث: موعظة الشيخ السعدي عن حياة البرزخ.

يعظنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بموعظة عن حياة البرزخ في إحدى خطبه حيث يقول: " ولم نفقد من أعمالنا مثقال ذرة من خير أو شر فأصبحنا مرتهين صدقا* أما طائعا فقد اغتبط بعمله ولقي الفوز والروح والريحان* وأما عاصينا فقد باء بالخيبة والحسرة والهوان* يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا* ويودون أن لو مكنوا ليعملوا صالحاً وينيبوا* وأنتم إلى ما صاروا إليه صائرون* وبكأس الحمام الذي يدور على الخليقة شاربون. فتوبوا إلى ربكم ما دمتم في زمن الإمهال. وتقربوا إليه بما استطعتم من صالح الأعمال" (٦) .

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٦٥٦) .

(٢) سورة طه: آية ١٢٤ .

(٣) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٥١٥) .

(٤) سورة الأنعام: جزء من آية ٩٣ .

(٥) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢٦٤) .

(٦) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الخطب)، ط ١، (١٥/١٢١) .

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد وافق عقيدة أهل السنة في أحوال القبر، فكلما مر بآية متعلقة بهذا القضية فإنه يوضحها ويذكر الآيات الدالة عليها من مواضع متعددة.

هذا ما يخص بمسائل الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه، ويليه المبحث الرابع: مسائل الإيمان بالنفخ بالصور. والله ولي الاحسان.

المبحث الرابع: أهوال يوم القيامة.

يحدثنا القرآن عن أهوال ذلك اليوم التي تشده الناس، وتشدُّ أبصارهم، وتملك عليهم نفوسهم، وتزلزل قلوبهم، ومن أعظم تلك الأهوال ذلك الدمار الكوني الشامل الرهيب الذي يصيب الأرض وجبالها، والسماء ونجومها وشمسها وقمرها.

يحدثنا ربنا أن الأرض تزلزل وتدكُّ، وأن الجبال تُسَيَّر وتنسف، والبحار تُفَجَّر وتُسَجَّر، والسماء تتشقق وتَمُور، والشمس تُكْوَر وتذهب، والقمر يخسف، والنجوم تنكدر ويذهب ضوءها، وينفطر عقدها.

وقد أشار كلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى هذه الأهوال بقوله: " فإذا أراد الملك القادر بعث العباد وحشرهم وجزأهم، نفخ في الصور، فانزعج لهذا أهل السماوات والأرض، وصعقوا إلا من شاء الله من خلقه، ثم نُفخ نفخة البعث، فإذا هم قيام من أجداثهم كاملي الخلقة، ينظرون ما يستقبلهم من هذه الحياة الأخرية التي يجازي فيها العباد بأعمالهم، حسننها و سيئها .

أما المؤمنون الطائعون فيقومون مطمئنين طامعين في فضل ربهم ورحمته، مستبشرين بثوابه وعفوه ومغفرته، يحشرون إلى موقف القيامة وفدا مكرمين، وأما المجرمون فيقومون فزعين خائفين متحسرين، يدعون بالويل والثبور، يقولون: يا ويلنا، من بعثنا من مرقدنا؟ فيساقون إلى جهنم وردا.

فحينئذ تكثر القلاقل والأهوال ، ويشيب الولدان من هول ذلك اليوم وفظاعته : قَالَ تَعَالَى ﴿ ١٥ ﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿ ٢ ﴾ ^(١) ، قَالَ تَعَالَى ﴿ ١٥ ﴾ وَيَوْمَ تَشْفَقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ﴿ ١٥ ﴾ أَلَمْ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ الْخَبَرُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿ ٣٦ ﴾ ^(٢) ، قَالَ تَعَالَى ﴿ ٣٦ ﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿ ٣٤ ﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿ ٣٧ ﴾ وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ ﴿ ٣٨ ﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿ ٣٩ ﴾ وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿ ٤٠ ﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿ ٤١ ﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿ ٤٢ ﴾ ^(٣) .

وتكور الشمس والقمر ، وتنتثر النجوم ، فتذهب هذه الأنوار المشاهدة ، وتشرق الأرض بنور ربها ، وينزل الله لفصل القضاء بين عباده ، ومحاسبتهم على أعمالهم .

أما المؤمنون : فيحاسبهم حسابا يسيرا يقرهم بذنوبهم ، ثم يغفرها ويستترها عن الخلائق ، ويضاعف لهم الحسنات ، ويعطيهم من فضله وإحسانه ما لا تبلغه أعمالهم ، ويعطون كتبهم بأيمانهم إكراما واحتراما ، كما تبيض وجوههم ، وتثقل موازينهم ؛ ويغبطون بذلك ، ويستبشرون به ، فيقولون لإخوانهم ومعارفهم ومحبيهم : قَالَ تَعَالَى ﴿ ١٩ ﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَهُ بِإِيمَانِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِئَةٌ ﴿ ١٩ ﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ ﴿ ٢٠ ﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿ ٢١ ﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿ ٢٢ ﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿ ٢٣ ﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿ ٢٤ ﴾ ^(٤) ، ويساقون إلى الجنة زمرا ، كل طائفة منهم مع نظرائهم في الخير بحسب طبقاتهم وسبقهم ، كما يردون في عرصات القيامة حوض نبينهم ، فيشربون منه شربة هنيئة لا يظمأون بعدها ، ويمرون على الصراط على قدر أعمالهم كلمح البصر ، وكالبرق الخاطف ، وكأجاويد الخيل والإبل ، وكسعي الرجال ، وكمشيهم ، ودون ذلك .

(١) سورة الحج: آية ٢

(٢) سورة الفرقان: الآيتان ٢٥ - ٢٦

(٣) سورة عبس: الآيات ٣٤ - ٤٢

(٤) سورة الحاقة: الآيات ١٩ - ٢٤

فإذا عبروا على الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعض بعضهم من بعض مظالم وتبعات كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها بشفاعة محمد ﷺ فتلقاهم خزنة الجنة، يسلمون عليهم ، ويهنوهم بالنجاة من العذاب وحصول الخير والثواب والخلود الأبدي بسبب طيبهم ، فإذا دخلوها ورأوا ما فيها من النعيم المقيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، حمدوا الله على منته عليهم بالسوابق والإيمان والأعمال الصالحة.

وأما الكافرون المجرمون : فيحاسبهم الله على ما أسلفوه من الجرائم ، ويقرعهم ويخزيهم بين الخلائق ، ويعطون كتبهم من وراء ظهورهم بشمائلهم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لَأُوْتِيَ كِتَابَهُ بِأَمْرِ رَبِّي﴾ (٢٥) وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِي (٢٦) يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) (١) ، وتسود منهم الوجوه ، وتخف موازينهم ، ويساقون إلى جهنم جياعا عطاشا منزعجين مرعوبين زمرا ، كل طائفة تحشر مع نظيرها من أهل الشر ، وفتحت أبواب جهنم في وجوههم ، ففاجأهم حرها المفطع ، وحل بهم الفرع الأكبر الذي لا يشبهه فرع ، وتلقته خزنة الجحيم ، يوبخونهم على ما قدموه ، وقالوا لهم : قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ فِئًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ ۚ (٢) ، قد جاءتنا الرسل ، وبلغتنا النذر ، فما كان منا إليهم إلا الاستهزاء بهم والتكذيب ، فلو كان لنا أسماع واعية ، وعقول نافعة ما وصلنا إلى هذه الدار ، بل خالفنا المنقول والمعقول ، ما أشد شقاءهم وعناءهم ؛ ينوع عليهم العذاب أنواعا... فحينئذ يأسون

(١) سورة الحاقة: الآيات ٢٥ - ٣٧

(٢) سورة الزمر: جزء من الآية ٧١.

من كل خير ، ومن كل فرج وراحة ، ويتيقنون أنه الخلود الدائم والعذاب الأبدي والشقاء المستمر . .
فنسأل الله الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ به من النار، وما قرب إليها من قول وعمل"^(١)
ويقول الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- في بيان أهوال هذا اليوم: "إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا، فتشقت بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها، حتى يأمر الرب، فينزلون إلى الأرض، فيحيطون بالأرض، و من فيها ثم يأمر السماء التي تليها، فينزلون فيكونون صفا خلف ذلك الصف، ثم السماء الثالثة، ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة، فينزل الملك الأعلى في بهائه، و جلاله، و ملكه، و بجنبته اليسرى جهنم، فيسمعون زفيرها و شهيقها، فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفا قياما من الملائكة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾^(٣) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ^(٤)، يعني: على حافاتها يعني بأرجائها ما تشفق منها فبينما هم كذلك إذ سمعوا الصوت فأقبلوا إلى الحساب"^(٥).

مما سبق تبين أن يوم القيامة على مراحل عظيمة ومواقف هائلة تم ذكرها في نصوص القرآن والسنة النبوية، وذكرها الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- بشكل عام على عقيدة أهل السنة والجماعة، أما تفصيل ذلك فبياناه مع كلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى في المباحث التالية.

المبحث الخامس: مسائل الإيمان بالنفخ بالصور.

المطلب الأول: المراد بالصور.

(١) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ٣٣-٣٦. "بتصرف".

(٢) سورة الفجر: الآية ٢٢

(٣) سورة الحاقة، الآيتان ١٧، ١٦

(٤) انظر: القرطبي، التذكرة، ط ١، (١ / ٢٦٩).

هذا الكون البديع الواسع الذي نعيش فيه، يعجُّ بالحياة والأحياء الذين نراهم والذين لا نراهم، وهم فيه في حركة دائبة مستمرة، وسيبقى حاله كذلك إلى أن يأتي اليوم الذي يُفنى فيه جميع الأحياء إلا من يشاء الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(١)

ويبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- معنى الصور ومن الملك الموكل بالنفخ فيه بقوله: "هو قرن عظيم، لا يعلم عظمته إلا خالقه، ومن أطلعه الله على علمه من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن"^(٢).

و يقول الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى- (ت ٣١٠ هـ): " المراد بالصور: "القرن" الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر أن ينفخ) ؟ قال : قلنا : يا رسول الله فما نقول يومئذ ؟ قال : (قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل)^(٣) " (٤).

المطلب الثاني: التعريف بالنفختين:

وينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفختين:

النفخة الأولى: نفخة الصعق، ونفخة الفزع.

١ سورة الرحمن: آية ٢٦ .

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٧٢٩).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب: الأذكار، (٣/ ١٠٥)، رقم الحديث: ٨٢٣، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي سعيد الخدري - عليه السلام -، (٣/ ٧)، رقم الحديث: ١١٠٥٣، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب: سورة آل عمران، (٦/ ٣١٦)، رقم الحديث: ١١٠٨٢، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب صفة القيامة، باب منه (يومئذ تحدث أخبارها)، (٩/ ٢٩١)، رقم الحديث: ٢٦١٨. عن أبي سعيد الخدري - عليه السلام - قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (١١/ ٤٦٣). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٣/ ٢٨١).

النفخة الثانية: نفخة البعث والنشور.

وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى النفختين في تفسيره، فقال عن النفخة الأولى: **نفخة الصعق** عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ (٤٩) ﴿^(١)﴾، وهي نفخة الصور تصيبهم وهم لا هون عنها، لم تخطر على قلوبهم في حال خصومتهم، وتشاجرهم بينهم، الذي لا يوجد في الغالب إلا وقت الغفلة، وإذا أخذتهم وقت غفلتهم، فإنهم لا ينظرون ولا يمهلون، فلا يستطيعون توصية لا قليلة ولا كثيرة" (٢).

وقال عن (نفخة الفرع) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُهُ دَخِرِينَ﴾ (٨٧) ﴿^(٣)﴾. فقال: ﴿^(٤)﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ ﴿^(٥)﴾ بسبب النفخ فيه ﴿^(٦)﴾ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿^(٧)﴾ أي: انزعجوا وارتاعوا وماج بعضهم ببعض خوفا مما هو مقدمة له. ﴿^(٨)﴾ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿^(٩)﴾ مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَثَبَّتَهُ وَحَفَظَهُ مِنَ الْفَرْعِ. ﴿^(١٠)﴾ وَكُلُّ ﴿^(١١)﴾ مَنْ الْخَلْقِ عِنْدَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ ﴿^(١٢)﴾ أَتَوُهُ دَخِرِينَ ﴿^(١٣)﴾ صَاغِرِينَ ذَلِيلِينَ" (٩).

وقال عن (النفخة الثانية) نفخة البعث والنشور: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١) ﴿^(١٤)﴾، وهذه نفخة البعث والنشور، فإذا نفخ في الصور، خرجوا من الأجداث والقبور، ينسلون إلى ربهم، أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من

(١) سورة يس: آية ٤٩.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٦٩٦/١). "بتصرف".

(٣) سورة النمل: آية ٨٧.

(٤) سورة النمل: جزء من آية ٨٧.

(٥) سورة النمل: جزء من آية ٨٧.

(٦) سورة النمل: جزء من آية ٨٧.

(٧) سورة النمل: جزء من آية ٨٧.

(٨) سورة النمل: جزء من آية ٨٧.

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٦١٠/١).

(١٠) سورة يس: آية ٥١.

التأني والتأخر، وفي تلك الحال، يحزن المكذبون، ويظهرون الحسرة والندم، ويقولون: ﴿يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^(١) أي: من رقدتنا في القبور^(٢).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر مبيناً النفختين عند قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِيهَا يَنْظُرُونَ﴾^(٣): "﴿فَصَعِقَ﴾^(٤) أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمتها، وما يعلمون أنها مقدمة له. ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(٦) ممن ثبته الله عند النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، وغيرهم. وهذه النفخة الأولى، نفخة الصعق، ونفخة الفزع.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾^(٧) النفخة الثانية نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ فِيهَا يَنْظُرُونَ﴾^(٨) أي: قد قاموا من قبورهم قبورهم لبعثهم وحسابهم، قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح، وشخصت أبصارهم يَنْظُرُونَ ماذا يفعل الله بهم^(٩).

ويقول -رحمه الله تعالى- مبيناً جمع الخلائق للبعث والنشور عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النُّفُورِ﴾^(١٠): "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ للقيام من القبور، وجمع

(١) سورة يس: جزء من آية ٥٢.

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١/٦٩٧).

(٣) سورة الزمر: آية ٦٨.

(٤) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٥) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٦) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٧) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٨) سورة الزمر: جزء من آية ٦٨.

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٧٢٩).

(١٠) سورة المدثر: الآيات ٨-١٠.

الخلق للبعث والنشور، ﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾^(١) لكثرة أهواله وشدائده. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَسِيرٌ﴾^(٢) لأنهم لأنهم قد أيسوا من كل خير، وأيقنوا بالهلاك والبوار، ومفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير^(٣).
وقد أشار الإمام الرازي-رحمه الله تعالى-إلى النفختين بقوله: "فصاحب الصور يبلغ في القوة إلى حيث أن بنفخة واحدة منه يصعق من في السماوات والأرض، وبالنفخة الثانية منه يعودون أحياء، فاعرف منه عظم هذه القوة"^(٤).

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى قد وافق عقيدة أهل السنة في المسألة العقدية: النفخ في الصور، ووضّح تفاصيلها بتعريف الصور، ونوعي النفختين، ومن الملك الموكل بالنفخ في الصور.
هذا ما يتعلق بمسائل الإيمان بالنفخ بالصور، يليه المبحث الخامس: مسائل الإيمان بالبعث. والله ولي الاحسان.

المبحث السادس: مسائل الإيمان بالبعث.

الإيمان بالبعث من أعظم أصول الإيمان في هذا الدين، وهو مشتمل على جوانب متعددة مما دلت عليه النصوص الواردة في هذا المبحث، وسيكون بحثه هنا من خلال عدة مطالب تجلي حقيقته وتبرز أهمية الإيمان به، وما يجب على المؤمن أن يؤمن به من أحواله وأحداثه مع بيان وطرح الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-لهذه القضية التي أثباتها بالأدلة العقلية والنقلية.
المطلب الأول: معنى البعث وحقيقته وتقريره.

إذا شاء مالك يوم الدين -جَلَّالٌ-إعادة العباد وإحياءهم أمر إسرائيل عليه السلام فنفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين. فما معنى البعث؟

(١) سورة المدثر: آية ٩.

(٢) سورة المدثر: آية ١٠.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٩٦، ٤٨٧).

(٤) انظر: الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، ط ٢، (١ / ١٤٥)، و انظر: السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ط ٢، (٢ / ١٦٢، ١٦٤، ١٦٣). انظر: الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط ١، ص ١٧٩.

أولاً: البعث لغةً: أَنَّ البَعثَ في كلام العرب على وَجْهَيْنِ:

أحدهما: الإرسال، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى﴾^(١) معناه: أَرْسَلْنَا .

والثاني: إثارة باريك أو قاعيد . ومنه : الإحياء من الله للموتى ، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾^(٢) أي أَحْيَيْنَاكُمْ^(٣) .

ثانياً: البعث شرعاً: هو المعاد الجسماني، وإحياء العباد في يوم المعاد والنشور، أي: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى- (ت ٧٧٤هـ) مبيناً معنى البعث بأنه: "وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة"^(٤).

وقد أوضح الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- معنى البعث بالإعادة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٥) : "ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتكم بعد موتكم خلقاً جديداً، ولكن لذلك الوقت أجل قدره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر"^(٦) .

ثالثاً: حقيقة البعث: يعيد الله العباد أنفسهم، ولكنهم يخلقون خلقاً مختلفاً عما كانوا عليه في الحياة الدنيا، فالبعث إعادة وليس تجديدًا، بل هو إعادة لما زال وتحول؛ فإن الجسد يتحول إلى تراب، والعظام تكون رميماً؛ يجمع الله تعالى هذا المتفرق، حتى يتكون الجسد، فتعاد الأرواح إلى أجسادها^(٧). كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾^(٨) .

(١) سورة الأعراف: جزء من آية ١٠٣ .

(٢) سورة البقرة: جزء من آية ٥٦ .

(٣) المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، مادة: "بعث"، (١ / ٢١٤)، و انظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، د.ط، مادة: "بعث"، (١ / ٢٦٩) .

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٥ / ٣٩٥) .

٥ سورة فاطر: آية ١٦

(٦) انظر: السعدي ، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٩٦، ٦٨٧) .

(٧) انظر: ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ط الأخيرة، (٨ / ٤٩٠ - ٤٩٢) .

رابعاً: تقرير البعث والنشور:

يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- تقرير المعاد والنشور بقوله: "والمعاد يقرره الرب بالبراهين العقلية، إما بذكر نظيره كإخباره بإحياء من أحياهم في هذه الدار، وتارة يستدل على إمكان ذلك بخلق السماوات والأرض، فإن خلقها أعظم من إعادة الإنسان، وتارة يستدل على ذلك بخلق النبات ونحو ذلك" (٢).

وقد أكثر الحق -عز شأنه- في محكم كتابه تقرير النشور والمعاد بأساليب متعددة منها:
أولاً: الإخبار بكمال قدرة الله تعالى، ونفوذ مشيئته، وأنه لا يعجزه شيء، لإعادة العباد بعد موتهم فرد من أفراد آثار قدرته.

ثانياً: إخباره وهو أصدق القائلين عنه، وعما يكون فيه من الجزاء الأوفى، مع إكثار الله من ذكره، فقد أقسم عليه في ثلاثة مواضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ﴾ (٣).
ثالثاً: إحياءه الأرض الهامدة الميتة بعد موتها، وأن الذي أحيها سيحي الموتى، وقرر ذلك بقدرته على ما هو أكبر من ذلك، وهو خلق السماوات والأرض، والمخلوقات العظيمة، فمتى أثبت المنكرون ذلك، ولن يقدروا على إنكاره، فلأي شيء يستبعدون إحياء الموتى؟ وقرر ذلك بسعة علمه، وكمال حكمته، وأنه لا يليق به، ولا يحسن أن يترك خلقه سدى مهملين، لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون .

رابعاً: تذكيره العباد بالنشأة الأولى، وأن الذي أوجدهم ولم يكونوا شيئاً مذكوراً، لا بد أن يعيدهم كما بدأهم، وأن الإعادة أهون عليه، وأعاد هذا المعنى في مواضع كثيرة بأساليب متنوعة .
خامساً: ومما قرر به البعث ومجازاة المحسنين بإحسانهم، والمسيئين بإسائتهم : ما أخبر به من أيامه وسننه سبحانه في الأمم الماضية والقرون الغابرة. وكيف نجى الأنبياء وأتباعهم، وأهلك المكذبين

(١) سورة الروم: آية ٢٧.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى)، ط ١، (١٦ / ٤٩)، ولنفس المؤلف، طريق الوصول

إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١١٩.

(٣) سورة القيامة: آية ١ .

لهم المنكرين للبعث، ونوّعَ عليهم العقوبات، وأحل بهم المُثَلات، فهذا جزاء معجل ونموذج من جزاء الآخرة أراه الله عباده، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

سادساً: ومما قرر به البعث ما أرى الله عباده من إحيائه الأموات في الدنيا كما ذكره الله عن صاحب البقرة والألوف من بني إسرائيل، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها^١، وقصة إبراهيم الخليل والطيور، وإحياء عيسى بن مريم للأموات وغيرها مما أراه الله عباده في هذه الدار، ليعلموا أنه قوي ذو اقتدار، وأن العباد لا بد أن يَرِدوا دار القرار، إما الجنة أو النار، وهذه المعاني أبدائها الله وأعادها في محال كثيرة^(٢).

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي —رحمه الله تعالى— قد وافق عقيدة أهل السنة في المسألة العقدية: البعث والنشور، وبَيَّن أن المعاد أحد الأصول المتفق عليها بين الرسل والشرائع كالتوحيد والرسالة، وأمر المعاد، وقد أكثر القرآن من تقريره بأساليب متنوعة.

المطلب الثاني: المكذبون بالبعث والأدلة على إنه كائن.

أولاً: المكذبون بالبعث

كذَّب كثير من الناس بالبعث والنشور قديماً وحديثاً، ويمكن تصنف المكذبين بالبعث والنشور إلى ثلاثة أصناف^٣:

الصنف الأول: الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدهرية

الطبايعية، ومنهم الشيوعيون في عصرنا، وهؤلاء ينكرون صدور الخلق عن خالق، فهم منكرون للنشأة الأولى والثانية، ومنكرون لوجود الخالق أصلاً.

١ قال الشيخ السعدي —رحمه الله تعالى— في تفسيره عن هذا الرجل: "وأما قول كثير من المفسرين: إن هذا الرجل، مؤمن أو نبي من الأنبياء، إما عزيز عليه السلام أو غيره" انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، ص ٩٤.

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (التفسير)، ط ١، (١/ ٢٢، ٢١) "باختصار".

٣ عمر الأشقر، القيامة الكبرى، ط ٤، ص ٧١-٧٧ "بتصرف".

بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) عقيدة هؤلاء الملاحدة بقوله: " أن باطنية الفلاسفة يفسرون ما وعد الناس به في الآخرة بأمثال مضروبة لتفهيم ما يقوم بالنفس بعد الموت من اللذة والألم ، لا بإثبات حقائق منفصلة يتنعم بها ، ويتألم بها " (١).

و يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ) في معرض حديثه عن عقيدة الملاحدة باليوم الآخر: " وأما الإيمان باليوم الآخر فهم لا يقرون بانفطار السموات وانتثار الكواكب وقيامه الأبدان ولا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وأوجد هذا العالم بعد عدمه ، فلا مبدأ عندهم ولا معاد ولا صانع ولا نبوة ولا كتب نزلت من السماء تكلم الله بها ولا ملائكة تنزل بالوحي من الله تعالى فدين اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل خير وأهون من دين هؤلاء " (٢)، ولا يحسن مناقشة هؤلاء في أمر المعاد ، بل يناقشون في وجود الخالق ووحدانيته أولاً ثم يأتي إثبات المعاد بعد ذلك ، لأن الإيمان بالمعاد فرع الإيمان بالله ﷻ .

الصنف الثاني : الذين يعترفون بوجود الخالق ، ولكنهم يكذبون بالبعث والنشور ، ومن هؤلاء العرب الذين قال الله فيهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾^٣ وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون بالله ، ولكنهم يدعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إماتتهم ، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثال ، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور ، وأنه لا يعجزه شيء . ومن هؤلاء طائفة من اليهود يُسمون بالصادوقيين ، يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بتوراة موسى ﷺ ، وهم يُكذبون بالبعث والنشور والجنة والنار .

الصنف الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التي جاءت بها الشرائع السماوية .

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٣/٢٣٨).

(٢) ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط ٢، (٢/٢٦٢).

^٣ سورة لقمان: آية ٢٥

ثانياً: أدلة البعث والنشور.

الإيمان بالبعث والنشور أوجبه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ودلا عليه دلالة قاطعة ، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر ، وتفاصيل ما فيه ، وكما ذكر القرآن الأدلة عليه ، رد على منكريه ، وبين كذبهم وافتراءهم ، وقد بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قضية البعث للمنكرين ، وكرّر الإشارة إلى أدلته العقلية والنقلية في مواضع عدة من تفسيره نوضحها كما يلي:

أولاً: الاستدلال بعظمة الخالق وقدرته .

بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- للذين يستبعدون الإعادة بعد موتهم مذكراً إياهم بعظمة وقدره خالقهم ﷻ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (١) : "ثم ذكر عظمة قدرته وكمالها وأنه لا يمكن أن يتصورها العقل فقال: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ (٢) وهذا شيء يحير العقول، إن خلق جميع الخلق - على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لحظة واحدة - كخلقه نفساً واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور، والجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة الله ﷻ وقوة قدرته" (٣) .

وقد كفر الله من أنكر البعث فقال عز شأنه: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثَوْا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٤) ، وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى عناد وتكذيب الكافرين مع التأكيد عليه بالقسم في ضوء تفسيره للآية فقال: "يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، فأمر أشرف خلقه، أن يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق، ﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٥) ، فإنه وإن كان

(١) سورة لقمان: آية ٢٨.

(٢) سورة لقمان: جزء من آية ٢٨.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٥٠).

(٤) سورة التغابن: آية ٧.

(٥) سورة التغابن: جزء من آية ٧.

عسيراً بل متعذراً بالنسبة إلى الخلق، فإن قواهم كلهم، لو اجتمعوا على إحياء ميت واحد، ما قدروا على ذلك، وأما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون" (١).

ثانياً: القادر على خلق ما يبهر العقول قادر على خلقهم.

إن من جملة خلقه ما هو أعظم من خلق الناس، فكيف يقال للذي خلق السماوات والأرض أنت لا تستطيع أن تخلق ما دونها، بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) هذا الاستدلال بقوله: "فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم ﷺ، والقدرة عليه أبلغ - وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك" (٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله تعالى- (ت ٧٩٢هـ) في هذه الحقيقة: "أخبر تعالى أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما، يحيي عظاماً قد صارت رميماً، فيردها إلى حالتها الأولى" (٣).

وبيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ذلك عند قوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨)؛

بقوله: "يخبر تعالى بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض -على عظمهما وسعتهما- أعظم وأكبر، من خلق الناس، فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى وأحرى. وهذا أحد

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/٨٦٦).

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٣/٢٩٩).

(٣) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص (٤٦١).

٤ سورة غافر: الايتان ٥٧ - ٥٨

الأدلة العقلية الدالة على البعث، دلالة قاطعة، بمجرد نظر العاقل إليها، يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من البعث، وليس كل أحد يجعل فكره لذلك، ويقبل بتدبره، ولهذا قال: ولكن أكثر الناس لا يعلمون لذلك ولا يعتبرون بذلك، ولا يجعلونه منهم على بال. فما الحامل لهم، على ذلك التكذيب مع التصديق، بما هو أكبر منه؟ نعم ذاك خبر غيبي إلى الآن، ما شاهدوه، فلذلك كذبوا به" (1).

ثالثاً: ضرب المثل بإحياء الأرض بعد موتها:

ضرب الله المثل لإعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية بإحيائه الأرض بعد موتها بالنبات، وهذا المثل من الأدلة العقلية لإقناع المنكر بالمعاد حيث بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- دليلين عقليين فيهما البيان الواضح علي البعث عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (2)، فقال: "ولما ذكر كرم الأرض، وحسن شكرها لما ينزله الله عليها من المطر، وأنها بإذن ربها، تخرج النبات المختلف الأنواع، أخبر أنه خلقنا منها، وفيها يعيدنا إذا متنا فدفنا فيها، ومنها يخرجنا تارة أخرى، فكما أوجدنا منها من العدم، وقد علمنا ذلك و تحققناه، فسيعيدنا بالبعث منها بعد موتنا، ليجازينا بأعمالنا التي عملناها عليها، وهذان دليلان على إعادة عقليان واضحان: إخراج النبات من الأرض بعد موتها، وإخراج المكلفين منها في إيجادهم" (3).

رابعاً: الاستدلال على الخلق الجديد بالخلق الأول.

استدل القرآن على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى، فنحن نشاهد في كل يوم حياة جديدة يُخلق فيها: أطفال يولدون، وطيور تخرج من بيضها، وحيوانات تلدها أمهاتها، وأسماك تملأ البحر والنهر، يرى الإنسان ذلك كله بأم عينيه، ثم ينكر أن يقع مثل ذلك مرة أخرى بعد أن يبيد الله هذه الحياة. إن الذين يطلبون دليلاً على البعث بعد الموت يغفلون عن أن خلقهم على هذا النحو أعظم دليل، فالقادر على خلقهم أولاً، قادر على إعادة خلقهم مرةً أخرى، وقد أكثر القرآن من الاستدلال على

(1) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٧٤٠، ٦٧٥). بتصرف.

(2) سورة طه: آية ٥٥.

(3) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٥٠٧).

صل

النشأة الآخرة بالنشأة الأولى ، وتذكير العباد المستبعدة لذلك بهذه الحقيقة^(١) . قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾^(٢)، وقد أوضح الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - الدليل العقلي والنقلي لإعادة الخلق مع بيانه المقصود من البعث؛ ليجزي الصادقين والمؤمنون لإيمانهم ويحصل لهم به كل مطلوب ومرغوب، وأمنية عند تفسيره للآية فقال: "فالقادر على ابتداء الخلق قادر على إعادته، والذي يرى ابتداءه بالخلق، ثم ينكر إعادته للخلق، فهو فاقده العقل منكر لأحد المثليين مع إثبات ما هو أولى منه، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد. وقد ذكر الدليل

صل

النقلي بعدها فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾^(٣) أي: وعده صادق لا بد من إتمامه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٤) بقلوبهم بما أمرهم الله بالإيمان به. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٥) بجوارحهم، من واجبات، ومستحبات، ﴿بِالْقِسْطِ﴾^(٦) أي: بإيمانهم وأعمالهم"^(٧) .

خامساً: تنقل الآدمي في عدة أطوار.

الذين يكذبون بالبعث يرون هلاك العباد، ثم فناءهم في التراب، فيظنون أن إعادتهم بعد ذلك مستحيلة، وتناسوا أطوار ومراحل خلقهم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٨) ،

١ عمر الأشقر، القيامة الكبرى، ص ٧٧-٧٦. "بتصرف".

(٢) سورة يونس: جزء من آية ٤ .

(٣) سورة يونس: جزء من آية ٤ .

(٤) سورة يونس: جزء من آية ٤ .

(٥) سورة يونس: جزء من آية ٤ .

(٦) سورة يونس: جزء من آية ٤ .

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٥٧)، (١ / ٦٧٤).

٨ سورة فاطر: آية ١١

، يبين الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-عند هذه الآية أطوار خلق الإنسان وكيف يستدل بهذا على النشور: "يذكر تعالى خلقه الآدمي، وتنقله في هذه الأطوار، من تراب إلى نطفة وما بعدها.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(١) أي: لم يزل ينقلكم، طورا بعد طور، حتى أوصلكم إلى أن كنتم أزواجا، ذكرا يتزوج أنثى، ويراد بالزواج، الذرية والأولاد، فهو وإن كان النكاح من الأسباب فيه، فإنه مقترن بقضاء الله وقدره، وعلمه، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾^(٢) وكذلك أطوار الآدمي، كلها بعلمه وقضائه. ﴿وَمَا يَعْمرُ مِنْ مَّعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾^(٣)، أي: عمر الذي كان معمرا عمرا طويلا إلا بعلمه بعلمه تعالى، أو ما ينقص من عمر الإنسان الذي هو بصدد أن يصل إليه، لولا ما سلكه من أسباب قصر العمر، كالزنا، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، ونحو ذلك مما ذكر أنها من أسباب قصر العمر.

والمعنى: أن طول العمر وقصره، بسبب وبغير سبب كله بعلمه تعالى، وقد أثبت ذلك ﴿فِي كِتَابٍ﴾^(٤) حوى ما يجري على العبد، في جميع أوقاته وأيام حياته"^(٥).

ثالثاً: أبلغ وأجمع دليل على البعث.

وأجمع بيان لما ذكر سابقاً من استدلالات على البعث هو قول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(١) أي: إحاطة علمه بتلك المعلومات الكثيرة، وإحاطة كتابه

١ سورة فاطر: جزء من آية ١١

٢ سورة فاطر: جزء من آية ١١

٣ سورة فاطر: جزء من آية ١١

٤ سورة فاطر: جزء من آية ١١

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٨٥).

فيها، فهذه ثلاثة أدلة من أدلة البعث والنشور، كلها عقلية، نبه الله عليها في هذه الآيات: إحياء الأرض بعد موتها، وأن الذي أحيها سيحيي الموتى، وتنقل الآدمي في تلك الأطوار.

فالذي أوجده ونقله، طبقا بعد طبق، وحالا بعد حال، حتى بلغ ما قدر له، فهو على إعادته وإنشائه النشأة الأخرى أقدر، وهو أهون عليه، وإحاطة علمه بجميع أجزاء العالم، العلوي والسفلي، دقيقتها وجليلها، الذي في القلوب، والأجنة التي في البطون، وزيادة الأعمار ونقصها، وإثبات ذلك كله في كتاب. فالذي كان هذا نعته يسيرا عليه، فإعادته للأموات أيسر وأيسر. فتبارك من كثر خيره، ونبه عباده على ما فيه صلاحهم، في معاشهم ومعادهم^(٢).

وأما أبلغ وأقوى دلالة على البعث ذكر الحق -تبارك وتعالى- الأدلة الخمسة السابقة في موضع واحد في كتابه في معرض الرد على مكذبي البعث، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۖ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسَى خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُعْطِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۚ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۚ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ۚ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۚ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ۚ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۚ (٨٣) ﴿ (٣).

إن هذه الآيات جمع الله فيها أدلة كثيرة على المعاد، وفيها أبلغ الرد على من ينكر البعث. يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى - عند تفسيرها: "هذه الآيات الكريمات، فيها ذكر شبهة منكري البعث، والجواب عنها بآتم جواب وأحسنه وأوضحه"^(٤).

ثم ذكر شبهة المنكر للبعث أو الشاك فيه، وهي قوله: ﴿مَنْ يُعْطِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(١) حيث قاس قدرة الخالق بقدرة المخلوق وهذا الأمر مستبعد على ما يعهد من عادة البشر وهذا القول الذي

١ سورة فاطر: جزء من آية ١١

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٦٨٥).

(٣) سورة يس: الآيات ٧٧-٨٣.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٦٩٩).

صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لا ابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً، لم يضرب هذا المثل.

ثم استخلص الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- من هذه الآيات ستة أدلة فيها أبلغ رد على هذا المنكر^(٢). قال: "فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٣) وهذا بمجرد تصويره، يعلم به علماً يقيناً لا شبهة فيه، أن الذي أنشأها أول مرة قادر على الإعادة ثاني مرة، وهو أهون على القدرة إذا تصويره المتصور. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٤) هذا أيضاً دليل ثاني: من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم .

ثم ذكر دليلاً ثالثاً: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ﴾^(٥) فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادها وشدة تخالفهما، فأخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك .

ثم ذكر دليلاً رابعاً فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٦) على سعتيها وعظميها ﴿يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^(٧) أي: أن يعيدهم بأعيانهم. ﴿بَلَىٰ﴾^(٨) قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٩) وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخالق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها و متأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق

(١) سورة يس: آية ٧٨.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/٦٩٩).

(٣) سورة يس: جزء من آية ٧٩.

(٤) سورة يس: جزء من آية ٧٩.

(٥) سورة يس: آية ٨٠.

(٦) سورة يس: جزء من آية ٨١.

(٧) سورة يس: جزء من آية ٨١.

(٨) سورة يس: جزء من آية ٨١.

أراد خلقه. فإعادته للأموات، فرد من أفراد آثار خلقه، ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾^(٢) نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء. ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣) أي: في الحال من غير تمنع.

﴿فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) وهذا دليل سادس، فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

فإعادته إليهم بعد موتهم، لينفذ فيهم حكم الجزاء، من تمام ملكه، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ تَرَجُّعُونَ﴾^(٥) من غير امتراء ولا شك، لتواتر البراهين القاطعة والأدلة الساطعة على ذلك. فتبارك الذي جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور^(٦).

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - قد وافق عقيدة أهل السنة في طرحه لقضية البعث والنشور، وقرره ورداً على المكذبين بأدلة عقلية ونقلية.

ثم إن الخلائق بعد البعث والنشور يحشرون إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، ويواجهون أهوالاً عظيمة، من الصراط والميزان، والحوض والحساب، والحشر إلى دار القرار إما إلى جنة أو نار -، نسأل المولى الجبار أن يحشرنا مع الأبرار، وهذا ما سنُفَصِّلُه في المطالب القادمة.

المطلب الثالث: الحشر.

المسألة الأولى: تعريف الحشر:

- الحشر لغة: الجمع يقال : حشروهم يحشروهم حشراً: جمعهم. وسمي بهذا الاسم لأنه تجتمع فيه الخلائق^(١).

(١) سورة يس: جزء من آية ٨١.

(٢) سورة يس: جزء من آية ٨٢.

(٣) سورة يس: جزء من آية ٨٢.

(٤) سورة يس: جزء من آية ٨٣.

(٥) سورة يس: جزء من آية ٨٣.

(٦) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٧٠٠، ٦٩٩). انظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص ٢٨٢، ٢٨١.

● الحشر شرعاً: جمع الخلائق، وسوقهم إلى أرض المحشر بما فيهم المكلف وغير المكلف من

البهائم والوحوش على القول الصحيح وذلك لفصل القضاء^(١)

المسألة الثانية: أنواع الحشر:

ذكر العلماء^(٢) أربعة أنواع للحشر، اثنان في الدنيا، واثنان في الآخرة، فأما اللذان في الدنيا:

أولاً: الحشر الدنيوي الأول: الوارد في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ

لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْأَبْصَرَ ﴿٢﴾﴾^(٤).

وقد أشار الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية إلى هذا الحشر الأول بقوله: "هذه

السورة - سورة الحشر - تسمى (سورة بني النضير) وهم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة،

وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم،...، وكان إخراجهم منها أول حشر وجلاء كتبه الله عليهم على

يد رسوله محمد ﷺ، فجلوا إلى خيبر، ودلت الآية الكريمة أن لهم حشراً وجلاء غير هذا، فقد وقع حين

أجلهم النبي ﷺ من خيبر، ثم عمر - رضي الله عنه -، أخرج بقيتهم منها"^(٥)

وعارض الإمام ابن حجر - رحمه الله تعالى - على ذلك بقوله: "ليس حشراً مستقلاً، فإن المراد

حشر كل موجود يومئذ والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة وقد وقع نظيره مراراً، تخرج طائفة من

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "حشر"، (٤/١٩٠)، الرازي، مختار الصحاح، ط ١، مادة: "حشر"، (٢/٦٣٠).

(٢) انظر: تحفة المريد شرح جوهر التوحيد، ص ١٧٠.

(٣) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د. ط، (١١/٣٨٦-٣٨٩)، انظر: تحفة المريد شرح جوهر التوحيد،

ص ١٧٠، انظر: القرطبي، التذكرة، ط ١، (١/١٩٨-٢٠٠).

(٤) سورة الحشر: آية ٢

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٨٤٨).

بلدها بغير اختيارها إلى جهة الشام، كما وقع لبني أمية أول ما تولى ابن الزبير الخلافة، فأخرجهم من المدينة إلى جهة الشام، ولم يعد ذلك أحد حشراً^(١).
وتعقبه الإمام السفاريني - رحمه الله تعالى - بقوله: "والجواب عن ذلك بأن المراد ما سمي حشراً على لسان الشارع وقد سمي الله ذلك حشراً"^(٢)

ثانياً: الحشر الدنيوي الثاني: الواردة في الأحاديث التي فيها ذكر أشرار الساعة، ومنها: حديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، ويحشر بقيتهم النار ، تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا^(٣).
وأما اللذان في الآخرة:

أولاً: الحشر عام لجميع الخلائق .

دلت النصوص الشرعية على حشر العباد بعد بعثهم إلى أرض المحشر حفاة عراة غرلاً. وهذه الأرض التي يحشر العباد عليها في يوم القيامة أرض أخرى غير هذه الأرض ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^٤ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ^٥﴾ .
وقد أشار الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - إلى هذا الحشر العام لجميع الخلائق في ضياء تفسيره للآيات القرآنية التالية:

(١) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ، د.ط، (٣٨٦/١١).

(٢) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ط٢، (١٥٥/ ٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق ،باب: كيف الحشر، (٥ / ٢٣٩٠)، رقم الحديث: ٦١٥٧. ، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: فَنَاءُ الدُّنْيَا وَبَيَانُ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (٨ / ١٥٧)، رقم الحديث: ٧٣٨١.

٤ سورة إبراهيم: آية ٤٨

الدليل الأول: فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧)، "ويحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحدا، بل يجمع الأولين والآخرين، من بطون الفلوات، وقعور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقا جديدا، فيعرضون عليه صفا ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جور فيه ولا ظلم" (٢).

الدليل الثاني: ويقول عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (٥)، "أي: جمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى إنه ليقتص من القرناء للجماء ثم يقول لها: كوني ترابا" (٤). وهذا الحشر العام.

ثانياً: الحشر إلى دار القرار إما إلى الجنة أو النار.

دلت النصوص الشرعية أن هناك حشرا آخر إما في الجنة وإما في النار فيحشر المؤمنون إلى الجنة وفدا والوفد هم القائمون الركبان، نعرض هذه النصوص مع كلام الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى - عنها:

الدليل الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥)، وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى - إلى هذا الحشر الخاص بأولياء الرحمن وما يحصل لهم من الكرامة فقال عند تفسيره للآية: "أن المتقين له -باتقاء الشرك والبدع والمعاصي - يحشرهم إلى موقف القيامة مكرمين، مبجلين معظمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفودا إليه، والوفد لا بد أن يكون في قلبه من الرجاء، وحسن الظن بالوفد إليه ما هو معلوم، فالمتقون يقدون إلى الرحمن، راجين منه رحمته و عميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، وإتباع مرضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضله"

(١) سورة الكهف: آية ٤٧.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، ط ١، (٤٧٩/١).

(٣) سورة التكوين: آية ٥.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٩١٢/١).

(٥) سورة مريم: آية ٨٥.

(١). ويقول أيضاً معدداً ما يناله المؤمنون يوم القيامة من الخير العظيم: "ويساقون إلى الجنة زمراً ، كل طائفة منهم مع نظرائهم في الخير بحسب طبقاتهم وسبقهم ، كما يردون في عرصات القيامة حوض نبهم ، فيشربون منه شربة هنيئة لا يظمأون بعدها" (٢).

الدليل الثاني: وأما الكفار فإنهم يحشرون إلى النار على وجوههم عمياً وبكماً وصماً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ۝٨٦﴾ (٣)، وقد ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حال الكفار وهم يساقون إلى النار فقال: "وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم ورداً، أي: عطاشاً، وهذا أشنع ما يكون من الحالات، سوقهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة، وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم يستغيثون فلا يغاثن، ويدعون فلا يستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم" (٤).

و قال الإمام القرطبي - رحمه الله - عند هذه الآية: "أي ركبناً على النجب، وقيل على الأعمال" (٥).

الدليل الثالث: وقال أيضاً -رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سُوءُ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾ (٦): "يخبر تعالى عن حال المشركين الذين كذبوا رسوله ﷺ وسوء مآلهم، وأنهم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾" (٧) أشنع مرأى، وأفظع منظر تسحبهم ملائكة العذاب ويجرونهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾" (٨) الجامعة لكل عذاب وعقوبة" (٩).

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، (٥٠٠/١).

(٢) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (٦٨/١).

(٣) سورة مريم: آية ٨٦.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٥٠٠/١).

(٥) انظر: القرطبي، التذكرة، ط ١، (٢٠١/ ١).

(٦) سورة الفرقان: آية ٣٤.

(٧) سورة الفرقان: جزء من آية ٣٤.

(٨) سورة الفرقان: جزء من آية ٣٤.

(٩) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٥٨٣/١).

الدليل الرابع: وقال -رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبِكُمَا وَصَمًا مَّاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (١): "وليس له ولي ينصره من عذاب الله، حين يحشرهم الله على وجوههم خزيًا عميًا وبكمًا، لا يبصرون ولا ينطقون" (٢).
وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: "وذلك حين يؤمر بهم إلى النار، من مقام الحشر" (٣). نسأل الله الكريم المنان أن يحشرنا في زمرة المتقين أنه جواد كريم.

المطلب الرابع: الشفاعة العظمى.

أن الله تعالى بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه من الملائكة والمرسلين والمؤمنين، أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب، من أهل التوحيد إظهارًا لكرامة الشافعين عنده ورحمة بالمشفوع فيهم.

● شروط الشفاعة: ولا تصح الشفاعة عند الله تعالى إلا بشرطين:

الشرط الأول: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع (٤)، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٥)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (٦).

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له أن يشفع فيه (٧)، وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٨)، وقال تعالى في الكفار: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٩)، وقد أشار

(١) سورة الإسراء: آية ٩٧.

(٢) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١/٤٦٧).

(٣) انظر: ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، ط ١، (١/١٤٦).

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/١١٠).

(٥) سورة البقرة: جزء من آية ٢٥٥

(٦) سورة سبأ: جزء من آية ٢٣

(٧) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/٥٢١)، (١/٨٩٨).

(٨) سورة الأنبياء: جزء من آية ٢٨

الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- إلى هذين الشرطين مع بيان رحمة الله بالشافع والمشفوع له بقوله: "وأما الشفيع فإنه من عظمته وكمال ملكه ينزه عن أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأما الشفاعة عنده بإذنه من الأنبياء والأصفياء لأهل الجرائم، فإنها ثابتة كما أثبتتها في عدة مواضع من كتابه؛ وذلك لأنها دالة على كمال رحمته وعموم إحسانه، فإنها من رحمته بالشافع والمشفوع له، فالشافع ينال بها الأجر والثناء من الله ومن خلقه، والمشفوع له يرحمه الله على يد من أذن له بالشفاعة فيه، ومع هذا فلا يأذن لأحد أن يشفع إلا فيمن رضى قوله وعمله، وهو من كان مخلصاً لله جَلَّالَإِلهٍ مُتَبَعاً لرسول الله ﷺ" (٢).

وقد دلت الأحاديث النبوية أن الله لا يرضى أن يشفع إلا في أهل التوحيد لما ثبت الحديث

الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) (٣)، وقد أشار الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- إلى ذلك بقوله: "ومن تمام ملكه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؛ فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، ممالك لا يقدمون على الشفاعة لأحد حتى يأذن لهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤)، ولا يشفعون إلا لمن ارتضاه الله، ولا يرضى إلا عمن قام بتوحيده واتباع رسله، فمن لم يتصف بهذا فليس له في الشفاعة نصيب، وأسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: (لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) (٥) (٦). وقال -رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١) "أي:

(١) سورة المدثر: آية ٤٨

(٢) انظر: السعدي، الحق الواضح المبين، ط ٢، ص ٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: في المشيئة والإرادة، (٦ / ٢٧١٨)، رقم الحديث: ٧٠٣٦. و أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: اختباء النبي - ﷺ - دَعْوَةُ الشَّفَاعَةِ لِأُمَّتِهِ. (١ / ١٣٢)، رقم الحديث: ٥١٥.

(٤) سورة الزمر: آية ٤٤

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث، (١ / ٤٩)، رقم الحديث: ٩٩.

(٦) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، ص ١٦.

لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يتدئ الشافع قبل الإذن^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾^(٣)، أي: "فلا يقدم أحد منهم على الشفاعة، ولو كان أفضل الخلق، حتى يأذن الله ولا يأذن، إلا لمن ارتضى، ولا يرتضى إلا أهل الإخلاص والتوحيد له"^(٤).

أنواع الشفاعة:

ومن تمام ملكه ﷺ أن الشفاعة كلها له، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والشفاعة نوعان:

أولاً: الشفاعة المثبتة: وهي التي يجب إثباتها وهي التي تقع بإذنه لمن ارتضى.

ثانياً: الشفاعة المنفية: وهي التي يعتقدها المشركون، وهي ما كانت تطلب من غير الله، وبغير إذنه، فمن كمال عظمة الله أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، وبين أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين^(٥).

وأنواع الشفاعات التي تقع يوم القيامة: ست شفاعات معروفة من الأدلة الشرعية، منها ثلاث شفاعات تختص بالنبي ﷺ وهي:

(١) سورة البقرة: جزء من آية ٢٥٥ .

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١١٠).

(٣) سورة يونس: جزء من آية ٣

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٥٧).

(٥) انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٢٤ "بتصرف"، وهناك تقسيم آخر لشفاعة، ذكره الشيخ السعدي-رحمه الله

تعالى- في كتابه، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ١٢، حيث قسم الشفاعة إلى: شفاعة حسنة وشفاعة سيئة .

الأولى: الشفاعة العظمى وهي شفاعته ﷺ في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود، وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا ﷺ على غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(١)، "وتنال بذلك المقام المحمود، وهو المقام الذي يحمد فيه الأولون والآخرون، مقام الشفاعة العظمى، حين يتشفع الخلائق بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم ﷺ، ليرحمهم الله من هول الموقف وكربه، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيمه مقامًا يغبطه به الأولون والآخرون، وتكون له المنة على جميع الخلق"^(٢).

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- عن ذلك: "هو المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ، إذا أثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام؛ حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ، فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم؛ ليراحوا من هول موقفهم"^(٣).

الثانية: شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

الثالثة: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب .

الرابعة والخامسة: شفاعته ﷺ فيمن استحق النار ألا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها، وهاتان عامتان له ولغيره من الأنبياء والصالحين .

(١) سورة الإسراء: جزء من آية ٧٩

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٦٤).

(٣) انظر: القرطبي، التذكرة، ط ١، (١ / ٢٨٢)، انظر: الألوسي، روح المعاني، ط ١، (١١ / ٥٢).

السادسة: شفاعته ﷺ رفع درجات أهل الجنة في الجنة، وهذه الشفاعة الأخيرة عامه للنبي ﷺ، وغيره من الأنبياء والصالحين والملائكة وصغار الموتى من أطفال المسلمين، وكلها خاصة بأهل التوحيد^(١)..

المطلب الخامس: الحساب والجزاء.

يقف الناس جميعاً بين يدي الله عز وجلّ، فيُعرفهم بأعمالهم في الحياة الدّنيا، وكلّ صغيرة وكبيرة قاموا بها، ويحاسبهم على كفرهم أو إيمانهم، ويُعطيهم جزاءهم على ما قدّموه من ثواب أو عقوبة، ويُعطى الناس كتبهم بأيّامهم أو شمائلهم، ويشمل الحساب ما يقوله الله عز وجلّ لعباده، وما يقولونه له، وما أقامه عليهم من الحجج والبراهين والدلائل، وشهادة كلّ الشّهود الذين ينطقهم الله، ووزن الأعمال، ومن الحساب ما يكون عسيراً، ومنه ما يكون يسيراً، والله عز وجلّ يتولى ذلك كله. يكون تسلسل الحساب على النحو الآتي:

أولاً: عرض الأعمال على العباد، فيرى كل شخص عمله: هل أدى حقّ الله أم لا.

ثانياً: الحساب الأول، وقيل إنّ الله - سبحانه وتعالى - يحاسب الناس كالنّفس، يُلهمهم إياها فيحاسبون جميعاً في نفس الوقت.

ثالثاً: تطاير الصّحف: عندما يقف الناس جميعاً في أرض المحشر حفاة عراة غرلاً، وفي هذا الموقف العصيب تتطاير الصّحف، فهناك من كتابه يمينه، وهناك من يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وقد ذكر هذان الصنفين في القرآن الكريم، حيث يقول رب العالمين:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ، يَمِينِهِ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ مُحَاسَبٌ حِسَابًا يُسِيرًا ۖ ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ، وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ۖ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۖ ﴿١٥﴾ ۝ ﴿٢﴾، وقال تعالى عن الصنف الأول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ، يَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي ۖ ﴿١٩﴾ إِنِّي

(١) انظر: لاختلاف العلماء في الشفاعة وأنواعها إلى: القرطبي، مرجع سابق، (١ / ٢٨٢)، انظر: السعدي، التّبيهات

اللطفية، ط ٢، ص ٧٢-٧٣، "بتصرف".

(٢) سورة الانشقاق: الآيات ٧ - ١٥

ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَقِّ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴿١﴾، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند هذه الآية: "وهؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزاً لهم وتنويهاً بشأنهم ورفعاً لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما من الله عليه به من الكرامة: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ ﴿٢﴾، أي: دونكم كتابي فأقرأوه فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب.

والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما من الله به علي من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَقِّ حِسَابِيَّةٍ﴾ ﴿٣﴾، أي: أيقنت فالظن -هنا- بمعنى اليقين. ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿٤﴾، أي: جامعة لما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضوها ولم يختاروا عليها غيرها. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ﴿٥﴾، المنازل والقصور عالية المحل.

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ﴿٦﴾، أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياماً وقعوداً ومتكئين. ويقال لهم إكراماً: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ﴿٧﴾، أي: من كل طعام لذيذ، وشراب شهي، ﴿هَنِيئًا﴾ ﴿٨﴾، أي: تاماً كاملاً من غير مكدر ولا منغص.

(١) سورة الحاقة: الآيات ١٩ - ٢٤

(٢) سورة الحاقة: جزء من آية ١٩

(٣) سورة الحاقة: آية ٢٠

(٤) سورة الحاقة: آية ٢١

(٥) سورة الحاقة: آية ٢٢

(٦) سورة الحاقة: آية ٢٣

(٧) سورة الحاقة: جزء من آية ٢٤

(٨) سورة الحاقة: جزء من آية ٢٤

وذلك الجزاء حصل لكم ﴿يَمَّا اسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾^(١)، من الأعمال الصالحة - وترك الأعمال السيئة - من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر الله وإنابة إليه. فالأعمال جعلها الله سببا لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلا لسعادتها^(٢).

ويقول الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - مبيناً سعادة المؤمنين بكتابهم: "يخبر تعالى عن سعادة من أوتى كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾^(٣)، أي: خذوا اقرؤوا كتابي؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة؛ لأنه ممن بدل الله سيئاته سيئاته حسنات"^(٤).

وقال تعالى عن الصنف الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي﴾^(٥) وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِي ﴿يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾^(٦) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ﴿هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾^(٧) خَذُوهُ فَعُوهُ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ﴾^(٨) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾^(٩) وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿يَلَيِّنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي﴾^(١٠)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: "هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة، بشماهم تمييزاً لهم وخزياً وعاراً وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والحزى ﴿يَلَيِّنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي﴾^(١١)؛ لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبديّة. ﴿وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِي﴾^(١٢) أي: ليتني كنت نسياً منسياً ولم أبعث أبعث وأحاسب ولهذا قال: ﴿يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾^(١٣)، أي: يا ليت موتي هي الموتة التي لا بعث بعدها. ثم التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته، ولم ينفعه في الافتداء من

(١) سورة الحاقة: جزء من آية ٢٤

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٨٣)، (١ / ٩١٧).

(٣) سورة الحاقة: جزء من آية ١٩

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، (٨ / ٢١٣).

(٥) سورة الحاقة: الآيات ٢٥ - ٣٤

(٦) سورة الحاقة: جزء من آية ٢٤

(٧) سورة الحاقة: آية ٢٦

(٨) سورة الحاقة: آية ٢٧

عذاب الله، فيقول: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّ ۖ ﴾^(١)، أي: ما نفعتني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئاً، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه. ﴿ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾^(٢)، أي: ذهب واضمحل فلم تنفع الجنود الكثيرة، الكثيرة، ولا العدد الخطيرة، ولا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفانت بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والغموم والأتراح، فحينئذ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد: ﴿ حُدُّوهُ فَعْلُوهُ ۖ ﴾^(٣)، أي: اجعلوا في عنقه غلا يخنقه، ﴿ ثُمَّ أَلْجَحِمِ صَلَوَهُ ۖ ﴾^(٤)، أي: قلبوه على جمهرها ولهبها. ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ۖ ﴾^(٥)، من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة ﴿ فَاسْلُكُوهُ ۖ ﴾^(٦)، أي: انظموه فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه، ويعلق فيها، فلا يزال يعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب، وواحسرة من له التوبيخ والعتاب. فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ ﴾^(٧)؛ بأن كان كافراً بربه معانداً لرسله راداً ما جاءوا به من الحق، ﴿ وَلَا وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ﴾^(٨)، أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين فلا يطعمهم من ماله ولا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه، وذلك لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى الخلق بوجوه الإحسان، الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوتون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا^(٩).

(١) سورة الحاقة: آية ٢٨

(٢) سورة الحاقة: آية ٢٩

(٣) سورة الحاقة: آية ٣٠

(٤) سورة الحاقة: آية ٣١

(٥) سورة الحاقة: جزء من آية ٣٢

(٦) سورة الحاقة: جزء من آية ٣٢

(٧) سورة الحاقة: آية ٣٣

(٨) سورة الحاقة: آية ٣٤

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٨٤)، (١ / ٩١٧).

ويقول الإمام الألوسي -رحمه الله تعالى- مبيناً شقاء الكافر وحزنه عند أخذ كتابه: "لما يرى من قبح العمل وانجلاء الحساب عما يسوءه" (١).

رابعاً: بعد قراءة الكتاب يكون هناك حساب آخر لقطع المعذرة وإقامة الحجة على ما في تلك الكتب من أعمال لأصحابها، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند هذه الآية: "وهذا إخبار عن كمال عدله أن كل إنسان يلزمه طائر في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر يجعله الله ملازماً له لا يتعداه إلى غيره، فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (٣) فيه ما عمله من الخير والشر حاضراً صغيره وكبيره ويقال له: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٤) وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: للعبد: حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب" (٥).

يقول الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- عند هذه الآية: "اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتباً يكتبانه، ونحصى عليك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٦) يقول: حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب عليك أعمالك، فيحصى عليك، لا نبتغي عليك شاهداً غيرها، ولا نطلب عليك محصياً سواها" (٧).

(١) انظر: الألوسي، روح المعاني، ط ١، (٢٢٩/٢١).

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ١٣ - ١٤

(٣) سورة الإسراء: جزء من آية ١٣.

(٤) سورة الإسراء: آية ١٤

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٥٤).

(٦) سورة الإسراء: جزء من آية ١٤

(٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ط ١، (١٧ / ٤٠١).

خامساً: بعد ذلك يأتي الميزان، فتُوزَن الأعمال جميعها بعد أن يكون العباد قد اطلَّعوا على أعمالهم وعَلِموا الصَّالح منها من السيِّئ، وتفصيل ذلك في المطلب التالي. ميزان

ويقول الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- مصوراً مشهد تطاير الصحف: "محاسبة الله تعالى خلقه في يوم الحساب من أسماء القيامة، فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف و قاموا فيه ما شاء تعالى على ما تقدم حفاة عراة، و جاء و قت الحساب يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون، بذكر أعمال الناس، فأوتوها فمنهم: من يؤتى كتابه بيمينه، فأولئك هم السعداء، و منهم: من يؤتى كتابه بشماله، أو من وراء ظهره و هم الأشقياء، فعند ذلك يقرأ كل كتابه" (١).

المطلب السادس: الميزان، صفته، وأدلته .

مما يجب الإيمان به في أحداث اليوم الآخر: الميزان. وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، توزن فيه أعمال العباد فيرجح بمثقال ذرة من خير أو شر، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان. نعرض الأدلة القرآنية فيها مع كلام الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- عنها:

الدليل الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢)، وقد أشار الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- إلى وصف الميزان الذي يزن به الأعمال من مثقال ذرة من خير أو شر فيقول عند تفسير الآية: "يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات، فلا تظلم نفس مسلمة أو كافرة شيئاً بأن تنقص من حسناتها، أو يزداد في سيئاتها، وإن كان مثقال حبة من خردل والتي هي أصغر الأشياء وأحقرها،

(١) انظر: القرطبي، التذكرة، ط ١، (١ / ٢٨٩).

(٢) سورة الأنبياء: آية ٤٧.

من خير أو شر أحضرناها، ليجازى بها صاحبها" ^(١)، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ^(٢)، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ^(٣)،

الدليل الثاني:

ويقول -رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ^(٤) فهو في عيشة راضية ^(٥) وأما مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ^(٦) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ^(٧)، ^(٨)، "فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ^(٩) أي: رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ^(١٠) في جنات النعيم. ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ^(١١) بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ ^(١٢) أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية، تكون له بمنزلة الأم الملازمة، وقيل: إن معنى ذلك، فأم دماغه هاوية في النار، أي: يلقي في النار على رأسه، نستجير بالله منها" ^(١٣).

* ما يوزن في الميزان ثلاثة؟

والذي يوزن في الميزان ثلاثة، وقد دلت على ذلك النصوص:

أولاً: الأعمال، فقد ثبت أنها تجسم وتوزن في الميزان ودل عليه الآيات السابقة، وكذلك حديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- : عن النبي ﷺ قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده) ^(١).

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٥٢٤). "بتصرف".

(٢) سورة الزلزلة: الآيتان ٨، ٧.

(٣) سورة القارعة: الآيات ٦-٩.

(٤) سورة القارعة: آية ٦.

(٥) سورة القارعة: آية ٧.

(٦) سورة القارعة: آية ٨.

(٧) سورة القارعة: آية ٩.

(٨) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٩٣٣).

ثانياً: صحف الأعمال وقد دل على ذلك حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول: قال رسول الله ﷺ: (أن الله عز و جل يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول له: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمتكَ كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى أن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله، فيقول أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: أنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بيسم الله الرحمن الرحيم) (٢).

ثالثاً: العامل نفسه وقد دل على وزنه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (٣)، وقد بين ذلك الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن الكافر لا يقيم له وزن يوم القيامة لحقارته بسبب كفره بالله ورسوله فقال عند تفسيره للآية: "ذلك جزاؤهم -أي الكفار- حبوط أعمالهم، وأنه لا يقيم لهم يوم القيامة، ﴿وَزَنًا﴾" (٤) لحقارتهم وخستهم، بكفرهم بآيات الله، واتخاذهم آياته ورسله، هزوا يستهزئون بها، و يسخرون منه" (٥).

المطلب السابع: الخوض، صفته، وأدله.

الخوض مورد عظيم أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ - في المحشر يرده هو وأمته. جاء وصفه في النصوص أنه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: فضل التسبيح، (٥ / ٢٣٥٢)، رقم الحديث: ٦٠٤٣، وأخرجه مسلم

في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء. (٨ / ٧٠)، رقم الحديث: ٧٠٢١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند المكثرين من الصحابة، (مسند عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما)، (٢ / ٢١٣)، رقم

الحديث: ٦٩٩٤. وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، (٥ /

٢٤)، رقم الحديث: ٢٦٣٩. تعليق شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي رجاله ثقات رجال الصحيح غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني.

(٣) سورة الكهف: آية ١٠٥.

(٤) سورة الكهف: جزء من آية ١٠٥.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٤٨٧).

في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، يمد ماؤه من الجنة ، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وآنيته كعدد نجوم السماء.

والحوض يكون في أرض المحشر ويمد ماؤه من الكوثر وهو نهر آخر أعطاه الله لنبينا محمد ﷺ - في الجنة. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١).

وقد وصف الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - الحوض المورود عند تفسيره لهذه الآية فقال: "يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ممتنا عليه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (٢) أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له: الكوثر ، ومن الحوض طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً" (٣).

وقد دل على ثبوت الحوض وأنه حق كثير من الأحاديث الصحيحة منها: حديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: (حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً) (٤). وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ - قال: (إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء) (٥).

المطلب الثامن: الصراط، صفته، وأدلته.

الصراط في اللغة: الطريق الواضح (١). وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة. وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات

(١) سورة الكوثر: آية ١.

(٢) سورة الكوثر: آية ١.

(٣) انظر: السعدي، التبيينات اللطيفة، ط ١، ص ٤١، وانظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٩٣٥/١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: في الحوض، (٢٤٠٥/٥)، رقم الحديث: ٦٢٠٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ - وصفاً. (٦٦ / ٧)، رقم الحديث: ٦١١١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: في الحوض، (٢٤٠٥/٥)، رقم الحديث: ٦٢٠٩. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ - وصفاً. (٧٠ / ٧)، رقم الحديث: ٦١٣٥.

الصراط. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا (٧٢) ﴿٢﴾، وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى أحوال الخلائق حين مرورهم على الصراط فقال عند تفسير الآية: "وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم و فاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد، إلا سيرد النار، حكما حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه.

واختلف في معنى الورد، فقليل: ورودها، حضورها للخلائق كلهم، حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعد، ينجي الله المتقين. وقيل: ورودها، دخولها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما. وقيل: الورد، هو المرور على الصراط، الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، كل بحسب تقواه" (٣).

وقد دلَّ على تفسير الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- للآية السابقة: حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ثم يؤتى بالجرس فيجعل بين ظهري جهنم . قلنا يا رسول الله وما الجرس؟ قال: (مدحضة منزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيقة تكون بنجد يقال: لها السعدان المؤمن عليها كالطرف والبرق كالريح وكأجاويد الخيل والركاب فجاج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبا) (٤).

(١) إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مجد النجار، المعجم الوسيط، د. ط، (١ / ٥١٢).

(٢) سورة مريم: الآيتان ٧١-٧٢.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/٤٩٨)، انظر: لنفس المؤلف، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١/٦٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ نَاصِرُهُ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) ﴿٢٣﴾ سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣، (٦ / ٢٧٠٦) رقم الحديث: ٧٠٠١.

وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى أن النجاة لأهل الإيمان في موقف الصراط بقوله: "في ذلك الموطن، ما تَمَّ إلا النار قد برزت، وليس لأحد نجاة إلا بالعبور على الصراط، وهذا لا يستطيعه إلا أهل الإيمان، الذين يمشون في نورهم، وأما هؤلاء، فليس لهم عند الله عهد في النجاة من النار؛ فإن شاء طمس أعينهم وأبقى حركتهم، فلم يهتدوا إلى الصراط لو استبقوا إليه وبادروه، وإن شاء أذهب حراكهم فلم يستطيعوا التقدم ولا التأخر"^(١).

المطلب التاسع: الجنة والنار، صفتها وكيفية الإيمان بهما مع الأدلة.

مما يجب اعتقاده والإيمان به الجنة والنار.

أولاً: الجنة: هي الجزاء العظيم، والثواب الجزيل، الذي أعده الله لأوليائه المتقين، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، وهي: دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ﴾^(٢)، يصف الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- الجنة ومكانها فيقول: "الجنة الجامعة لكل نعيم، بحيث كانت محلاً تنتهي إليه الأماني، وترغب فيه الإرادات، وتأوي إليها الرغبات، وهذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة"^(٣).

وقد وصف أيضاً -رحمه الله تعالى- دار الأبرار وبين أصناف النعيم فيها، فيقول في إحدى خطبه: "ظلها ممدود وخيرها غزير غير محدود * وأنهارها تجري في غير أخذود * فتبارك الرب المعبود * دار جل من سواها وبنائها * دار طابت للأبرار منازلها المزخرفة وسكنائها. دار تبلغ النفوس فيها منيتها ومنها * رياضها الناضرة مجمع الأصفياء المتحابين * وبساتينها الزاهرة نزهة المشتاقين * وخيام اللؤلؤ والدر على شواطئ أنهارها بهجة للناظرين * فيها خيرات الخلاق حسان الوجوه قد جمع الله لهن الجمال

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (٦٩٨/١).

(٢) سورة النجم: الآيات ١٣-١٥.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (٨١٨/١).

الباطن والظاهر من جميع الوجوه* أباكراً* عرباً أتراباً كأنهن اللؤلؤ المكنون* قاصرات الطرف من حسنهن الذي قصر عن وصفه الواصفون* مقصورات في خيام اللؤلؤ والزبرجد عن رؤية العيون* يتمتع أهلها في كرم الرب الرحيم* وينظرون بأبصارهم إلى وجهه الكريم فإذا رأوا ربهم تعالى نسوا ما هم فيه من النعيم... لمثل هذه الدار فليعمل العاملون* وفي أعمالها الموصلة إليها فليتنافس المتنافسون*(١).

وقال -رحمه الله تعالى- في وصف المتقين حين تستقبلهم الملائكة بالتهنئة بالنعيم وبالنجاة من الجحيم: "حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها بشفاعة محمد ﷺ فتلقاهم خزنة الجنة ، يسلمون عليهم ، ويهنونهم بالنجاة من العذاب وحصول الخير والثواب والخلود الأبدي بسبب طيبهم ، ولهذا قالوا : قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ (٢) أي : طابت قلوبكم بالعقائد الصحيحة الصادقة ، والأخلاق الجميلة ، وألستكم بذكر الله والثناء عليه ، وجوارحكم بخدمته والقيام بطاعته : ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٣) ، فإذا دخلوها ورأوا ما فيها من النعيم المقيم ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، حمدوا الله على منته عليهم بالسوابق والإيمان والأعمال الصالحة ، وبإنجاز ما وعدهم به على السنة رسله ، وعلى أن الله أورثهم الجنة يتبوءون من خيراتها حيث يشاءون وأنى يشاءون مما تشتهي النفس وتلد الأعين من نعيم القلوب والأرواح ، ومن نعيم الأبدان والأجسام كما قال سبحانه: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ (٤) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ (٥) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّخْلِدُونَ (٦) يَأْكُوبُ وَأْجَارٍ (٧) وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٨) لَا يَصَدْعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ (٩) وَفَكَهَمُوا مِمَّا خَوَّبَتْ (١٠) وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (١١) وَخُورٍ عَيْنٍ (١٢) كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ (١٣) (٤) ، خيرات الأخلاق ، حسان الوجوه ، قد جمع الله لمن حسن البواطن والظواهر ، فهن سرور النفس ، وقرة النواظر .

وتمام ذلك أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً ، وأنه يقال لهم : كما في الحديث عن -النبي ﷺ- قال: (ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الخطب)، ط ١، (٩٣/١٥ - ٩٤).

(٢) سورة الزمر: جزء من آية ٧٣.

(٣) سورة الزمر: جزء من آية ٧٣.

(٤) سورة الواقعة: الآيات ١٥ - ٢٣.

تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا^(١)، فلهم كل ما يشاءون فيها وتتعلق به أمانيتهم ، ولهم فوق ذلك مما لم تبلغه أمانيتهم ، ولهم نعيم أعلى من ذلك كله ، وهو التمتع بالنظر إلى وجهه الكريم ، وسماع خطابه ، والابتهاج برضاه وقربه ، والسرور بمحبته ، وذكره وحمده ، والثناء عليه وشكره ، مما يشاهدون من كثرة الخيرات ، و سوابغ النعم والهبات ، وزيادة النعيم وتواصله ، ومما يزدادون من معرفته والأنس به ، فتبارك الله ذو الجلال والإكرام^(٢) . نسأل الله أن يجعلنا من أهلها .

ثانياً: إثبات رؤية المؤمنين لربهم في دار القرار.

ومن أصول أهل السنة والجماعة الثابتة: إثبات رؤية المؤمنين لربهم في دار القرار ، والتنعم برؤيته وقربه ورضاه^(٣) . وقد استدلل الشيخ السعدي —رحمه الله تعالى— على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأدلة قرآنية كثيرة منها:

الدليل الأول: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٤) ،: "ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأعظم ذلك، وأجله، وأفضله، النظر إلى وجه الله الكريم، والتمتع بسماع كلامه، والتنعم بقربه، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم"^(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في دوام نعيم أهل الجنة، (٤ / ٢١٨٠)، رقم الحديث: (٢٨٣٧). عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة —رضي الله عنهما—.

(٢) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٧١، ٧٠، ٦٩)، و لنفس المؤلف: تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٢٨).

(٣) انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٤٦.

(٤) سورة ق: آية ٣٥.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٠٦).

الدليل الثاني: وعند قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(١)، "هؤلاء الذين أحسنوا، لهم ﴿الْحُسْنَىٰ﴾"^(٢)، وهي الجنة الكاملة في حسناتها ﴿وَزِيَادَةٌ﴾"^(٣) وهي: النظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون، ويسأله السائلون"^(٤). ويقول الإمام الألوسي-رحمه الله تعالى- عند هذه الآية ﴿الْحُسْنَىٰ﴾^(٥)، "أي المنزلة الحسنى وهي: الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾"^(٦)، وهي: النظر إلى وجه ربهم الكريم جل جلاله"^(٧).

الدليل الثالث : وعند قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾^(٨)، "قال الله سبحانه في جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾"^(٩) أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾" (١٠) أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثل شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جملهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم"^(١١).

(١) سورة يونس: آية ٢٦.

(٢) سورة يونس: جزء من آية ٢٦.

(٣) سورة يونس: جزء من آية ٢٦.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٦٢).

(٥) سورة يونس: جزء من آية ٢٦.

(٦) سورة يونس: جزء من آية ٢٦.

(٧) انظر: الألوسي، روح المعاني، ط ١، (٧ / ٤٨٢).

(٨) سورة القيامة: الآيتان ٢٣، ٢٢.

(٩) سورة القيامة: آية ٢٢.

(١٠) سورة القيامة: آية ٢٣.

(١١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٩٩).

ويقول الإمام الألوسي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية ﴿وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ أَنْهَ﴾ ^(١) "أي: وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم إذ تقوم القيامة بهمة متلهلة ، من عظيم المسرة يشاهد عليها نظرة النعيم" ^(٢).

والمقصود أن الآيات السابقة بينت أن الرؤية ثابتة للمؤمنين فسيرونها عياناً كما دلت الآيات القرآنية بذلك ، ولا ينكر ذلك إلا المعطلة من الجهمية وغيرهم. ودليلهم على عدم الرؤية بآيتين من القرآن ^(٣) وهما :

الآية الأولى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٤).

والآية الثانية: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ^(٥). وليس في الآيتين دليل لما ذهبوا إليه، إذا كان الفهم صافياً وخالياً من التحريف والتأويل. وقد رد عليهم الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في استدلالهم الخاطيء هذا عند تفسيره لهاتين الآيتين ، وأوضح أنه ليس فيهما دلالة لما ذهبوا إليه .

فقال عند الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ

(١) سورة القيامة: آية ٢٢.

(٢) انظر: الألوسي، مرجع سابق، (٢١ / ٤٧٩).

(٣) انظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٤) سورة الأعراف: آية ١٤٣.

(٥) سورة الأنعام: آية ١٠٣.

مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾^(١)": تشويق - موسى عليه السلام - إلى رؤية الله، ونزعت نفسه لذلك، حبا لربه ومودة لرؤيته.

﴿ قَالَ رَبِّ ارِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ ﴾^(٢) الله ﴿ لَنْ تَرَنِي ﴾^(٣) أي: لن تقدر الآن على رؤيتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرُونَ بها، ولا يشبَتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرُونَ معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال - مقنعا لموسى في عدم إجابته للرؤية - ﴿ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ ﴾^(٤) إذا تجلَّى الله له ﴿ فَسَوْفَ تَرَنِي ﴾^(٥).

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾^(٦) الأصم الغليظ ﴿ جَعَلَهُ دَكَّا ﴾^(٧) أي: انهال مثل الرمل، انزعاجا من رؤية الله وعدم ثبوته لها ﴿ وَخَرَّ مُوسَى ﴾^(٨) حين رأى ما رأى ﴿ صَعِقًا ﴾^(٩) فتبين له حينئذ أنه إذا لم

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٣.

(٢) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

(٤) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

(٥) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

(٦) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

(٧) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

(٨) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

(٩) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

يثبت الجبل لرؤية الله، فموسى أولى أن لا يثبت لذلك، واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم يوافق موضعا ولذلك ﴿ قَالَ سُبْحَنَكَ ﴾^(١) أي: تنزيها لك، وتعظيما عما لا يليق بجلالك^(٢).

وقال عند الآية الثانية وهي قوله عز شأنه: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٣)، ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ ﴾^(٤) لعظمته، وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة.

فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال "لا تراه الأبصار" ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم.

﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ ﴾^(٥) أي: هو الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، وسمعه بجميع الأصوات الظاهرة، والخفية، وبصره بجميع المبصرات، صغارها، وكبارها، ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾^(٦) الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن^(٧). ربنا لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك.

(١) سورة الأعراف: جزء من آية ١٤٣.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٠٢).

(٣) سورة الأنعام: آية ١٠٣.

(٤) سورة الأنعام: جزء من آية ١٠٣.

(٥) سورة الأنعام: جزء من آية ١٠٣.

(٦) سورة الأنعام: جزء من آية ١٠٣.

(٧) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٦٨).

ثالثاً: النار فهي دار العقاب الأبدي للكافرين والمشركين والمنافقين النفاق الاعتقادي ، ولمن شاء الله من عصاة الموحدين بقدر ذنوبهم ثم مآلهم إلى الجنة . كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

وموضعها في الأرض السابعة . ولها سبعة أبواب ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (٢) .

ويصف الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عذاب أهل النار وما يلقونه من أصنافه في جهنم بقوله: "ما أشد شقاءهم وعناءهم ؛ ينوع عليهم العذاب أنواعا ، فتارة يعذبون بالسعير المحرق لطواهرهم وبواطنهم ، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ، وتارة بالزمهرير الذي قد بلغ برده أن يهري اللحوم ويكسر العظام ، وتارة بالجوع المفرط والعطش المقطع ، وإذا استغاثوا لذلك أغيثوا بعذاب آخر ، ولون من الشقاء ينسي ما سبقه ، فيغاثون بطعام ذي غصة ؛ بشجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم ، وثمرها في غاية المرارة والنتن والحرارة ، إذا وصلت بطونهم غلت فيها كغلي الحميم الذي يوقد عليه في النار .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٣) ، إذا قرب إليها فلا يدعهم العطش مع ذلك أن يتناولوها ، فإذا وصلت إلى بطونهم قطعت أمعاءهم ، ولا يزالون في عذاب متنوع شديد ، لا يفر عنهم العذاب ساعة ، ولا يرجون رحمة ولا فرجا ، يتمنون الممات ليستريحوا ، قال تعالى: ﴿ وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ ﴾ (٤) ، لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كذرون ﴿ ٧٨ ﴾ (٤) ، فلا تلوموا إلا أنفسكم لما أسلفتموه أسلفتموه من الجرائم... فحينئذ يياسون من كل خير ، ومن كل فرج وراحة ، ويتيقنون أنه الخلود الدائم

(١) سورة النساء: آية ٤٨ .

(٢) سورة الحجر: آية ٤٤ .

(٣) سورة الكهف: آية ٢٩ .

(٤) سورة الزخرف: الآيتان ٧٧، ٧٨ .

والعذاب الأبدي والشقاء المستمر . فنسأل الله الجنة، وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ به من النار ، وما قرب إليها من قول وعمل" (١) .

ويصف لسان حالهم وهم في عذاب النار فيقول: "قد فاتهم مرادهم و مطلوبهم . واعترفوا بذنوبهم وأحاطت بهم ذنوبهم يدعون بالويل والثبور: يا ثوراه! يا حسرتنا على ما فرطنا في جنب الله وأحزننا من فظيعة العذاب والشقا. و أكرنا من دار العقاب وتجدد العنا. فما لنا من شافعين" (٢) .

رابعاً: الأمور التي يتحقق بها الإيمان بالجنة والنار

الإيمان بالجنة والنار يتحقق بثلاثة أمور:

الأمر الأول: الاعتقاد الجازم بأنهما حق وأن الجنة دار المتقين والنار دار الكافرين والمنافقين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَصِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنَّهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ٥٧﴾ (٣). وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى ذلك فيقول عند تفسير الآيات :

"﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ (٤) أي: عزيمة الوقود شديدة الحرارة ﴿كَمَا نَصِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ (٥) أي: احترقت ﴿بَدَلَنَّهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (٦) أي: ليلبغ العذاب منهم كل مبلغ. وكما تكرر منهم الكفر والعناد وصار وصفاً لهم وسجية؛ كرر عليهم العذاب جزاء وفاقاً، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٧) أي: له العزة العظيمة والحكمة في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه.

(١) انظر: السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ط ١، (١ / ٧٣، ٧٤، ٧٥) "بتصرف".

(٢) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الخطب)، ط ١، (٩٢/١٥) .

(٣) سورة النساء: الآيتان ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) سورة النساء: جزء من آية ٥٦ .

(٥) سورة النساء: جزء من آية ٥٦ .

(٦) سورة النساء: جزء من آية ٥٦ .

(٧) سورة النساء: جزء من آية ٥٦ .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) أي: بالله وما أوجب الإيمان به ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢) من الواجبات والمستحبات ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾^(٣) (٣) " (٤) .

الأمر الثاني : اعتقاد وجودهما الآن . قال تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥) ، وقال تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٦) وغيرها من الآيات .

قال ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله تعالى - في هذا المعتقد : " فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا. وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة. وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث، لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة . فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم" ^(٧) .

وقد أشار الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - في تفسيره إلى مسألة وجود الجنة والنار وأنهما معدتان الآن وبين أن هذا هو الاعتقاد الصحيح الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، بخلاف ما ذهب إليه المعتزلة بأنهما تخلقان يوم القيامة . فقال رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ

(١) سورة النساء: جزء من آية ٥٧ .

(٢) سورة النساء: جزء من آية ٥٧ .

(٣) سورة النساء: جزء من آية ٥٧ .

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٨٢) .

(٥) سورة آل عمران: جزء من آية ١٣٣ .

(٦) سورة البقرة: جزء من آية ٢٤، سورة آل عمران: جزء من آية ١٣١ .

(٧) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص ٤٧٦ - ٤٧٨ .

لِلْكَافِرِينَ ﴿١﴾: " هذه الآية ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان، خلافا للمعتزلة" (٢) .

الأمر الثالث: اعتقاد دوامهما وبقائهما وأنهما لا تفنيان ولا يفنى من فيهما . وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى هذا الرأي من خلال تفسيره للآيات التالية:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣) يقول عن خلود الجنة: " ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ (٤) أي: الجنة وما فيها من النعيم المقيم، ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ (٥)، الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن نعيم الدنيا منغص منكدر، منقطع، ونعيم الآخرة تام كامل، لا يفنى أبداً، بل هو على الدوام في تزايد وتواصل، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ يَجْذُوذُ﴾ (٦) " (٧) .

الدليل الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (٨)، ويقول عن خلود النار: "خالدين فيها أبداً، إلا المدة التي شاء الله، أن لا يكونوا فيها، وذلك قبل دخولها، كما قاله جمهور المفسرين -رحمهم الله تعالى-، فلا استثناء على هذا، راجع إلى ما قبل دخولها، فهم خالدون فيها جميع الأزمان، سوى الزمن الذي قبل الدخول فيها" (٩) .

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد وافق عقيدة أهل السنة في طرحه لأحوال اليوم الآخر وتفاصيله، من أحداث الساعة بالترتيب و يشتمل يوم القيامة على مراحل عظيمة

(١) سورة البقرة: جزء من آية ٢٤، سورة آل عمران: جزء من آية ١٣١.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٥). وانظر: عبد الرزاق العباد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص (٢٩٨).

(٣) سورة يوسف: آية ١٠٩.

(٤) سورة يوسف: جزء من آية ١٠٩.

(٥) سورة يوسف: جزء من آية ١٠٩.

(٦) سورة هود: جزء من آية ١٠٨.

(٧) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٠٦).

(٨) سورة هود: آية ١٠٧.

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٣٨٩).

ومواقف هائلة تمّ ذكرها في نصوص القرآن والسنة النبوية ، وأول هذه المراحل هو بعث الناس وخروجهم من القبور، وحشرهم جميعاً حفاةً عراةً، ثمّ بعد ذلك يأتي الأنبياء للفصل في أمرهم، فتكون الشفاعة الكبرى لمحمد عليه الصلاة والسلام، ثمّ تتطير الصحف ويأخذ كلّ إنسان كتابه بيمينه أو شماله، ثمّ تُنصب الموازين، وتوزن الأعمال، وتتبع كلّ أمة ما كانت تعبده في الحياة الدنيا، ثمّ يُردّ الناس على الحوض، ثمّ المرور على الصراط، ثمّ وقوف الناجين من هذه المراحل على قنطرة المظالم وذلك للمُقاصة فيما بينهم، ثمّ دخول الجنة أو النار، ثمّ الخروج من النار لمن دخلها من المؤمنين.

وبهذا نصل إلى نهاية الفصل الرابع: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر، يليه الفصل الخامس بعنوان: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان في القضاء والقدر. والله وليّ الاحسان.

الفصل الخامس: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان في القضاء والقدر.

إن الإيمان بالقدر هو المحك الحقيقي لتحقيق الإيمان بالله تعالى على الوجه الصحيح، وهو الاختبار القوي لمدى معرفة الإنسان بربه تعالى، وما يترتب على تلك المعرفة من يقين صادق بالله تعالى، وإيمان بأن ما تعيشه المخلوقات في هذا الكون . ومنها الإنسان . من فوارق في الصفات والأحوال المتغيرة ما هو إلا لحكم عظيمة أرادها سبحانه وتعالى وقدرها وقضاها، وبذلك يزداد الإيمان، وتطمئن النفوس، وتنقاد لشرع ربها وخالقها عز وجل.

ولو غفل الناس عن تعلم مسائل القدر، مع الحاجة الشديدة إليه، لجهلوه، وتخطوا في دياجير الظلام؛ إذ تعجز العقول عن معرفة ذلك إلا بالاهتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وبذلك الغفلة عن تعلمه يفتح الباب لأهل الأهواء والبدع لينصروا مذاهبهم ويشوشوا على المسلمين عقيدتهم.

وقد اهتم علماء الإسلام قديما وحديثا بمسائل الإيمان بالقضاء والقدر، وأفردوا له المصنفات، ومنهم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- فقد أبرز هذه القضية في تفسيره وفي غيرها من كتبه، وخاصة كتابه المسمى "الدُّرَّة البهيَّة شرح القصيدة التائيَّة في حل المشكلة القدريَّة"، وفيهم عرض كثير من مسائل القدر، والتي تتضح من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما.

المبحث الثاني: حكم الإيمان بالقضاء والقدر وأدلته.

المبحث الثالث: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الرابع: عقيدة أهل السنة في القضاء والقدر.

المبحث الخامس: حكم الرضى بقضاء الله وقدره.

المبحث السادس: مسائل القدر.

المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما.

المطلب الأول: تعريف القضاء والقدر في اللغة:

أولاً: تعريف القضاء لغةً:

هو بالمد ويقصر؛ معناه: الحكم والإتقان والإنفاذ، أصله: قضاي؛ لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف قلبت همزة، قال ابن فارس -رحمه الله- (ت ٣٩٥هـ):

"القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه"^(١).

وقد يكون بمعنى الفراغ؛ يقال: قضيت حاجتي؛ أي فرغت منها، ويكون بمعنى الأداء والإنهاء؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكُتُبِ﴾^(٢)، ويأتي بمعنى التقدير؛ يقال: قضاه: أي قدره؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٣)، ومنه القضاء والقدر^(٤).

قال ابن الأثير -رحمه الله- (ت ٦٠٦هـ): "وقد تكرر في الحديث ذكر القضاء، وأصله: القطع والفصل، يقال: قضى يقضي قضاء فهو قاض؛ إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء: إحكامه

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د.ط، مادة: "قضى"، (٩٩/٥)، وانظر أيضاً: المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، مادة: "قضى"، (٢٩٦/١٠).

(٢) سورة الإسراء: جزء من الآية: ٤.

(٣) سورة فصلت: جزء من الآية: ١٢.

(٤) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، د.ط مادة: "قضى"، (٢٤٦٣/٦، ٢٤٦٤)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "قضى"، (١١١/٣ - ١١٣).

وإمضاؤه والفراغ منه" (١).

ثانياً: تعريف القدر لغة:

القدر مصدر قَدَرَ يَقْدُرُ قَدَرًا، وقد تسكن داله، وهو عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور (٢).

قال ابن فارس -رحمه الله- (٣٩٥هـ): "قدر: القاف والداو والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته؛ فالقدر مبلغ كل شيء؛ يقال: قَدَرُهُ كذا؛ أي مبلغه، وكذلك القَدَر، وقدرت الشيء أَقْدَرُهُ وَأَقْدَرُهُ؛ من التقدير" (٣).

ويطلق القدر على الحكم والقضاء، ومنه قوله ﷺ في حديث الاستخارة: (فاقدري لي، ويسره لي) (٤). ويأتي القدر بمعنى التضيق (٥)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ (٦). وكما يأتي القدر بمعنى الطاقة (٧)، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَى الْمَوْسَى قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾ (٨).

(١) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، د.ط، مادة: "قضا"، (١٢٥/٤)، وانظر أيضاً: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د.ط، مادة: "قضى"، ص ٦٧٤.

(٢) انظر: ابن الأثير، مرجع سابق، مادة: "قدر"، (٤١/٤).

(٣) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، د.ط، مادة: "قدر"، (٦٢/٥)، وانظر أيضاً: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د.ط، مادة: "قدر"، ص ٦٦٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى، (٣٤٧/٤)، رقم الحديث: ١٠٩٦. عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

(٥) المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، مادة: "قدر"، (٤٨٢/٣)، ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "قدر"، (٣١/٣).

(٦) سورة الفجر: جزء من آية ١٦.

(٧) المرتضى الزبيدي، مرجع سابق، مادة: "قدر"، (٢٨١/٣)، وابن منظور، مرجع سابق، مادة: "قدر"، (٣١/٣).

(٨) سورة البقرة: جزء من آية: ٢٣٦.

ويقول الفيروزآبادي -رحمه الله - (ت ٨١٧هـ) في تعريف القدر: "القضاء، والحكم، ومبلغ الشيء، والتقدير: التروية والتفكر في تسوية الأمر"^(١).

المطلب الثاني: تعريف القضاء والقدر شرعاً:

سئل الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- (ت ٢٤١هـ) عن القدر، فقال: "القدر قدرة الله على العباد"^(٢).

ويبين الإمام السفاريني^٣ -رحمه الله - (ت ١١٨٨هـ) في تعريف القضاء: "إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال"^(٤)، وفي موضع آخر عرّفه بأنه: "ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها"^(٥).

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "قدر"، ص ٥٩١.

(٢) المروزي، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ط ١، (١٥٥/٢).

^٣ السفاريني هو: مُجَدِّد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والاصول والادب، محقق. ولد في سفارين سفارين (من قرى نابلس) سنة ١١١٤هـ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها سنة ١١٨٨هـ. من كتبه: (الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات) و (غذاء الالباب، شرح منظومة الآداب)، و (لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية المضوية في عقد أهل الفرقة المرضية). *انظر في ترجمته الزركلي، الأعلام، ط ٥، (١٤ / ٦).

(٤) السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ط ٢، (٣٤٥/١).

(٥) السفاريني، مرجع سابق، (٣٤٩/١).

وقد أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حقيقة القضاء والقدر بقوله: "إن حقيقة القضاء والقدر أن جميع الأشياء كلها، قد علمها الله تعالى، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه" (١).

المطلب الثالث: الفرق بين القضاء والقدر:

للعلماء في الفرق بين القضاء والقدر أقوال؛ أهمها ما يأتي:

الأول: أنه لا فرق بينهما؛ فإذا أطلق أحد اللفظين شمل معنى الآخر.

الثاني: أن القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق.

نقل الإمام ابن حجر -رحمه الله - (ت ٨٥٢هـ) عن بعض أهل العلم قوله: "القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل" (٢). وفي موضع آخر قال -رحمه الله -: "وقالوا - أي العلماء رحمهم الله تعالى -: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفصيله" (٣).

الثالث: أن القدر هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقضاء هو الخلق.

يقول الإمام الأصفهاني -رحمه الله - (ت ٥٠٢هـ): "والقضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع" (٤).

ويقول الإمام الخطابي -رحمه الله - (٣٨٨هـ): "القدر اسم لما صار مقدرًا عن فعل القادر؛ كالهدم والنشر والقبض: أسماء لما صدر من فعل الهادم والناشر والقباض، والقضاء في هذا معناه

(١) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٨٢٨).

(٢) انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د. ط، (١١ / ١٤٩).

(٣) انظر: ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (١١ / ٤٧٧).

(٤) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د. ط، مادة: "قضى"، ص ٦٧٥.

الخلق؛ كقوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (١٣)، أي خلقهن "٢".

ويذكر ابن الأثير - رحمه الله - (ت ٦٠٦ هـ): وغيره أن القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد هدم البناء ونقضه (٣).

الرابع: أنهما إذا اجتمعا تفرقا، وإذا تفرقا اجتمعا؛ فإذا أطلق القضاء مفردا شمل القدر، والقدر إذا أطلق مفردا شمل القضاء، لكن إذا اجتمعا، فالقضاء ما يقضيه الله تعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، والقدر ما قدره الله تعالى في الأزل؛ فالقدر سابق، والقضاء لاحق (٤).

من خلال ما تقدم من عرض لأقوال العلماء تبين لنا أن الحكم لله أولاً وأخيراً في خلقه وأمره، والقضاء قضاؤه، والأمر أمره، فما قضاه وحكم به لا بد أن يقع، وهذا ما وافق به الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - أهل السنة والجماعة.

(١) سورة فصلت: جزء من الآية: ١٢.

(٢) الخطابي، معالم السنن بهامش مختصر سنن أبي داود، د. ط، (٧٠/٧).

(٣) انظر: ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ط ١، (١٠٤/١٠)، وانظر لنفس المؤلف: النهاية في غريب الحديث والأثر، د. ط، "قضى"، ص ٧٥٩. ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "قضى"، (١١٢/٣).

(٤) انظر: علماء نجد الأعلام: (من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ط ٦، (٥١٢/١، ٥١٣)، وانظر: ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ط ١٠، (٥٢/١، ٦٢).

المبحث الثاني: حكم الإيمان بالقضاء والقدر وأدلته.

المطلب الأول: حكم الإيمان بالقضاء والقدر.

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته وتقريره. ويبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حكم الإيمان بالقضاء والقدر بقوله: "قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقة. فعلينا أن نؤمن بجميع مراتب القدر: فنؤمن أن الله بكل شيء عليم، وأنه كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره. ومن تمام الإيمان بالقدر: العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون، بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم"^(١).

(١) انظر: السعدي، القول السديد في مقاصد التوحيد، ط ١، (١٩٤ / ٥).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر مبيناً أن هذا الأصل من أعظم الأصول الإيمانية: " أن من أعظم الأصول التي جاءت بها جميع الرسل، خصوصاً خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ الإيمان بالقضاء والقدر، مع الحث على فعل جميع الأسباب النافعة في الدين والدنيا. والكتاب والسنة مملوآن من ذلك. وإن جميع الحوادث مربوطة بقضاء الله وقدره، ونواصي العباد بيده، وأنه لا حول للعباد ولا قوة لهم إلا بالله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يدفع السيئات إلا هو، وأن جميع النعم الباطنة والظاهرة كلها من الله عز وجل . فهذا الأصل الكبير قرره الكتاب والسنة في مواضع كثيرة، وهو أصل توحيد الربوبية، وقصد تقريره في القلوب، واعتقاده الكامل المثمر لكل خير" (١).

المطلب الثاني: أدلة الإيمان بالقضاء والقدر.

بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- منزلة القضاء والقدر وحكمه من خلال تفسيره لآيات القرآنية التي تتحدث عن القدر ومنها:

الدليل الأول- فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٢)، "وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقها

وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير" (٣). كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (٤)، وقال عز شأنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (٥).

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الثاني)، ط ١، (١٤/٣١١).

(٢) سورة القمر: آية ٤٩.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٨٢٧).

(٤) سورة الأحزاب: آية ٣٨.

(٥) سورة الفرقان: آية ٢.

الدليل الثاني- قال عند قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ۝٥٣﴾^(١)،: "أي: مسطر مكتوب، وهذا حقيقة القضاء والقدر، وأن جميع الأشياء كلها، قد علمها الله تعالى، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"^(٢).

الدليل الثالث - عند قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾^(٣)،: "يقول تعالى مخبرا عن عموم قضائه وقدره: "﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ۝٢٢﴾"^(٤)، وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، وبينوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم"^(٥).

الدليل الرابع- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾^(٦)،: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(٧)، أي: قدره وأجراه في اللوح

(١) سورة القمر: آية ٥٣.

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٨٢٨).

(٣) سورة الحديد: آية ٢٢.

(٤) سورة الحديد: آية ٢٢.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٤٢).

(٦) سورة التوبة: آية ٥١.

(٧) سورة التوبة: آية ٥١.

المحفوظ. ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾^(١)، أي: متولي أمورنا الدينية والدينية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء^(٢).

وأما السنة فقد دلت كذلك على إثبات القدر في أحاديث كثيرة منها:

وضَّح الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- هذا الأصل توضيحاً كافياً، فقال: عند شرحه لحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا. ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)^(٣).

قال: "ثم إنه صلى الله عليه وسلم حضّ على الرضا بقضاء الله وقدره، بعد بذل الجهد، و است فراغ الوسع في الحرص على النافع. فإذا أصاب العبد ما يكرهه فلا ينسب ذلك إلى ترك بعض الأسباب التي يظن نفعها لو فعلها، بل يسكن إلى قضاء الله وقدره ليزداد إيمانه، ويسكن قلبه وتستريح نفسه... وقد جميع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين الإيمان بالقضاء والقدر، والعمل بالأسباب النافعة، وهذان الأصلان دلّ عليهما الكتاب والسنة في مواضع كثيرة. ولا يتم الدين إلا بهما. بل لا تتم الأمور المقصودة كلها إلا بهما، لأن قوله "احرص على ما ينفعك" أمر بكل سبب ديني ودنيوي، بل أمر بالجد والاجتهاد فيه والحرص لعيه، نية وهمة، فعلاً وتديراً.

وقوله "واستعن بالله" إيمان بالقضاء والقدر، وأمر بالتوكل على الله الذي هو الاعتماد التام على حوله وقوته تعالى في جلب المصالح ودفع المضار، مع الثقة التامة بالله في نجاح ذلك"^(٤).
ومن أحاديث القدر: حديث جبريل عليه السلام وسؤاله للنبي ﷺ عن أركان الإيمان فذكر منها: (وتؤمن بالقدر خيره وشره)^(٥).

(١) سورة التوبة: آية ٥١ .

(٢) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٣٣٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب: في الأمر بالقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ (٨ / ٥٦)، رقم الحديث: ٦٩٤٥ .

(٤) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (الحديث)، ط ١، ص ٣٨، ٣٧.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: مَعْرِفَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْقَدَرِ وَعَلَامَةُ السَّاعَةِ، (١ / ٢٨)، رقم الحديث: ١٠٢، عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه-.

من خلال ما تقدم تبين لنا أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على إثباته وتقديره، وقد قرره الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- على منهج سلف الأمة.

المبحث الثالث: مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

للقدر أربع مراتب دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وهي كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) أن: "الإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علیم بالخلق، وهم عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلا وأبداً، وعلم جميع أحوالهم في الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه؛ لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات،

فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، ولا خالق غيره ولا رب سواه" (١).

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ): "مراتب القضاء والقدر، التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر؛ وهي أربع مراتب: (المرتبة الأولى): علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، (المرتبة الثانية): كتابه لها قبل كونها، (المرتبة الثالثة): مشيئته لها، (المرتبة الرابعة): خلقه لها" (٢).

وقد بينَّ الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- هذه المراتب بياناً شافياً، في عدة مواضع من كتبه بقوله: "مراتب القدر أربع مراتب" (٣):

المرتبة الأولى: علم الله بجميع الأشياء، وعلمه بجميع أفعال العباد من طاعة ومعصية، وغير ذلك، فهو سبحانه موصوف بالعلم أزلاً وأبداً لا يغيب عن علمه شيء، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٤).

المرتبة الثانية: كتابته لجميع الأشياء، فجميع ما كان وما سيكون كله مكتوب لديه، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا شَيْءٌ مِّمَّا يَخْتَارُ وَلَكِنْ لَدَيْهِ كُتُبٌ مُّبِينَةٌ﴾ (٥)، وقال عز شأنه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٦).

المرتبة الثالثة: مشيئة الله النافذة في كل شيء وقدرته على كل شيء، فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٧)، وقال عز شأنه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨).

(١) انظر: ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ط ٢، ص ١٠٥-١٠٧. انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٧٥-٧٧.

(٢) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د. ط، (١/١٣٣).

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، ص ٧٥، ولنفس المؤلف، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط ١، ص ٢١.

(٤) سورة الطلاق: جزء من آية ١٢.

(٥) سورة الحج: آية ٧٠.

(٦) سورة يس: جزء من آية ١٢.

(٧) سورة يس: آية ٨٢.

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله خالق الأشياء وموجدها، فلا خالق غيره، ولا رب سواه،

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) ، وقال عز شأنه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦٣) .

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر: "مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتكميلها: الإيمان بأنه بكل شيء عليم ، وأن علمه محيط بالحوادث ، دقيقتها و جليلها ، وأنه كتب ذلك باللوح المحفوظ ، وأن جميعها واقعة بمشيئته وقدرته ، ما يشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه مع ذلك مكن العباد من أفعالهم فيفعلونها اختياراً منهم بمشيئتهم وقدرتهم . كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧٠) ، وقال سبحانه: ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْقِيَهُ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) . (٥) (٦)

وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨) ، (٧) : " مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ " (٨) أي: ما أهملنا ولا أغفلنا، في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ، على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم. وفي هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقهم لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد" (٩) .

(١) سورة التكوين: الآية ٢٩ .

(٢) سورة الزمر: آية ٦٢

(٣) سورة الصافات: آية ٩٦ .

(٤) سورة الحج: آية ٧٠ .

(٥) سورة التكوين: الآيتان ٢٨-٢٩ .

(٦) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية) ، ط ١، ص (٦٨، ٦٧، ٦٥٠) .

(٧) سورة الأنعام: آية ٣٨ .

(٨) سورة الأنعام: آية ٣٨ .

(٩) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢٥٥) .

ويُجَلِّي لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-ضرورة جمع العبد لهذه المراتب، والإيمان بها بقوله: "فمتى جمع العبد هذه المراتب الأربع وآمن بها إيماناً صحيحاً كان هو المؤمن بالقدر حقاً الذي يعلم أن الله بكل شيء عليم وعلمه بالحوادث قد أودعها في اللوح المحفوظ، والحوادث كلها تجري على ما علمه الله وكتبه وتقع بأسباب ربطها العزيز الحكيم بمسبباتها"^١.

من خلال ما تقدم من أقوال العلماء وما بيّنه الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-يتضح لنا وجوب الإيمان بهذه المراتب الأربع؛ لتحقيق الإيمان بالقدر ومن أنكر شيئاً منها لم يحقق الإيمان بالقدر وهي:

أولاً: علم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علماً فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ثانياً: كتابة الله تعالى لكل شيء مما هو كائن إلى يوم الدين.

ثالثاً: المشيئة فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

رابعاً: خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها وقدرته الكاملة على ذلك.

^١ انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٨١.

المبحث الرابع: عقيدة أهل السنة في القضاء والقدر.

المطلب الأول: وسطية منهج أهل السنة في القضاء والقدر.

إن أهل السنة والجماعة هم أسعد الناس أخذاً بنصوص الكتاب والسنة بخلاف غيرهم ممن ضل في الأخذ بهما، ولذلك كان ولا بد من بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في باب القضاء والقدر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- (ت ٧٢٨هـ) في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر: "مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهو أن الله خالق كل شيء وربّه وملكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد. وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاء؛ بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه. وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم : قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقهم لكل شيء وقدرته

على كل شيء ومشيتته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون" (١).

إلى أن قال -رحمه الله-: "وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده" (٢).

وقال أيضاً -رحمه الله-: "ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء أن العباد لهم مشيئته وقدره ويفعلون بمشيئتهم، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم، أن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله" (٣).

وبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عقيدة السلف في ذلك وهي: "فإن الجميع يقولون بما جاء به الكتاب والسنة من إثبات الأصلين:

الأصل الأول: الاعتراف بأن جميع الأشياء كلها أعيانها، وأوصافها وأفعالها بقضاء وقدر، لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته؛ بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والأصل الثاني: أن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي وغيرها واقعة بإرادتهم وقدرتهم؛ وأنهم لم يجبروا عليها؛ بل هم الذين فعلوها؛ بما خلق الله لهم من القدرة والإرادة" (٤).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "أهل السنة يقولون: إن العبد له قدرة وإرادة وفعل وهو فاعل حقيقة، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء، كما دل على هذين الأصلين نصوص الكتاب والسنة والواقع" (٥).

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٤٤٩/٨ - ٤٥٠).

(٢) انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (٤٥٢/٨).

(٣) انظر: ابن تيمية، المرجع السابق، (٤٥٩/٨).

(٤) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، (١٤٧/١٠)، ولنفس المؤلف، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٦١.

وقد أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- وسطية منهج أهل السنة والجماعة بقوله: "وأهل السنة هم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية^(٢)، والقدرية^(٣)، فإن الجبرية يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله لا قدرة له عليها، وأن أفعاله بمنزلة حركات الأشجار، وكل هذا غلُّو منهم في إثبات القدر. والقدرية قابلوهم فنفوا متعلق قدرة الله بأفعال العباد تنزيهاً لله بزعمهم، فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته، وكل من هاتين الطائفتين ردّت نصوص الكتاب والسنة، وهدى الله أهل السنة والجماعة للتوسط بين الطائفتين المنحرفتين، فأمنوا بقضاء الله وقدره وشمولهما للأعيان والأوساط والأفعال التي من جملتها أفعال المكلفين وغيرهم"^٤.

المطلب الثاني: الرد على الطائفتين: الجبرية والقدرية.

و ردَّ الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- علي الطائفتين: الجبرية والقدرية، بقوله سبحانه: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ (٥).
فهذه الآية فيها: ردُّ على "القدرية النفاة" وعلى "القدرية المجبرة" وإثبات للحق الذي عليه "أهل السنة والجماعة".

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٥٨.

(٢) الجبرية: من فرق المرجئة، سميت بذلك نسبة إلى الجبر، زعموا أن الله تعالى جبر الخلق على الإيمان والكفر والطاعة وخلقها فيهم، فالعبد عندهم مجبور على فعله، لا قدرة له؛ فهو كالريشة في مهب الريح، وهم على أصناف عدة. * انظر في الترجمة: الشهرستاني، الملل والنحل، د. ط، (١/٨٥).

(٣) القدرية: فرقة من الفرق الضالة، سميت بذلك لتكذيبهم القدر، ومقولتهم قائمة على أن العبد خالق لأفعاله كلها، خيرها وشرها، وأول ما ظهر عنهم هو أن الأمر أنف، أي لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، وكان أول من تكلم به رجل نصراني يقال له: سنسويه البقال، وسماه بعضهم: سوسن، أسلم ثم عاد فتنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وعنه أخذ غيلان الدمشقي هذه المقالة العرجاء. * انظر في الترجمة: البغدادي، الفرق بين الفرق، د. ط، ١٨، انظر: الخلاص، السنة، د. ط، ص (٥٢٦).

^٤ انظر: السعدي، التنبيهات اللطيفة، ط ٢، ص ٦١.

(٥) سورة التكويد: الآيتان ٢٨-٢٩.

*قوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨)، أثبت أنه لهم مشيئة حقيقية وفعلاً حقيقياً-وهو الاستقامة- باختيارهم. فهذا ردُّ على "الجبرية".

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) (٢) أخبر أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله، وأنها لا توجد بدونها. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ففيها ردُّ على "القدرية" القائلين: إنَّ مشيئة العباد مستقلة، وليست تابعة لمشيئة الله. بل عندهم: يشاء العباد ويفعلون ما لا يشاؤه الله ولا يقدره.

ودلت الآية على الحقِّ الواضح، وهو: أنَّ العباد هم الَّذِينَ يعملون الطَّاعات والمعاصي حقيقةً، وليسوا مجبورين عليها. وأنها -مع ذلك- تابعة لمشيئة الله (٣).

وقال-رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "فهذه الطوائف الثلاث (٤) هم خصماء الله في قضائه وقدره؛ منهم: من نفاة؛ ومنهم: من غلا فيه غلواً أوقعه في الباطل. وهدى الله أهل السنة والجماعة، لما اختلفوا فيه بإذنه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥)، فأثبتوا عموم قضاء الله، ونفوذ مشيئته في كل شيء. وأثبتوا -مع ذلك- أفعال العباد: من الطاعات والمعاصي؛ وقالوا: إنها واقعة باختيارهم؛ ولا حجة للعاصين على الله إذا احتجوا على معاصيهم بقدره؛ بل حجتهم داحضة باطلة. وقالوا: إن مشيئة الله غير محبته؛ فمشيئته تعلقت بكل شيء موجود: من خير وشر، وطاعة ومعصية؛ ومحبته خاصة للطاعات وأهلها. كما أخبر بذلك في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ (٦).

(١) سورة التكويد: الآية ٢٨.

(٢) سورة التكويد: الآية ٢٩.

(٣) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص ١٥٥.

(٤) وهي الطوائف المنحرفة في القدر وهم: القدرية النفاة، القدرية الجبرية، القدرية المشركين، انظر للتوسع في الطوائف المنحرفة والرد عليهم الى كتاب الشيخ السعدي المسمى "الدُّرَّة البهية شرح القصيدة الثائية في حل المشكلة القدرية" ص ١٦-٣٠. وانظر: عبد الرزاق العبَّاد، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي، ط ٢، ص ٩٩-١٠٣.

(٥) سورة البقرة: آية ٢١٣.

(٦) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١٥٨/١٠).

من خلال ما تقدم وما عرضه الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- تبين لنا وسطية أهل السنة والجماعة في باب القدر بين القدرية والجبرية، وهذا ما سار عليه الشيخ السعدي-رحمه الله - وفق منهج أهل السنة والجماعة مع رده على المنحرفين والغالين .

المبحث الخامس: حكم الرضى بقضاء الله وقدره.

يبين الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- حكم الرضى بقضاء الله وقدره، بقوله: " الرضا بقضاء الله على قسمين:

القسم الأول: فعل الرب وتقديره وحكمه.

القسم الثاني: فعل العبد.

ويختلف الحكم فيها، أما القسم الأول: الذي هو فعل الرب تعالى؛ فهو أنواع:

أحدها: قضاؤه الديني، وحكمه الشرعي؛ فهذا الرضى به واجب، من أفرض الفروض، بل لا يتم الإيمان إلا به، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^١، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾^٢، فيجب على كل مؤمن أن يرضى بأحكام الله الشرعية ويتلقاها بالقبول والسمع والطاعة، ولهذا قال المؤمنون ملتزمين لها: سمعنا وأطعنا.

الثاني: قضاؤه على عبده فيما يجب العبد من صحة بدنه وسعة رزقه وحصول منافعه واندفاع مضاره، فهذا لا بد له فيه من الرضى طبعاً لأنه من مطالب النفوس، ولكن يجب في هذا النوع الشكر لله والثناء عليه بما أولى، والحذر من الأشر والبطر والطغيان.

الثالث: قضاؤه على عبده المكاره والمصائب؛ فبعض العلماء يرى وجوب الرضى بها، وأكثر العلماء - وهو الصحيح - أن الرضى مستحب.

والرضى فيها غير الصبر؛ فإن الصبر واجب بالاتفاق؛ فالصبر أن لا يتسخطها بقلبه ولا بلسانه ولا بجوارحه، فإذا صبر نفسه عن هذا التسخط؛ فهو صابر، ولو كان قلبه يحب ألا تكون المصيبة. وأما الرضى؛ فهو مع ذلك قلبه راضٍ بها، وبما قسم الله غير مختار على ربه، وهذا أعلى؛ لأنه متضمن الصبر وزيادة طمأنينة القلب، وألا يكون له إرادة تخالف ما قضاه الله عليه.

^١ سورة الأحزاب: آية ٣٦.

^٢ سورة النساء: ٦٥.

وأما القسم الثاني: فعل العبد وهي الطاعات والمعاصي؛ فيجب الرضى بالطاعات الواقعة منه ومن غيره ومحبتها، وكراهة المعاصي الواقعة منه ومن غيره؛ فالرضى والكراهة في هذين النوعين يرجعان إلى فعل العبد، وذلك راجع إلى موافقة الرب في محبته للطاعات وكراهته للمعاصي، وحكمه بالتفريق بينهما في أحكام الدنيا والآخرة؛ فعلينا أن نوافق الله في ذلك، وأما من جهة تقدير الله لها وفعل الرب التي نشأت عنه؛ فعلينا أن نرضى بها من هذه الجهة موافقين لربنا في ذلك، فإنه قضى الخير والشر، وأحب الخير وكره الشر الواقع بالعباد، فبهذا التفصيل يزول الإشكال في هذه المسألة العظيمة التي تحتاج إلى فرقان علمي وفرقان عملي، ومن لم يفرق هذا التفريق وقع في أنواع من الخطأ والجهالات^(١).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: "وكما على العبد أن يؤمن بقدر الله وقضائه فعليه أن يوافق الله في حبه وبغضه، فقضاء الشرور من جهة خلقه الرب لها محبوبة مرضية؛ لأن الله خلقها لما له في ذلك من الحكمة، والعبد فعلها وهي ضارة له موجبة له العذاب، فنحن ننكرها ونكرها و ننأى عنها، وإذا أرسل الله الكافرين على المسلمين، فعلينا أن نرضى بقضاء الله في إرسالهم، وعلينا أن نجتهد في دفعهم وقتالهم، وأحد الأمرين لا ينافي الآخر"^(٢).

مما تقدم يبين لنا الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حكم الرضى بقضاء الله وقدره؛ وأنَّ القضاء غير المقضي، فنرضى بالقضاء؛ لأنه فعله تعالى، وأما المقضي فهو فعل العبد وله أقسام كثيرة: فإذا كان إيمان وطاعة فعلينا الرضا بها، وإذا كانت كفر ومعصية لا يحل لنا الرضا بها، وإذا كانت من المباحات فهي مستوية الطرفين.

المبحث السادس: مسائل القدر.

المطلب الأول: مسائل القدر مستمدة من أسماء الله وصفاته.

(١) انظر: السعدي، بحجة قلوب الأبرار، ط٤، (٧/ ٤٥). ولنفس المؤلف، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص ١٤٢،

الدُّرَّة البهيَّة شرح القصيدة التائية، ط١، ص ٦٥-٧٠. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، فائدة (٢٦) ص ٤٠.

(٢) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص ٥٩.

إنَّ مسائل القدر العظيمة مستمدةٌ من أسماء الله، وأوصافه، وأفعاله، ومعرفة دينه، والتدبر لكتابه؛ لأنَّ أصل ضلال الخلق هو الخوض في فعل الرب، فمن تفقه في الأسماء الحسنى، و اعترف بما لله من الصفات العليا، وعرف أنَّ أفعاله تعالى مشتملة على الحق، والحق غايتها و مقصودها تدبر كتاب الله الذي فيه الهدى والشفاء، وسنة نبيه ﷺ.

من عرف ذلك كله، واعترف به؛ جزم جزمًا بأنه تعالى خلق المخلوقات، وأوجدها، ودبرها بمشيئة نافذة، وحكمة شاملة، ورحمة واسعة. وذلك: أن عظمة المخلوقات تدل على عظمة خالقها ومبدعها، وكمال قدرته.

و أدرك أن أفعال الرب-سبحانه-مستمدة من أسمائه وصفاته العلى، ولا سبيل لذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة^١.

المطلب الثاني: أمثلة لمسائل القدر.

للقدر مسائل كثيرة نذكر منها:

المسألة الأولى: الاستطاعة والتكليف بما لا يطاق.

أولاً: المقصود بالاستطاعة والتكليف لغةً:

الاستطاعة لغة: هي: الطاقة والقدرة على الشيء^(٢)، والطاقة: هي القدرة على الشيء^(٣)، وهي مرادفة لمعنى الاستطاعة. فالاستطاعة والقدرة والطاقة من الألفاظ المترادفة^(٤).

والتكليف لغة: فكلفه تكليفاً: أي أمره بما يشق عليه^(٥)، و تكلفت الشيء :تجشمته، والكلفة: ما يتكلفه الإنسان من نائبة أو حق^(١).

^١ انظر: السعدي، الدرّة البهيّة شرح القصيدة التائيّة، ط١، ص٣٧-٣٨. باختصار وتصرف".

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط١، مادة: "الطاء مع الواو وما يثلاثهما"، (٢٤٢/٨). وانظر: الفيومي، المصباح المنير، ط١، مادة: "الطاء مع الواو وما يثلاثهما"، (٣٨٠/٢)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط٤، مادة: "الطاء مع الواو وما يثلاثهما"، ص٩٦٢.

(٣) ابن منظور، المرجع السابق، مادة: "الطاء مع الواو وما يثلاثهما"، (٢٤٢/٨).

(٤) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د.ط، ص٤٣٢، وانظر: الجرجاني، التعريفات، ط٢، مادة: "الطاء مع الواو وما يثلاثهما"، ص٣٥.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ط١، مادة: "كلف"، (٣٠٧ / ٩).

ثانياً: المقصود بالاستطاعة اصطلاحاً.

أما في الاصطلاح: يرى أهل السنة والجماعة أن الاستطاعة أو القدرة نوعان:

النوع الأول: قدرة شرعية مصححة للفعل، وهي مناط الأمر والنهي.

النوع الثاني: قدرة قدرية موجبة للفعل، مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها^(٢).

و يرون - أهل السنة - أن الاستطاعة بالنسبة للمخلوق على قسمين:

الأولى: الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات وهي: التي تكون مناط الأمر والنهي، وهي المصححة للفعل، فهذه الاستطاعة لا يجب أن تقارن الفعل، بل تكون قبلة متقدمة عليه، وهذه الاستطاعة المتقدمة صالحة للضدين، وهي في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣)، فهذه الاستطاعة قبل الفعل، ولو لم تكن إلا مع الفعل ما واجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد من الناس بترك الحج، ولا كان الحج واجبا على أحد قبل الإحرام، بل قبل فراغه.

ومن الأمثلة عليها أيضاً في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٤)، يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - مبينا القسم الأول من الاستطاعة: "يأمر تعالى بتقواه، التي هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة. فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه"^(٥).

الثانية: الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل، وهذه هي الاستطاعة المقارنة للفعل الواجبة له، ومن

(١) ابن منظور، مرجع سابق، مادة: "كلف"، (٩ / ٣٠٧)، الجوهرى، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، د. ط، مادة: "كلف"، ص ٢٤٠.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٨ / ١٢٩).

(٣) سورة آل عمران: جزء من آية ٩٧.

(٤) سورة التغابن: جزء من آية ١٦.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٦٨).

الأمثلة عليها من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ (٢)، أي: "لا يقدرون على سماع آيات الله الموصلة إلى الإيمان، لبغضهم القرآن والرسول، فإن المبغض لا يستطيع أن يلقي سمعه إلى كلام من أبغضه، فإذا انحجبت عنهم طرق العلم والخير، فليس لهم سمع ولا بصر، ولا عقل نافع فقد كفروا بالله ووجدوا آياته، وكذبوا رسله، فاستحقوا جهنم، وساءت مصيرا" (٣).

فالمراد هنا بعدم الاستطاعة مشقة ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم، فنفسهم لا تستطيع إرادته، وإن كانوا قادرين على فعله لو أرادوه، وهذه حال من صده هواه أو رأيه الفاسد عن استماع كتب الله المنزلة واتباعها.

وقد أخبر أنه لا يستطيع ذلك، وهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة للفعل، وهي الاستطاعة الكونية. وهي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل (٤).

ثالثاً: مقصود التكليف بما لا يطاق اصطلاحاً (٥).

أما في مسألة التكليف بما لا يطاق: فقد فصل أهل السنة فيها، لما تحويه من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى تفصيل مثل لفظ الطاقة التي هي الاستطاعة، فإن أريد بها الاستطاعة الشرعية التي هي مناط الأمر بالمعروف، والتي يصح التكليف بها، والتي لم يكلف الله أحد بدونها، فإن الله تعالى لم يكلف أحدا مالا يطيقه بهذا التفسير.

وإن أريد بها الاستطاعة المقارنة للفعل فجميع الأمر والنهي تكليف بما لا يطاق بهذا الاعتبار

(١) سورة هود: جزء من آية ٢٠ .

(٢) سورة الكهف: آية ١٠١ .

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٨٧).

(٤) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (١٢٩/٨)، (٨ / ٢٩٠، ١٢٩، ٤٤١، ٣٧٣، ٣٧٢، ١٣٠). انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص (٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤).

(٥) إطلاق القول بتكليف بما لا يطاق من البدع الحادثة في الدين عند أهل السنة، انظر: ابن تيمية، مرجع سابق، (٨ / ٢٩٤، ٢٩٥).

وتكليف ما لا يطاق عند أهل السنة ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: ما لا يطاق للعجز عنه، كتكليف الزمن^(٢) والمشى وتكليف الإنسان الطيران ونحو ذلك فهذا غير واقع في الشريعة عند جماهير أهل السنة المثبتين للقدر.

والثاني: ما لا يطاق للاشتغال بضده كاشتغال الكافر بالكفر فإنه هو الذي صده عن الإيمان، وكالقاعد في حال قعوده فإن اشتغاله بالقعود يمنعه أن يكون قائما والإرادة الجازمة لأحد الضدين تنافي إرادة الضد الآخر وتكليف الكافر الإيمان من هذا الباب.

ومثل هذا ليس بقبيح عقلا عند أحد من العقلاء بل العقلاء متفقون على أمر الإنسان ونهييه بما لا يقدر عليه حال الأمر والنهي لاشتغاله بضده إذا أمكن أن يترك ذلك الضد ويفعل الضد المأمور به، وإنما النزاع هل يسمى هذا تكليف ما لا يطاق لكونه تكليفا بما انتفت فيه القدرة المقارنة للفعل: فمن المثبتين للقدر من يدخل هذا في تكليف ما لا يطاق... ويقولون: ما لا يطاق على وجهين: منه ما لا يطاق للعجز عنه، وما لا يطاق للاشتغال بضده، ومنهم من يقول: هذا لا يدخل فيما لا يطاق وهذا هو الأشبه بما في الكتاب والسنة، وكلام السلف ومنهم الشيخ السعدي -رحمهم الله تعالى-؛ فإنه لا يقال للمستطيع المأمور بالحج إذا لم يحج إنه كلف بما لا يطيق ولا يقال لمن أمر بالطهارة والصلاة فترك ذلك كسلا أنه كلف ما لا يطيق " (٣).

المسألة الثانية: الختم والطبع والهدى والضلال.

ما المقصود: بالختم والطبع والهدى والضلال؟

أولاً: المقصود بالختم والطبع:

ختمه يختمه ختما وختاماً: طبعه فهو محتوم ومختم شدد للمبالغة والخاتم: الفاعل والختم على

(١) انظر: ابن تيمية، المرجع السابق، ص(١٣٠/٨).

(٢) الزمن: هو الرجل المبتلى أو شديد العاهة، والجمع زمني، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "زمن"، (١٣/١٩٩).

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط ٣، (٢٩٨/٨)، وانظر لنفس المؤلف: منهاج السنة النبوية، (٣ / ٦٣-٦٢)، وانظر:

ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص ٤٤٤ وما بعدها، انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٥٨.

القلب: أن لا يفهم شيئاً، ولا يخرج منه شيء كأنه طبع^(١).

الطَّبْعُ: الختم: وهو التأثير في الطين ونحوه. وطَبَعَ على الكتاب ختم^(٢). والطبع بالسكون: الختم، وبالتحريك: الدنس^(٣).

والختم والطبع معناهما واحد وهو: الاستيثاق من الشيء حتى لا يخرج منه داخل فيه، ولا يدخل فيه خارج عنه^(٤).

ثانياً: المقصود بالهدى والضلال:

هدى وهداه يهديه في الدين هدى. والهدى ضد الضلال، وهو: الرشاد والدلالة، وهديت لك: بينت لك، وهداه للطريق هداية: إذا دله على الطريق^(٥).

والهداية تنقسم إلى قسمين:

*هداية عامة: وهي هداية الدلالة والإرشاد.

*وهداية خاصة: وهي هداية التوفيق والإلهام^(٦).

– ما الختم والطبع والهدى والضلال عند أهل السنة والجماعة؟

أولاً: الختم والطبع عند أهل السنة والجماعة:

-
- (١) انظر: ابن منظور، المرجع السابق، مادة: "ختم"، (١٢ / ١٦٣).
- (٢) انظر: الرازي، مختار الصحاح، ط ١، مادة: "طبع"، (١ / ٤٠٣).
- (٣) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، د. ط، مادة: "طبع"، (٣ / ١١٢).
- (٤) انظر: البغوي، معالم التنزيل، د. ط، (١ / ٤٩)، وانظر: السمعاني، تفسير القرآن، د. ط، (١ / ٤٦)، ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د. ط، (١ / ٩٢)، ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ط ١، (١ / ٢٧٢)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، (١ / ١٨٦)، الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، د. ط، ص (١ / ١٢).
- (٥) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "هدى"، (١٥ / ٣٥٣-٣٥٤) "بتصرف".
- (٦) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د. ط، مادة: "هدى"، ص (٥١٦)، وانظر: ابن القيم، مرجع سابق، (٢٦٥).

يرى أهل السنة والجماعة ومنهم الشيخ السعدي -رحمهم الله تعالى- أن الختم والطبع من الحق تعالى على حقيقته كما أخبر في كتابه الحكيم في الآيات البيّنات التالية:

الدليل الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٧) ، بين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- الموانع المانعة للكافرين من الإيمان وهي الطبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فقال: "طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان، ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم، وعلى أبصارهم غشاوة، أي: غشاء وغطاء و أكنة تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، وهذه طرق العلم والخير، قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم، ولا خير يرجى عندهم، وإنما منعوا ذلك، وسدت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعد ما تبين لهم الحق" (٢).

الدليل الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١) ، أي: "ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم. وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسبا لأحوالهم" (٤).

الدليل الثالث: يقول سبحانه: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤) ، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في معرض حديثه عن المؤمن الذي كان مقصوده الحق المبين، فإنه لا يكذب بيوم الدين، لأن الله قد أقام عليه من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، ما يجعله حق اليقين، وصار لقلبه مثل الشمس للأبصار، ثم قال عمّا يخالفه: "بخلاف من ران على قلبه كسبه،

(١) سورة البقرة: آية ٧ .

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤١).

(٣) سورة الأنعام: آية ١١٠ .

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢٦٩).

(٥) سورة المطففين: آية ١٤ .

وغبطته معاصيه، فإنه محجوب عن الحق، ولهذا جوزي على ذلك، بأن حجب عن الله، كما حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله،... وفي هذه الآية، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب وتغطيه شيئاً فشيئاً، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقاً، والحق باطلاً وهذا من بعض عقوبات الذنوب" (١).

ويقول الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- (ت ٧٥١هـ): "الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والإقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب" (٢).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: "إن ما دل القرآن عليه وهو موجب العدل والله سبحانه ماض في العبد حكمه عدل في عبده قضاؤه فإنه إذا دعى عبده إلى معرفته ومحبته وذكره وشكره فأبى العبد إلا إعراضاً وكفراً قضى عليه بأن أغفل قلبه عن ذكره وصده عن الإيمان به وحال بين قلبه وبين قبول الهدى وذلك عدل منه فيه وتكون عقوبته بالختم والطبع والصد عن الإيمان كعقوبته له بذلك في الآخرة مع دخول النار كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ (٣) (٤).

ثانياً: الهدى والضلال عند أهل السنة والجماعة:

بيّن الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- الهدى والضلال عند السلف بقوله: "الهدى والضلال عند أهل السنة والجماعة هو قلب أبواب القدر ومسائله فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال وقد اتفقت رسل الله -عليهم السلام- من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد وأن العبد هو الضال أو المهتدي فالهداية والإضلال

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٩١٥) "بتصرف".

(٢) انظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، د.ط، ، (١ / ٩٤).

(٣) سورة المطففين: الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) انظر: ابن القيم، مرجع سابق، (١ / ٨٦).

فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه^(١). و"الهدى من الله تعالى للعبد توفيقه للإيمان وإعانتة عليه"^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلْ. وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(٣) ، يقول الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- عند تفسيره للآية مبينا أن الهداية والضلال بيد الله ﷻ: "أي: لا سبيل إلى نيل الهداية إلا من الله، فهو الهادي المرشد لمصالح الدارين، ﴿وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلْ. وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(٤) أي: لا تجد من يتولاه ويدبره، على ما فيه صلاحه، ولا يرشده إلى الخير والفلاح، لأن الله قد حكم عليه بالضلال، ولا راد لحكمه"^(٥).

و مراتب الهدى والضلال عند أهل السنة أربع^(٦) هي:

المرتبة الأولى: الهدى العام وهو: هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أعم مراتبه . وهي هداية عامة وشاملة للإنسان والحيوان ، يقول تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)﴾^(٧)، فذكر سبحانه أربعة أمور عامة الخلق والتسوية والتقدير و الهداية وجعل التسوية من تمام الخلق و الهداية من تمام التقدير.

المرتبة الثانية: الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى وأعم من الثالثة. وهي: هداية الإرشاد والبيان للمكلفين وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق و اتباع الحق وإن كانت شرط فيه او جزء سبب وذلك لا يستلزم حصول المشروط والمسبب بل قد يتخلف عنه المقتضى إما لعدم

(١) انظر: ابن القيم: المرجع السابق، (١ / ٦٥).

(٢) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص (١٤٨).

(٣) سورة الكهف: جزء من آية ١٧.

(٤) سورة الكهف: جزء من آية ١٧.

(٥) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٤٧٢).

(٦) انظر: ابن القيم، المرجع السابق، (١ / ٦٥-٨٤).

(٧) سورة الأعلى: الآيات ١-٣.

كمال السبب أو لوجود مانع ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١). وهذه الهداية هي التي أثبتتها لرسوله ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢) ونفى عنه ملك الهداية الموجبة وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٣)، وهي هداية تخص المكلفين وهي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحدا إلا بعد إقامتها عليه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٤) وقال عز شأنه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٥).

المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء وهي هداية التوفيق ومشیئة الله لعبده الهداية وخلقها دواعي الهدى وإرادته والقدرة عليه للعبد وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله عز و جل . وهذه المرتبة أخص من التي قبلها وهي التي ضل جهال القدرية بإنكارها.

وهذه المرتبة تستلزم أمرين :

أحدهما: فعل لرب تعالى وهو الهدى .

والثاني: فعل العبد وهو الاهتداء وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي، قَالَ تَعَالَى:

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ (٦)، ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام فإن لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٧) وهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له - ﷺ - ولو حرص عليه، ولا إلى أحد غير الله وأن الله

(١) سورة فصلت: آية ١٧.

(٢) سورة الشورى: جزء من آية ٥٢.

(٣) سورة القصص: آية ٥٦.

(٤) سورة الإسراء: جزء من آية ١٥.

(٥) سورة النساء: آية ١٦٥.

(٦) سورة الكهف: جزء من آية ١٧.

(٧) سورة النحل: آية ٣٧.

سبحانه إذا أضل عبدا لم يكن لأحد سبيل إلى هدايته كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٨٦) . (١)

المرتبة الرابعة: الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار. قال تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢) من دون الله فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) ، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) . (٣) فهذه هداية بعد قتلهم ، سيهديهم إلى طريق الجنة ، ويصلح حالهم في الآخرة بإرضاء خصومهم وقبول أعمالهم.

وقد أبرز الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- الهداية العامة لجميع الخلق بقوله: " وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية " (٤) . وقال في موضع آخر -رحمه الله تعالى- مبيناً أنواع الهداية لأولياء الله المتقين وهي الهداية الخاصة بقوله: " الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق. فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة " (٥) .

مما تقدم تبين لنا:

أولاً: أن التكليف ما لا يطاق عند أهل السنة ينقسم إلى قسمين:
أحدهما: ما لا يطاق للعجز عنه، كتكليف الزمن المشي وتكليف الإنسان الطيران ونحو ذلك فهذا غير واقع في الشريعة عند جماهير أهل السنة المثبتين للقدر. والثاني: بما لا يطاق للاشتغال بضده كاشتغال الكافر بالكفر فإنه هو الذي صده عن الإيمان.
ثانياً: الهداية نوعان: هداية عامة وهداية خاصة؛ وكل ما سبق وافق عليه الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أهل السنة، وسار على منهجهم.

المبحث السابع: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

(١) سورة الأعراف: آية ١٨٦ .

(٢) سورة الصافات: الآيتان ٢٢، ٢٣ .

(٣) سورة محمد: الآيتان ٤، ٥ .

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١/ ٩٢٠) .

(٥) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١/ ٤٠) .

قطف لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-ثمار طيبة من شجرة عبودية الرضا بالقضاء والقدر، ومن تلك الثمرات والفوائد ما يلي:

أولاً: أنه يوجب للعبد سكون القلب وطمأنينته وقوته وشجاعته لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ثانياً: أنه يسلي العبد عن المصائب، ويوجب له الصبر والتسليم والقناعة بما رزقه الله تعالى.

: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ ۝ ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴿ (١).

ثالثاً: أنه يوجب للعبد شهود منة الله عليه فيما يُمنُّ به عليه من فعل الخيرات وأنواع الطاعات، فلا يُعجبُ بنفسه ولا يُدلي بعمله لعلمه أنه تعالى هو الذي تفضل عليه بالتوفيق والإعانة وصرف الموانع والعوائق، وأنه لو وُكِّل إلى نفسه لضعف وعجز عن العمل.

رابعاً: أنه سبب لشكر نعم الله بما يُنعمُ عليه من نعم الدين والدنيا، فإنه يعلم أنه ما بالعبد من نعمة إلا من الله تعالى، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة (٢).

خامساً: يوجب للعبد الاعتماد على الله تعالى، والتوكل عليه عند فعل الأسباب؛ فلا يعتمد المرء على السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقضاء الله تعالى وقدره. فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة، وفي ذلك يقول النبي ﷺ : (عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له) (٣). إلى غير ذلك

(١) سورة الحديد: الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط ٢، ص ٨٤، ٨٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب: المؤمن أمره كله خير، (٤/٢٢٩٥)، رقم الحديث: ٢٩٩٩. عن صهيب -رضي الله عنه-.

من الثمرات الكثيرة التي لا تحصل إلا لمن تعلم وعرف وآمن بقضاء الله وقدره^(١).

من خلال ما قطف لنا الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-من ثمار وفوائد تتعلق بالإيمان بقضاء الله وقدره تبين لنا أهمية العلم بالقدر، وأن عدم تعلم القدر يؤدي إلى الجهل به، وبالتالي يؤدي إلى الجهل بثمرات الإيمان به، وبذلك يفوت على المسلم خير كثير؛ فإن الإيمان بالقضاء والقدر ثمرات عظيمة، لا تتحقق إلا لمن آمن به عن علم ومعرفة.

وبهذا نصل إلى نهاية الفصل الخامس بعنوان: الأصول العقدية المتعلقة بالإيمان في القضاء والقدر، ويليه الفصل الأول من الباب الثالث: الذي يتحدث عن الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإمامة. والله ولي الاحسان.

(١) انظر تلك الثمرات وغيرها في: ابن عثيمين، شرح أصول الإيمان، ط ١، ص ٥٨، ٥٩، عبد الرحمن صالح المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ط ٢، ص ٤٤٧-٤٥٨، الوادعي، الجامع الصحيح في القدر، ص ١١، ١٢.

الباب الثالث: الأصول العقدية لمسائل متفرقة في العقيدة.

وفيه فصلين:

الفصل الأول: الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإمامة.

الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان بالصحابة.

الباب الثالث: الأصول العقيدية لمسائل متفرقة في العقيدة.

الفصل الأول: الأصول العقيدية المتعلقة بمسائل الإمامة.

إن موضوع الإمامة من أهم الأمور و أخطرها ؛لأنه الحارس لهذا الدين ،واليد الطولى لنشره والذود عن حماه من عبث العابثين وطمع الطامعين ، لذا رأيت أن أتحدث عن مسائل الإمامة من التعريف بها وأدلتها من القرآن وشروطها وحكم الخروج على الأئمة ، والخلفاء الراشدين وتفضيلهم مع بيان رأي الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في ذلك.

ولتوضيح ذلك نقف مع المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الإمامة.

المبحث الثاني: أدلة وجوب الإمامة.

المبحث الثالث: شروط الإمام.

المبحث الرابع: حكم الخروج على الإمام.

المبحث الخامس: الخلفاء الراشدون وتفضيلهم.

المبحث الأول: تعريف الإمامة.

المطلب الأول: تعريف الإمامة لغةً واصطلاحاً.

أولاً: الإمامة لغةً: مصدر من الفعل (أَمَّ) تقول: "أَمَّهُمْ وَأَمَّ بِهِمْ: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره" (١).

يقول ابن منظور-رحمه الله-(ت ٧١١ هـ): "الإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله - ﷺ - إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأمت القوم في الصلاة إمامة، وائتم به: اقتدي به.

والإمام: المثال، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلمه كل يوم، وإمام المثال ما امثل عليه، والإمام: الخيط الذي يُمدُّ على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء" (٢). "والإمام: الطريق الواسع، و به فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مَّيْنٍ﴾ (٣) أي: بطريق يؤم، أي: يقصد فيتميز، والخليفة إمام الرعية" (٤).

ويعرّف الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- الإمام تعريفاً شاملاً بقوله: "الإمام هو من يقتدى به ، إما أن يرجع إليه في العلم والدين بحيث يطاع باختيار المطيع لكونه عالماً بأمر الله آمراً به فيطيعه المطيع لذلك ، وإن كان عاجزاً عن الإلزام بالطاعة ، وإما أن يكون صاحب يد وسيف بحيث يطاع طوعاً وكرها قادراً على إلزام المطيع بالطاعة ، وهؤلاء القسمان هم المراد ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٥). ولا يتم كل واحد منهما إلا بالآخر ، ولا يستقيم الدين والدنيا إلا

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٤، مادة: "إمام"، (١/١٣٩٢).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ط ١، مادة: "إمام"، (١٢، ٢٤).

(٣) سورة الحجر: جزء من آية ٧٩.

(٤) المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، د. ط، مادة: "إمام"، (٨/١٩٣).

(٥) سورة النساء: جزء من آية ٥٩.

باجتماعهما ، ووجود الظلم والمعاصي من بعض المسلمين ، ولالة الأمور وعامتهم لا يمنع أن يشارك فيما يعمل من طاعة الله فيعاونون على الخير ولا يطاع أحد من الخلق في معصية الله ، وملوك المسلمين حسناهم كثيرة ، وسيئاتهم كثيرة، فلهم من الحسنات ما ليس لأحد الأمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود ، وجهاد العدو وإيصال كثير من الحقوق إلى مستحقيها، ومنع كثير من الظلم وإقامة كثير من العدل" (١) ومن جميع ما سبق نلاحظ تقارب مدلول هذه الألفاظ ، وأنها تدور حول معاني التقدم والافتداء.

ثانياً: تعريف الإمامة اصطلاحاً:

فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات منها:

*الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به (٢) .

*الإمامة هي: "نيابة عن الرسول ﷺ في إقامة الدين بحيث يجب على كافة الأمم الإتيان" (٣) .

*الإمامة هي : الرئاسة العامة في شؤون الدنيا والدين (٤).

*وتعرف أيضاً بأنها :حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به (٥).

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط١، ص١٦٦-١٦٥.

(٢) انظر: الماوردي ، الأحكام السلطانية، ت: أحمد مبارك البغدادي، ط١، ص٥.

(٣) سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية لنجم الدين عمر النسفي، د.ط، ص١٧٩.

(٤) النووي ، المجموع شرح المذهب ص٥١٧، مع التكملة لمحمد نجيب المطيعي، د.ط، ص٥.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، ط٤، ص١٩٠.

* وقد أبان الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- حقيقة الإمامة بقوله: "إن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين وإقامة الحدود على الجناة، ولا تتم إمامته إلا بطاعته في المعروف في غير معصية والجهاد ماضٍ مع البر والفاجر، ويعانون على الخير وينصحون عن الشر" (١).

ثالثاً: تفسير الشيخ السعدي للفظ (الإمام) في القرآن:

تحدث الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عن معاني (لفظ الإمام) في القرآن الكريم في ضوء تفسيره للآيات والأدلة القرآنية التالية:

الدليل الأول: قال عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) (٢): "أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين و الكمل من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون. ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة - درجة الإمامة في الدين - لا تتم إلا بالصبر واليقين" (٣)، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمًا يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤) (٤).

الدليل الثاني: وقال عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤) (٥): "إماماً أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبدية، ويحصل لك الثناء الدائم، والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد... لا ينال عهدي الظالمين: أي: لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آله الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٧٠).

(٢) سورة الفرقان: جزء من آية ٧٤.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٥٨٧).

(٤) سورة السجدة: آية ٢٤.

(٥) سورة البقرة: آية ١٢٤.

والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟ ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها" (١).

الدليل الثالث: وقال عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (٧٣) (٢): "أنه جعلهم أمة يهدون بأمره، وهذا من أكبر نعم الله على عبده أن يكون إماما يهتدي به المهتدون، ويمشي خلفه السالكون، وذلك لما صبروا، وكانوا بآيات الله يوقنون" (٣).

الدليل الرابع: وعند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَجَعَلْنَاهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥) (٤)، قال: "ونجعلهم أمة في الدين، وذلك لا يحصل مع استضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة، ونجعلهم الوارثين للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة" (٥).

الدليل الخامس: وعند قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (١٣) (٦)، قال: "فقاتلوا أمة الكفر أي: القادة فيه، الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم جنايتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليدل على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أمة الكفر. إنهم لا أيمان لهم أي: لا عهود ولا موثيق يلازمون على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين، ناكثين للعهد، لا يوثق منهم" (٧).

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُصْرُونَ﴾ (٤١) (٨): "أي: جعلنا فرعون وملأه من الأئمة الذين يقتدي بهم ويمشي خلفهم إلى دار الحزي والشقاء" (٩).

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٥).

(٢) سورة الأنبياء: آية ٧٣.

(٣) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٥٢٦).

(٤) سورة القصص: جزء من آية ٥.

(٥) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٦١١).

(٦) سورة التوبة: جزء من آية ١٢.

(٧) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٣٣٠).

(٨) سورة القصص: آية ٤١.

(٩) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ٦١٦).

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد وافق عقيدة أهل السنة في تعريفه للفظ (الإمام) بأنه من يقتدى به، وأن درجة الإمامة في الدين. لا تُنال إلا بالصبر واليقين.

المبحث الثاني: أدلة وجوب الإمامة.

إن أهل السنة والجماعة يرون أن الإمامة واجبة ، وأنه لا بد للمسلمين من إمام يقيم شعائر الدين وينصف المظلومين من الظالمين، وقد أشار الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- إلى ذلك بقوله: "نعتقد أن نصب الإمام فرض كفاية ، فإن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها وديناها ، ويدفع عنها عادية المعتدين وإقامة الحدود على الجناة، و لا تتم إمامته إلا بطاعته في المعروف في غير معصية والجهاد ماضٍ مع البر والفاجر ، ويعانون على الخير وينصحون عن الشر"^(١).

وفي ذلك يقول الإمام السفاريني -رحمة الله تعالى- (ت ١١٨٨ هـ) :

ولا غنى لأمة الإسلام	في كل عصر كان عن (إمام)
يذب عنها كل ذي جحود	ويعتني بـ (الغزو) و (الحدود)
و (فعل معروف) و (ترك منكر)	و (نصر مظلوم) و (قمع كفر)
و (أخذ مال الفيء) و (الخراج)	ونحوه و الصرف في منهاج ^٢

ووردت نصوص قرآنية كثيرة تدلنا على ذلك نوردتها مع حديث الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عنها:

(١) انظر: السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي (العقيدة الإسلامية)، ط ١، ص (٧٠).

٢ انظر: السفاريني، العقيدة السفارينية، ط ١، ص ٩٣. انظر: السعدي، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط ١، ص ٢٥.

الدليل الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ (١).

يبين الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - بأن الله أمر بطاعة أولي الأمر دون معصية بقوله: "بعد أن أمر الله بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتنال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. فقد أمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمرُوا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (٢). وفي هذا دليل على. نصب ولي الأمر؛ لأن الله لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده، فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم .

الدليل الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝٤٩﴾ (٣)، إن الأمر في الآية للرسول ﷺ أمر خطاب لأئمة ﷺ ما لم يرد دليل يخصه به، فيكون الخطاب في هذه الآية: خطابا للمسلمين جميعا بإقامة الحكم بما أنزل الله إلى يوم القيامة، و لا يعني إقامة الحكم والسلطان إلا بإقامة الإمامة .

الدليل الثالث: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

(١) سورة النساء: آية ٥٩.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٨٣).

(٣) سورة المائدة: آية ٤٩.

﴿٢٥﴾ (١)، إن الدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق (٢)، وهذا لا يتأتى لأتباع الرسل إلا بتنصيب إمام يقيم فيهم العدل، وينظم جيوشهم المناصرة.

الدليل الرابع: حديث عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتكم لأجلس، أتيتكم لأحدثكم حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) (٣) (٤).

فتبين مما تقدم أن أهل السنة والجماعة يرون أن الإمامة واجبة، وهم بهذا المعتقد منهجهم القرآن الكريم، والسنة النبوية، بعكس موقف مخالفينهم من أهل البدع كالرافضة (٥)، فإن معتقدتهم من مسألة الإمامة أو الولاية من أساسيات دينهم، وإن لها من المنزلة في نفوس معتنقيها ما يفوق منزلة الشهادتين وبقية أركان الدين، ومن ضمن اعتقادات الرافضة أن الله تعالى لا يقبل عمل عامل إلا إذا أقر بالولاية للأئمة المعصومين وأن الله تعالى نصّ على إمامتهم ولا يسع الناس إلا متابعتهم واعتقاد ولايتهم

(١) سورة الحديد: آية ٢٥.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٨٤٢).

(٣) قوله "ميتته جاهلية" بكسر الميم يعني: أن حالة موته كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك فيموت بذلك الشخص عاصياً، انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د. ط، (٧/١٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر يلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاء إلى الكفر (٦ / ٢٢)، رقم الحديث: ٤٨٩٩

(٥) *الرافضة: سموا بذلك لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهذا قول الأشعري. وقال بعضهم: أول من سمى الروافض بهذا اللقب

زيد بن علي -عليه السلام- الذي خرج في أوائل دولة بني العباس، وبإيعاض كثير من الشيعة، ولما ناظره في أبي بكر وعمر -رضي الله

عنهما- وطلبوا منه أن يتبرأ منهما فأبى رحمه الله -تفرقوا عنه، فقال: (رفضتموني) فمن يومئذ قيل لهم: الرافضة، وكانوا فرقاً كثيرة؛

منهم الغالية، ومنهم من هم دون ذلك. * انظر في الترجمة: الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط ٢،

(١/١٣٦، ٨٨، ٦٥)، الشهرستاني، الملل والنحل، د. ط، (١/٤٦)، ابن كثير، البداية والنهاية، ط ١، (٩/٣٢٧).

والبراءة من أعدائهم الذين ناصبوه، فالولاية محور كل شيء، وأن العبد إن جاء يوم القيامة بصلاة وصوم وزكاة وجهاد وحجّ ولم يأت بهذا الاعتقاد فعمله غير مقبول.

والرافضة يُكفّرون كل من يخالفهم في مسألة الإمامة بل بنجاسة المخالف، وفي مقابل ذلك وضعت الرافضة فضائل ومناقب عديدة لمعتقد الولاية فاقت تزكية اليهود لأنفسهم، والأغرب من ذلك أن كل رافضي يقتترف الخطايا فإنما إثم لك يُحسب على المخالف لهم وهم أهل السنة^(١).

ومما تقدم تبين أيضاً أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد وافق عقيدة أهل السنة في اعتقاد أن نصب الإمام فرض كفاية للأمة، فهي بحاجة إلى من يقيم دينها ودنياها، وأمر الحق -تبارك وتعالى- بطاعته دون معصية.

المبحث الثالث: شروط الإمام.

يشترط العلماء ومنهم الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- شروطاً عدة لا بد من توفرها في الحاكم أو الخليفة أو إمام المسلمين، منها العدالة وهي أن يكون مراعيّاً لجانب الدين قائماً بأوامر الله متجنباً لنواهيها؛ لأن من أعظم المصالح المقصود تحقيقها بالولاية والإمامة إقامة الدين بين الناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ورد المظالم وردع الظالم ونحو ذلك من المصالح الدينية والدينية^(٢).

وهذه الشروط بالتفصيل كالتالي:

أولاً: الإسلام.

وهذا شرط واجب في كل ولاية إسلامية صغيرة كانت أو كبيرة ومن باب أولى اشتراطها في الولاية العظمى. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(٣)، يبين الشيخ السعدي -رحمه الله

(١) انظر: ابن تيمية، الإمامة في ضوء الكتاب والسنة، ط ٣، (١ / ٢٠٣، ٢).

(٢) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ط ١، ص ٦، وانظر: الفراء، الأحكام السلطانية، د. ط، ص ٣٥٢، السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ط ٢، ص ٤٢٣.

(٣) سورة النساء: جزء من آية ١٤١.

تعالى - هذا الشرط عند تفسير الآية بقوله: "أي: تسلطوا واستيلاء عليهم، بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، ولا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين، ودفع لتسلط الكافرين، ما هو مشهود بالعيان. حتى إن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف الكافرة، قد بقوا محترمين لا يتعرضون لأديانهم ولا يكونون مستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فله الحمد أولاً و آخرًا، وظاهرًا وباطنًا" (١).

وقال - رحمه الله تعالى - عند قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥١﴾ (٢): "يرشد تعالى عباده المؤمنين حين بيّن لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء. فإن بعضهم أولياء بعضهم يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدا على من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئاً على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (٣) لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم. والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً، حتى يكون العبد منهم" (٤).

ثانياً: البلوغ.

وهذا من الشروط البديهية واللازمة في كل ولاية إسلامية صغيرة كانت أو كبيرة، فلا تنعقد إمامة الصبي لأنه مولى عليه في أموره وموكل به غيره، فكيف يجوز أن يكون ناظرًا في أمور الأمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٥٠﴾ (٥) والمراد بالسفهاء هنا: جمع "سفيه" وهو: "من لا يحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون والمعتوه، ونحوهما،

(١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٢١٠).

(٢) سورة المائدة: آية ٥١.

(٣) سورة المائدة: جزء من آية ٥١.

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٢٣٥).

(٥) سورة النساء: آية ٥.

وإما لعدم رشد كـالصغير وغير الرشيد"^(١). وقيل : "هم (الصغار والنساء)"^(٢) فإذا نهينا عن إعطائهم أموالهم لأنهم لا يحسنون التصرف فمن باب أولى أن لا يقلدوا تدير أمور المسلمين، ولأن الصغير غير مكلف.

ثالثاً: الحرية.

وهذا الشرط أيضاً من الشروط الضرورية في الإمامة لأن المملوك لا يحق له التصرف في شيء إلا بإذن سيده، فلا ولاية له على نفسه، فكيف تكون له الولاية على غيره، ويعلل الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى- هذا الشرط بقوله: "فلا تنعقد الإمامة لرقيق، فإن منصب الإمامة يستدعي استغراق الأوقات في مهمات الخلق فكيف ينتدب لها من هو كالمفقود في حق نفسه الموجود لمالك يتصرف تحت تديره وتسخيره، كيف وفي اشتراط نسب قریش ما يتضمن هذا الشرط، إذ ليس يتصور الرق في نسب قریش بحال من الأحوال" ^(٣). "و قد أجمعت الأمة على أنها - أي الإمامة - لا تكون في العبيد" ^(٤).

رابعاً: العقل:

وهذا الشرط من الشروط البديهية فلا تنعقد ولاية لذهاب عقل مجنون أو غيره ، وإذا كان الصبي محروماً من هذا المنصب لهذا السبب فمن باب أولى المجنون ، لحديث عن علي بن أبي طالب -عليه السلام- عن النبي -ﷺ- قال: (إن القلم رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ)^(٥)، والإمامة تحتاج إلى كمال الرأي وتمام العقل والفطنة.

خامساً: الذكورية.

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ١٦٤).

(٢) انظر: ابن العربي، أحكام القرآن، ط ٣، (٣١٨/١).

(٣) انظر: الغزالي، فضائح الباطنية، د.ط، ص ١٨٠.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د.ط، (١٣/١٢٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب: لا يجمع المجنون والمجنونة، (فتح الباري ١٢/١٢٠).

من شروط الإمام أن يكون ذكراً، "لا خلاف في هذا بين العلماء" ^(١). وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الآيات الدالة على تقديم الرجال على النساء من ذلك قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ ^(٢).

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند هذه الآية: "تفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس للنساء مثله" ^(٣).

سادساً: العلم.

ومن شروط الإمام أن يكون لديه حصيلة علمية كافية لتدبير الأمور على وجهها الأكمل ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ^(٤)، وقال سبحانه: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٥)، يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عند هذه الآية: "وكيلاً وحافظاً مدبراً. أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف عليه السلام على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه" ^(٦).

(١) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، د.ط، (١/٥٥).

(٢) سورة النساء: جزء من آية ٣٤.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٧٧).

(٤) سورة الزمر: جزء من آية ٩.

(٥) سورة يوسف: آية ٥٥.

(٦) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٠٠).

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "وأنه يشترط في الحاكم العلم والعدل"^(١).

سابعاً: العدالة.

العدالة صفة كامنة في النفس توجب على الإنسان اجتناب الكبائر والصغائر والتعفف عن بعض المباحات الخارطة للمروءة، وهي مجموعة صفات أخلاقية من التقوى والورع والصدق والأمانة والعدل ورعاية الآداب الاجتماعية ومراعاة كل ما أوجبت الشريعة الالتزام به.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، "لا ينال عهدي الظالمين: أي: لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آله الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟ ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها"^(٣).

يبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- صفة العدل وأنها صفة هامة من صفات الإمام: "فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباد، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباد، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي"^(٤).

ثامناً: الكفاءة النفسية.

(١) انظر: السعدي، المرجع السابق، (١ / ١٩٩).

(٢) سورة البقرة: جزء من آية ١٢٤.

(٣) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٦٥).

(٤) انظر: السعدي، مرجع سابق، (١ / ٤٤٧).

ومما ينبغي توفره في الخليفة أيضاً أن يكون شجاعاً جريئاً على إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بما كفيلاً بحمل الناس عليها، عارفاً بالدهاء قوياً على معاناة السياسة وحسن التدبير ليصبح له بذلك ما جعل له من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الأحكام وتدبير المصالح.

ودليل اشتراط هذا الشرط هو طبيعة هذا المنصب الذي يحتاج إلى كل هذه الصفات حتى يكون قادراً على سياسة الرعية وتدبير مصالحهم الدينية والدنيوية، ولأن الحوادث التي تحدث في الدولة ترفع إليه ولا يتسنى له البتّ فيها كما لا تتبين له المصلحة إلا إذا كان على قدر من الحكمة والرأي والتدبير، ولذلك فلا يولى إلا من كان عنده القدرة على ذلك.

تاسعاً: الكفاءة الجسمية.

والمقصود بها سلامة الحواس والأعضاء التي يؤثر فقدانها على الرأي والعمل. كذهاب البصر والنطق والسمع فهذه تؤثر في الرأي، وفقدان اليدين والرجلين يؤثر في النهوض وسرعة الحركة، وتشوه المنظر وتضعف من هيبة الإمام في نفوس الرعية، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الشرط في قصة طالوت وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤٧). يقول الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- في بيان هذا الشرط: "وزاده بسطة في العلم والجسم أي: فضله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالماً بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئاً" (٢).

عاشراً: عدم الحرص عليها.

(١) سورة البقرة: جزء من آية ٢٤٧.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ١٠٧).

وقد نص النبي - ﷺ - على هذا الشرط، وجعل الحرص عليها بغير مصلحة شرعية تهمه يعاقب عليها بمنعه منها. لحديث عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال: قال لي رسول الله - ﷺ - (يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة، فإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليه)^(١). وغيرها من شروط الإمامة^(٢).

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - قد وافق عقيدة أهل السنة في شروط الإمام وهي: الإسلام، العلم، والعقل، والذكورية، الكفاءة الجسمية والنفسية، والعدالة وغيرها.

المبحث الرابع: حكم الخروج على الإمام.

الأئمة أحوالهم متباينة من شخص لآخر، و واحدهم لا يخرج عن أحد ثلاثة: إما أن يكون عادلاً مقسطاً، وإما أن يكون كافراً مجرمًا، وإما أن يكون حاله متردداً بين هذين وهو الفاسق أو الظالم، وهذا قد يكون فسقه وظلمه على نفسه وفي أعماله الخاصة، وقد يتعدى ذلك إلى الرعية إما في أموالهم وأنفسهم أو في دينهم وأعراضهم. ولكل واحد من هؤلاء حكم خاص.

المطلب الأول: الإمام العادل المقسط:

فهذا يحرم الخروج عليه مطلقاً وباتفاق العلماء، يدل على ذلك الآية والأحاديث الآمرة بالطاعة لأولي الأمر من المسلمين، حتى ولو وجد بعد إبرام العقد والمبايعة لمن هو أفضل وأكمل شروطاً، بل تجب مناصرته ومقاتلته من ناوأه وبغى عليه إذا لم يفئ إلى أمر الله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: من سأل الإمارة وكل إليها (فتح الباري ج ١٣/ ١٢٤)، رقم الحديث: (٦٦٢٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ج ٣، ص ١٤٥٦، رقم الحديث: (١٦٥٢).

(٢) انظر للتوسع في الموضوع: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ط ٢، ص ٢٣٣-٢٤٣.

والعدالة المطلوبة التي باتصاف الإمام بها يحرم الخروج عليه كائناً من كان هذا الخارج لا تقتضي أن يكون معصوماً في أقواله وأفعاله، بل كل بشر عرضة للوقوع في الخطأ وفي بعض الذنوب، لكن إذا كان حريصاً على التحرز من ذلك ويرجع عن خطئه إذا تبين له ذلك ويستغفر ويتوب إلى الله عما بدر منه، ويرجع حقوق الآدميين إلى أصحابها إذا ظهر له الخطأ في تصرفه فيها إذا أمكن ذلك. فهو بهذه الصفات من أئمة العدل الواجب طاعتهم، والمحرم الخروج عليهم بكل صور الخروج المختلفة. ولهؤلاء الأئمة نرجو من الله المغفرة لهم فيما يقعون فيه من خطأ ولهم ثواب الاجتهاد الذي بذلوه في سبيل الوصول إلى الحق سواء أصابوه أم خالفوه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له^(١).

المطلب الثاني: الخروج على الحاكم الكافر المرتد:

وهذا متفق على وجوب الخروج عليه ومنابدته بالسيف إذا قُدر على ذلك، أما إذا لم يكن لهم قدرة عليه فعليهم السعي إلى سلوك أقرب طريق للإطاحة به، وتخليص المسلمين من تسلطه عليهم مهما كلف ذلك من جهد، يدل على ذلك حديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، وألا ننازع الأمر أهله وأن نقوم - أو نقول - بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم). وفي رواية - (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) (٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - (ت ٨٥٢هـ): "وإذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث - يعني حديث عبادة الأنف الذكر -" (٣).

(١) انظر: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، مرجع سابق، ص ٥٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: قول النبي "سترون بعدي أمورا تنكرونها" فتح الباري ٥/١٣، وأخرجه

مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٣/١٤٧٠)، رقم الحديث: ١٧٠٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د. ط، (٧/١٣).

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: "إنه - أي الحاكم - ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعله الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض" (١).

المطلب الثالث: الخروج على الحاكم الفاسق.

أولاً: حكم الخروج على الحاكم الفاسق.

ذهب غالب أهل السنة والجماعة إلى أنه لا يجوز الخروج على أئمة الظلم والجور بالسيف ما لم يصل بهم ظلمهم وجورهم إلى الكفر البواح، أو ترك الصلاة والدعوة إليها أو قيادة الأمة بغير كتاب الله تعالى

والفاسق: "وهو من أظهر بدعة وفجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين فإنه يستحق التعزير فإن أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً" (٢).

فإذا كان فاقداً للعدالة في نفسه، فلن يقيم العدالة والحق في غيره، فلا يجوز عقد الولاية للفاسق ابتداءً (٣). ولكن إذا تغلب على الحكم فاسق قد صار في الأمر، وقاتل حتى استطاع أن يغلب الناس ويتولى عليهم بالقوة (٤)، أو كان مستوراً حاله ثم ظهر فسقه، وبأن عن الدين انحرافه

(١) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، (١٢٣/١٣).

(٢) انظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د.ط، ص ٤٢٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، (٨/١٣)، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٢، (٤٣٣/١٢).

(٤) يرى العلماء صحة ولاية المتغلب وذلك دفعاً لشبهه، قال الإمام أحمد في رسالته إلى عبدوس: "وأمر المؤمنين البر والفاجر ممن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به ومن خرج عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر" انظر: ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، د.ط، (٢٤٢/١)، وقد اجمع الفقهاء على طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كما في كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعلماء نجد الأعلام: من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، ط ٦، (٢٣٩/٧): "الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء".

فهل تسقط طاعته ويجوز الخروج عليه ^(١)؟ وهذا ما سنبينه في ضوء الأدلة الشرعية العامة والخاصة التالية.

ثانياً: الأدلة الشرعية العامة على وجوب طاعته وحرمة الخروج عليه.

فمن الأدلة التي توجب طاعة الإمام:

الحديث الأول: عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) ^(٢).

الحديث الثاني: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله وأن نقوم - أو نقول - بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم - وفي رواية - إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان) ^(٣).

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك، ومكرهك، وأثرة عليك) ^(٤).

فهذه أحاديث صريحة في وجوب السمع والطاعة لمن تولى أمر المسلمين ما لم يأمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. ولا يعني ذلك لا سمع ولا طاعة مطلقاً، وإنما يعني لا سمع ولا طاعة في معصية الله، فلا يطيع المسلم أحداً من الخلق في معصية الله تبارك وتعالى.

(١) الخروج على الحاكم هو: مصطلح في الشريعة الإسلامية يعني: الثورة على الحاكم بالسيف وعدم الإقرار له بالحكم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، انظر فتح الباري (١٣/١٢١). و أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (٦ / ١٥)، رقم الحديث: ٤٨٦٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: قول النبي "سترون بعدي أمورا تنكرونها" فتح الباري ج ١٣/٥، و أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٣/١٤٧٠)، رقم الحديث: ١٧٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (٦ / ١٤)، رقم الحديث: ٤٨٦٠.

ومن المعلوم أن وجوب السمع والطاعة على المسلم لمن ولاه الله أمر المسلمين، يعني تحريم الخروج عليه، لأن الخروج عليه هو أعظم العصيان له.

ثالثاً: الأدلة الشرعية الخاصة على وجوب طاعته وحرمة الخروج عليه.

مع ما ورد سابقاً من أدلة شرعية عامة تبين تحريم الخروج على الحاكم إذا فسق وانحرف، فقد وردت أدلة خاصة، منها:

الحديث الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات ميتته جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمَيَّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرهما ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفني لذي عهد عهده فليس مني ولست منه) ^(١).

الحديث الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى من أميره شيئاً فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً ^(٢) فمات فميتته جاهلية) ^(٣).

الحديث الثالث: عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال: إني لم آتكم لأجلس، أتيتكم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة الجماعة، (٦ / ٢١)، رقم الحديث: ٤٨٩٤، و أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب تحريم الدم، التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية، (٢ / ٣١٤)، رقم الحديث: ٣٥٧٩، و أخرجه النسائي في السنن الكبرى (بأحكام الألباني)، كتاب تحريم الدم، التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية، (٧ / ١٢٣)، رقم الحديث: ٤١١٤، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) قوله "فارق الجماعة شبراً" أي سعى في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكفى عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق، انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، د. ط، (٧/١٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أموراً تنكرونها، انظر فتح الباري (٥/١٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، (٦ / ٢١)، رقم الحديث: ٤٨٩٦.

لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) (١).

الحديث الرابع: عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خيار أئمتكم الذي تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا يا رسول الله: أفلا ننبذهم عند ذلك قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعة). (٢)، فهذه النصوص صريحة في تحريم الخروج على الإمام إذا فسق أو جار.

رابعاً: أقوال العلماء على وجوب طاعته وحرمة الخروج عليه.

قد تكاثرت أقوال العلماء عن ذلك، منها:

قول الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - (ت ٢٤١ هـ) : "والانقياد لمن ولاه الله عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك يجعل الله لك فرجاً و مخرجاً، ولا تخرج على السلطان بل تسمع وتطيع، فإن أمرك السلطان بأمر هو الله عز وجل معصية، فليس لك أن تطيعه، وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه، ولا تعن على فتنة بيد ولا لسان، بل كف يدك ولسانك وهواك، والله عز وجل المعين" (٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الأمر يلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٦ / ٢٢)، رقم الحديث: ٤٨٩٩

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارهم، (٦ / ٢٤)، رقم الحديث: ٤٩١٠، وانظر النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٢، (١٢/٤٤٧).

(٣) انظر: اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ط ٤، (١/١٥٨)، وانظر: سلفنا الصالحين، شذرات البلاتين من طبقات كلمات سلفنا الصالحين، د. ط، ص ٤٦.

وقال الإمامان أبو زرعة^١ (ت ٢٦٤ هـ) وأبو حاتم الرازيان^٢ (ت ٢٧٧ هـ) -رحمهما الله- في عقيدتهما التي حكياها عن علماء الأمصار وجاء فيها: "ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"^(٣).

وقال الإمام الطحاوي^٤ - رحمه الله - (ت ٣٢١ هـ): "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمرنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمرنا بمعصية و ندعوا لهم بالصلاح والمعافة"^(٥).

وقال الإمام ابن بطة^٦ - رحمه الله - (ت ٣٨٧ هـ): "وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنسك والعباد والزهاد من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا: أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات

^١ أبي زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهم، الرازي، المشهور بأبي زرعة، الإمام، حافظ عصره، من أفراد الدهر حفظاً ودكاً ودينياً وإخلاصاً وعلماً وعملاً، مات سنة ٢٦٤ هـ، * انظر في ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط ٩، (٥٥٧/٢). ولنفس المؤلف: تذكرة الحفاظ، ط ٤، (٥٥٧/٢).

^٢ أبو حاتم الرازي: هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أحد الأعلام، من الحفاظ الكبار، مات سنة ٢٧٧ هـ، * انظر في ترجمته: الذهبي، المرجعين السابقين، (٥٦٧/٢).

(٣) انظر: اللالكائي، مرجع سابق، (١٧٧/١).

^٤ الطحاوي هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحنفي المصري، الإمام المحدث الفقيه، ولد سنة ٢٣٩ هـ، أخذ العلم عن ثلاثمائة شيخ تقريباً، وبرع بالحديث، وبالفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، له تصانيف متعددة، منها: "مشكل الآثار" ومعاني الآثار"، توفي بمصر سنة ٣٢١ هـ. انظر في ترجمته: مقدمة كتابه متن العقيدة الطحاوية، ط ١، ص ٥.

(٥) انظر: الطحاوي، مرجع سابق، ص ٢٤، وانظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، د. ط، ص ٤٢٨.

^٦ ابن بطة هو: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة: عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة. من أهل عكبرا مولداً ووفاء، ولد سنة ٣٠٤ هـ، رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث، ثم لزم بيته أربعين سنة، فصنف كتبه وهي تزيد على مئة، منها: "الشرح والابانة على أصول السنة والديانة" والسنن "الانكار على من قضى بكتب الصحف الاولى" و "التفرد والعزلة"، توفي سنة ٣٨٧ هـ، * انظر في ترجمته الزركلي، الأعلام، ط ١٥، (٤ / ١٩٧).

والغزو مع كل أمير بر وفاجر... والسمع والطاعة لمن ولَّوه وإن كان عبداً حبشياً إلا في معصية الله تعالى، فليس لمخلوق فيها طاعة" (١).

وقال الإمام النووي (٢) - رحمه الله - (ت ٦٧٦ هـ): "وأما الخروج عليهم - يعني الولاية - وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، ثم قال: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه" (٣).

وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - (ت ١٣٧٦ هـ): "السمع والطاعة لولاية الجور والظلم، فإن السمع والطاعة لهم فيه مفسدة إعانتهم على ظلمهم، وفيه مصلحة انتظام أحوال الجماعة واستقرار الأمة، وهذه المصلحة أعظم من تلك المفسدة، فتقدم هذه المصلحة، فيُسمع ويُطاع الظلمة من الولاية، ولو كان في ذلك نوع إعانة لهم؛ لأن هذه المفسدة القليلة مغتفرة في مقابل تلك المصلحة العظيمة" (٤).

فهذه أقوال العلماء ومنهم الشيخ السعدي - رحمه الله - أجمعين - صريحة في تحريم الخروج على الحاكم الظالم أو الفاسق وليس هذا إكراماً له، أو رضا بفعله أو تخفيفاً من شأن معصيته؛ لأن العصيان والفسق هو العصيان والفسق من كل أحد، وإنما الشارع الحكيم لاحظ ما يتحقق للناس فيه الخير ويندفع عنهم به الشر، أو يقل فممنع من الخروج على الوالي الفاسق؛ لأن الخروج عليه فتح لباب الشر على مصراعيه، ولا يتحقق للناس من وراء الخروج عليه ما يريدون، وإذا تحقق لهم ما يريدون فإنه

(١) انظر: بن بطة العكبري، الإبانة الصغرى، ط ٢، ص ٢٧٩.

(٢)

(٣)

٤ انظر: السعدي، منظومة في القواعد الفقهية، ط ١، (١٢/٥٣).

لا يتحقق إلا بأضعاف مضاعفة من الشر الذي كانوا فيه قبل قيامهم على الوالي، والواقع المعاصر دليل ذلك.

وهذا ما تم بيانه عن الفصل الأول وهو: الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإمامة، ويليه الفصل الثاني بعنوان: الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان بالصحابة. والله ولي الإحسان.

الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان بالصحابة.

إنَّ اعتقاد أهل السنة في الصحابة يمثل الركيزة الرئيسة لدراسة تاريخهم — ﷺ —، ولا بد أن يحصل الانحراف والتشويه لتاريخهم إذا دُرِسَ بمعزل عن العقيدة.

ولأهمية هذا الموضوع نجد عامة كتب الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة تبينه بشكل جليّ، ولا يمكن أن تجد كتاباً من كتب أهل السنة التي تبحث عن جوانب العقيدة الإسلامية المختلفة، إلا ونجد هذا المبحث، فعلماء السنة ومنهم الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- قد أسهموا في بيان ركيزة هذا المعتقد، وسطياً صافياً من الافراط والتفريط فيهم، من معين القرآن الكريم والسنة النبوية.

من أجل ذلك أردت في بحثي هذا أن أبرز هذا المعتقد في ضوء أقوالاً مختارة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كتابه (العقيدة الواسطية)، وما علّق عليه الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- على هذه العقيدة الواسطية بكتابه المسمى (التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة)، وفي كتبه الأخرى، لذا فقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين كما يلي:

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة بالصحابة -رضوان الله عليهم-.

المبحث الثاني: الخلفاء الراشدون-رضوان الله عليهم-.

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة بالصحابة -رضوان الله عليهم-.

بيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- عقيدة أهل السنة في الصحابة -رضوان الله عليهم-، و أبرز وسطية منهجهم فيهم -رضوان الله عليهم-، بقوله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ، وعما شجر بينهم: هو سلامة قلوبهم، وألسنتهم، ومحبتهم إياهم، والترضي عنهم جميعاً، وإظهار محاسنهم، وإخفاء مساوئهم- أي إخفاء مساوئ من نسب إليه شيء من ذلك- والإمساك عما شجر بينهم، واعتقاد أنهم في ذلك بين أمرين: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون. فالمصيب له أجران، والمخطئ له أجر الاجتهاد، وخطؤه مغفور. وإذا قدر أن لبعضهم سيئات وقعت عن غير اجتهاد فلهم من الحسنات ما يغمرها ويمحوها، وليس في بيان خطأ من أخطأ منهم في الأحكام شيء من إظهار المساوئ، بل ذلك مما يفرضه الواجب، ويوجبه النصح للأمة"^(١).

(١) انظر: السعدي، التنبهات اللطيفة، ط ٢، ص ٨٩.

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "وهم -أهل السنة- وسط في أصحاب رسول الله ﷺ ، بين الرافضة والخوارج ؛ لأن الرافضة غلوا في علي وأهل البيت ، والخوارج كفّروا بعض الصحابة وفسقوا بعضهم، وأهل السنة خالفوا الجميع فوالوا جميع الصحابة ، ولم يغلوا في أحد منهم"^(١).

وتتمثل العقيدة الإسلامية فيهم عند أهل السنة في عدة أمور^(٢)، وهي:

أولاً: محبتهم، والترضي عنهم جميعاً.

فمن أصول أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ : هو سلامة قلوبهم ، وألسنتهم ، ومحبتهم إياهم ، والترضي عنهم جميعاً ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) ، وهذا الدعاء الصادر من اتباع المهاجرين والأنصار ، بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله وثنائهم عليهم ؛ لأن من سعى في أمر من الأمور فهو ساع في تحقيقه ، فاجتهد في طلبه متضرعاً لربه أن يتم ذلك له ، وأولى من دخل في هذا الدعاء الصحابة الذين سبقوا إلى الإيمان ، وحققوه وحصل لهم من براهينه وطرقه ما لم يحصل لغيرهم ، ونفي الغل من جميع الوجوه يقتضي تمام المحبة لهم ، فهم يحبون الصحابة لفضلهم وسبقهم واختصاصهم لصحبة الرسول وإحسانهم إلى جميع الأمة ؛ لأنهم هم المبلغون جميع ما جاء به نبيهم ، فما وصل لأحد علم ولا خير إلا على أيديهم وبواسطتهم.

ثانياً: توقيرهم، من طاعة رسول الله ﷺ.

فعلى الأمة أن يطيعوا النبي ﷺ في كل أمر، وخصوصاً في هذا الأمر الخاص وهو: أن يوقروا أصحابه ﷺ ويحترمواهم، ويعتقدون أن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم، كما في حديث عن

(١) انظر: السعدي، طريق الوصول إلى العلم المأمول، ط ١، ص ٦١.

(٢) انظر: السعدي، التنبهات اللطيفة، ط ٢، ص ٨٩-٩٤.

(٣) سورة الحشر: آية ١٠.

النبي ﷺ قال: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَذْرَكَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) (١). وهذا من أعظم براهين فضلهم على غيرهم.

ثالثاً: قبول ما جاء في الوحيين من فضائلهم.

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والاجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح-وهو صلح الحديبية-وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل وقد ذكر الله ورسوله للصحابة فضائل كثيرة على الأمة، فيجب على الأمة الإيمان بها، وأن يحبوا الصحابة لأجلها. وقيل لصلح الحديبية فتح؛ لما ترتب عليه من المصالح والخير الكثير ودخول الكثير في الإسلام؛ ولهذا كان من أسلم قبل ذلك وأنفق وقاتل أفضل ممن فعل ذلك بعده؛ لما حصل لهم من السبق في الإسلام وقت ضعف المسلمين، وكثرة الأعداء، ووجود الموانع والمصاعب الكثيرة في طريق الإسلام.

رابعاً: تقديم المهاجرين على الأنصار:

ومن أصول أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ، ويقدمون المهاجرين على الأنصار وهذا؛ لأن المهاجرين جمعوا الوصفين النصر والهجرة، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد قدم الله ذكر المهاجرين على الأنصار في سورتي التوبة والحشر، عند قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٠) ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، (٣) / ١٣٤٣، رقم الحديث: ٣٤٧٠. و أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة، (٧) / ١٨٨، رقم الحديث: ٦٦٥١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَالنَّصِيفُ هُوَ النِّصْفُ.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٠.

خَصَاصَةً وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾^(١)، وهذا التفضيل للجملة على الجملة لا لكل فرد من هؤلاء على كل فرد من الآخرين.

خامساً: أفضلية صحابة أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان.

ومن أصول أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ، يؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر-: (اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ) (٢).

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ، بقوله (٣)، بل لقد رضي الله عنهم ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، أي رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨) (٤)، وكان عددهم يتراوح ما بين ألف وأربعمائة أو خمسمائة ، فأهل بدر وأهل بيعة الرضوان يشهد لهم بالجنة، والنجاة من النار على وجه أخص من الشهادة بذلك لجميع الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٥).

ومن أصول أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ ، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ، كالعشرة المبشرين بالجنة (٦)، وثابت بن قيس بن شماس ، وغيرهم من الصحابة.

(١) سورة الحشر: الآيتان ٨ - ٩

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الجاسوس، (٣ / ١٠٩٥)، رقم الحديث: ٢٨٤٥، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب: مِنْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَدْرٍ -رضى الله عنهم -، (٧ / ١٦٧)، ٦٥٥٧.

(٣) وهو حديث: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: البيعة في الحرب، (٣ / ١٠٨٠)، رقم الحديث:

٢٧٩٨.

(٤) سورة الفتح: آية ١٨

(٥) سورة الحديد: جزء من آية ١٠

(٦) وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة، ﷺ أجمعين. انظر: الطحاوي، متن العقيدة الطحاوية، ط ١، ص ١٦.

وهذا من أعظم الفضائل؛ تخصيص النبي ﷺ لهم بالشهادة بالجنة ، وهو من جملة براهين رسالته ﷺ؛ فإن جميع من عينه النبي ﷺ بالشهادة له بالجنة ولوازمها لم يزلوا مستقيمين على الإيمان حتى وصلوا إلى ما وعدوا به رضى الله عنهم.

سابعاً: محبة أهل بيت النبي ﷺ.

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ، ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية محمد ﷺ حيث قال يوم غدیر خم: (أذكركم الله في أهل بيتي) ^(١). فمحبة أهل بيت النبي ﷺ واجبة من وجوه:-

أولاً: لإسلامهم وفضلهم وسوابقهم.

ثانياً: لما تميزوا به من قرب النبي صلى الله عليه وسلم واتصالهم بنسبه.

ثالثاً: لما حث عليه ورغب فيه. ولما في ذلك من علامة محبة الرسول ﷺ وقد قال: (إن الله اصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) ^(٢)، فهو ﷺ خيار من خيار ، وقد جمع الله له أنواع الشرف من كل وجه.

ثامناً: معتقدتهم في أزواج النبي ﷺ وأمّهات المؤمنين.

ومن أصول أهل السنة والجماعة في أهل بيت رسول الله ﷺ ، ويتولون أزواجه ﷺ وأمّهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة أم أكثر أولاده؛ فإن جميع أولاده الذكور والإناث منها إلا إبراهيم ، فإنه من سريته مارية القبطية .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رضى الله عنه-، (٧) /

(١٢٢)، ٦٣٧٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ -ﷺ- (٧ / ٥٨)، رقم الحديث: ٦٠٧٧ .

وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة الطيبة، والصديقة بنت الصديق التي قال فيها النبي ﷺ: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)^(١)، وعائشة وخديجة هما أفضل نساء النبي ﷺ.

وقد اختلف العلماء أيهما أفضل. والتحقيق أن لكل واحدة منهن من الفضائل والخصائص ما ليس للآخرى؛ فلخديجة من سبق ومعاونة النبي ﷺ على أمره في أول الأمر وتثيته، وكون أكثر أولاد النبي ﷺ منها- ما ليس لعائشة. ولعائشة من العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لخديجة، رضى الله عنهما.

تاسعاً: التبرؤ من طريق الرافضة والناصبة.

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين ييغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

وأول من سمى الروافض بهذا اللقب زيد بن علي -عليه السلام- الذي خرج في أوائل^(٢)،

دولة بني العباس ، وباعه كثير من الشيعة ، ولما ناظروه في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وطلبوا منه أن يتبرأ منهما فأبى رحمه الله - تفرقوا عنه ، فقال: (رفضتموني) فمن يومئذ قيل لهم: الرافضة^(٣)، وكانوا فرقاً كثيرة؛ منهم الغالية ، ومنهم من هم دون ذلك .

وأما النواصب: فهم الذين نصبوا العداوة والأذية لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة؛ لأسباب وأمور سياسية معروفة ، ومن زمن طويل ليس لهم وجود والحمد لله.

عاشراً: عقيدتهم فيما شجر بينهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب: الثريد، (٥/ ٢٠٦٧)، رقم الحديث: ٥١٠٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب: في فَضْلِ عَائِشَةَ -رضي الله تعالى عنها-. (٧ / ١٣٨)، ٦٤٥٢.

(٢) صوابه في أواخر دولة بني أمية؛ لأنه قتل في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢ هـ.

(٣) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ط ١، (٣٢٧/٩).

ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم، منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذرون، إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى أنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون^(١)، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم^(٢).

أي: وهذه الأمور إذا قوبلت بالمساوي - على فرض أن هناك مساوي - اضمحلت تلك المساوي معها، ولا يقاربه أحد في شيء من ذلك رضى الله عنهم.

ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ، الذين هم أحق الناس بشفاعته ﷺ، أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر، والخطأ مغفور. ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله، والجهد في سبيله، والهجرة والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح.

الحادي عشر: الصحابة أصدق الناس حديثاً.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (٢ / ٩٣٨)، ٢٥٠٨، أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (٧ / ١٨٥)، ٦٦٣٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، (٣ / ١٣٤٣)، رقم الحديث: ٣٤٧٠. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة، (٧ / ١٨٨)، رقم الحديث: ٦٦٥١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ -، والنصيف هو النصف.

وأصحاب النبي ﷺ ، والله الحمد من أصدق الناس حديثاً عنه لا يعرف منهم من تعمد عليه كذباً ، مع أنه يقع من أحدهم من الهنات ما يقع ، ولهم ذنوب وليسوا معصومين ، فالصحابه كلهم ثقات باتفاق أهل العلم بالحديث والفقهاء حفظاً من الله لهذا الدين .

الثاني عشر: أنهم خير الخلق بعد الأنبياء .

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة ، وما من الله عليهما به من الفضائل علم يقيناً ، أنهم خير الخلق بعد الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- ، لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى ، وهذا كلام نفيس في غاية التحقيق والإبداع ، ولا زيادة عليه في إقامة البرهان على كمال فضل الصحابة -رضى الله عنهم- ، لا يحتاج إلى شرح أو بيان .

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- قد وافق عقيدة أهل السنة في الصحابة -رضوان الله عليهم- وبَيَّنَّ بأن نبينا مُحَمَّد ﷺ ، قد أمرنا بإكرامهم ، وحفظ حقوقهم ، ومحبتهم ، ونهينا ﷺ عن سبهم وبغضهم ، بل جعل حبهم من إمارات الإيمان في قلب العبد المؤمن ، وأن سبب توفيق الله -عز وجل- لهم لأعظم خلال الخير ظاهراً وباطناً ، هو رضى الله عنهم ، وتوبته سبحانه عليهم ، ووعدهم بالحسنى .

المبحث الثاني: الخلفاء الراشدون -رضوان الله عليهم- .

المطلب الأول: التعريف بالخلفاء الراشدين ومكانتهم:

أولاً: الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب (الفاروق) ، وذو النورين عثمان بن عفان ، علي بن أبي طالب ﷺ وأرضاهم .

ثانياً: مكانة الخلفاء الراشدين:

الخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة، وهم الخلفاء الراشدون المهديون الذين أمر الرسول ﷺ بإتباعهم ، والتمسك بهديهم . ويبين الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- أن من تمام محبة رسول الله ﷺ محبة صحابته ﷺ ومنهم الخلفاء الراشدين بقوله: "من تمام الإيمان برسول الله ﷺ ومحبته:

محبة أصحابه بحسب مراتبهم من الفضل والسبق، والاعتراف بفضائلهم التي فاقوا فيها جميع الأمة، وأن تدين الله بحبهم ونشر فضائلهم، وتمسك عمّا شجر بينهم، ونعتقد أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة وأسبقهم إلى كل خير وأبعدهم من كل شر"^(١).

وكما ثبت ذلك من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي جاء فيه أن النبي ﷺ قال : (أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)^(٢).

المطلب الثاني: فضيلة الخلفاء الراشدين وواجبنا نحوهم.

أجمع أهل السنة والجماعة على أن التفضيل بين الخلفاء بحسب ترتيبهم في الخلافة : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي -رضوان الله عليهم أجمعين- .
وقد ورد في فضل كل واحد منهم أحاديث كثيرة أورد حديثاً واحداً منها لكل واحد منهم :

(١) انظر: السعدي، سؤال وجواب في أهم المهمات، ط١، ص ٢٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند الشاميين، (حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه و سلم) ، (٤ / ١٢٦) ، رقم الحديث: ١٧١٨٤ ، تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح ورجاله ثقات ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، (٥ / ٤٤) ، رقم الحديث: ٢٦٧٦ . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح.

الحديث الأول: في فضل أبي بكر الصديق - ﷺ - ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود عن النبي - ﷺ - أنه قال: (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا)^(١).

الحديث الثاني: في فضل عمر بن الخطاب - ﷺ - ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ كان يقول : (قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)^(٢) . ومعنى محدثون : مُلْهُمُون .

الحديث الثالث: في فضل عثمان بن عفان - ﷺ - ، لحديث عائشة - ﷺ - قالت كان النبي - ﷺ - مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله - ﷺ - وسوى ثيابه - فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال : (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)^(٣) .

الحديث الرابع في فضل علي بن أبي طالب - ﷺ - ما رواه الشيخان عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنهما - قال : كان علي قد تخلف عن النبي صلى الله عليه و سلم في خيبر وكان به رمد فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ : (لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غدا رجلا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب : قول النبي صلى الله عليه و سلم (لو كنت متخذا خليلا) ، (١٣٣٨/٣) ، رقم الحديث (٣٤٥٦) ، و أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ . (١٠٨/٧) ، رقم الحديث : (٦٣٢٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب : مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ ، (١٣٤٩/٣) ، رقم الحديث : (٣٤٨٦) ، عن أبي هريرة ﷺ . و أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : فضائل الصحابة ، باب : مِنْ فَضَائِلِ عُمرَ رضي الله تعالى عنه (١١٥/٧) ، رقم الحديث : ٦٣٥٧ . عن عائشة - ﷺ - .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - ﷺ - (١١٦/٧) ، رقم الحديث : (٦٣٦٢) .

يحبّه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه) . فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا: هذا علي فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم الراية ففتح الله عليه^(١) .

وقد بيّن الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- فضل الخلفاء الراشدين بعموم التبليغ وقوته بقوله: "الخلفاء الأربعة الراشدون لهم في تبليغ كليات الدين ونشر أصوله ، وأخذ الناس عنهم ذلك ما ليس لغيرهم ، وإن كان يروى عن صغار الصحابة من الأحاديث المفردة أكثر مما يروى عن بعض الخلفاء ، فالخلفاء لهم عموم التبليغ وقوته الذي لم يشاركهم فيه غيرهم ، ثم لما قاموا بتبليغ ذلك شاركهم فيه غيرهم ، فصار متواتراً كجمع أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما - القرآن في المصحف ثم جمع عثمان -رضي الله عنه- لها في المصاحف التي أرسلها إلى الأمصار ، فكان الاهتمام بجمع القرآن وتبليغه أهم مما سواه ، وكذلك تبليغ شرائع الإسلام إلى أهل الأمصار ، ومقاتلتهم على ذلك ، واستنابتهم في ذلك الأمراء والعلماء وتصديقهم لهم فيما بلغوه عن الرسول ﷺ فبلغ من أقاموه من أهل العلم ؛ حتى صار الدين منقولاً نقلاً عاماً متواتراً ظاهراً معلوماً قامت به الحجة ووضحت به المحجة ، وتبين به أن هؤلاء كانوا خلفاء المهديين الراشدين الذين خلفوه في أمته علماً وعملاً ، وهم خلفاء الراشدين الذين قال النبي ﷺ فيهم : (فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسکوا بها ، وعضوا علیها بالنواجز ، وإياکم ومحدثات الأمور ، فإن کل بدعة ضلالة ؛ فمن أدرك ذلك منکم ، فعليکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا علیها بالنواجز)^(٢) . فإنهم خلفوه في ذلك فانتفى عنهم بالهدى الضلال وبالرشد الغي وهذا هو الكمال في العلم والعمل"^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه ، (١٣٥٧/٣) ، رقم الحديث : ٣٤٩٩ . و أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب : فضائل الصحابة، باب : مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه . (١٢٢/٧) ، رقم الحديث : ٦٣٧٧ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند الشاميين، (حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه و سلم) ، (٤ / ١٢٦) ، رقم الحديث : ١٧١٨٤ ، تعليق شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح ورجاله ثقات ، وأخرجه الترمذي في السنن ، كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب : ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، (٥ / ٤٤) ، رقم الحديث : ٢٦٧٦ . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

(٣) انظر : السعدي ، طريق الوصول إلى العلم المأمول ، ط ١ ، ص ٦٧ .

وأبان - رحمه الله تعالى - في موضع آخر - فضيلة الخلفاء الراشدين ووجوب اتباعهم عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦) ، بقوله: "ودلت هذه الآية على فضيلة الخلفاء الراشدين، الداعين لجهاد أهل البأس من الناس، وأنه تجب طاعتهم في ذلك" (٢).

مما تقدم تبين لنا أن الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - قد وافق عقيدة أهل السنة في الخلفاء الراشدين ، وبيّن مكانتهم وواجبنا نحوهم وذلك من تمام المحبة لنبينا محمد ﷺ . نسأل أن يثبتنا على منهجهم، وأن يحشرنا معهم .

وبهذا الفصل الثاني: الأصول العقدية المتعلقة بمسائل الإيمان بالصحابة، تم اختتام الباب الثالث، وبه ختمت الرسالة، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الفتح: جزء من آية ١٦ .

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ط ١، (١ / ٧٩٣).

"منظومة في العقيدة والأخلاق"^١

و أختتم الرسالة بذكر هذه المنظومة لشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-تتضمن على أقسام التوحيد: توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى أمّهات عقائد أهل السُنّة والجماعة التي اتفقوا عليها، وعلى التّفكّر في مخلوقات الله، وآياته الدّالة عليه، وعلى أسمائه وصفاته، ومشمّلة على التّخلّق بالأخلاق الجميلة والتنزّه من الأخلاق الرّذيلة، إذ هذه الأمور أصول العلوم وأمّهاتها، وهي هذه:

١-	فَيَا سَائِلًا عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ يَبْتَغِي	سُئِلَ طَرِيقَ الْقَوْمِ حَقًّا وَيَسْعَدُ
٢-	تَأْمَلْ هَذَاكَ اللَّهُ مَا قَدْ نَظَّمْتُهُ	تَأْمَلْ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْحَقِّ يَقْصِدُ
٣-	نُقِرُّ بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ	إِلَهُ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مُجَدُّ
٤-	وَنَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ مَعْبُودُنَا الَّذِي	خُصِّصَتْ لَهُ بِالْخُصْبِ ذُلًّا وَنُفْرُ
٥-	فَلِلَّهِ كُلُّ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ وَالثَّنَا	فَمِنْ أَجْلِ ذَا كُلِّ إِلَى اللَّهِ يَقْصِدُ
٦-	تُسَبِّحُهُ الْأَمْلاكُ وَالْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ	وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ حَقًّا وَتَحْمَدُ
٧-	تَنْزَعُ عَنْ نِدٍّ وَكُفٍّ مُمَائِلُ	وَعَنْ وَصْفِ ذِي النُّقْصَانِ جَلَّ الْمُوَحِّدُ
٨-	وَنُثِبَتْ أَحْبَارُ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا	وَنَبَرًا مِنْ تَأْوِيلِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
٩-	فَلَيْسَ يُطِيقُ الْعَقْلُ كُنْهَ صِفَاتِهِ	فَسَلَّمَ لِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدُ

^١ انظر: السعدي، منظومة في العقيدة والأخلاق ، من إصدارات موقع الشيخ ابن سعدي

١٠	هُوَ الصَّمَدُ الْعَالِي لِعِظَمِ صِفَاتِهِ	وَكُلُّ جَمِيعِ الْخَلْقِ لِلَّهِ يَصْنَعُهُ
١١	عَلِيٌّ عَالًا ذَاتًا وَقَدْرًا وَقَهْرُهُ	قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِالْوَرَى مُتَوَدِّدٌ
١٢	هُوَ الْحَيُّ وَالْقَيُّومُ ذُو الْجُودِ وَالْغِنَى	وَكُلُّ صِفَاتِ الْحَمْدِ لِلَّهِ تُسَنَدُ
١٣	أَحَاطَ بِكُلِّ الْخَلْقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً	وَبَرًّا وَإِحْسَانًا فَلِإِيَّاهُ نَعْبُدُ
١٤	وَيُبْصِرُ ذَرَاتِ الْعَوَالِمِ كُلَّهَا	وَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَيَشْهَدُ
١٥	لَهُ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ الْمُحِيطُ بِمُلْكِهِ	وَحِكْمَتُهُ الْعُظْمَى بِهَا الْخَلْقُ تَشْهَدُ
١٦	وَنَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَى	كَمَا قَالَهُ الْمُبْعُوثُ بِالْحَقِّ أَحْمَدُ
١٧	وَنَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ	بِآيَاتِهِ لِلْخَلْقِ تَهْدِي وَتُرْشِدُ
١٨	وَفَاضَلَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ	بِحِكْمَتِهِ جَلَّ الْعَظِيمُ الْمُؤَخَّدُ
١٩	فَأَفْضَلَ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ	نَبِيِّ الْهُدَى وَالْعَالَمِينَ مُحَمَّدُ
٢٠	وَحَصَّ لَهُ الرَّحْمَنُ أَصْحَابَهُ الْأَلَى	أَقَامُوا الْهُدَى وَالِدِينَ حَقًّا وَمَهْدُوا
٢١	فَحُبُّ جَمِيعِ الْأَلِ وَالصَّحْبِ عِنْدَنَا	مَعَاشِرَ أَهْلِ الْحَقِّ فَرَضٌ مُؤَكَّدُ
٢٢	وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كَلَامَهُ	هُوَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا مُجَوَّدُ
٢٣	وَلَيْسَ بِمُخْلُوقٍ وَأَنَّى لَخْلُقِهِ	بِقَوْلِ كَقَوْلِ اللَّهِ إِذْ هُوَ أَنْجَدُ
٢٤	وَنَشْهَدُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كُلَّهُ	بِتَقْدِيرِهِ وَالْعَبْدُ يَسْعَى وَيَجْهَدُ
٢٥	وَإِيمَانُنَا قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَنِيَّةٌ	مِنَ الْخَيْرِ وَالطَّاعَاتِ فِيهَا نُقَيَّدُ
٢٦	وَيَزِدَادُ بِالطَّاعَاتِ مَعَ تَرْكِ مَا نَهَى	وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ جَزْمًا وَيَفْسُدُ
٢٧	نُقَرُّ بِأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا	وَمَا اشْتَمَلَتْهُ الدَّارُ حَقًّا وَنَشْهَدُ
٢٨	تَفَكَّرْ بِآثَارِ الْعَظِيمِ وَمَا حَوَتْ	مَمَالِكُهُ الْعُظْمَى لَعَلَّكَ تَرْشُدُ
٢٩	أَلَمْ تَرَ هَذَا اللَّيْلَ إِذْ جَاءَ مُظْلِمًا	فَأَغْشَاهُ جَيْشٌ مِنَ الصُّبْحِ يَطْرُدُ
٣٠	تَأَمَّلْ بِأَرْجَاءِ السَّمَاءِ جَمِيعَهَا	كَوَاكِبُهَا وَقَادَةَ تَتَرَدَّدُ
٣١	أَلَيْسَ لِهَذَا مُحَدِّثٌ مُتَصَرِّفٌ	حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَاحِدٌ مُتَقَرِّدُ
٣٢	بَلَى وَالَّذِي بِالْحَقِّ أَتَقَنَ صُنْعَهَا	وَأَوْدَعَهَا الْأَسْرَارَ اللَّهُ تَشْهَدُ
٣٣	وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ مُوقِنًا	وَمَا تَنْفَعُ الْآيَاتُ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
٣٤	وَفِي النَّفْسِ آيَاتٌ وَفِيهَا عَجَائِبُ	بِهَا يُعْرِفُ اللَّهُ الْعَظِيمُ وَيُعْبَدُ
٣٥	لَقَدْ قَامَتِ الْآيَاتُ تَشْهَدُ أَنَّهُ	إِلَهُ عَظِيمٌ فَضْلُهُ لَيْسَ يَنْقَدُ
٣٦	فَمَنْ كَانَ مِنْ غَرَسِ الْإِلَهِ أَجَابَهُ	وَلَيْسَ لِمَنْ وَلَّى وَأَذْبَرَ مُسْعِدُ
٣٧	عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي فِعْلِ أَمْرِهِ	وَيَحْتَسِبُ الْمُنْهَى عَنْهُ وَتُبْعِدُ
٣٨	وَكُنْ مُخْلِصًا لِلَّهِ وَاحْذَرْ مِنَ الرِّيَا	وَتَابِعْ رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ تَعْبُدُ
٣٩	تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ حَقًّا وَثِقْ بِهِ	لِيُكْفِكَ مَا يُغْنِيكَ حَقًّا وَتَرْشُدُ
٤٠	تَصَبَّرْ عَنِ الْعِصْيَانِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ	وَصَابِرْ عَلَى الطَّاعَاتِ عَلَّكَ تَسْعُدُ

٤١	وَكُنْ سَائِرًا بَيْنَ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَا	هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ حِينَ تَقْصِدُ
٤٢	وَقَلْبِكَ طَهْرُهُ وَمِنْ كُلِّ آفَةٍ	وَكُنْ أَبَدًا عَنْ عَيْبِهِ تَتَقَفَّدُ
٤٣	وَجَمَلٍ يُنْصَحُ الْخَلْقُ قَلْبِكَ إِنَّهُ	لَأَعْلَى جَمَالٍ لِلْقُلُوبِ وَأَجْوَدُ
٤٤	وَصَاحِبٍ إِذَا صَاحَبْتَ كُلَّ مُوَفَّقٍ	يُقَوِّدُكَ لِلْخَيْرَاتِ نُصْحًا وَيُرْشِدُ
٤٥	وَأَيَّاكَ وَالْمَرْءَ الَّذِي إِنْ صَحِبْتَهُ	خَسِرْتَ خَسَارًا لَيْسَ فِيهِ تَرَدُّدُ
٤٦	خُذِ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ قَدْ	كَمَا يَأْمُرُ الرَّحْمَنُ فِيهِ وَيُرْشِدُ
٤٧	تَرَحَّلَ عَنِ الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ إِقَامَةٌ	وَلَكِنَّهَا زَادٌ لِمَنْ يَتَرَوَّدُ
٤٨	وَكُنْ سَالِكًا طُرُقَ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا	إِلَى الْمَنْزِلِ الْبَاقِي الَّذِي لَيْسَ يَنْفَدُ
٤٩	وَكُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ	فَلَيْسَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَفَتْ مُقَيِّدُ
٥٠	فَذِكْرُ إِلِهِ الْعَرْشِ سِرًّا وَمُعَنَّا	يُرِيْلُ الشَّقَا وَالْهَمَّ عَنْكَ وَيَطْرُدُ
٥١	وَيَجْلِبُ لِلْخَيْرَاتِ دُنْيَا وَآجِلًا	وَإِنْ يَأْتِكَ الْوَسْوَاسُ يَوْمًا يُشْرِدُ
٥٢	فَقَدْ أَحْبَرَ الْمُخْتَارُ يَوْمًا لِصَحْبِهِ	بِأَنَّ كَثِيرَ الذِّكْرِ فِي السَّبْقِ مُفْرِدُ
٥٣	وَوَصَّى مُعَادًا يَسْتَعِينُ إِلَهُهُ	عَلَى ذِكْرِهِ وَالشُّكْرِ بِالْحُسْنِ يَعْْبُدُ
٥٤	وَأَوْصَى لِشَخْصٍ قَدْ أَتَى لِنَصِيحَةٍ	وَقَدْ كَانَ فِي حَمْلِ الشَّرَائِعِ يَجْهَدُ
٥٥	بِأَنَّ لَا يَزَلْ رَطْبًا لِسَانُكَ هَذِهِ	تُعِينُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ وَتُسْعِدُ
٥٦	وَأَحْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ عَرَسٌ لِأَهْلِهِ	بِحَنَنَاتِ عَذْنٍ وَالْمَسَاكِينِ تُنْهَدُ
٥٧	وَأَحْبَرَ أَنَّ اللَّهَ يَذْكُرُ عَبْدَهُ	وَمَعَهُ عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ يُسَدِّدُ
٥٨	وَأَحْبَرَ أَنَّ الذِّكْرَ يَبْقَى بِجَنَّةٍ	وَيَنْقَطِعُ التَّكْلِيفُ حِينَ يُخْلَدُوا
٥٩	وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ	طَرِيقٌ إِلَى حُبِّ الْإِلَهِ وَمُرْشِدُ
٦٠	وَيَنْهَى الْفَتَى عَنْ غِيْبَةٍ وَمَيْمَةٍ	وَعَنْ كُلِّ قَوْلٍ لِلدِّيَانَةِ مُفْسِدُ
٦١	لَكَانَ لَنَا حَظٌّ عَظِيمٌ وَرَغْبَةٌ	بِكثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ نِعَمَ الْمَوْحَدُ
٦٢	وَلَكِنَّا مِنْ جَهْلِنَا قَلَّ ذِكْرُنَا	كَمَا قَلَّ مِنَّا لِلْإِلَهِ التَّعَبُّدُ
٦٣	وَسَلَّ رَبُّكَ التَّوْفِيقَ وَالْفَوْزَ دَائِمًا	فَمَا حَابَ عَبْدٌ لِلْمُهْمِنِ يَقْصِدُ
٦٤	وَصَلَّ إِلَهِي مَعَ سَلَامٍ وَرَحْمَةٍ	عَلَى حَيْرٍ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ يُرْشِدُ
٦٥	وَالِ وَأَصْحَابٍ وَمَنْ كَانَ تَابِعًا	صَلَاةً وَتَسْلِيمًا يَدُومُ وَيُخْلَدُ

تَمَّتْ

غفر الله لکاتبها وناظمها وقارئها ، وجميع المسلمين . وصلى الله على محمد ﷺ ١٣٤٥هـ .

الخاتمة

وتحتوى على:

أهم النتائج.

والتوصيات.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وجوده وكرمه ييسر أمر المهمات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد:

فقد تمت هذه الرسالة بحمد الله تعالى، وقد عنيت فيها ببيان الأصول العقديّة الإيمانية في ضوء النتاج الفكري لشيخ العلامة السعدي-رحمه الله تعالى، والتي تبين حرصه الشديد وجهوده المكثفة بالعناية بكتاب الله عز وجل، واهتمامه فيه ببيان أمور العقيدة وتبصير المسلمين بها.

فمن خلال ما عرضناه في الرسالة فإننا نخرج بالنتائج التالية:

النتيجة الأولى: أن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- يعد شخصية علمية بارزة، جديرة بالاهتمام من الباحثين، لما له من أثر بارز في الحركة العلمية في وقته.

١- أن المطلع على كتبه رحمه الله يجد أن للشيخ باعاً كبيراً في استنباط الأحكام، وخصوصاً الأحكام العقديّة.

٢- أن تفسير الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- قد حوى علوماً كثيرة لعل من أهمها علم العقيدة، حيث إن المتتبع للإشارات التي أوردها الشيخ من خلال تفسيره للآيات يلحظ مدى عناية الشيخ بعلم العقيدة وتقريره للمسائل العقديّة.

٣- من خلال الكتب التي اطلعت عليها من مؤلفات الشيخ لاحظتُ جلياً اهتمام الشيخ بشرح المنظومات العقديّة، وكذلك ترسيخ العقيدة حيث له مؤلفات ومنظومات عقديّة تدل على هذا الاهتمام.

٤- أن الشيخ السعدي رحمه الله قد أدى دوراً كبيراً في خدمة هذا الدين ونصرته من خلال تأليفه المفيدة والتي سار بها الركبان وانتشرت في الآفاق.

٥- أن الشيخ السعدي كان له تأثير في الحركة العلمية عن طريق المواعظ والخطب والدروس العلمية والمؤلفات النافعة وغير ذلك.

٦- الشيخ السعدي كان يجلس للتدريس والتعليم في الجامع الكبير بعنيزة جل وقته.

٧- للشيخ السعدي كثير من المؤلفات العلمية القيمة النافعة ما يربو على أربعين مؤلفا تناول فيها العقيدة والتفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك، دلّت على غزارة علمه، وقدرته على إيضاح أمور العقيدة، وقوة حجته، ووقوفه في وجه المعاندين والملحدّين.

٨- أن مؤلفاته جميعها تمتاز بسهولة العبارة، وقرب المأخذ، والبعد عن التكليف وهي جديرة بالناية من طلبة العلم.

٩- أن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-له عناية بكتب السلف الذين أثروا جوانب العقيدة بحثاً وتأليفاً ورداً على الخصوم والمبتدعين عناية خاصة منذ نعومة أظفاره، حيث كان يتعلم منها ويتلقّى في حلقات العلم من هذه الكتب عن طريق مشايخه الذين مرّ ذكرهم، وبعد أن تأهل للتدريس؛ أخذ يعتني بكتب السلف، ويحث الطلاب على مطالعتها، وكان يقرّر الكثير منها في دروسه في العقيدة والتفسير والفقه والحديث واللغة العربية. وبعد أن بدأ التأليف؛ استفاد من الكثير من كتب السلف، لكنه أولى بعضها عناية خاصة.

١٠- ظهر تأثره رحمه الله بالعالمين الجليلين الذين خدما العقيدة خدمة جليلة، وهما شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم الجوزية-رحمهما الله تعالى-فقد استفاد رحمه الله كثيرا من كتبهما واعتنى بها عناية شديدة فشرح بعضها واختصر بعضها واستخرج قواعد وضوابط من أكثرها.

١١- وكان يثني عليها ويحث طلابه على قراءتها وقد ظهر تأثره بهما في تقاريراته وردوده في مؤلفاته.

١٢- أن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-من أئمة أهل السنة والجماعة، الذين ساهموا بنشر عقيدة التوحيد شاملة بجوانبها المتعددة، وشاملة أيضا للردود على كل من خالف هذه العقيدة الصافية المأخوذة من الكتاب والسنة، والتي لا فلاح ولا نجاح ولا سعادة إلا بتحقيقها.

١٣- فكأنه ينهج كذلك في تقاريراته وردوده منهج السلف الصالح، يرتسم خطاهم ويسير على نهجهم ويقتفي آثارهم.

- ١٤- أن الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-له عناية فائقة في كتاب الله، وله اليد الطولى في التفسير، حيث أتم تفسيره العظيم الذي سجله من خلال مراجعته لكتاب الله -عز وجل- مع طلابه، حتى لقد حدث بعضهم أنه كان يميله إملاء من الذاكرة، وليس بين يديه كتاب تفسير فضلاً عن غيره، وهذا يدل على مكانة هذا الشيخ العلميّة، وغزارة معلوماته في التفسير.
- ١٥- أن طريقة الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-وحديثه في التفسير وفي مؤلفاته مدعم بالأدلة النقلية، أدلة الكتاب والسنة، والأدلة العقلية في بعض المسائل.
- ١٦- من طريقة الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-في التفسير أنه في كل مسألة يبينها وينصرها، وفي كل شبهة يدحضها ويبين بطلانها وزيفها.
- ١٧- أن طريقة الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-في شرحه لآيات القرآن الكريم قد سار على طريقة شراح الحديث كابن حجر العسقلاني في فتح الباري وغيره من العلماء، فبعد أن يشرح الآيات شرحاً إجمالياً أو تفصيلياً يتناول الفوائد من هذه الآيات، وهو ما يسمى بفقه القرآن وهذا يوجد بكثرة في تفسيره وخاصة في تناوله للقصص القرآن وغيره.
- ١٨- من طرق الشيخ في التفسير أنه يستدل على ذلك بأدلة صحيحة صريحة واضحة في الدلالة على المقصود، لا لبس فيها ولا غموض، بعيدة عن تكلفات الفلاسفة والمؤولة والمعطلة وغيرهم.
- ١٩- اعتنى الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-بمباحث علوم القرآن، ويّنها أتم بيان، بأسلوب واضح، بعيداً عن الخلافات الجانبية، فجاءت متممة لتفسيره ومكملة له. هذه الأمور أبرز ما لاح لي من ميزات في هذا التفسير العظيم.
- ٢٠- اعتنى الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-بأمر الدعوة وأساليبها، ويّن ما ينبغي أن يكون عليه الداعية، وركز رحمه الله على الدعوة بالأسلوب المناسب والحال المناسبة؛ بالحكمة والموعظة الحسنة وقد طبّق الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-هذا المنهج في حياته الواقعية، حيث كان يدعو إلى الله بكل لطف ولين، ولذا أحبه كل من عرفه وتعامل معه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٢١- أبدع الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في عرض قضايا الدعوة، فتعرّض لإصلاح مناهج التعليم، وتعرّض لتصحيح بعض المفاهيم، وتعرّض للردّ على الملحدين ودعواهم حول الحرية من تعاليم الإسلام، وأكد على أهميّة أن يتولى المناصب القيادية في أي مصلحة خاصة أو عامة أهل الخير والصالح والإصلاح من الدعاة والمعلّمين والموجهين، وشنع على أولئك النفعيين الذين يهتمّون بمصالحهم الذاتية وينسون أو يتناسون قضايا الأمة ومصالحها العليا. لقد كان الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- موفقاً في معالجته لقضايا الدعوة، وذلك أنه داعية من الرعيل الأول، إذ نزل الميدان، وجرب، ومارس، وتعامل مع الناس، فأخذ يكتب عن تجارب واقعية صادقة.

٢٢- اعتنى الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في تفسيره بأمر العقيدة عناية فائقة، حيث يعتبر تفسيره بحمد الله من التفاسير السلفية المشتهرة المتداولة التي بحثت في أمور العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة . ولقد أفاض الشيخ في بعض الأمور التي خالف فيها طوائف من أهل الضلال، وناقش أدلتهم، وانتهى إلى ترجيح الحق، فجاء كتابه ليسدّ ثغرة في المكتبة الإسلامية كانت بأمس الحاجة إليها.

٢٣- كانت مباحثه العقديّة في تفسيره تتميز بوضوح العبارة وسهولتها، وبناء دليل المخالف ثم هدمه من أساسه؛ لتتضح الصورة في ذهن القارئ، ويتحقق من رجحان الرأي الراجح دون أدنى شك.

٢٤- أهمية العقيدة وبيان منزلها، وضرورة البحث في قضاياها، إذ إن لها وزناً عظيماً في دين الله عز وجل، وهذا يظهر جلياً في الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-من خلال ما قدمه في تفسيره؛ فقد اعتنى -رحمه الله تعالى- بالعقيدة الإسلامية عناية خاصة، إذ كانت معظم مؤلفاته فيها، وكانت عنايته فيها تأخذ مسارات متعددة :

- ففي جانب التدريس أولاها عناية خاصة، وكانت تستحوذ على الكثير من وقته مع طلابه.
-وفي جانب التأليف أخرج عدة من المؤلفات ناقش فيها قضايا العقيدة، ورد المخالفين، وأوضح جهود السابقين، خصوصاً المحققين منهم؛ كابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى. وهو في كل

ذلك ينطلق من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي تقرّر العقيدة الصافية الخالية من البدع و الشريكات والتي تؤصل شعب العقيدة الثلاث، وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء الصفات. وقد أكثر الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-من بيان هذه الأنواع وإيضاحها، وقلّ إن تجد صفحة أو صفحتين من مؤلفاته إلا وتعالج هذه الأنواع أو أحدهما.

٢٦- كان للشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-ميزة على أقرانه ومعاصريه في طرحه لقضايا الدعوة الإسلامية فهي أنه يفهم النصوص الشرعية ويفهم الواقع الذي يعيشه، فجمع بين فقه النص وفقه الواقع، وهذا ما جعل قدمه راسخة في هذا المجال.

٢٧- حذر الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-من المنافقين المندسين في صفوف الأمة المسلمة وهم الكثير من الخونة والمأجورين الذين يعملون لحساب الشيطان وحزبه، وهم من بني جلدتنا ويتكلمون بلغتنا ويعيشون فوق أرضنا وتحت سماءنا ويتسمّون بأسمائنا، وكأنه -رحمه الله تعالى- يعيش هذه الأحداث الجسيمة التي تمر بها الأمة الإسلامية اليوم.

٢٨- بأسلوب الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-الفريد في عصره كسب الطلاب وتوافدوا لطلب العلم عليه، وتخرّج على يديه أعداد غفيرة كانوا ولا يزال بعضهم له الأثر الكبير على الحركة العلمية المباركة.

٢٩- بارك الله تعالى في أوقات الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى-فألف وخطب ونصح وأسهم في حل مشاكل الناس، وكان لا ينقطع عن زيارتهم في بيوتهم ومشاركتهم في مجتمعاتهم، فأعطى كل ذي حق حقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

٣٠- أن العبد إذا أقر بانفراد الرب تبارك وتعالى بالخالق والحكم، وشهد بذلك، فإن ذلك يقوده إلى تحقيق توحيد الإلهية.

٣١- أن التوحيد الذي ركز عليه الأنبياء جميعاً هو توحيد الألوهية؛ إذ إن أكثر ضلال الأمم كان في هذا الجانب من التوحيد.

٣٢- مما ركز عليه الشيخ السعدي في تفسيره أن الغاية العظمى من خلق الإنس والجن هي معرفة الخالق العظيم، وعبادته وحده لا شريك له، وهذان الأمران هما الموصولان إلى سعادة الدنيا والآخرة.

٣٣- أن باب الأسماء الحسنى يدخل في نطاق الأمور الغيبية التي لا يمكن لنا أن نعرفها إلا عن طريق الرسل.

٣٤- أن أهل السنة والجماعة يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله - ﷺ - من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

٣٥- أن الشرك لا يغفره الله تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته .

٣٦- أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى قد وُكِّلَ ببني آدم ملائكة كراماً يحفظون أعمالهم وأقوالهم.

٣٧- أن الإيمان بالكتب السماوية جميعاً هو ركن عظيم من أركان الإيمان وأصل كبير من أصول الدين لا يتحقق الإيمان إلا به.

٣٨- أن الكتب السابقة أصابها التحريف والتبديل، أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريف والتبديل حيث هو محفوظ من كل ذلك بحفظ الله له وصيانيته إياه.

٣٩- أن من أبرز خصائص الإيمان بالقرآن الكريم، اعتقاد عموم وشمول الشريعة التي جاء بها لعموم الثقلين من الجن والإنس.

٤٠- أن الرسالة أخص من النبوة، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، فلا يسمى النبي مرسلاً على الإطلاق.

٤١- أن الإيمان باليوم الآخر ليس مجرد تصديق بأحداث الآخرة وما يجري بها فقط، بل لابد من أن يكون لذلك الإيمان انعكاس على حياة صاحبه، وإلا كان إيمانه ناقصاً.

٤٢- أن بالإيمان باليوم الآخر، يعرف فضل الله وعدله، في المجازاة على الأعمال الصالحة، والسيئة.

٤٣- أن فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إن الأخذ بهذه الأسباب من تمام الإيمان بالقضاء والقدر. ولهذا يجب على العبد مع الإيمان بالقدر الاجتهاد في العمل والأخذ بأسباب النجاة.

٤٥- وسطية منهج أهل السنة والجماعة في مسائل العقيدة عموماً والقدر خصوصاً وقد تجلّى ذلك في مسألتين: -مسألة الاستطاعة ومسألة التكليف ما لا يطاق، فأهل السنة والجماعة يثبتون قدرة مقارنة للفعل وأخرى متقدمة عليه، وأما تكليف ما لا يطاق عندهم فينقسم إلى قسمين:

- ما لا يطاق للعجز عنه، فهذا غير واقع في الشريعة.

- ما لا يطاق لا لوجود ضده من العجز، بل للاشتغال بضده، فهذا ليس بقبيح عقلاً، وهذا النوع لا يدخل فيما لا يطاق.

٤٦- أن مسألة الطبع والختم والهدى والضلال، رأى أهل السنة والجماعة فيها أن الله تعالى خالق الهدى والضلال، والعبد هو المهتدي الضال، وأن الطبع والختم عقوبة من الله تعالى للعبد بسبب إعراضه وتولييه عن الحق.

٤٧- أن ارتكاب الكبيرة ليس سبباً للخلود في النار؛ لأنه لا يوجب الخلود في النار إلا الإشراك بالله.

٤٨- أن رأي الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- في تفسير (يأجوج ومأجوج) رأيان :

الأول: وهو الرأي الراجح: هما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، وهذا الموافق لعقيدة أهل السنة والجماعة.

الثاني: وهو الرأي المرجوح: أنهم هم الأمم الذين كانوا وراء البحار كالترك واليونان ودول البلقان والفرنسيين والألمان والطيّليان والروس واليابان والإسبان ومن تبعهم من أنواع الأمم والأمريكان وتوابعهم.

٤٩- أنه دلت الأدلة الصريحة على تحريم الخروج على الحاكم الفاسق، وأن الواجب في ذلك الصبر عليه حتى يقضي الله فيه أمره.

٥٠- أن الأمة لا تستغني عن إمام يقيم لها دينها ودنياها، ويدفع عنها عادية المعتدين وإقامة الحدود على الجناة.

٥١- لا تتم الإمامة إلا بطاعة الإمام في المعروف في غير معصية والجهاد ماضٍ مع البر والفاجر، ويعانون على الخير وينصحون عن الشر.

هذه أهم النتائج التي ظهرت لي في هذه الرسالة، وفي الختام أحمد الله أولاً وآخراً على ما أعان ووفق وأن يقبل عثرتي ويجنبني الزلل، فهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وأصلي وأسلم على نبينا محمد ﷺ.

التوصيات

وجدت الشيخ السعدي-رحمه الله تعالى- أثناء إبحاري معه ،بحراً في العلم ؛وماذا عسى يأخذ الظمآن من بحر علمه ،وما أخذت منه في هذه الوريقات من الرسالة يسيرة لذا فإني أوصي طلبة العلم في الدارسات العليا بالتالي:

الوصية الأولى: أوجه ندائي في قسم الحديث الشريف بالعناية في هذا التفسير .

٢- من خدمة هذا التفسير تخريج الأحاديث الواردة فيه حيث هي كثيرة.

٣- تتبع مؤلفات الشيخ السعدي ودراستها والعناية بها حيث أن للشيخ باعاً كبير في علوم متعددة، ودراستها دراسة نقدية.

٤- جعل رسالة مستقلة لتعريفات والمصطلحات اللفظية لمؤلفات الشيخ السعدي -رحمه الله تعالى- ففيها المادة الإثرائية الغنية بالمعلومات المزودة للمكتبة الإسلامية في جانب العقيدة الصحيحة.

٥- تأليف كتب بالتفسير الموضوعي من كتاب تفسير السعدي لطرح موضوعات عقدية مستقلة؛ بحيث يتم جمعها من عدة مواضع من تفسيره في كتب مستقلة.

٦- أفراد مواضيع عقدية من خلال النتاج الفكري لشيخ السعدي-رحمه الله تعالى -بحيث تكون الدراسة من جميع كتبه ومؤلفاته.

والحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأسأله أن يجعل ما قصدت له في هذا الكتاب وفي غيره خالصاً لوجهه الكريم ونصيحة لعباده، ﷺ وبارك على خاتم المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهارس

* فهرس الآيات القرآنية.

* فهرس الأحاديث النبوية .

* فهرس المصادر و المراجع.

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
الفاتحة	﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢	٣٩،٤١
	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢	٣٧
	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٩٦
البقرة	﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾	٣-٢	١٨٤
	﴿ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾	٤	٢٠٩
	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	٧	٨٢
	﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾	١٠-٨	١٥٠
	﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	٨	١٦٤
	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾	١٣	١٦٤
	﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٢٠	٤٣،٧٠
	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٢٢،٢١	٥٠
	﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾	٢٤	٢٨٩،٢٩٠
	﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٣٠	١٨٧
	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾	٥٦	٢٦٨
	﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	٧٥	٢١٥

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿قَوْلًا لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلًا هُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾	٧٩	٢١٧
	﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	٨١	١٧٧
	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾	٩٨	١٩١
	﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	١٠٢	٧٠
	﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١١٢	١٩
	وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ	١١٥	١٢٧
	وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ	١٢٤	٢٩٧
	قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ	١٢٤	٣٠٣
	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾	١٣٦	٢٠٢، ١٧١
	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾	١٣٦	١٦٠
	﴿وَالْهَكَمَ إِلَهُ وَاحِدَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	١٦٣	٨٩
	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِنَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ	١٦٤	٩٠

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٨﴾		
	﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾	١٧٧	١٦٨
	﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾	١٧٨	١٧٥
	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾	١٨٥	٢٠٦
	وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ	١٩٤	١٣٠
	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ	٢١٠	١٢٨
	وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	٢١٣	٦٧
	عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ	٢٣٦	٥٥
	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ	٢٤٧	٣٠٤
	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	٢٧٥	١٧٦
	آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ	٢٨٥	٢٢٦، ٢٠٤ ١٨١، ١٧٠
آل عمران	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾	٤-٢	٢٠٥
	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ	٣٢، ٣١	٢٤٤

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿		
	﴿وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾	٥٠	٢١٣
	﴿مَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	٧٩	٢٠٦
	﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	٨٠	١٨٣
	﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَزْنَا﴾	٨١	١٦١
	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٨٥	٢٢١
	﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾	٩٧	٧٧
	﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	١٣١	٢٨٩، ٢٩٠
	﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	١٣٣	٢٨٩
	وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا	٥	٣٠٠
النساء	وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ	١٤	١٧٦
	﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾	٣٩	٢٥٢
	﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾	٤٦	٢١٦
	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾	٤٨	١٤٤، ١٤٥ ٢٨٧،
	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾	٣٤	٣٠٢

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	٥٦، ٥٧	٢٨٩
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	٥٩	٢٩٥
	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾	٦٤	٢٣٨
	﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾	٨٠	٢٣٩
	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	٨٢	٢٠، ٢٠٨
	﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	١١٣	٢٠٢، ٢٤٠
	﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	١١٥ - ١١٦	١٤٨
	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	١٢٥	١٩
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	١٣٦	١٨٢، ٢٥٢
	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	١٣٦	٢٠٢
	﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	١٤١	٢٩٩

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ نَصِيرًا﴾	١٤٥	١٥٢
	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾	١٥١	٢٢٦
	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	١٥٢	٢٢٧
	﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾	١٥٩	٢٥٧
	﴿أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	١٦٢	٢١٠
	﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾	١٦٣	٢١٣
	﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَا لَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	١٦٣، ١٦٤	٢٣١
	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	١٦٥	٨٥
	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	١٧٤	٢٠
	﴿وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾	١٤	٢١٦
المائدة	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾	١٥	٢٠٩
	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٢٣	٩٩
	﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾	٣٢	٢٣٤
	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ	٣٤	١١٧

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿رَحِيمٌ﴾		
	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٤٦	٢١٢
	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾	٤٨	٢٠٧
	﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾	٤٩	٢٩٦
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	٥١	٣٠٠
	﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾	٧٢	١٤٦
	﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾	٨٩	١٥
	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾	٩٢	٢٤٣
	﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾	١٩	٢٢٠
	﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾	٣٨	٦٢
	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾	٥٢	١٦٦
	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾	٦١	١٩٢
	﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾	٦١	١٩٢
	﴿ذَٰلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٨٨	٢٤١
	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهِ﴾	٩٠	٢١٧، ٢٥٠

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
الأنعام	﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾	٩١	٢١٧
	﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾	٩٣	٢٦٣
	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٠٣	٢٨٦، ٢٨٧
	﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰئِكَ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	١١٠	٨٢
	﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	١٤٨- ١٤٩	٧٣
	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾	١٥٨	١٢٨، ٢٥٩
	﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣، ١٦٤	١٨٠، ١٤٢
	﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْعِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾	١٦٤	٣٩
	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجِنَّ أَفْرَسًا أَوْ تَكُونُ تُفَسَّرُونَ﴾	٤٣	٤٥
	﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾	٥٤	٤٢
	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى﴾	١٠٣	٢٦٨
	﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ﴾	١٣٨	١٤١

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
الأعراف	﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي مَا كَانَتْ تَرَانِي فَلَمَّا بَلَغَ لِمَ الْجَبَلِ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٤٣	٢٨٥، ٢٨٦
	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٥٧	٢٢١
	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾	١٥٧	٢١٣
	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٨٠	١١٤
	﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	١٠٢
	﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا هَادِي لَهُ﴾	١٨٦	٨٥
	﴿خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	١٩٩	٣٣
الأنفال	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَحْمِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾	٤-٢	١٦٩
	﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾	٢	١٧٠
التوبة	﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾	١٢	٢٩٨
	﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	١٣١
	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	٥١	٦١

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٥٤	١٩
	﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾	٦٧-٦٨	١٥١
	﴿يَخْلِقُونَ لَكُمْ لِرِضَا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	٩٦	١٢٩
	﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٩٩	٢٥٢
	﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾	١٢٤	١٧٠
	﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾	١٢٩	٩٩
	﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾	٣	٤٣
	﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾	٤	٢٦٩
	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	٢٨٥
	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾	٧٤	٢٣٥
يونس	﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	١٠٦-١٠٧	١٤٣

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
هود	﴿لَيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٧	٩٧
	﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾	٢٠	٧٨
	﴿حَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾	١٠٧	٢٩٠
	﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ﴾	١٠٨	٢٩٠
	﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	١٢٣	٩٩
يوسف	﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَاوَلُوكُنَا صَادِقِينَ﴾	١٧	١٦٠
	﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾	٥٥	٣٠٢
	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾	١٠٦	٥٢
	﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	١٠٩	٢٩٠
الرعد	﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾	٢٣-٢٤	١٩٤
إبراهيم	﴿يُتَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾	٢٧	٢٦٢
الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٢١٨، ٢٢٢
	﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾	٤٤	٢٨٧
	﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾	٧٩	٢٩٣
التَّحَلُّ	﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾	٢	١٨٧
	﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾	٣٥	٧٤
	﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾	٣٧	٨٥
	﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾	٦٠	١٢٣
	﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى﴾	٨٩	٢٢٣

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	لِلْمُسْلِمِينَ ﴿		
	﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩٧	٢٠، ١٩٧
الإسراء	﴿وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾	٤	٥٤
	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	٨٤
	﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾	١٩	١٩٧
	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	٣٦	١٠٩
	﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾	٩٧	٢٧٧
	﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾	١٧	٨٣
الكهف	﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾	١٧	٨٥
	﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾	٢٩	٢٨٨
	﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾	٤٧	٢٧٤
	﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾	٩٤	٢٥٩
	﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾	١٠١	٧٨
	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾	١٠٥	٢٧٨
	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	١١٠	٩٧
	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾	١١٠	١٥٧

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	رَبِّهِ أَحَدًا ﴿﴾		
مريم	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾	٥١	٢٣١
	﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾	٥٧	٢٣٠
	﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾	٦٥	١١٥
	﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	٧١-٧٢	٢٨٠
	﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾	٧٦	١٦٩
	﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾	٨٥	٢٧٥
	﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾	٨٦	٢٧٥
	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	٩٣	٤٤، ٩٨
	﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾	٩٥، ٩٤	٤٤
	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	٥٠	٤٣
طه	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	٥٥	٢٧١
	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾	١٢٤	٢٠، ٢٦٣
	﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْثُونَ﴾	٢٠-١٩	١٨٨، ١٨٩
الأنبياء	﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	١٩	١٨٩
	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	٢٥	١٩
	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾	٢٦-٢٧	١٨٣
	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨)﴾	٤٨-٥٠	٢١٢

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكِ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿		
	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿	٥١	٢٣٤
	﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿	٥٦	٩١
	﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿	٧٣	٢٩٧
	﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿	٩٦	٢٥٨
الحج	﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿	٣١	١٤٦
	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿	٧٠	٦١، ٦٢
	﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿	٧٥	١٨٣
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴿	٧٧-٧٨	١٦٧
	﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿	٦٩	٢٤٥
المؤمنون	﴿قُلْ مَنْ يَدِينُهُ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿	٨٨	٤٢
النور	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿	٥٥	٢١
الفرقان	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿	١	٢١٤
	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿	٢	٦٠

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	٣٤	٢٧٧
	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا	٦٣-٦٤	١٦٧
	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	٦٣	٩٨
	﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾	٧٤	٢٩٦
الشعراء	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾	١٩٣-١٩٥	١٩٠
	﴿وَإِلَىٰ مُّرْسَلَةٍ إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾	٣٥	٢٣٠
النمل	﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾	٨٢	٢٦١
	﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ ٣	٨٧	١٩١، ٢٦٥، ٢٦٦،
	﴿وَجَعَلَهُمْ أَيْمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾	٥	٢٩٨
القصاص	﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾	٤١	٢٩٨
	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٤٣	٢١٠
	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾	٥٦	٨٤
	﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	٥١	٢٤٩
الروم	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾	٢٧	٢٦٩
	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾	٢٧	٤٢
	﴿فَاقِم وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٣٠	٤٦
لقمان	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	١٤٨

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْنُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	٢٨	٢٧١
السجدة	﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾	١١	١٩٢
	﴿ وَ لَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾	٢١	٢٦٣
	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾	٢٤	٢٩٧
	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	٢١	٢٢٨
الأحزاب	﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾	٣٨	٦٠
	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾	٤١	١٦٧
فاطر	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَرِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	١	١٨٥
	﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾	٢	٤٣
	﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	٩	٤٣
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾	٢٩	١٦٧
	﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾	١٢	٦١
يس	﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾	٤٩	٢٦٦
	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾	٥١	٢٦٥، ٢٦٦
	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	٨٢	٦١
	﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧٧)		
	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٩) ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ ﴾	٧٧-٨٣	٢٧٢

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	تُوقَدُونَ (٨٠) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿		
الصافات	﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُم لَوَاحِدٌ﴾	٤-١	١٨٣
	﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾	٢٣-٢٢	٨٥
	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٦	٦٢
ص~	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٢٩	١٤٧، ٢٠٨
الزمر	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٩	٣٠٢
	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٩	١٤٨
	﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾	٣٣- ٣٤	١٦٥
	﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾	٣٨	١٣٧
	﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	٤٦	٤٤
	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾	٥٣	١٤٦
	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	٦٢	٦٢

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٦٥	٢٤٢
	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾	٦٨	١٩١، ٢٦٥
	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾	٦٨	٢٦٥
	﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾	٦٨	٢٦٥
	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾	٧٣	٢٨٣
	﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾	٧٣	٢٨٣
	﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾	٧٣	٢٨٣
	﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِي بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٧٥	١٨٧
	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾	٧	١٩٣
غافر	﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾	١٢	٥٨، ٥٤
	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٧	٨٤
	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٢٢٢، ٢٤٨
	﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	٥٣	٤٨
	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	١١٤، ١٢٣
فصلت	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	٥٢	٨٤
	﴿إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾	١٧	١٩٧
الشورى			

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
الزخرف	﴿أَوْ مِنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾	١٨	١٩٧
	﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَّ أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾	١٩	١٨٨، ١٩٦
	﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	٢٠	٧٤
	﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾	٢٠	١٩٨
	﴿مَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	٢٠	١٩٨
	﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾	٦١	٢٥٧
	﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾	٧٧، ٧٨	٢٨٨
	﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٥	٢٥٥
	﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	٨٧	٥٠
	﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	٨٧	٥٠
الأحقاف	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٣	١٦٦
محمد	﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَاهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾	٤-٥	٨٥
	﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾	١٧	٤٤، ١٦٨
	﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾	١٨	٢٥٥
	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	١٩	٩٣
	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٢٤	٢٠٨
الفتح	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾	٤	١٦٨
	﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ	١١	٤٣

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿نُفَعَا﴾		
	﴿فَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٦	٣١٤
الحجرات	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٠-٩	١٧٥
ق~	﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨-١٧	١٩٢، ١٩٥
	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	١٨٤
	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾	٣٨	١٢٣
الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٤٣، ١٠٢
	﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	٥٨	٤٣
	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	٣، ٤	٢٤٠
	﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾	٦، ٥	١٨٦
	﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾	١٣-١٥	٢٨٢
	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ * تِلْكَ إِذْ أَسْمَتُهُ ضِيْرَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾	١٩-٢٣	١٤١
	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي	٢٧-٢٨	١٩٦
النجم			

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿١﴾		
	﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوعْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيعَ الْأُنثَى﴾	٢٧	١٨٨
	﴿بِمَا فِي صُحُفٍ مُّوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾	٣٦	٢١٤
القمر	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	٥٩
	﴿وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرَّ﴾	٥٣	٦٠
الواقعة	﴿عَلَى سُرُرٍ مُّوَضَّوْنَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بَاقِرَاتٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٍ عِينٍ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾	١٥-٢٣	٢٨٣
الحديد	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَكِنِّي لَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	٢٢، ٢٣	٨٦
	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٢٢	٦٠
	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٢٥	٢٩٦
	﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ نَحْوَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	١	١١٧
المجادلة	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٧	١٣٠

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
الحشر	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾	٢٢	٩٣
	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾	٢٣	٤٢
	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾	٢٤	٤٢
الصف	﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾	٦	٢٤٧
التغابن	﴿وَصَوِّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	٣	٤٧
	﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٧	٢٧٢
	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	١٦	٧٨
	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾	٣	٩٩
الطلاق	﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾	١٢	٦١
التحريم	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	١٨٥
	﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	١٨٦، ١٨٨
	﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٤٢
الملك	﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٩٧
	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٧١
	﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾	١٧	١٩٣
الجن	﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	١٤٣
المدثر	﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾	٨-١٠	٢٦٧
	﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٣٠-٣١	١٩٤

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾	٣١	١٨٢
	﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾	٣١	١٦٩
	﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْفِرَةِ﴾	٥٥-٥٦	٧٠
القيامة	﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	١	٢٦٩
	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾	٢٣، ٢٢	٢٨٥
الإنسان	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	٣	٤٥
النبأ	﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾	٢-١	٢٣٠
عبس	﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	١٥-١٦	١٨٥
التكوير	﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	٥	٢٧٤
	﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٨، ٢٩	٦٢، ٧١
	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٩	٦٢
الانفطار	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٠-١٢	١٨٤
	﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾	١٠-١١	١٩٤
المطففين	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٤	٨٢
	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾	١٥، ١٦	٨٣
الأعلى	﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾	١-٣	٤٣، ٨٤
	﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾	١٨، ١٩	٢١٤
الفجر	﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾	١٦	٥٥
الشمس	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾	٧	٤٧
العلق	﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَدْعُ الرِّبَانِيَّةِ﴾	١٧-١٨	١٩٤
الزلزلة	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا﴾	٨، ٧	٢٧٨

السورة	الآيات القرآنية	رقم الآية	رقم الصفحة
	يَرَهُ ﴿		
القارعة	﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿	٩-٦	٢٧٨
التكاثر	﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿	٢	٢٦٣
قريش	﴿وَأَمَنَّهُمْ مِنَ خَوْفٍ ﴿	٤	١٦٠
الكوثر	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿	١	٢٧٦، ٢٧٧
	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿	٢	١٤٢
الكافرون	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿	٦-١	٢٤٠

فهرس الأحاديث النبوية

الترقيم	طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
(أ)	(آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف)	١٥٠
	(أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك)	١١١
	(اسم الله الأعظم في سور من القرآن)	١٣٣
	(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر)	٢٥٠
	(ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)	٣١٥
	(الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى)	١٤١
	(اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت)	١٣٣
	(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) ٢	٢٠، ١٦٦
	(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر)	٢٥١

الترقيم	طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
	(أن الله عز و جل يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة)	٢٧٩
	(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث)	١٧
	(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)	١٦٨
	(أن لا يبقين في رقبة بغير قلادة من وتر)	١٣٩
	(أنهم مجوس هذه الأمة)	٦٨
	(انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا)	١٣٨
	(إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها)	٢٥٩، ٢٦٠
	(إن الرقى والتمايم و التولة شرك)	١٤٠
	(إن القلم رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق)	٣٠١، ٣٠٢
	(إن الله يستحي من عبده إذا مد يده إليه)	١٢٩
	(إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن)	٢٧٧
	(إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله)	١٤٤
	(إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً)	١٠٥
	(أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيروا اختلافاً كثيراً)	٣١٤
	(الإيمانُ بِضَعٍّ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضَعٍّ وَسِتُّونَ شُعْبَةً)	١٦٨، ١٧٠
	(السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية)	٣٠٨
	(المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)	٦٣
(ب)	(بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره)	٣٠٧، ٣٠٨
(ث)	(ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت)	٢٥٩، ٢٦١
	(ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم)	٢٨١
(ح)	(حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك)	٢٧٧

الترقيم	طرف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
(خ)	(خيار أئمتكم الذي تحبونهم ويحبونكم)	٣١٠
(د)	(دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)	١٣٣
(ع)	(عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك)	٣٠٩
	(عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير)	٨٦
(ف)	(فاقدته لي، ويسره لي)	٥٥
	(فبيننا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من رسول الله - ﷺ - إلى هرقل)	٢٣٧
(ق)	(قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)	٣١٥
(ك)	(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان)	٢٧٩
	(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)	٤٦
(ل)	(لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله)	٣١٥، ٣١٦
	(لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه)	١٤٢
	(لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً)	٣١٥
	(ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل)	١٥٣
(م)	(ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)	٢٥٥
	(ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر)	٢٣٥
	(مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيمة تكون بنجد)	٢٨٢
	(من أحصاها دخل الجنة)	١٠٥
	(من تعلق تيممة فلا أتم الله له)	١٣٨
	(من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات ميتته جاهلية)	٣٠٩
	(من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له)	٣١٠

الترقيم	طوف الحديث أو الأثر	رقم الصفحة
	(من رأى من أميره شيئاً فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً)	٣١٠
	(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)	١٥٤
	(من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)	١٤٣
(و)	(والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب)	١٣٣
	(والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله)	١٩
	(وتؤمن بالقدر خيره وشره)	٦١
(ي)	(يا عبد الرحمن بن سمر لا تسأل الإمارة، فإن أعطيتها عن مسألة)	٣٠٥
	(يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ)	١٦٦
	(يخرج من النار من قال لا إله إلا الله)	١٦٥

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُجَّد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، د.ط، (د.م: دار الدعوة، د.ت).
٢. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرئوط، ط ١، (د.م: مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م).
٣. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود مُجَّد الطناحي، د.ط، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).
٤. أحمد بن حجر آل بوطامي البنعلي، العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، ط ١، (د.م: دار الكتب القطرية، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م).
٥. أحمد بن مُجَّد النجار، المباحث العقدية المتعلقة بالإيمان بالرسول، د.ط، (المدينة المنورة: د.ن، ١٤٣٢ هـ).
٦. الأزهرى، مُجَّد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام مُجَّد هارون، د.ط، (د.م: د.ن، د.ت).
٧. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق مُجَّد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، (د.م: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٩ هـ).

٨. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُجَدِّ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق مركز البحوث والدراسات، د.ط، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت).
٩. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُجَدِّ، مفردات ألفاظ القرآن، د.ط، (دمشق: دار القلم، د.ت).
١٠. ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين مُجَدِّ بن علاء الدين، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء، تخريج ناصر الدين الألباني، د.ط، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
١١. الألباني، مُجَدِّ ناصر الدين، تخريج شرح الطحاوية لابن أبي العز، ط ٢، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٤هـ).
١٢. الألباني، مُجَدِّ ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط ١، (الرياض: دار المعارف، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
١٣. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
١٤. البخاري، مُجَدِّ بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط ٣، (بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
١٥. البريكان، إبراهيم بن مُجَدِّ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، ط ١، (الرياض: دار الهجرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

١٦. البريكان، إبراهيم بن مُجَدِّد، المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، ط ٢، (الرياض: دار ابن القيم، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
١٧. ابن بطة العكبري، أبي عبد الله عبيد الله بن مُجَدِّد، الإبانة الصغرى، تحقيق عادل بن عبد الله بن سعد، ط ٢، (الرياض: دار الأمر للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ).
١٨. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق مُجَدِّد الدين عبد الحميد، د.ط، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
١٩. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
٢٠. الترمذي، مُجَدِّد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق أحمد مُجَدِّد شاکر وآخرون، د.ط، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
٢١. التميمي، مُجَدِّد بن خليفة بن علي، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها، د.ط، (ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، د.ت).
٢٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، أسباب رفع العقوبة عن العبد، تحقيق علي بن نايف الشحود، د.ط، (دم : دن، د.ت).
٢٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، بغية المراتد في الردّ على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (السبعينية)، تحقيق موسى الدويش، ط ١، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨هـ).
٢٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الاستقامة، تحقيق مُجَدِّد رشاد سالم، ط ١، (المدينة المنورة: جامعة الإمام مُجَدِّد بن سعود، ١٤٠٣هـ).
٢٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق

- حمدان مُجَدِّد، عبد العزيز إبراهيم، علي حسن ناصر، ط ١، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٤هـ).
٢٦. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق مُجَدِّد رشاد سالم، د.ط، (الرياض: دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١هـ).
٢٧. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، **الرد على المنطقيين**، د.ط، (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
٢٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **رسالة في قوله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة)**، تحقيق مُجَدِّد رشاد رفيق سالم، د.ط، (مصر: د.ن، د.ت).
٢٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الصفدية**، تحقيق مُجَدِّد رشاد سالم، ط ٢، (د.م: د.ن، ١٤٠٦هـ).
٣٠. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **العقيدة الأصفهانية**، تحقيق إبراهيم سعيداي، ط ١، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ).
٣١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **العقيدة الواسطية**، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط ٢، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
٣٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى الكبرى**، تحقيق مُجَدِّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا ط ١، (د.م: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م).
٣٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **كتاب الإيمان الأوسط ضمن مجموع الفتاوى**، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، ط ٣، (الناشر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
٣٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **كتاب الإيمان الكبير ضمن مجموع الفتاوى**، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، ط ٣، (الناشر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
٣٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق عبد الرحمن بن مُجَدِّد النجدي، د.ط، (د.م: مكتبة ابن تيمية، د.ت).
٣٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق أنور الباز، عامر الجزار، ط ٣، (الناشر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م).
٣٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق مُجَدِّد رشاد سالم، ط ١،

(د.م: مؤسسة قرطبة، د.ت).

٣٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، النبوات، د.ط، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٦هـ).

٣٩. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ط ٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٢م).

٤٠. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، صيد الخاطر، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٤١. ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

٤٢. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، د.ط، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ).

٤٣. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).

٤٤. ابن حبان، محمد التميمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ٢، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

٤٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، تحقيق إكرام الله إمداد الحق، ط ١، (بيروت: دار البشائر، ١٩٩٦م).

٤٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب بن عبد اللطيف، ط ٢، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٥هـ).

٤٧. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، د.ط، (القاهرة: د.ن، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
٤٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، د.ط، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
٤٩. ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الزواج عن اقتراف الكبائر، تحقيق أحمد عبد الشافي، ط ١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ).
٥٠. حسن البناء، رسالة العقائد، ط ١، (القاهرة: مؤسسة إقرأ، د.ت).
٥١. الحكمي، حافظ بن أحمد، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، تحقيق حازم القاضي، ط ٢، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤٢٢هـ).
٥٢. الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، ط ١، (الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).
٥٣. أبو حمزة الشامي، مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله، د.ط، (د.م : د.ن، د.ت).
٥٤. ابن حنبل، أحمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، د.ط، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت).
٥٥. خالد بن عبد اللطيف، منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة، د.ط، (المدنية المنورة: مكتبة الغرباء، ١٤١٢هـ).

٥٦. الخطابي، حمد بن مُجَدِّ البستي، شَأْن الدعاء، تحقيق أحمد بن يوسف الدقاق، ط ١، (د.م: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ).
٥٧. الخطابي، حمد بن مُجَدِّ البستي، معالم السنن بهامش مختصر سنن أبي داود، تحقيق أحمد شاكر و مُجَدِّ حامد الفقي، د.ط، (الرياض: دار المعرفة، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، د.ت).
٥٨. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، تحقيق إبراهيم حمدي المدني، د.ط، (المدنية المنورة: المكتبة العلمية، ١٣٥٧هـ).
٥٩. ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُجَدِّ، المقدمة، ط ٤، (مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع، ١٣٩٨هـ).
٦٠. ابن خلكان، أحمد بن مُجَدِّ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق مُجَدِّ محي الدين عبد الحميد، ط ١، (د.م: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٧هـ).
٦١. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، د.ط، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).
٦٢. الذهبي، مُجَدِّ بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مُجَدِّ نعيم العرقسوسي، ط ٩، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
٦٣. الذهبي، مُجَدِّ بن أحمد، العلو للعلي الغفار، تحقيق أبو مُجَدِّ أشرف بن عبد المقصود، ط ١، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٥م).
٦٤. الرّازي، مُجَدِّ أبي بكر، مختار الصّحاح، ط ١، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م).

٦٥. رباب نجيب أمين، الآثار الإيمانية لأسماء الله الحسنى، د.ط، (ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م).
٦٦. ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، ط ١، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٨ هـ).
٦٧. ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط ١، (الرياض: مكتبة العبيان، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م).
٦٨. الرضواني، محمد بن عبد الرازق، سهل في التوحيد والعقيدة، ط ١، (مصر: مكتبة سلسبيل، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١١ م).
٦٩. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، معنى "لا إله إلا الله"، تحقيق علي محيي الدين علي القرّة، ط ٣، (القاهرة: دار الاعتصام، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
٧٠. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، ط ١٥، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م).
٧١. السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلّو، د.ط، (د.م: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٣ هـ).
٧٢. سعد الدين التفتازاني، بن مسعود بن عمر بن عبد الله، شرح العقائد النسفية لنجم الدين عمر النسفي، د.ط، (د.م: شركة الصحافة العثمانية، ١٣٢٦ هـ).
٧٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الأجوبة السعدية عن المسائل القصصية، ط ١، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

٧٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، ط ٤، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٣هـ).
٧٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **توضيح الكافية الشافية**، ط ١، (السعودية: مكتبة ابن الجوزي، ١٤٠٧هـ).
٧٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تفسير الأسماء الحسنى**، تحقيق عبيد بن علي العبيد، د.ط، (المدنية المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢١هـ).
٧٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة**، ط ١، (الدمام: دار ابن القيم، ١٤٠٩هـ).
٧٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط ١، (د.م: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م).
٧٩. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، ط ١، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٢هـ).
٨٠. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين**، ط ١، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).
٨١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **الخطب المنبرية على المناسبات**، ط ٢، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٢هـ).

٨٢. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الدرة البهية شرح القصيدة الثائية في حل المشكلة القدريّة، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط ١، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).
٨٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج، تحقيق أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، ط ٢، (د.م، دار ابن الجوزي، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).
٨٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، ط ١، (القاهرة: دار المنهاج، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
٨٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، سؤال وجواب في أهم المهمات، وبيان موانع الإيمان (تعليم أصول الإيمان)، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط ١، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).
٨٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول، ط ١، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م).
٨٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الفتاوى السعدية، د. ط، (الرياض: المؤسسة السعدية، د. ت).
٨٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، فتح الرحيم الملك العلام، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط ١، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢١ هـ).
٨٩. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، ط ١، (د.م: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م).

٩٠. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد في مقاصد التوحيد، تحقيق المرتضى الزين أحمد، ط ١، (د.م: مجموعة التحف النفائس الدولية، د.ت).

٩١. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن البسام، د.ط، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

٩٢. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (التفسير)، د.ط، (السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٩٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الأول)، د.ط، (السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٩٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ثقافة إسلامية-المجلد الثاني)، د.ط، (السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٩٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (الحديث)، د.ط، (السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

٩٦. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (العقيدة الإسلامية)، د.ط، (السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
٩٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (الفتاوى)، د.ط، (السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
٩٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (الخطب)، د.ط، (السعودية: مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
٩٩. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، ط ٢، (د.م: دار الوطن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
١٠٠. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، المواهب الربانية من الآيات القرآنية، تحقيق أبو عبد الرحمن سمير الماضي، ط ٢، (الدمام: رمادي للنشر، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
١٠١. السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد، العقيدة السفارينية (الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط ١، (الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٩٩٨م).
١٠٢. السفاريني، شمس الدين محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ط ٢، (دمشق: مؤسسة الخافقين ومكبتها، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م).

١٠٣. سلفنا الصالحين، شذرات البلاتين من طيبات كلمات سلفنا الصالحين، تحقيق مُجَّد حامد الفقي، د.ط، (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥هـ).

١٠٤. سليمان بن عبد الله بن مُجَّد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، د.ط، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت).

١٠٥. السمعاني، منصور بن مُجَّد، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس، د.ط، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

١٠٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

١٠٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت).

١٠٨. الشنقيطي، مُجَّد الأمين بن مُجَّد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد، د.ط، (د.م: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ت).

١٠٩. الشوكاني، مُجَّد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، د.ط، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ت).

١١٠. الشوكاني، مُجَّد بن علي، فتح القدير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط ٢، (المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

١١١. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

١١٢. الطبري، مُحمَّد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد مُحمَّد شاكر، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).
١١٣. الطحاوي، أحمد بن مُحمَّد، العقيدة الطحاوية، تعليق مجدي أبو عريش، ط ١، (الأردن/ عمان: دار البيارق للطباعة والنشر، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م).
١١٤. ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، كتاب السنة، ط ١، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ).
١١٥. عبد الرزاق بن عبد المحسن العبَّاد البدر، الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ط ٢، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م).
١١٦. عبد العزيز محمد سلمان، الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية، ط ٦، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م).
١١٧. عبد الله بن أحمد بن حنبل، كتاب السنة، تحقيق مُحمَّد بن سعيد القحطاني، ط ١، (الدمام: دار ابن القيم، ١٤٠٦ هـ).
١١٨. عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط ١، (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).
١١٩. عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ط ١، (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

١٢٠. عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط ٢، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩ هـ).
١٢١. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، شرح مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، ط ٤، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٣٣ هـ).
١٢٢. عبد الله بن صالح الغصن، أسماء الله الحسنى، ط ٢، (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).
١٢٣. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، ط ٢، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٨ هـ).
١٢٤. عبد الله بن محمد الطيار، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، فقه الشيخ ابن سعدي - رحمه الله تعالى -، ط ١، (السعودية: دار العاصمة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م).
١٢٥. عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، ط ٤، (جدة: مكتبة السوادى للتوزيع، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م).
١٢٦. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، تفسير آيات الأحكام، ط ١، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٠ هـ).
١٢٧. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، تقريب التدمرية، د. ط، (الرياض: مدار الوطن للنشر، ١٤٣٣ هـ).
١٢٨. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح أصول الإيمان، ط ١، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٠ هـ).
١٢٩. ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، شرح العقيدة الواسطية، إعداد فهد بن ناصر السليمان، ط ١، (الرياض: دار الثريا، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).

١٣٠. ابن عثيمين، مُجَدِّد بن صالح بن مُجَدِّد، القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنى، د.ط، (الرياض: مكتبة الكوثر، ١٤٠٦هـ).
١٣١. ابن عثيمين، مُجَدِّد بن صالح بن مُجَدِّد، القول المفيد على كتاب التوحيد، ط ٢، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ).
١٣٢. ابن عثيمين، مُجَدِّد بن صالح بن مُجَدِّد، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، تحقيق فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط ١٠، (دار الوطن: دار الثريا، ١٤١٣هـ).
١٣٣. ابن العربي، مُجَدِّد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق مُجَدِّد عبد القادر عطا، ط ٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
١٣٤. عبد العزيز الجليل، والله الأسماء الحسنى فادعوه بها دراسة تربوية للآثار الإيمانية والسلوكية لأسماء الله الحسنى، ط ١، (د.م: دار طيبة، ١٤٢٩هـ).
١٣٥. علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ مُجَدِّد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا، الدُرَر السَّيِّئَةُ فِي الْأَجْوِبَةِ النَّجْدِيَّةِ، تحقيق عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن قاسم، ط ٦، (د.م: دار الهدى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
١٣٦. علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ط ١، (الرياض: دار الهدى، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
١٣٧. ابن العماد العكري، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ٧، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
١٣٨. عمر الأشقر، أسماء الله الحسنى، ط ١، (الأردن: دار النفائس، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م).
١٣٩. عمر الأشقر، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، ط ٢، (الأردن: دار النفائس، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

١٤٠. عمر الأشقر، الرسل والرسالات، ط٤، (الأردن: دار النفائس، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
١٤١. عمر الأشقر، العقيدة في الله، د.ط، (الأردن: دار النفائس، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
١٤٢. عمر الأشقر، القيامة الكبرى، ط٦، (الأردن: دار النفائس، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
١٤٣. عمر الأشقر، القيامة الصغرى ط٤، (الأردن: دار النفائس، ١٤١١هـ/١٩٩١م).
١٤٤. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، فضائح الباطنية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، د.ط، (الكويت: مؤسسة دار الكتب الثقافية، د.ت).
١٤٥. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، د.ط، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).
١٤٦. الفراء، أبي يعلى محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، د.ط، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
١٤٧. الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، ط٤، (د.م: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، د.ت).
١٤٨. الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، ط١، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧م).
١٤٩. القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
١٥٠. القرطبي، محمد بن أحمد، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق عرفان بن سليم حسونة، د.ط، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

١٥١. القرطبي، مُحمَّد بن أحمد، التذكرة، تحقيق الصادق بن مُحمَّد بن إبراهيم، ط ١، (د.م: دار المنهاج، ١٤٢٥هـ).

١٥٢. القرطبي، مُحمَّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

١٥٣. القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م).

١٥٤. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

١٥٥. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، د.ط، (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣م).

ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق مُحمَّد حامد الفقي، ط ٢، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

١٥٦. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، بدائع الفوائد، تحقيق هشام عبد العزيز عطا، ط ١، (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

١٥٧. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، التبيان في أقسام القرآن، د.ط، (د.م: دار الفكر، د.ت).

١٥٨. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، التفسير القيم: تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، جمع مُحمَّد أويس الندوي، د.ط ، (د.م: د.ن، د.ت).

١٥٩. ابن القيم، مُجَدِّد بن أبي بكر أيوب، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على مُجَدِّد خير الأنام، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط ٢، (الكويت: دار العروبة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
١٦٠. ابن القيم، مُجَدِّد بن أبي بكر أيوب، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، د.ط، (د.م: دار المعرفة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).
١٦١. ابن القيم، مُجَدِّد بن أبي بكر أيوب، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، تحقيق عبد الله بن مُجَدِّد المديفر، ط ١، (الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠هـ).
١٦٢. ابن القيم، مُجَدِّد بن أبي بكر أيوب، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، د.ط، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
١٦٣. ابن القيم، مُجَدِّد بن أبي بكر أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط ٢٧، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
١٦٤. ابن القيم، مُجَدِّد بن أبي بكر أيوب، شرح أسماء الله الحسنى، جمع وترتيب أحمد بن شعبان، ط ١، (القاهرة: مكتبة الصفا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).
١٦٥. ابن القيم، مُجَدِّد بن أبي بكر أيوب، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق مُجَدِّد بدر الدين النعساني الحلبي، د.ط، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).
١٦٦. ابن القيم، مُجَدِّد بن أبي بكر أيوب، الصلاة وأحكام تاركها، د.ط، (المدينة المنورة: مكتبة الثقافة، د.ت).

١٦٧. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق

علي بن مُحمَّد الدخيل الله، ط٣، (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).

١٦٨. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، طريق المهجرتين وباب السعادتين، تحقيق عمر بن

محمود، ط٢، (الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

١٦٩. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط٣، (

السعودية/ المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).

١٧٠. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، الفوائد، ط٢، (بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

١٧١. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية،

تحقيق مُحمَّد بن عبد الرحمن العريفي، ط١، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٨هـ).

١٧٢. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، د.ط،

(بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

١٧٣. ابن القيم، مُحمَّد بن أبي بكر أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك

نستعين، تحقيق مُحمَّد حامد الفقي، ط٢، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

١٧٤. كاملة الكواري، المجلي في شرح القواعد المثلى، ط١، (بيروت: دار ابن حزم،

١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).

١٧٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط١،

(د.م: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

١٧٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط ٢، (د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م).
١٧٧. الكردي، عبد الحميد راجح، الأسماء الحسنى في القرآن الكريم وآثارها الوجدانية والسلوكية، ط ١، (عمان: دار المأمون للنشر، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م).
١٧٨. اللالكائي، هبة الله بن الحسن، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق أحمد بن سعد الغامدي، ط ٤، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م).
١٧٩. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، (بيروت: دار الفكر، د.ت).
١٨٠. ماهر مقدم، الجامع أسماء الله الحسنى، ط ٨، (الكويت: مكتبة الإمام الذهبي، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م).
١٨١. الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط ١، (الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م).
١٨٢. محمد بن أحمد بن الحسن المغربي، فتح العليم العلي في التعليق على تفسير العلامة السعدي، تقديم محمد بن عبد السلام، د.ط، (المغرب الأقصى: الدار البيضاء، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م).
١٨٣. محمد أمان بن علي الجامي، الصفات الألهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، ط ٣، (عجمان: مكتبة الفرقان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م).

١٨٤. مُجَدِّد بن عبد الرحمن السعدي، مواقف اجتماعية من حياة السعدي، ط ٢، (الرياض: دار الميمان، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
١٨٥. مُجَدِّد بن عبد الوهاب، القول السديد شرح كتاب التوحيد، ط ٢، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ).
١٨٦. مُجَدِّد بن عبد الوهاب، الكبائر، ط ٢، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ).
١٨٧. مُجَدِّد القاضي بن عثمان بن صالح، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ط ٢، (الرياض: طبع بمطبعة الحلبي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
١٨٨. عبد الرحمن صالح الحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط ٢، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
١٨٩. المرتضى الزبيدي، محمد بن الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، د.ط، (د.م: دار الهداية، د.ت).
١٩٠. المروزي، إسحاق بن منصور، مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، تحقيق عمادة البحث العلمي، ط ١، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٢م).
١٩١. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، د.ط، (بيروت: دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، د.ت).
١٩٢. المقدسي، موفق الدين ابن قدامة، ذم التأويل، تحقيق بدر البدر، ط ١ (الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٦هـ).

١٩٣. المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي، تجريد التوحيد، ط ١، (الأزهر: المطبعة المنيرية، ١٣٧٣ هـ).
١٩٤. مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، ط ٣، (د.م: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).
١٩٥. ابن منده، أبي عبد الله محمد بن إسحاق، كتاب التوحيد، تحقيق محمد بن عبد الله الوهبي، موسى بن عبد العزيز الغصن، ط ١، (مصر: دار الهدي النبوي، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م).
١٩٦. المنذري، زكي الدين بن عبد العظيم، مختصر سنن أبي داود، تحقيق محمد حامد الفقي، د.ط، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت).
١٩٧. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط ١، (بيروت: دار صادر، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).
١٩٨. ناصر العبد سليم المرئخ، منهج الشيخ السعدي في تفسيره، د.ط، (غزة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).
١٩٩. ناصر العقل بن عبد الكريم، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ط ١، (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤١٢ هـ).
٢٠٠. التَّجدي، محمد بن الحمود، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، ط ٥، (الكويت: مكتبة الأمام الذهبى، ١٤٢٣ هـ).
٢٠١. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م).

٢٠٢. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
٢٠٣. النووي، محي الدين يحيى بن شرف، مع التكملة لمحمد نجيب المطيعي، المجموع شرح المذهب، تحقيق زكريا علي يوسف، د.ط، (مصر: مطبعة الإمام، د.ت).
٢٠٤. النووي، محي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
٢٠٥. هراس، محمد بن خليل، ابن تيمية السلفي (نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات)، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٢٠٦. هراس، محمد بن خليل، شرح العقيدة الواسطية، ط ١، (د.م: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م).
٢٠٧. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط ٣، (بيروت: دار الكتب العربي، ١٤٠٢هـ).
٢٠٨. الوادعي، مقبل بن هادي، الجامع الصحيح في القدر، د.ط، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت).
٢٠٩. وليد الحسين، الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، ط ١، (بريطانيا: مجلة الحكمة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م).
٢١٠. ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، د.ط، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت).

٢١١. السعدي، منظومة في العقيدة والأخلاق، من إصدارات موقع الشيخ ابن

سعدي www.binsaadi.com ""

٢١٢. موقع جامعة المدينة العالمية: "<http://www.mediun.edu.my/ar>".

٢١٣. المكتبة الالكترونية: للشيخ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الإصدار الثالث، إعداد

موقع روح الإسلام: "www.islamspirit.com".

